

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم
محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي
رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١هـ)

وبهامشه

التعليقات على المسائل العقدية

لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله تعالى ونفع به

الطبعة الخامسة

الجزء الأول
من المقدمة إلى الأعراف

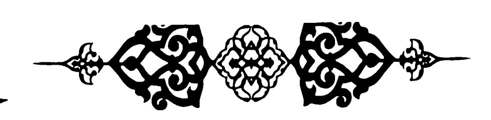
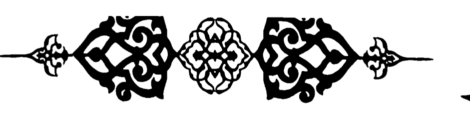
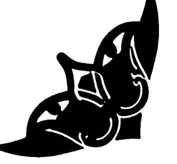
تحقيق
د. علي بن حمد الصالحي
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

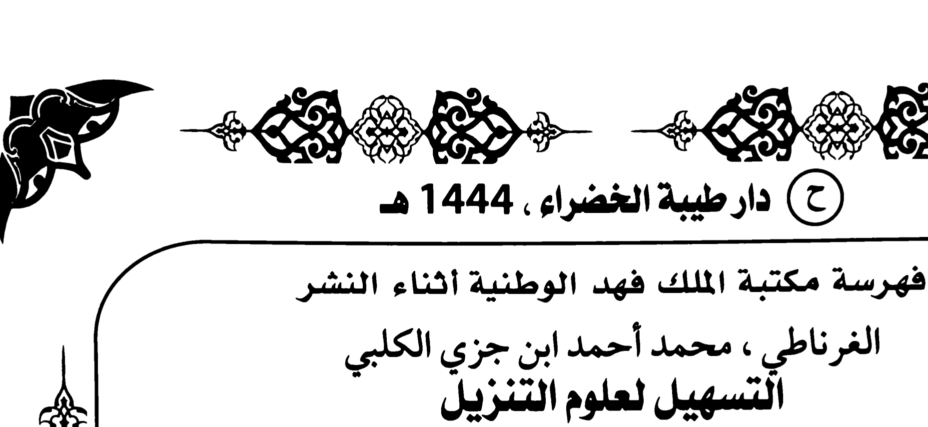
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع

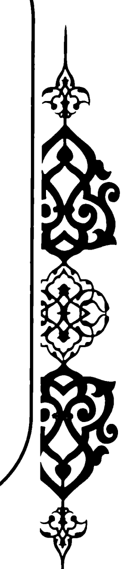
التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه

التعليقات على المسائل العقدية





فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغرناطي ، محمد أحمد ابن جزي الكلبي

التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقدية 1 ❖ 3

محمد أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي ؛ علي بن محمد الصالحي ـ ط 2 ـ مكة المكرمة، 1443 هـ

1 مج 771 ص؛ 17×24 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-71-7 (ج1)

1- القرآن – تفسير أ. الصالحي، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

ديوي 227,3 1442/8517

رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

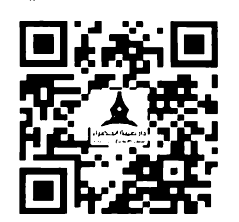
ردمك: 978-603-8310-71-7 (ج1)

الطبعة الخامسة (1444هـ – 2023م)



يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنـــا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك



dar.taiba

dar.taibagreen123

dar_tg

@dar_tg

yyy.01@hotmail.com

dartaibagreen@gmail.com

0550428992

0125562986

مكة المكرمة - العزيزيـــة - خلف مسجد فقيـه

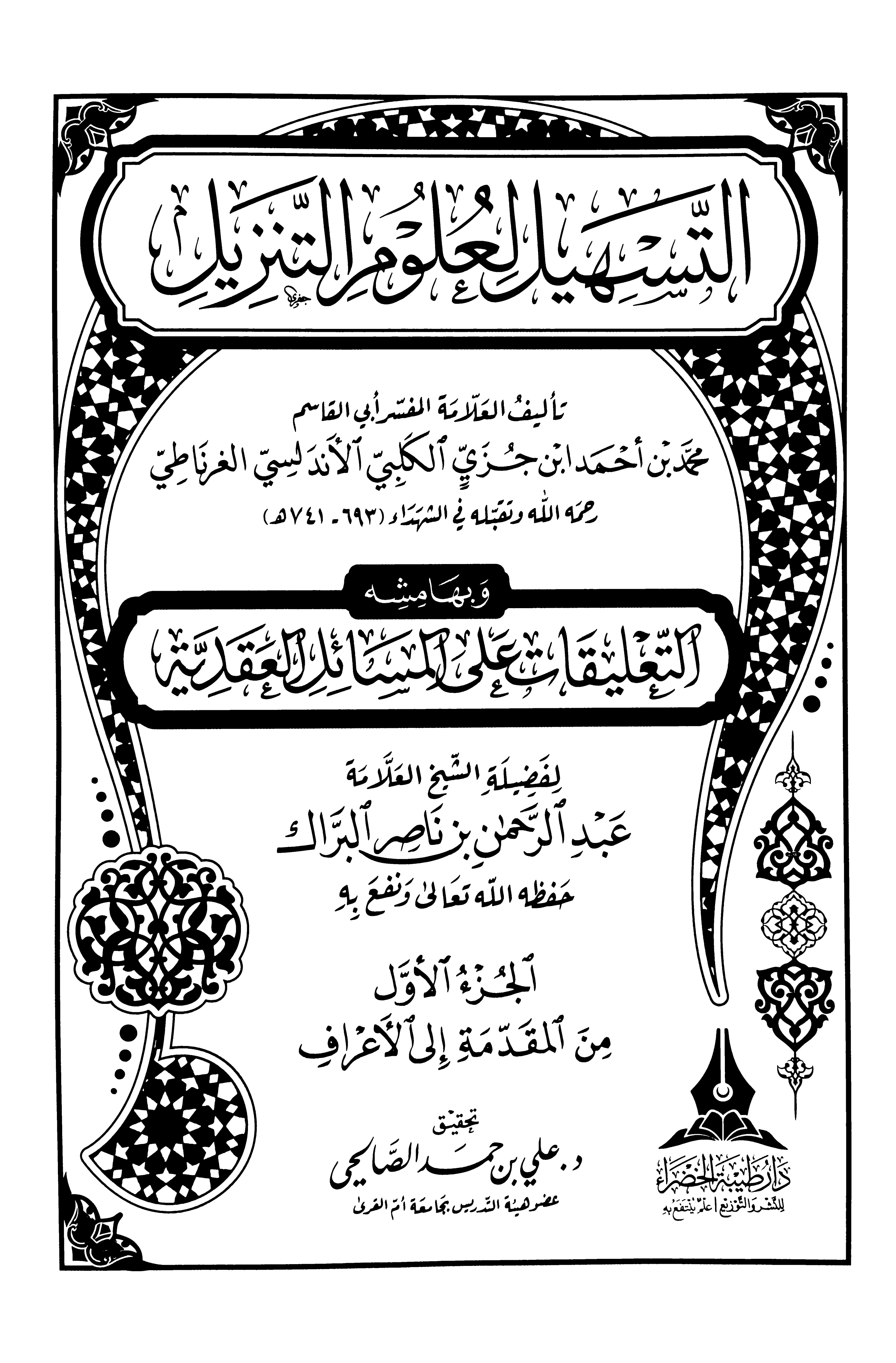












التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وبهامشه

التعليقات على المسائل العقدية

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

الجزء الأول

من المقدمة إلى الأعراف

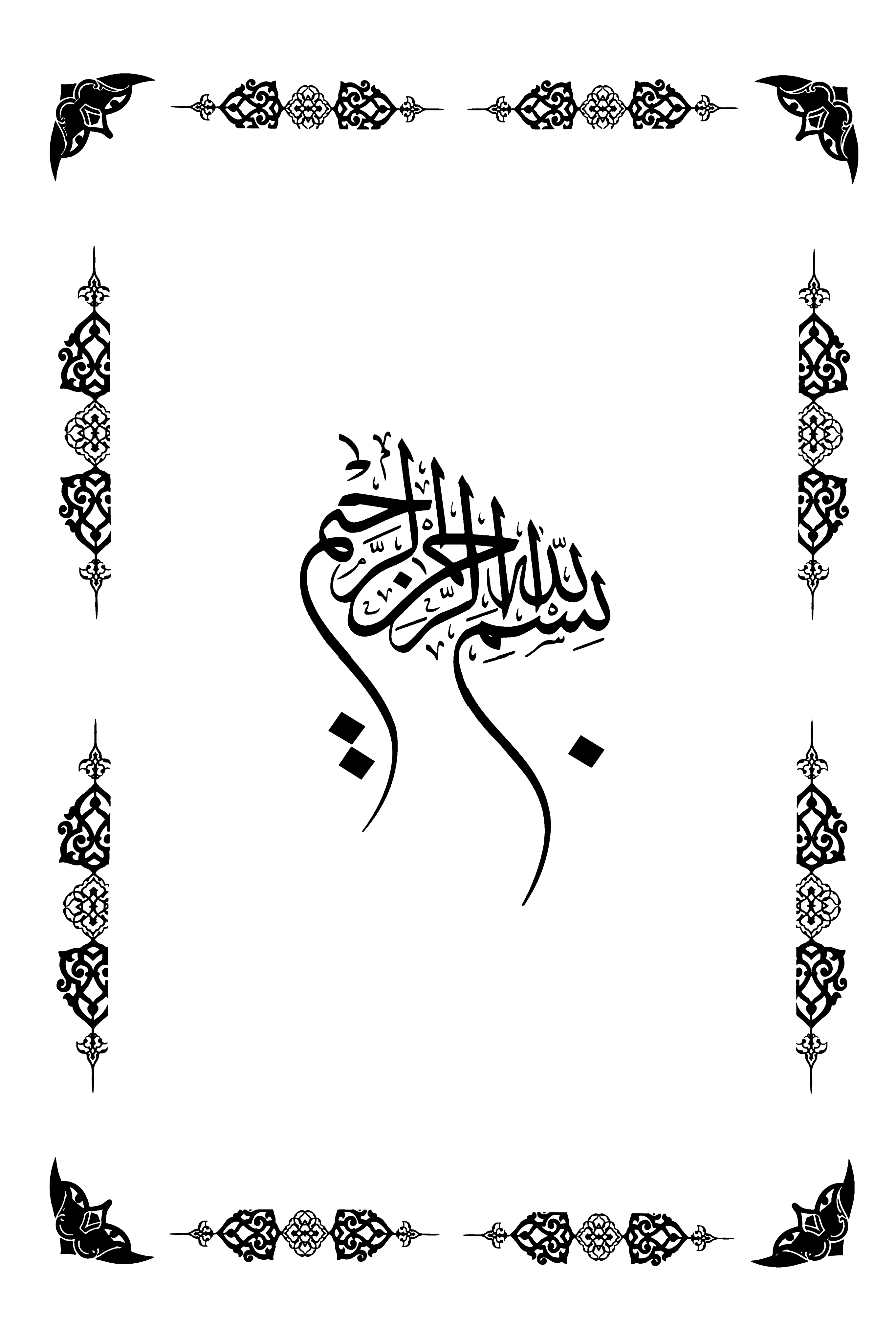
تحقيق

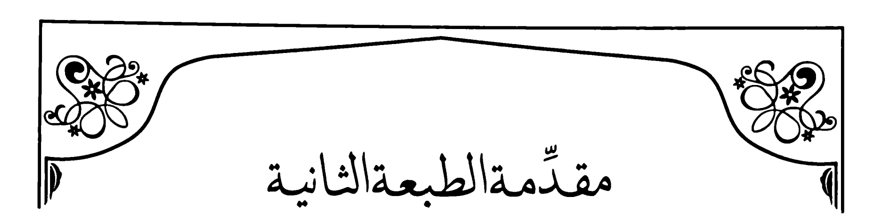
د. علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدِّمة الطبعة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية من كتاب **التسهيل لعلوم التنزيل**، للشيخ المفسِّر ابن جزيٍّ الكلبي ﷫، أقدِّمها للقارئ الكريم، وقد أعدت النظر في التحقيق بعد أن خرجت الطبعة السابقة، وأُجمل هنا أهم ما امتازت به هذه الطبعة عن سابقتها:

(١) أعدت مقابلة النص المحقَّق علىٰ مخطوطاته، وصحَّحت ما وُجد في النص من أخطاء طباعية في رسم الكلمات أو في ضبطها، واستدركت ما حصل فيه من سقط.

(٢) أعدت النظر في تخريج الأحاديث والآثار واستدركتُ ما فات تخريجه منها، أما الأحاديث فإني خرجتها من مصادرها الأصلية، مع بيان الحكم على الحديث صحةً أو ضعفًا إن لم يكن في الصحيحين أو في أحدهما، وأما الآثار الموقوفة علىٰ الصحابة أو التابعين، فقط فات في الطبعة السابقة شيء كثير منها، فاستدركت ذلك جميعه في هذا الطبعة، واكتفيت بتخريجه دون بيان الحكم عليه غالبًا.

(٣) أضفت تعليقات جديدة لفضيلة الشيخ **عبد الرحمن بن ناصر البراك** -حفظه الله- علىٰ مواضع من المخالفات العَقَدية، مستدرَكة علىٰ التعليقات التي في الطبعة السابقة، بلغت أربعين موضعًا[1] مما نبَّهني عليه أهل العلم والفضل أو انتبهت له أثناء إعادتي

(١) أرقام التعليقات المستدركَة في الفهرس هي: (١)، (٢)، (٣)، (٦)، (٧)، (٨)، (١٠)، (١٣)، (١٥)، (١٦)، (٢١)، (٣١)، (٣٤)، (٣٥)، (٣٧)، (٣٨)، (٤٤)، (٤٥)، (٤٧)، (٤٨)، (٤٩)، (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، (٥٩)، (٦١)، (٦٢)، (٦٣)، (٦٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٨٧)، (٩٠)، (٩٢)، (٩٤)، (٩٥)، (٩٧)، (٩٨)، (٩٩)، (١١٠).

النظر في الكتاب، فتكون جملة التعليقات العقدية إحدىٰ عشر ومئة، أثبتُّها في الحاشية مرقَّمة، وصنعت لها فهرسًا رتَّبته بحسَب ترتيب موضع التعليق من الكتاب، فإذا وُجد موضع من الكتاب فيه إشكال عقديٌّ مماثل لموضعٍ مضَىٰ التعليق عليه فإني أحيل إليه بالرقم، ويمكن للقارئ أن يصل إليه بالرجوع إلىٰ هذا الفهرس.

(٤) أضفت تعليقات مختصرة علىٰ مواضع من الكتاب، رأيت شدة الحاجة إليها؛ لتعين القارئ الكريم في فهم الكتاب، كتوضيح وجه إعرابي أو معنىٰ بلاغي، أو شرح كلمة غريبة أو مصطلح علمي، أو بيان عبارة مشكلة، أو إصلاح خلل تيقَّنته، وأذيِّل هذا التعليق بذكر المصادر التي أفدت منها فيه.

(٥) خرَّجت القراءات الواردة في الكتاب، وعزوتها إلىٰ من قرأ بها من القُراء السبعة واكتفيت بذكر الخلاف الدائر بينهم فقط دون من سواهم من بقية العشرة أو غيرهم، معتمدًا في ذلك علىٰ شروح الشاطبية، وعلىٰ كتاب تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، فإن لم تكن القراءة سبعيَّةً، بأن كانت من الثلاثة المتمِّمة للعشرة أو من القراءات الشواذِّ التي وراء ذلك فإني أذكر من قرأ بها، وأذيِّل بذكر المصدر الذي حكاها من كتب القراءات أو من كتب التفسير.

(٦) في تفسير آيات الأحكام يقتصر ابن جزيٍّ ﵀ في حكاية الخلاف في المسائل الفقهية علىٰ مذاهب الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي ﵏ إضافة إلىٰ أقوال الصحابة والتابعين ﵃، ويذكر في مواضع يسيرة مذهب الظاهرية، وأما مذهب الإمام أحمد ﵀ فلم يذكره المؤلف إلا في أربعة مواضع فقط، وترك ذكره في سائر المواضع مع كونه مذهبًا من المذاهب الأربعة المتبوعة، وتتميمًا لإفادة القارئ الكريم فقد أشرت إلىٰ مذهب الإمام أحمد في جميع المواضع التي لم يذكره المؤلف فيها، وأشرت إلىٰ الروايات في المذهب التي وافقت قولا من الأقوال التي حكاها المؤلف.

(٧) وُضعت الآيات الكريمة الواردة في التفسير بالرسم العثماني وفق رواية ورش عن نافع، فهي الرواية التي اعتمد عليها المؤلف في تفسيره[١].

(٨) صنعت فهارس للكتاب تيسِّر الإفادة منه، وهي فهرس الأحاديث، وفهرس الأشعار، وفهرس التعليقات العقدية.

هذا؛ وإني أشكر الله ﷻ على ما أنعم به عليَّ من الإعانة والتيسير على الجهد المبذول في إخراج هذه الطبعة الثانية، فاللهم لك الحمد ولك الشكر، وأسألك أن توزعني شكر نعمك.

ثم أُزْجي صادق شكري لفضيلة الشيخ العلَّامة عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به- على ما أفاض به من التعليقات العقدية المستدرَكة على هذا التفسير، تخلَّلت تضاعيفَه، ووشَّحت تأليفه، وطرَّزت دِيباجه، ورصَّعت تاجه، ونظمت عقوده، ورقَمت بُروده، وهي تعليقات لا تقتصر فائدتها على هذا التفسير فحسْب، بل تتعدى فائدتها إلى كثير من كتب التفسير التي جانب مؤلِّفوها الصوابَ في تقريرهم القضايا العقدية، فيجد القارئ في هذه التعليقات ما تقرُّ به عينه، وترجع به نافرةُ أُنسِه وسكونه، فجزى الله فضيلة الشيخ على ما جاد به وأجاد، ونصح وأفاد، وأجزل له المثوبة والأجر، ورفع درجاته وأعلاها، وبلَّغه من الآمال منتهاها.

سألناه الجزيل فما تلكَّا ... وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزادَا
فأحسنَ ثم أحسن ثم عُدنا ... فأحسن ثم عدتُ له فعادا
مرارًا لا أعود إليه إلَّا ... تبسَّم ضاحكا وثنى الوِسادَا

---

(١) هناك عدد من المواضع في التفسير تدلُّ على أن ابن جزيٍّ اعتمد على رواية ورش لا على رواية قالون، وإن كانت هذه المواضع قليلة لقلة الخلاف نسبيًّا بين قالون وورش، ومن أظهرها ما جاء في تفسير الآية رقم (١٧) من سورة الصافَّات: «﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت همزة الإنكار على واو العطف، وقرئ بالإسكان عطفًا بـ(أو)».ا.هـ. فالقراءة بفتح الواو هي رواية ورش، وهي التي ابتدأ بها المؤلف مما يدل على أنها هي الرواية التي يعتمدها في التفسير، ثم أشار إلى الرواية الأخرى بقوله: «وقرئ»، وهي رواية قالون، مما يعني أنها ليست هي الرواية التي بنى عليها تفسيره، كما يصنع مع القراءات التي تخالف قراءة نافع.

وأُردف بشكري لشيخنا الكريم الأستاذ الدكتور: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر -حفظه الله-، على ما أجرى الله على يديه من الخير، فقد كان سببًا في بروز هذه التعليقات النفيسة، إذ هو الذي قيَّدها من أمالي شيخه، وقد كان -أحسن الله إليه- مهتمًّا بها وحريصًا على أن تخرج للقراء لينتفعوا بها، وكان يستحثُّني على أن أرسل له أي موضع فائت من المواضع التي تحتاج إلى تعليق، وأجد منه اهتمامًا بالغًا في ذلك، وكم لشيخنا عندي من مبارّ أعجزني شكرُها، كما أعوزني حصرُها، وقد زحمَني من مكارمِه ما يُحصَر عنه المبين، ويَصحبُه العيُّ وبئس القرين، جزاه الله خير الجزاء وبارك فيه وفي علمه، ونفع به.

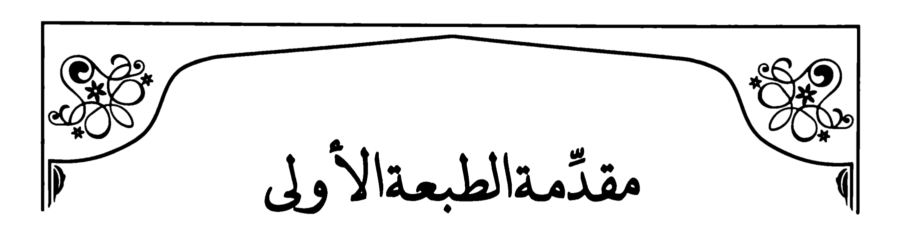
سأشكرُ عَمْرًا ما تراختْ منيَّتي أياديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلَّتِ

ثم أشكر لكلِّ من أكرمني من أهل العلم والفضل بتنبيهي على خللٍ في الطبعة السابقة أو بإرشادي إلى أمر فيه نصح في إخراج الكتاب، جزاهم الله تعالى خير الجزاء.

وختامًا أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يصلح النية والعمل، وأن يعفو ويتجاوز عما يقع فيه من خلل أو زلل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

✍ وكتبه: د. علي بن حمد الصالحي
مكة المكرمة
ali.h.s.32@gmail.com





مقدّمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ مَن بعثه الله رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم قدْرًا، وأجلَّها ذكرًا، وأرفعها شأنًا، وأولاها عرفانًا؛ علمُ تفسير كتاب الله تعالىٰ، وتفهُّم معانيه، وهو أولىٰ العلوم بالتحصيل، وخير ما صُرفت فيه الأعمار، وأُنفقت فيه الأوقات، وكُدَّتْ فيه القرائح والفهوم؛ إذ هو متعلِّقٌ بأشرفِ كلام، وهو كلام رب العالمين، فنال هذا العلمُ قصب السَّبق بهذه المزيَّة، وأَعظِم بها من مزيَّة، ومن رُتبةٍ عليَّة، وحريٌّ بعلمٍ هذه خَلَّته وخَصلته أن يكون سيِّدَ العلوم وكبيرها، وأن تكون سائرُ العلوم له جندًا وتبَعًا، وقَمَنٌ به أن يكون في ذِرْوة المعارف والعلوم التي يقصِدها وُرَّادُها، ويرومها قُصَّادُها، ويطلبها شُدَاتها؛ ليرتعوا في رياضه، ويَكرعوا من حياضه، ويقتبسوا من أنواره، ويتأرَّجوا من نفحاته، وما أجملَ ما دبَّجته يراعة الإمام المطَّلبي، محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله إذ يقول مستحِثًّا طلبة العلم علىٰ العناية بكتاب الله، ومُذْكيًا هِمَمهم في الانكباب علىٰ تحصيل علمه-: «فكلُّ ما أُنزل في كتابه -جل ثناؤه- رحمةٌ وحجة، عَلِمه مَن علمه، وجهله من جهله، لا يعلم مَن جهله، ولا يجهل من علمه، والناس في العلم طبقاتٌ، موقعُهم من العلم بقَدْر درجاتهم في العلم به، فحُقَّ علىٰ طلبة العلم بلوغُ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ علىٰ كل عارضٍ دون طَلَبِه، وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه: نصًّا واستنباطًا، والرغبةُ إلىٰ الله في العون عليه؛

فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلَّا بعونه، فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفَّقه الله للقول والعمل بما عَلِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمةُ، واستوجب في الدين موضع الإمامة، فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنِعَمِه قبل استحقاقها، المُدِيمَها علينا، مع تقصيرنا في الإتيان علىٰ ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدِّي به عنَّا حقَّه، ويوجب لنا نافلةَ مَزيدِه»[1].

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالىٰ: كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمدِ بن أحمد ابنِ جُزَيٍّ الكلبي الغرناطي ﵀، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات، تجعله من أولىٰ كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل علىٰ تحصيلها، **ومن تلك المميزات:**

(١) سهولة أسلوب ابن جزيٍّ ووضوح عبارته وجودتها، وحسن ترتيبه وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزي، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، إذ يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها، لكن يصعب علىٰ الشخص أن يحاكيَها.

(٢) صِغَر حجم الكتاب نسبيًّا؛ مما يسهِّل تحصيله، ويُقرِّبه إلىٰ الرَّاغبين، مع غزارة مادته العلمية، فابن جزيٍّ اختصر العبارة، مع غاية الدقَّة في انتقائها، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركَّزة، لكن لو فتَّش فيما تحتها لظهرت له معانٍ غزيرة، وقد نبه ﵀ علىٰ ذلك فقال: «ثم إني عزمتُ علىٰ إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

(٣) نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاؤه من الأقوال الباطلة والساقطة، كما نبَّه علىٰ ذلك في المقدمة فقال: «وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهًا للكتاب عنه، وربَّما ذكرته تحذيرًا منه»، إضافةً إلىٰ تحقيقه لأقوال المفسرين

(١) الرسالة (ص:١٩-٢٠).

والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزه بين الراجح والمرجوح، فهو بحقٍّ عسلٌ مصفًّىٰ، ولبنٌ خالصٌ سائغ للشاربين.

(٤) أنه يُعدُّ كتابًا تطبيقيًّا لمن درس علوم الآلة -كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة وعلم الأصول- ويروم أن ينمِّي ملكته في تطبيق هذه العلوم علىٰ فهم كتاب الله، فابن جزيٍّ يبيِّن بوضوحٍ الأوجه الإعرابية في الآية والمعنىٰ المبنيَّ علىٰ كل وجه، وما فيها من النكات البلاغية، ويبين تصاريف الكلمات وأبنيتها.

(٥) قدَّم له ابن جزيٍّ بمقدِّمتين، إحداهما في أبواب من علوم القرآن وأصول التفسير، وهي بمثابة كتاب مستقلٍّ في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرىٰ في اللغات التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصَّنيع قلَّ أن يوجد مثله في كتب التفسير.

(٦) جودة المصادر التي استمدَّ منها ابن جزيٍّ تفسيره -وسيأتي الحديث عنها بإذن الله-، وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من أجلِّ كتب التفسير العُمَد الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزي كأنه قرأ لُباب هذين التفسيرين وصِفوتهما.

وقد نوَّه أهل العلم بمزيَّة تفسير ابن جزي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيِّ (ت١٠٥٢هـ) من عيون علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها، ويقول في ضمن وصيَّته: «**ومن أحسن التفاسير التي أحبُّ لكم مطالعتها وتفهُّمَها: تفسير ابن جزيٍّ، ولا أَقبلُ قولَ من يخالف في ذلك**»[(١)].

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «**فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه علىٰ الوفاء بالمعنىٰ، يختصر جدًّا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخَّص، لكنه عميق ودقيق قلَّ أن يوجد مثله**»،

(١) نقل نصَّ هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

ويقول أيضًا: «**ويصلح أن يكون هذا الكتاب أصلًا يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلِّق عليه، ويرجع إليه حينًا بعد حين، ويراجعه ويكرره**»(١).

ويقول الشيخ محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله في وصف هذا التفسير: «**كنت ملازمًا لمطالعته في سفري ومقامي، لكثرة فوائده، وسهولة حمله، فهو يغني عن مكتبة، بما اشتمل عليه في التفسير واللغة وعلوم القرآن ومباحث أصول الفقه**»(٢).

ومع جلالة هذا الكتاب وقيمته العلمية ومزاياه العَلِيَّة؛ إلَّا أنه لم تخرجْ له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطبعات التي خرجتْ له بخَستْه وهضمته حقَّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحيانًا إلىٰ عدَّة أسطر! مما يجعل استفادةَ الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناتَه شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلىٰ أن أستعين اللهَ تعالىٰ في تحقيق هذا الكتاب تحقيقًا علميًّا يليق بمكانته ويخلِّصه وينقِّيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلىٰ حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمدًا في ذلك علىٰ أصول خطيَّة لهذا الكتاب انتخبتها مما جمعته جهدَ استطاعتي.

هذا؛ وقد حلَّىٰ جيدَ هذا الكتاب، ووشَّىٰ حُلَله، تعليقاتٌ نفيسة، وتقريراتٌ فريدة، **لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك** -أمتع الله به-، وفيها استدراكاتٌ علىٰ مواضع من الكتاب جانَب المؤلف فيها الصوابَ في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تَعْرِض لي مواضع يقرِّر فيها ابن جزيٍّ تقريرًا مشكلًا علىٰ منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر علىٰ شيخنا **الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر** -نفع الله به-، فاقترح عليَّ -جزاه الله خيرًا- أن أُرسل له هذه المواضع المشكلة ويقوم هو بعرضها علىٰ شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك، وهكذا عُهد شيخنا -جزاه الله خيرًا- باذلًا للخير مبادرًا نفَّاعًا.

---

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزي، علىٰ الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

(٢) مقدمة تحقيقه وتعليقه علىٰ تقريب الوصول لابن جزي (ص: ٥).

وكُلُّ امرِيءٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ

وعَرض شيخُنا هذا الأمر علىٰ **فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك** فأجاب إلىٰ ذلك كرمًا منه وتفضُّلًا - جزاه الله خيرًا - علىٰ عادته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح، والشيء من معدنه لا يُستغرب، وكأنَّ زهيرًا عناه حين قال في هَرِم بن سِنان:

قد جعل المبتغُونَ الخيرَ في هرِمٍ والسائلون إلىٰ أبوابِه طُرُقَا

وأملىٰ هذه التعليقات علىٰ **الشيخ عبد المحسن العسكر**، وهي بحقٍّ -كما يقول شيخنا الشيخ عبد المحسن-: «**تعليقاتٌ تشدُّ إليها الرحال، وتضرب بها الأمثال، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال؛ فإنها معقد الآمال، ومتنافس كرام الرجال، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الثناء الجزيل والذكر الجميل**».

فأسأل الله أن يجزي **الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك** خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير منتهاه.

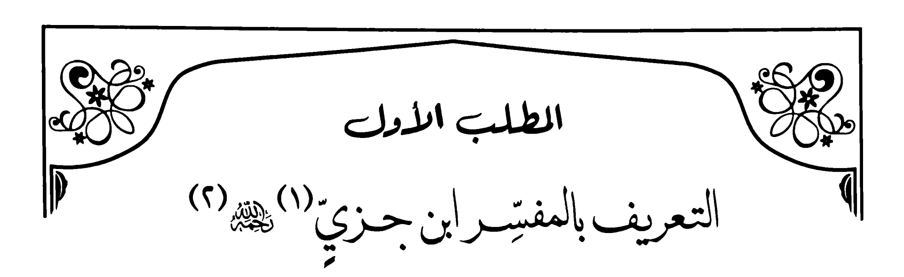
وأسأله سبحانه أن يجزي شيخنا المبارك المفضال الذي كثرت لديَّ فضائله وفواضله **الشيخ الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر** خير الجزاء علىٰ جهده في عرض هذه القضايا المشكلة علىٰ **فضيلة الشيخ: عبد الرحمن البراك** وتقييده لها، ومتابعته للعمل في ذلك، ولا يفوتني أن أشكر لكل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة، جزاهم الله تعالىٰ علىٰ إحسانهم خير الجزاء.

وبعد؛ فهذا كتاب «**التسهيل لعلوم التنزيل**» أقدِّمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتنقيحه واستفرغت الوسع، وحرصت علىٰ حسن الإخراج والتنسيق، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطإ وزلل -وقلَّما ينجو امرؤٌ من الزَّلل- فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وزلفىٰ لديه في جنات النعيم المقيم،

وأن يبارك فيه وينفع به، وأسأله سبحانه أن يجزي الشيخ ابن جزيٍّ خير الجزاء على هذا السِّفْر العظيم، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبَّله في الشهداء، إنه سميع مجيب، وأسأله سبحانه أن يجزي والديَّ ومشايخي وكلَّ من له فضلٌ عليَّ خير الجزاء، وأن يعلي درجاتهم في عليين، إنه خير من سئل وأجود من أعطىٰ والحمد لله رب العالمين.

✍ وكتبه: علي بن حمد الصالحي
مكة المكرمة
ali.h.s.32@gmail.com





المطلب الأول
التعريف بالمفسِّر ابن جزيّ(١) رحمه الله(٢)

❁ **اسمه ونسبه:**

هو محمدُ بنُ أحمدِ بنِ محمد بن عبد الله بن يحيىٰ بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابنُ جُزَيٍّ الكلبيُّ الأندلسي الغرناطي، أبو القاسم، ينتسب إلىٰ قبيلة كَلْبٍ القُضاعية اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليًا عليها كعنبسَة بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ، ومنهم من دخَلها مجاهدًا فاتحًا، ومن هؤلاء سلَف ابن جزيٍّ رحمه الله، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجَم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزيءٍ بضمِّ الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص:٣٩٨)، إلَّا أنه جرىٰ علىٰ الألسنة «جزيّ» بطرح الهمزة، علىٰ مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزي، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطُبع في فاس سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ١٠)، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، لابن الخطيب أيضا (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/ ٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص:١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/ ١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص:٣٩٨)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني (٥/ ٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري أيضًا (٣/ ١٨٤)، و فهرس الفهارس للكتاني (١/ ٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/ ٣٦٠).

وكانت لجدِّه السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزي بجيَّان رئاسةٌ وانفراد بالتدبير، حيث بويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

مولده ونشأته:

ولد ابن جزيٍّ يومَ الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ).

وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزيٍّ من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرَّج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزيٍّ في طلب العلم منذ وقتٍ مبكر.

مكانته العلمية وأخلاقه:

يقول عنه تلميذه ابن الخطيب: «كان ﷺ علىٰ طريقة مُثلىٰ من العكوف علىٰ العلم، والاقتصاد علىٰ الاقتيات من حُرِّ النَّشَب، والاشتغال بالنَّظر والتَّقييد والتَّدوين، فقيهًا، حافظًا، قائمًا علىٰ التدريس، مشاركًا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظًا للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جمَّاعة للكتب، مُلوكيَّ الخِزانة، حسَن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغَوْر، صحيح الباطن، تقدَّم خطيبًا بالمسجد الأعظم من بلده علىٰ حداثة سنِّه، فاتُّفق علىٰ فضله، وجَرىٰ علىٰ سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهًا إمامًا عالمًا بجميع العلوم، محصِّلًا، قارب درجة الاجتهاد، ودوَّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متفننًا، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنتْ عن التعريف به».

شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

(١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

(٢) الأستاذ النظَّار المتفنِّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشَّاط الأنصاري السبتي (ت٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقُّب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

(٣) الأستاذ المقرئ الرَّاوية المكثر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمَّاد (ت ٧١٢هـ).

(٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرٍو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشَيد (ت ٧٢١هـ)، صاحب كتاب «ملء العَيْبة».

(٥) عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزي كثيرًا من كتب القراءات وأبعاضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفا، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تآليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروىٰ عنهم، منهم: الشّيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابنُ المؤذن، والراوية المسنُّ أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الرَّاوية أبو زكريا البرشاني، والرَّاوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطَّنجالي.

۞ تلاميذه:

من تلاميذه أبناؤه الثلاثة:

(١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، الأديب الحافظ.

(٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزي، الفقيه المتفنن، تولىٰ الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضًا:

(١) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ).

(٢) أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ).

(٣) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ).

(٤) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، المعروف بالشُّدَيِّد (٧٧٦هـ).

مصنفاته:

خلَّف المفسِّر ابن جزيٍّ رحمه الله ثروة من الكتب في شتىٰ الفنون، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في عِداد المفقود، **ومن أبرز تلك المؤلفات:**

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم.

(٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، مفقود إلىٰ الآن.

(٣) الأنوار السَّنية في الكلمات السُّنِّية، مطبوع بعناية: نزار حمادي، وهو من إصدارات مكتبة الدكتور عبد الله بن علي آل الشيخ مبارك الوقفية.

(٤) الدَّعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، مفقود إلىٰ الآن.

(٥) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه علىٰ مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، وهو مطبوع عدة طبعات ومتداول.

(٦) تقريب الوصول إلىٰ علم الأصول، وهو مطبوع عدة طبعات ومتداول.

(٧) النُّور المبين في قواعد عقائد الدين، مطبوع من إصدارات دار الضياء، بعناية: نزار حمادي.

(٨) الضروري في علم الدين، مطبوع بتحقيق الدكتور: حميد بن محمد لحمر العايدي الإدريسي الحسني، من إصدارات دار الكلمة للنشر والتوزيع.

(٩) المختصر البارع في قراءة نافع، مطبوع بتحقيق الأستاذ: محمد الطبراني، من إصدارات مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

(١٠) أصول القُرَّاء الستة غير نافع، مفقود إلىٰ الآن.

(١١) الفوائد العامة في لحن العامة، مفقود إلىٰ الآن.

(١٢) فهرسة كبيرة اشتملت علىٰ جملة من أهل المشرق والمغرب، مفقودة إلىٰ الآن.

۞ شعره:

لابن جزيٍّ أشعار رائقة مستحسنة، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة، منها قوله:

لكلِّ بني الدنيا مرادٌ ومقصد ... وإنَّ مرادي صحَّة وفراغُ
لأبلغ في علم الشَّريعة مبلغًا ... يكون به لي للجنان بلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النُّهىٰ ... وحسبي من الدنيا الغَرور بلاغ
فما الفوز إلَّا في نعيم مؤبَّد ... به العيش رغْد والشَّراب يُساغ

وقوله في مدح النبي ﷺ:

أروم امتداح المصطفىٰ ويردُّني ... قصوريَ عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر؟ ... ومن لي بإحصاء الحصىٰ والكواكب
ولو أنَّ أعضائي غدت ألسُنًا إذَن ... لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أنَّ كلَّ العالمين تألَّفوا ... علىٰ مدحه لم يبلغوا بعضَ واجب
فأمسكت عنه هيبة وتأدُّبا ... وخوفا وإعظاما لأرفع جانب
وربَّ سكوت كان فيه بلاغة ... وربَّ كلام فيه عتب لعاتب

وقوله -مشفقًا من ذنبه-:

يا ربِّ إنَّ ذنوبي اليوم قد كثرت ... فما أطيق لها حصرًا ولا عددًا
وليس لي بعذاب النَّار من قِبَلٍ ... ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلىٰ ضعفي ومسكنتي ... ولا تذيقنَّني حرَّ الجحيم غدا

وقوله:

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو ... فيُسلي حُسْنها قلبَ الحزين
غضضتُ الطَّرف عن نظري إليها ... محافظةً على عرضي وديني

وقوله:

وقائلةٍ لِمْ هجرتَ التصابي ... وسِنُّك في عنفوان الشبابِ
يمر زمان الصبا ضائعًا ... ولم تَلْهُ فيه ببيض الكعاب
ولم تدر لذة طيب الهوىٰ ... ولم تَرْوَ من سلسبيل الرُّضاب
فقلت: أبَىٰ العلمُ إلا التقىٰ ... وهجرَ المعاصي ووصلَ المتاب
ومن لم يفده طِلَاب العلوم ... رجاءَ الثواب وخوف العقاب
فخيرٌ له الجهل من علمه ... وأنجىٰ له من أليم العذاب

وقوله:

أيا من كففتُ النفس عنه تعفُّفًا ... وفي النفس من شوقي إليه لهيبُ
ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما ... علىٰ النفس من تقوىٰ الإله رقيب

۞ وفاته:

توفي رحمه الله في معركة طَرِيف، وهي وقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارىٰ، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الوقعة في يوم الاثنين السابع من جمادىٰ الأولىٰ سنة (٧٤١هـ)، وفُقِد فيها ابن جزيٍّ وهو يشحذ الناس ويحرِّضهم، ويثبِّت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصًّا تاريخيًّا يتعلَّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزي فيقول: «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني [يعني: ابن جزي] يوم الوقيعة من آخر شعره قولَه:

قصـدي المؤمَّـل في جهـري وإسـراري ... ومطلبـي مـن إلهـي الواحـد البـاري

شـهادةٌ في سـبيلِ الله خالصـةٌ ... تمحـو ذنـوبي وتنجينـي مـن النَّـار

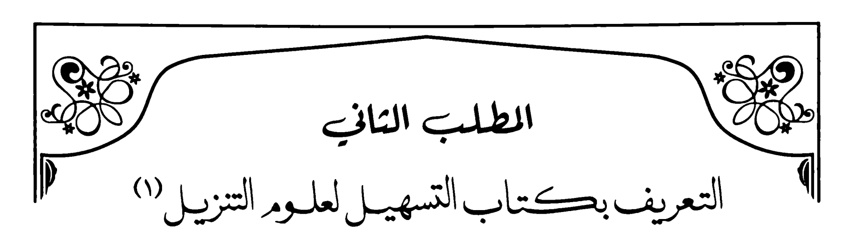
إن المعاصـي رجـسٌ لا يطهِّرهـا ... إلا الصـوارمُ مـن أيمـان كُفَّـار

ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير: فقلت له: وجعلتَ للكفار يمينًا؟! فلو كان غيرُ هذا اللفظ موضعَه! فقال لي: والحُطَمة في الناس من أيدي الكفار، قال: فكان آخر عهدي به رحمه الله»[١].

فرحم الله ابن جزي وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.



(١) نيل الابتهاج (: ٣٩٨-٣٩٩).



المطلب الثاني
التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل(١)

۞ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، هكذا صرَّح المؤلف ﷺ باسمه في مقدمته، فقال: «وسمَّيتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ».

وأما نسبته إلىٰ مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزي أن شيخَه صنَّف في التفسير(٢)، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابنَي ابنِ جزي -أحمد وعبد الله- صرَّح باسم الكتاب وبنسبته إلىٰ مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرَّح بنسبة الكتاب إلىٰ مؤلفه فيما وقفت عليه، إذ يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار» -وهو شرح لكتاب ابن جزي «الأنوار السَّنِية في الألفاظ السُّنية»-: «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزيٍّ الكلبي ﷺ.. وشرعتُ عليه في قراءة التفسير المسمىٰ بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»(٣).

ويعتبر هذا النص كافيًا في نسبة الكتاب إلىٰ مؤلفه، فهو نصٌّ قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابنَي المؤلف.

---

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزي ومنهجه في التفسير، للباحث: علي محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهبة عن ابن جزي وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزي ومنهجه -وعن منهج مفسر عمومًا-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠)

(٣) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

منهج ابن جزي في تفسيره:

ذكر ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره شيئًا من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولىٰ: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلًا علىٰ الطَّالبين، وتقريبًا علىٰ الرَّاغبين، فلقد احتوىٰ هذا الكتاب علىٰ ما تضمَّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت علىٰ إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس علىٰ مراتبَ؛ فمنها: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه، ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه، ومنها: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ، فأدناها: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ»، ثم ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ»، ثم ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوىٰ»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ»، ثم: ما أقدِّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وأمَّا إذا صرَّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهدته، وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَىٰ به، علىٰ أني لا أَنسبُ الأقوالَ إلىٰ أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلىٰ أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أَختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب عنه، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه».

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع علىٰ تفسيره وطريقته فيها، **يمكن ذِكر أهم معالم منهج ابن جزي في النقاط التالية:**

(١) ابتدأ ابن جزي تفسيره بذكر مقدِّمتين في غاية النفاسة، جعل المقدمة الأولىٰ في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك، وجعلها في اثني عشر بابًا، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين فأكثر من القرآن، فجمَعها في موضع واحد، ورتبها علىٰ حروف المعجم؛ ليسهل علىٰ الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرىٰ؛ فكثيرًا ما يحيل إليها ابن جزي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثنايا كتابه.

(٢) سلك ابن جزي ﷺ في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا»، وهذا المقصد جعل ابن جزيٍّ يأتي بالعبارة المفرطة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت علىٰ إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار».

(٣) طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلىٰ بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلًا، أو كان فيها أوجه إعرابية،

ويذكر المعنىٰ علىٰ كل وجه إعرابي، ويذكر المعنىٰ الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك علىٰ ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحيانًا يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنىٰ الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحيانًا يذكر المعنىٰ الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحيانًا يبدأ بذكر سبب النزول وأحيانًا يؤخره، وهكذا.

(٤) عملًا بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي علىٰ نفسه؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شرَحها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها، وربما أحال إلىٰ موضعها، بأن يقول: «قد تقدَّم اللغات»، أو «قد ذكر في سورة كذا»، أو «قد ذُكر» أو نحو ذلك؛ حرصًا منه علىٰ الاختصار وعدم التكرار، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بيَّن تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم، وأيضًا؛ إذا كان إعراب الآية واضحًا لم يتعرض له؛ طلبًا للاختصار، كما قال في المقدمة: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنىٰ، أو يختلف المعنىٰ باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوىٰ ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبيرِ فائدةٍ»، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها، إما لأنها واضحة الإعراب والمعنىٰ وليس فيها غريب يحتاج إلىٰ شرح، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة، أو في موضع متقدم من التفسير، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلىٰ أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها مرة بعد أخرىٰ؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيرًا في ثنايا تفسيره، وبناءً علىٰ منهج الاختصار أيضًا؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعيَّنة له نظائر فيما يأتي من الآيات، فإنه يبين المعنىٰ في أول موضع ويقول: «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة؛ أي: هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله.

(٥) في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعَدُّ تفسير ابن جزيٍّ من أنقىٰ التفاسير وأكثرها خلوًّا من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتمييز

بين الصحيح منها والسقيم، وذكَر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزَّه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحيانًا؛ لأن الحاجة تدعو إلىٰ التنبيه علىٰ بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتىٰ يعرف مغزىٰ ابن جزي في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرتضيه.

(٦) آيات الأحكام يقف عندها ابن جزيٍّ؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلُّق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ويذكر مذهب الظاهرية في مواضع يسيرة، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا في أربعة مواضع.

(٧) بنىٰ ابن جزي تفسيره للآيات علىٰ قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديدًا؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر علىٰ هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنىٰ والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب علىٰ الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ».

(٨) في جانب قَصص القرآن، حرَص ابن جزيٍّ أن يكون تفسيره نقيًّا من القصص الباطل وغير الثابت، فاقتصر علىٰ ذكر ما صحَّ ثبوته واحتيج إليه في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتىٰ إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص علىٰ ما يتوقف التفسير عليه، وعلىٰ ما ورد منه في الحديث الصحيح».

(٩) تعرَّض ابن جزي في تفسيره إلىٰ مقامات السلوك والسير إلىٰ الله تعالىٰ والدار الآخرة، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلِّصه من إشكالات المتصوفة كما قال: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه»، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع، وعلَّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك -أمتع الله به-، وقد تكلم ابن جزي علىٰ اثني عشر مقامًا؛ بحسب المناسبة التي تعرض له، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا.

(١٠) يعتني ابن جزي في تفسيره بعلم البلاغة والبيان، وقد أفرد في المقدمة الأولىٰ بابًا مستقلًّا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسَب تتبعه لها في القرآن، وعرَّف بها ابن جزيٍّ في المقدمة، وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلًا: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلىٰ أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنىٰ هذه الأداة.

(١١) يلحظ الدارس لهذا التفسير أن مصنفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبِّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إلمام جيِّد بهذه العلوم؛ حتىٰ يحصِّل فائدةً أكبر من هذا التفسير المبارك.

(١٢) يستعمل ابن جزي في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل:» ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزيٍّ بالزمخشري في تفسيره، فكثيرًا ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرضت بطريقة سؤال تشوَّف المرء إلىٰ معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرَضًا في ثنايا الكلام.

فهذا أهم ما يمكن أن يقال في معالم منهج ابن جزي في تفسيره.

مصـادر ابن جزي في تفسـيره:

استمدَّ ابن جزيٍّ تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيرها، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزيٍّ عليها في تفسيره ما يلي:

(١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

(٢) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزيٍّ في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدةَ ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثرًا كبيرًا في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكأنَّ هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزيٍّ لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزي.

(٣) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٤) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزي في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

(٥) **التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

(٦) **تفسير النكت والعيون**، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

(٧) **عين المعاني في تفسير السبع المثاني**، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

(٨) **أحكام القرآن**، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهـذا الكتـاب يعتـبر المصـدر الأساسـي لابـن جـزي في كلامـه عـن آيـات الأحكـام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلىٰ أصحابها.

(٩) **أحكام القرآن**، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

(١٠) **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ مـن آي التنزيـل**، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليـه ابـن جـزيٍّ كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١١) **درة التنزيـل وغـرة التأويـل**، لأبـي عبـد الله محمـد بـن عبـد الله الأصـبهاني المعـروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١٢) **التعريف والإعلام فيما أبهـم في القـرآن مـن الأسـماء والأعـلام**، لأبـي القاسـم أو أبـي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجـع إليـه ابـن جـزيٍّ كثيـرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

(١٣) **الاكتفـاء بمـا تضـمنه مـن مغـازي رسـول الله ﷺ والثلاثـة الخلفـاء**، لأبـي الربيـع سليمان بن موسىٰ الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليـه ابـن جـزيٍّ في ذكـر أخبار مغازي النبي ﷺ.

(١٤) **المقدمات الممهـدات في الفقـه**، لأبـي الوليـد محمـد بـن أحمـد بـن رشـد القرطبـي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

(١٥) **الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**، للسهيلي.

(١٦) **شرح تنقيح الفصول في علم الأصول**، لأبي العباس شهاب الدين أحمـد بـن إدريـس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

(١٧) **مشكل إعراب القرآن**، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

(١٨) **تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية**، لمكي بن أبي طالـب، ويظهـر لـي أنـه كـان ينقـل مـن هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.

(١٩) **الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلـة في أصـول الاعتقـاد**، لأبـي المعـالي الجـويني (٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.

ومن مصادر ابن جزي في تفسيره: كتابٌ للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزيٍّ آراءَ القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنَّف كتابًا في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتابًا اسمه «الإنباه علىٰ استنباط الأحكام من كتاب الله»[1]، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزي أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيرًا في فهارس المخطوطات فلم أقف علىٰ ذكر له، فيبدو أنه في عداد المفقود من تراث الأمة!

طبعات الكتاب السابقة:

أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلىٰ عالم المطبوعات: طُبِعت في مصر عام ١٣٥٥هـ في أربعة مجلدات، وكُتب علىٰ غلافها: «عُني بمقابلتها علىٰ عدَّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحَّحها نخبةٌ من العلماء».

وهذه الطبعة مشحونة جدًّا بالتحريفات والتصحيفات، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدوها، فلديَّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتِبَتْ بالخط المشرقي المعتاد، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف؛ فلعلَّ هذا هو مبدأ الخلل، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين، ولا ريب أنه كُتب في مخطوطاته العتيقة علىٰ وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي، وهذا الخط يصعب علىٰ المشارقة قراءته، وتلتبس حروفه كثيرًا، فمن طريقة المغاربة مثلًا أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلىٰ الحرف، فيحصل من جرَّاء ذلك التباس كبير عند المشارقة، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة، وبين السين والشين والثاء.. إلخ، فلعلَّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد علىٰ مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها؛ بسبب اختلاف هذه القواعد، وأيضًا

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

حصل له سقط كبير فيها، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة، وعوَّلوا على هذه المخطوطات المشرقية، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير.

ثم توالت طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبع عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة صفٍّ لطبعة ١٣٥٥هـ ليس إلا! فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدَّث عنها فيما يلي:

(١) طبعة دار الضياء- عام ١٤٣٠هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلَّا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ إذ يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديَّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف! وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلًا: جاء في هذه الطبعة (١/ ٢٠٠): هذا النصُّ:

«﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة».

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا:

«﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما، **[فالضمير في (بنورهم) عائد على (الذي)، وهو على هذا بمعنى: الذين، وحذْف النون منه لغة. وقيل: جواب لما]** محذوف تقديره: طفيت النار، [و] ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة». **فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة!**

وأيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾، جاء في هذه الطبعة هذا النصُّ (١/ ٣٤١):

«﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون»!.

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلىٰ المخطوطات فوجدت العبارة هكذا:

«﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر **أوّلًا**: مثل **نفقة الذين ينفقون**».

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة.

(٢) طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ:

أُعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات، الأول إلىٰ نهاية سورة الأنعام، والثاني إلىٰ نهاية سورة الأنبياء، والثالث إلىٰ نهاية سورة محمد، والرابع إلىٰ آخر القرآن، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠ وبين التصويبات التي صوبتها من المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلىٰ آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولىٰ، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح، فعلىٰ سبيل المثال: نموذج السقط -وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولىٰ- تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

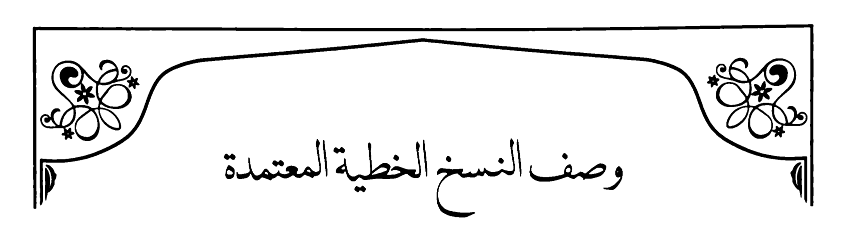
وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولىٰ موجودٌ كما هو في هذه الطبعة!

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

(٣) طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة- ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها علىٰ خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديَّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعتني بها وأنه قابل علىٰ المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيفات فقد قلَّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيف فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت علىٰ عدد من التصحيفات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات السابقة مفاوز، وأيضًا؛ يَعيب هذه الطبعة -إضافة إلىٰ وجود التصحيفات- بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق علىٰ ما يحتاج إلىٰ تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شَكْلَ ما يُشكل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضًا؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلىٰ دقة الخط.





تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالىٰ- علىٰ خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخٍ خطيَّة، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أُخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط المشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

❁ **النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي:**

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوىٰ أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلىٰ هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرىٰ (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخلُ من سقطِ كلماتٍ في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرغ من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) علىٰ يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور ..[1]، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلىٰ عصر المؤلف.

---

(١) لم يتّضح لي اللقب.

وعلىٰ الصفحة الأولىٰ منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤ه)، ويوجد بها أيضًا مقابلات علىٰ أصول خطية أخرىٰ واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من التصحيف، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع.

وأما تاريخ النسخة: فهو سنة (٩٧٦هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ستٍّ وسبعين وتسع مئة علىٰ يد العبد المذنب الراجي عفوَ ربه ورُحماه أحمد بن عبد الله بن أحمد القبيسي..».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب».

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠)، وتقع في (٢٤٣) ورقة، في كل صفحة (٣٤) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وهي تامة غير أنه سقط منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه عليها في مواضعها بإذن الله، ولست أدري هل السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟ وهذه النسخة بها مقابلات علىٰ أصول خطية أخرىٰ واستدراك سقط في بعض مواطنها، ويوجد بها تصحيف قليل، وسقط يصل إلىٰ عدة أسطر.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرَّم الحرام، فاتح ثمانين وتسع مئة، علىٰ يد العبد الراجي عفو مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن بن علي الملقب بـ[...][1] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله علىٰ كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط علىٰ حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرىٰ، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام علىٰ نبيه وعبده، والرضا عن آله وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، علىٰ يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [..][2] لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

---

(١) لم أتمكن من قراءته.

(٢) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

❁ النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط علىٰ حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تتبين سوىٰ كلمتي: «كمل كتاب..».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبينًا عليها، ولعله طُمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن مفهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «هـ».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

❁ النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب.

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه علىٰ يد العبد الفقير إلىٰ رحمة ربه الضعيف الحقير الذليل المنكسر خاطره عُبيد الله تعالىٰ وأصغر عبيد المحتاج إليه عبد القادر بن عبد المولىٰ بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم التموجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علَّمه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والميتين.. وقد كتبه للفقيه الأجل العالم الأفضل

المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [...][١]، أحمد الله رأيه وأدام عزَّه عليه ونفعه بهذا الكتاب.. وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين».

النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلىٰ هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «[..][٢] التفسير المبارك المسمىٰ التسهيل لعلوم التنزيل بن جزي ﷺ بحمد الله تعالىٰ وحسن عونه وتأييده علىٰ يد العبد المذنب الفقير إلىٰ الله تعالىٰ إبراهيم بن أحمد بن سعيد الوسكري غفر الله له ولأسلافه، وكان الفراغ من نسخه [...][٣] في سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:

(١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمةً كلمة، ولم أنتخب منها نسخة فأجعلها أصلًا أعتمد عليه، وإنما رجَّحت من فروقات النسخ ما رأيته أرجح، وأثبتُّ باقي الفروقات في الهامش، وقد استأنست في ترجيح الفروقات بالنسختين الخطيتين الأُخريين، إضافة إلىٰ المصادر التي يستمد منها ابن جزيٍّ تفسيره، وبالأخص المحرر الوجيز والكشاف، وكذلك ما يقتضيه السياق وقواعد اللغة، وكان جُلُّ همِّي أن أُخرج نص التسهيل سليمًا -حسب الاستطاعة- من التصحيف والتحريف،

(١) لم يتضح لي الاسم.

(٢) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٣) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد الذي جاء عليها.

فهذا هو غاية التحقيق الحقيقية، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: «مع أن العناية بأداء النصِّ أقربَ ما يكون إلىٰ السلامة هي المهمة الأولىٰ لمحققي الكتب وناشريها، أما التعليق والتفسير فأمرٌ نافلة زائدٌ علىٰ طبيعة التحقيق وأمانة الأداء»(١).

(٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزيٍّ وفق رواية ورش عن نافع.

(٣) طريقة ابن جزيٍّ أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلىٰ تفسير في الآية ويفسرها، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره، فأضفتُ مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [ ]، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات -غالبا- علىٰ وقوف الركوعات المعلَّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمصحف الكويتي، فهذه الركوعات تراعي المعنىٰ في الغالب، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل علىٰ الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها، وأيضًا؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له وِرْدًا معيَّنًا من الكتاب ليدرسه؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة.

(٤) أدرجت تعليقات فضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، علىٰ المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلىٰ الموضع السابق للتعليق، وصنعت لهذه التعليقات فهرسًا في آخر الكتاب؛ ليسهل علىٰ مريدها الوصول إليها.

(٥) خرَّجت الأحاديث التي أوردها المؤلف في كتابه تخريجًا مختصرًا.

(٦) أحلت علىٰ المصادر التي ينقل منها ابن جزي؛ فيما أمكن الرجوع إليه.

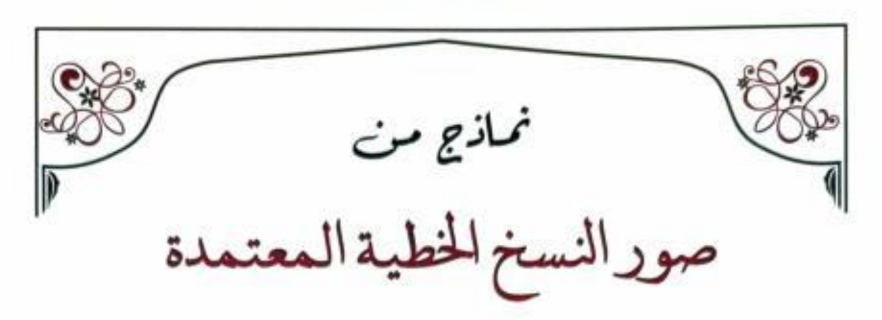
(٧) علقت علىٰ ما أرىٰ أنه يحتاج إلىٰ تعليق، من شرح غريب، أو حلِّ مستغلق، أو إيضاح مشكل.

---

(١) مجلة معهد المخطوطات (٢/ ١٨٨).

(٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزيٍّ رحمه الله في غريب القرآن، رقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزيٍّ ترقيمًا متسلسلًا، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزيٍّ في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدَّم بيانها في اللغات، فأُحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضًا؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزيٍّ بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.

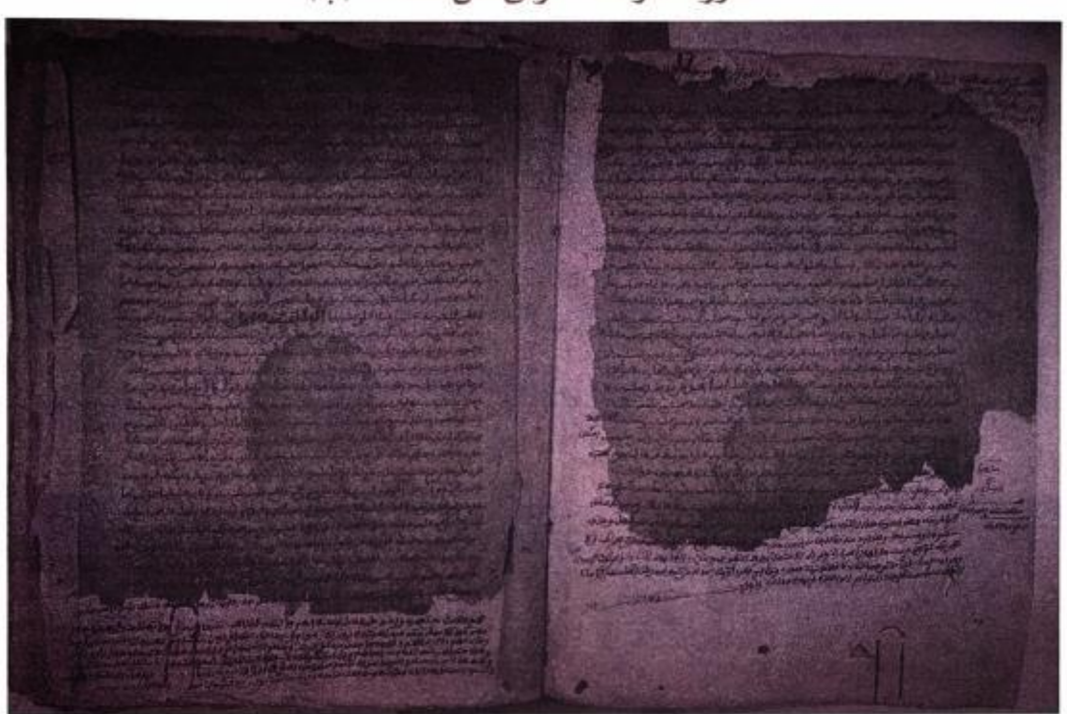




نماذج من صور النسخ الخطية المعتمدة

صورة اللوحة الأولى من نسخة (أ)

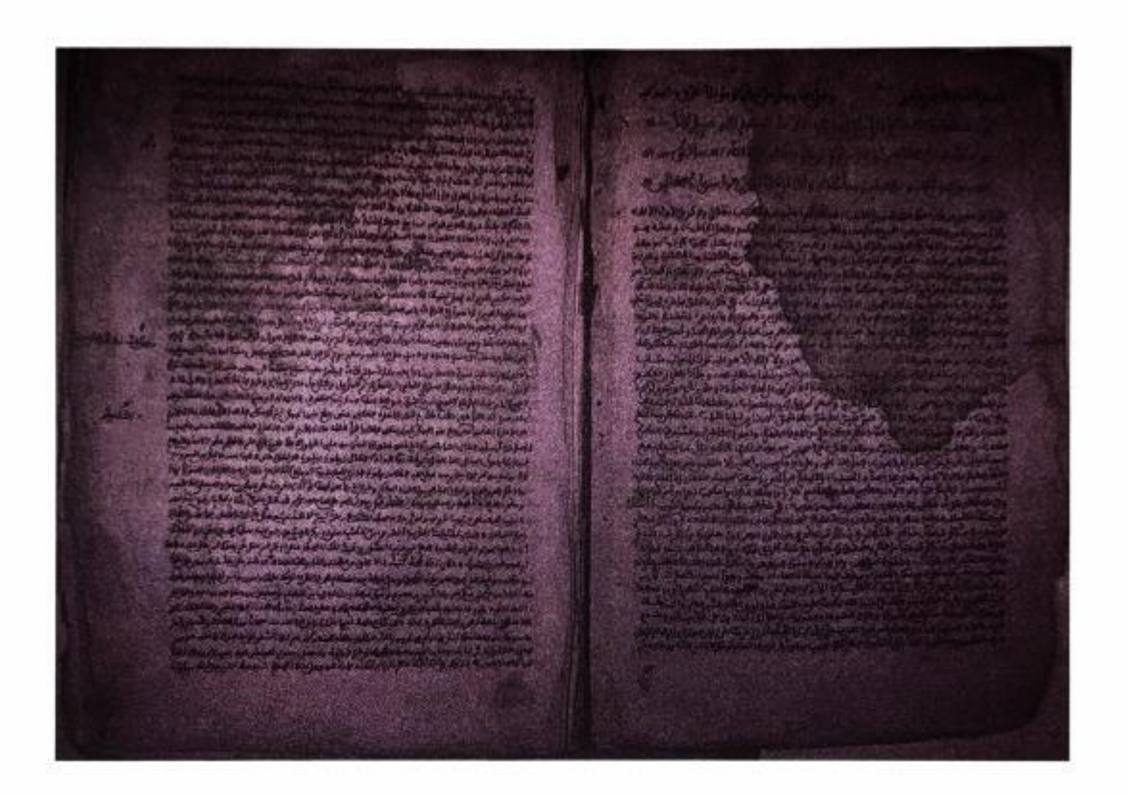
صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)



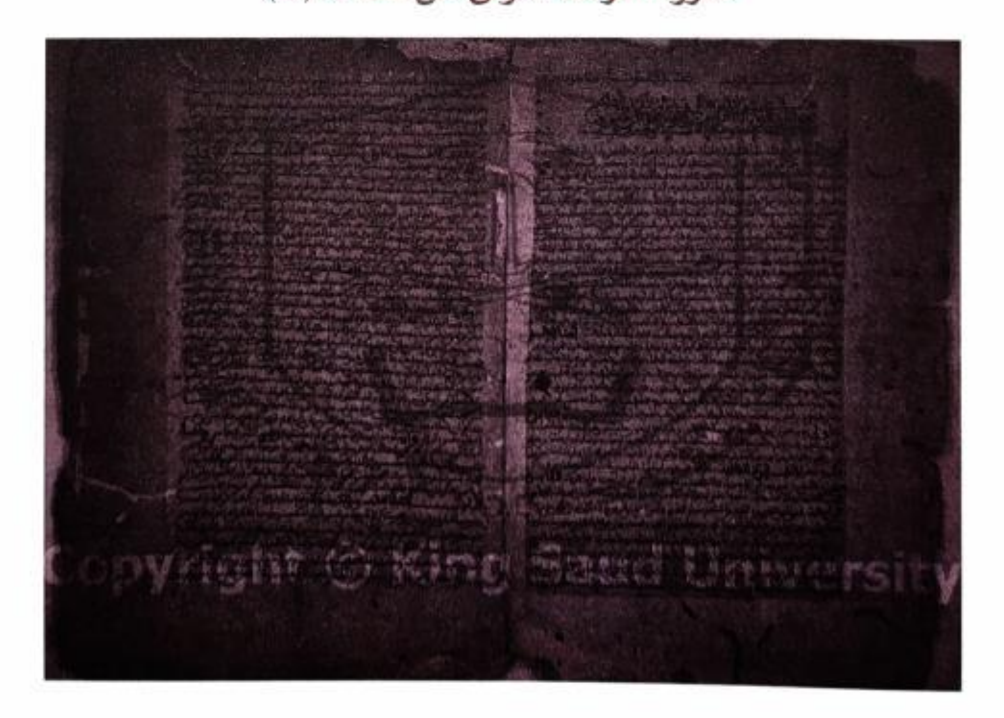
صورة اللوحة الأولى من نسخة (ج)



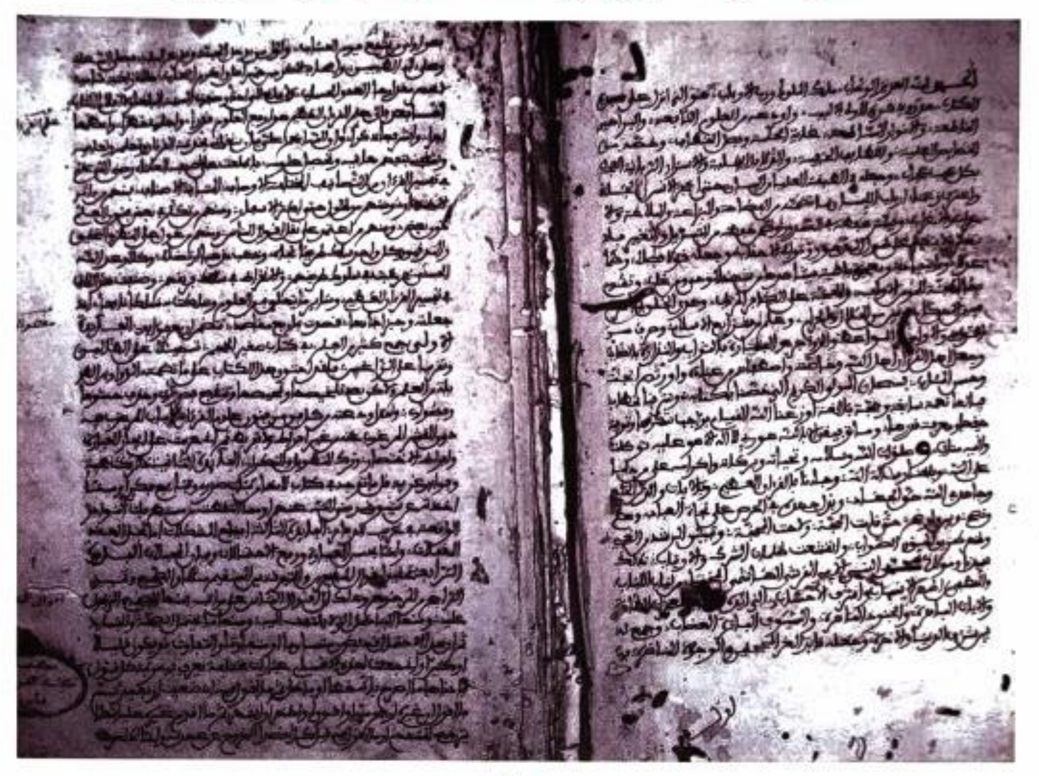
صورة اللوحة الأولى من نسخة (د)



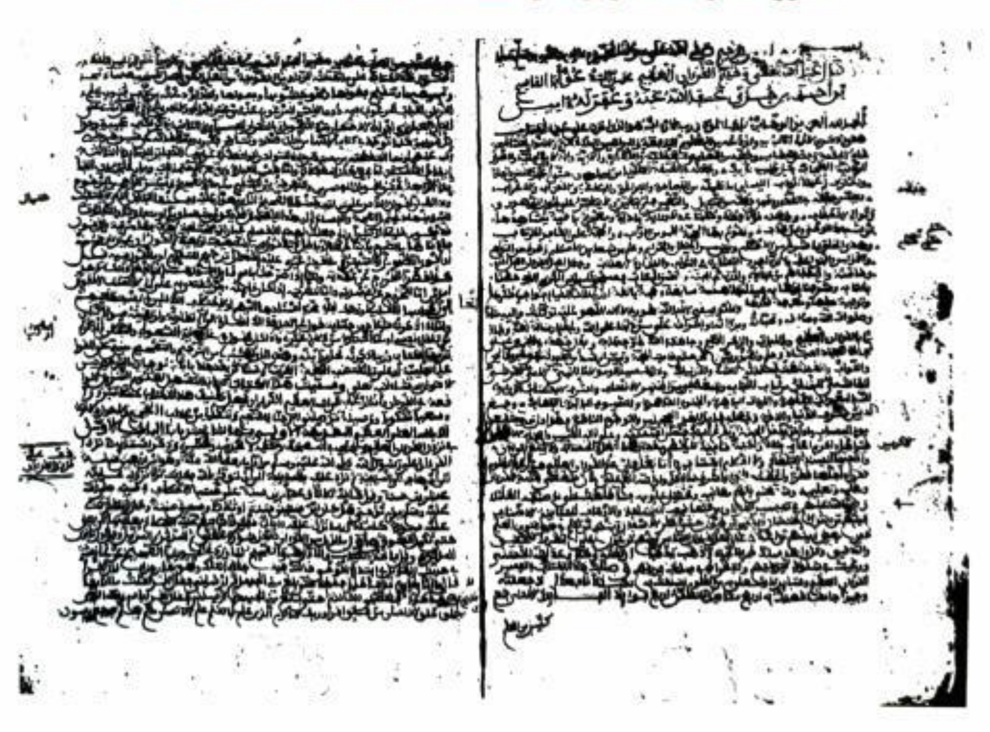
صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)

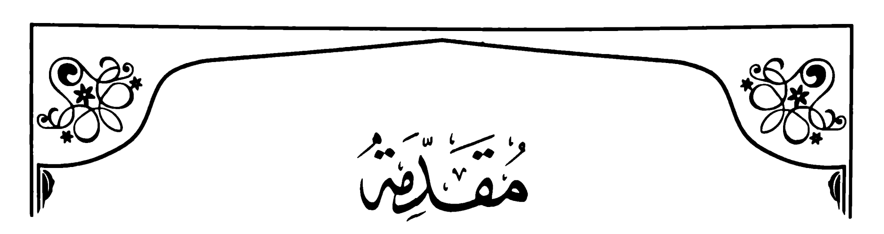


صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين



صورة اللوحة الأولى من نسخة مركز الملك فيصل





مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال عُبيد الله تعالى، وخَدِيمُ القرآن العظيم، محمدُ ـ المدعوُّ أبا القاسم ـ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بن جُزَيٍّ عفا الله عنه، وغفر له بمنِّه وفضله:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك وربِّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدًى وذكرى لأولي الألباب.

وأَودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة: غايةَ الحكمة وفصْلَ الخطاب.

وخصَّه(١) من الخصائص العليّة، واللطائف الخفيّة، والدلائل الجليّة، والأسرار الربانية العِجابِ: بكل عَجَبٍ عُجابٍ.

وجعله في الطّبقة العُليا من البيان، حتى أعجز الإنس(٢) والجانّ، واعترف زعماءُ أربابِ اللسان بما تضمَّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

ويسَّر حفظه في الصدور، وضَمِن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغيرْ، ولا يتغيرُ على طول الدُّهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولًا فصلًا، وحكَمًا عدْلًا، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَن شَهِد(٣) الوحيَ ومن غاب، وتَقوم بها الحجةُ للمؤمن الأوَّاب، والحجةُ على الكافر المرتاب.

(١) في ب، هـ: «وخصصه».

(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

(٣) في ب: «يشهدها من شهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».

وهدى الخلقَ بما شَرَع فيه من الأحكام، وبيَّن مِن الحلال والحرام، وعلَّمَ من شرائع[(١)] الإسلام، وصرَّف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبِشارة بالثواب، والنِّذارة بالعقاب.

وجعل أهلَ القرآن أهلَ الله وخاصَّتَه، واصطفاهم مِن عباده، وأورثهم الجنةَ وحسنَ المآب.

فسبحان المولىٰ الكريمِ الذي خصَّنا بكتابه، وشرَّفنا بخطابه، فيا لها[(٢)] نعمةً[(٣)] سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيامَ بواجب شكرها، وتوفيةَ حقِّها، ومعرفةَ قدرِها، وما توفيقي إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكّلت وإليه متابِ.

وصلواتُ الله وسلامه وتحيَّاته وبركاته وإكرامه علىٰ مَن دلَّنا علىٰ الله، وبلَّغنا رسالةَ الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد، وبذل جُهده في الحرص علىٰ نجاة العباد، وعلَّمَ ونصَح، وبيَّن وأوضَح، حتىٰ قامت الحجةُ، ولاحَت المحجَّةُ، وتبيَّن الرشدُ من الغيِّ، وظهر طريقُ الحقِّ والصواب، وانقشعت ظلمات الشكِّ[(٤)] والارتياب، ذلك سيدُنا ومولانا محمدٌ النبيُّ الأميُّ القرشيُّ الهاشميُّ المختارُ مِن لباب اللباب، والمصطفىٰ من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيّده الله بالمعجزات الظاهرةِ، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العِضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدَ الغُرِّ المحجَّلِين والوجوهِ الناضرة، فهو أوَّلُ مَن يَشفع يوم الحساب، وأول مَن يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين[(٥)]، خيرِ أهل وأكرم أصحاب، صلاةً زاكية ناميةً[(٦)] لا يَحصُرُ مقدارَها العدُّ والحساب، ولا يَبلغ إلىٰ أدنىٰ وصفِها ألسنةُ البلغاءِ، ولا أَقلام الكُتَّاب.

---

(١) في ب، ج، هـ: «شعائر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

(٢) في ب، ج، هـ: «فيا له».

(٣) في أ: «من نعمةٍ».

(٤) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٥) في د: «الأكملين».

(٦) في د: «تامة».

أمَّا بعدُ: فإنَّ علمَ القرآن العظيم هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطَرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وإنَّ الله أنعمَ عليَّ بأن شغَلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعلِيمه، وشغَفني بتفهُّم معانيه وتحصيل علومِه، فاطّلعتُ علىٰ ما صنفه العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفةِ الأوصاف، المتباينةِ الأصناف:

- فمنهم مَن آثر الاختصار.
- ومنهم مَن طوَّل حتىٰ كثّر[1] الأسفار.
- ومنهم من تكلَّم في بعض فنون العلم دون بعض.
- ومنهم من اعتمد علىٰ نقل أقوال الناس.
- ومنهم من عوَّل علىٰ النظر والتحقيق والتدقيق.

وكلُّ واحدٍ سلك طريقًا نحَاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلًّا وعد الله الحسنىٰ، فرغبتُ في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولىٰ: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم[2]؛ تسهيلًا علىٰ الطَّالبين، وتقريبًا علىٰ الرَّاغبين، فلقد احتوىٰ هذا الكتاب علىٰ ما تضمّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم[3] القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت علىٰ إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتّكرار.

---

(١) في ج، د: «أكثر».

(٢) في ب، د: «الحِزم».

(٣) في ب، ج، هـ: «علم».

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتبَ:

- **فمنها**: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه.
- **ومنها**: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.
- **ومنها**: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ:

- **فأدناها**: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ».
- **ثم**: ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ».
- **ثم**: ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوىٰ»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ».
- **ثم**: ما أقدِّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وامَّا إذا صرَّحتُ[1] باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

- إما للخروج عن عهدته.
- وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَىٰ به.

(١) في د زيادة: «فيه».

علىٰ أني لا أَنسبُ[1] الأقوالَ إلىٰ أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلىٰ أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أَختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب عنه، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه.

وهذا الذي ارتكبتُه[2] من الترجيح والتصحيح مبنيٌّ علىٰ القواعد العلمية، أو علىٰ ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا بابًا في موجبات التّرجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالىٰ.

وسمَّيتُ هذا الكتاب: «كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ»

وقدَّمتُ في أوَّله مقدمتين:

- **إحداهما:** في أبوابٍ نافعة، وقواعدَ كليةٍ جامعة.
- **والأخرىٰ:** فيما كثر دَوره من اللغات الواقعةِ في القرآن.

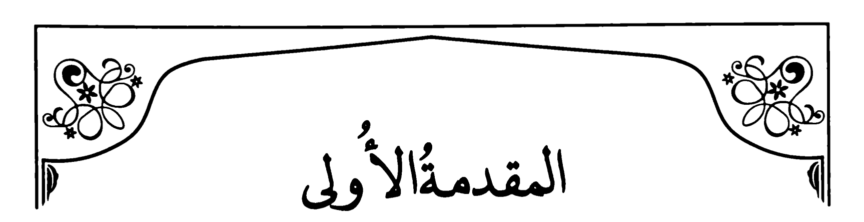
وأنا أرغبُ إلىٰ الله العظيم الكريم أن يجعلَ تصنيفَ هذا الكتابِ عملًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، ووسيلةً توصلني إلىٰ جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) في ب، د: «لست أنسب»، وفي هـ ج: «أني نسبت»!

(٢) في ب: «ارتكبتُ»، وفي د: «أرتكبه».



المقدمةُ الأُولى

فيها اثنا عشرَ بابًا.

الباب الأول

في نزول القرآن، وجمعِه في المصحف، ونقْطِه، وتحزيبه، وتعشيره، وذكـرِ أسمائـه(١)

❁ نزل القرآن علىٰ رسول الله ﷺ مِن أوَّل ما بعثه الله بمكة وهو ابنُ أربعين سنة إلىٰ أن هاجر إلىٰ المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلىٰ أن توفاه الله.

فكانت مدةُ نزولِه عليه عشرين سنةً، وقيل: كانت ثلاثًا وعشرين سنةً، علىٰ حسب الاختلاف في سنِّه ﷺ يوم تُوفِّي هل كان ابنَ ستين سنةً؟ أو(٢) ثلاثٍ وستين(٣)؟

وكان ربما تنزلُ(٤) عليه سورةٌ كاملة، وربما تنزل(٥) عليه آيات متفرِّقاتٌ(٦)، فيَضمُّ ﷺ بعضَها إلىٰ بعض حتىٰ تكمل السورة.

وأولُ ما نزل من القرآن: صدرُ سورة العلق، ثم المدثر و(٧)المزمل، وقيل: أول ما نزل: المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٣٧، ٥١).

(٢) في هـ د زيادة: «ابن».

(٣) في أ زيادة: «سنة».

(٤) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «خ: نزل».

(٥) في د وهامش أ: «نزل»

(٦) في أ: «مفترقة».

(٧) في د: «ثم».

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتىٰ بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانيةَ حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ تَرجُف بَوادِرُه[١]، فقال: زمِّلوني، زملوني، فزمَّلوه حتىٰ ذهب عنه ما يجد من الرَّوع»[٢].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: فقال رسول الله ﷺ: «زملوني»، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١][٣].

وأما آخِرُ ما نزل من القرآن: فسورةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، **وقيل**: آية الربا التي في البقرة، **وقيل**: الآية التي قبلها[٤].

وكان القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ مفترقًا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه علىٰ ترتيب نزوله،

---

(١) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبوادر جمع بادِرَةٍ، وهي لَحمةٌ بين المنكِب والعُنق، أي: ترعد وتضطرب. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٥٥).
وفي د: «يرجف بها فؤاده» وهي موافقة لرواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) أخرجها البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٤) المراد بآية الربا قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] كما قال السيوطي في الإتقان (١/ ١٧٦)، وقول ابن جزي: «وقيل: الآية التي قبلها» كذا ورد في النسخ الخطية «قبلها»! ومراد ابن جزي جزمًا آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨١]، فهي التي وقع فيها الخلاف في كونها آخر ما نزل، وقد صرَّح هو بذكر الآية عند تفسيرها في موضعها، وهي بعد آية الربا لا قبلها، فلعلَّ هذا سبق قلم منه رحمه الله، ومراده: «الآية التي بعدها». وانظر: الإتقان للسيوطي.

ولو وجد مصحفه لكان فيه علمٌ كبير، ولكنه لم يوجد[١].

فلما قُتِل جماعةٌ من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسيلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب علىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن؛ مخافةَ أن يذهب بموت القرَّاء، فجمعه في صحف غيرَ مرتَّبِ السورِ، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصةَ أم المؤمنين[٢].

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنهما بجمع الناس علىٰ مصحف واحد؛ خِيفةً من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمانُ، وأمر زيدَ بن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثةً من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إمامًا في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهَّدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نُسَخًا، ووجهها إلىٰ الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تخرق -يروىٰ بالحاء المهملة، والخاء المنقوطة-[٣].

فترتيب السور علىٰ ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيفٌ، تردُّه الآثار الواردةُ في ذلك.

---

(١) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص: ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلَّا لجمعة حتىٰ يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكَرِهْتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلَّا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلَّا لجمعة، فبايَعَه ثم رجع»، ثم قال ابن أبي داود معلِّقًا علىٰ هذا الأثر: «لم يذكر المصحفَ أحدٌ إلَّا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رووا: «حتىٰ أجمع القرآن» يعني: أُتِمَّ حفْظَه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعلَّ هذا الأثر أيضًا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص: ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقًا علىٰ قوال ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر -والله أعلم-، فإن عليًّا لم ينقل عنه مصحف -علىٰ ما قيل- ولا غير ذلك». وانظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٩) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) عن أنس رضي الله عنه، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٠).

- **وأما نقْطُ القرآن وشَكْلُه: فأوَّل من فعل ذلك: الحجاج بن يوسف**، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبَه، **وقيل**: أول من نقَطه يحيىٰ بن يَعْمَرَ، **وقيل**: أبو الأسود الدُّؤليُّ.
- **وأما وضعُ الأعشار فيه**: فقيل: إن الحجاج فعل ذلك، **وقيل**: بل أمر به المأمون العباسيُّ.
- **وأما أسماؤه: فهي أربعة**: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذِّكر.

وسائر ما يُسمَّىٰ به صفاتٌ لا أسماءُ، كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

- **فأما القرآن**: فأصله مصدر: قرأ، ثم أُطلق علىٰ المقروء.
- **وأما الفرقان**: فمصدرٌ -أيضًا-، معناه: التفرقة بين الحق والباطل.
- **وأما الكتاب**: فمصدرٌ، ثم أطلق علىٰ المكتوب.
- **وأما الذكر**: فسُمِّي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله، أو[1] مِن التذكير والمواعظ.

ويجوز في «السُّورة» من القرآن: الهمزُ، وتركُ الهمزِ لغةُ قريشٍ.

- **وأما الآيةُ**: فأصلها: العلامة، ثم سُمِّيت الجملةُ من القرآن آيةً[2]؛ لأنها علامةٌ علىٰ صدق النبيِّ ﷺ.



(١) في هـ: «و».

(٢) في ب، هـ: «به».

الباب الثاني

في السور المكية والمدنية

❁ **اعلمْ أنَّ السُّورَ المكيةَ**: هي التي نزلت بمكة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المدنيةَ: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

وتنقسم السور ثلاثةَ أقسامٍ:

(١) **قسمٌ مدنية باتفاقٍ**، وهي اثنتان وعشرون سورةً.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾.

(٢) **وقسم فيها خلافٌ**؛ هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثَ عشرةَ سورةً.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين[1]، والقدر، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ، و﴿أَرَءَيْتَ﴾ ، والإخلاص، والمعوِّذتان.

(٣) **وقسمٌ مكية باتفاق**، وهي سائرُ السور.

وقد وقعت آياتٌ مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليلٌ، مختلَفٌ في أكثره.

❁ **واعلمْ أنَّ السور المكية نزل أكثرُها في**: إثبات العقائد، والردِّ على المشركين، وفي قَصص الأنبياء.

---

(١) في ب، ج، هـ: «والمطففون».

وأن السور المدنية نزل أكثرُها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكرِ غزوات النبي ﷺ.

وحيثما ورد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهو مدنيٌّ، وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقد وقع في المكيِّ والمدني[1].

---

(١) أخرج البزار في مسنده (٤/ ٣٣٦)، والحاكم (٤٢٩٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كل شيء نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو بمكة، وكل شيء نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو بالمدينة»، وأعلَّه البزار بالإرسال، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن علقمة قوله (٣٠٧٦٨)، قال الدارقطني في العلل (٥/ ١٦٨): «وهو الصحيح»، وأخرجه ابن أبي شيبة -أيضًا- عن عروة بن الزبير (٣٠٧٧٣).

الباب الثالث

في المعاني والعلوم التي تضمَّنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

❁ **أما على الجملة:** فاعلم أن المقصودَ بالقرآن: دعوةُ الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصِدَ يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دُعِي الخلق إليها.

والآخر: ذكر بواعثَ تبعثهم على الدخول فيها، وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها فأمران؛ وهما: الترغيب، والترهيب.

❁ **وأما على التفصيل:** فاعلم أن معانيَ القرآن سبعةٌ؛ وهي: علمُ الربوبية، والنبوَّةُ، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقَصص.

(١) فأما علم الربوبية:

فمنه: إثباتُ وجود الباري جل جلاله، والاستدلالُ عليه بمخلوقاته، فكلُّ ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خِلْقة الأرض والسماوات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليلٌ على خالقه.

ومنه: إثبات الوَحدانية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهُه عما لا يليق به[١].

(١) **[التعليق١]** قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: لا يظهر لنا في هذا الكلام شيء؛ فإن المخلوقات دليل على ربوبيته تعالى وإلهيته وتوحيده.

(٢) **وأما النبوَّة:** فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثباتُ الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجودِ الملائكة الذين كان منهم وسائطُ بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيءٍ من ذلك.

وينخرط في سِلْك هذا: ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته[1]، والثناءِ عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

(٣) **وأما المعاد:** فإثباتُ الحشر، وإقامةُ البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

(٤) **وأما الأحكام:** فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسةَ أنواعٍ: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة.

وما يتعلق بالقلوب، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

(٥) **وأما الوعد:**

فمنه وعدٌ بخير الدنيا، من النصر والظهور وغير ذلك.

ومنه بخيرِ الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف الجنة ونعيمِها.

(٦) **وأما الوعيد:**

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا.

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

---

(١) في د: «وكذا أمته»! ولعله تصحيف.

وتأمَّل القرآن؛ تجد الوعد مقرونًا بالوعيد، قد[١] ذُكِر أحدهما علىٰ إِثْر ذكْرِ الآخر؛ ليجمعَ بين الترغيب والترهيب، وليتبيَّنَ أحدُهما بالآخر، كما قيل:

فبضـــدِّها تتبـــيَّن الأشـــياءُ[٢]

(٧) **وأما القَصص:** فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تَكرار قَصص الأنبياء في القرآن؟

فالجواب: من ثلاثة أوجهٍ:

- **الأول**: أنه ربما ذُكِر في سورةٍ من أخبار الأنبياء ما لم يُذكَرْ في سورة أخرىٰ، ففي كلٍّ واحدة منهما فائدةٌ زائدة علىٰ الأخرىٰ.
- **الوجه الثاني**: أنه ذُكِرتْ أخبار الأنبياء في مواضع علىٰ طريقة الإطناب، وفي مواضع علىٰ طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.
- **الوجه الثالث**: أن أخبار الأنبياء قُصِد بذكرها مقاصد كثيرةٌ[٣] فتَعدَّدَ ذكرُها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد بها: إثباتُ نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرىٰ علىٰ أيديهم من المعجزات، وذكرِ إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك[٤].

- ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلُّمٍ من أحد، وإلىٰ ذلك الإشارةُ بقوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

---

(١) في أ، ب: «وقد».

(٢) هذا عجُز بيت للمتنبي، وصدره: «ونَذِيمهم وبها عرفْنا فضلهُ»، انظر: شرح أبي البقاء العكبري علىٰ ديوان المتنبي (١/ ٢٢).

(٣) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٤) في د: «المهالك».

- ومنها: إثبات الوَحدانية، ألَا ترىٰ أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].
- ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالىٰ، وشدَّةِ عقابه لمن كفر به.
- ومنها: تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٥].
- ومنها: تأنيسُه(١) عليه السلام، ووعدُه بالنصر كما نُصِر الأنبياء الذين من قبله.
- ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلىٰ غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردِّهم علىٰ الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائدَ كثيرةً ذُكِرت في مواضع كثيرةٍ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ.



(١) في ج، هـ: «تسليته».

الباب الرابع

في فنون العلوم التي تتعلَّقُ بالقرآن

اعلمْ: أنَّ الكلامَ علىٰ القرآن يَستدعي الكلام في اثني عشَرَ فنًّا من العلوم، وهي: التفسيرُ، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقَصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

(١) **فأما التفسير:** فهو المقصود لنفسه، وسائرُ هذه الفنون أدواتٌ تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرَّع منه.

ومعنىٰ التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، **ثم إن المختلف فيه علىٰ ثلاثة أنواع:**

أحدها: اختلافٌ في العبارة مع اتفاقٍ في المعنىٰ، فهذا عدَّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولًا واحدًا، وعبَّرنا عنه بأحد[1] عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيَها.

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنًىٰ واحدٍ، وليس مثالٌ منها علىٰ خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنىٰ العام الذي[2] تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدَّه أيضًا كثيرٌ من المؤلفين خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كلَّ قولٍ[3] منها مثالٌ للمراد، وليس بكل المراد.

---

(١) في د: «بإحدىٰ».

(٢) في ب، ج، هـ: «التي».

(٣) في ب، ج، هـ: «لأن كلًّا».

ولم نَعُدَّه نحن خلافًا، بل عبَّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلافٌ في المعنى، فهذا هو الذي عدَدْناه خلافًا، ورجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسَبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

فالجواب: أن في ذلك ثلاثةَ أقوال:

الأول: أنهما بمعنًى واحدٍ.

الثاني: أن التفسير: للفظ، والتأويل: للمعنى.

الثالث -وهو الصواب-: أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنًى غيرِ المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

(٢) **وأما القراءات**: فإنها في القرآن بمنزلة الرِّواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبطُ الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذَّة.

فالمشهورةُ: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوبَ[1]، وابنِ محيصِنٍ[2].

والشاذة: ماسوى ذلك.

---

(١) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

وإنما[(١)] **بنينا هذا الكتابَ علىٰ قراءة نافعٍ المدني**[(٢)]**؛ لوجهين:**

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداءُ بالمدينة شرفها الله تعالىٰ؛ لأنها قراءة أهل المدينة، **وقال مالك بن أنس:** قراءة نافع سنةٌ.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنىٰ والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب علىٰ الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد أصول القراءات.

(٣) **وأما أحكام القرآن:** فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسُ مئةِ آيةٍ، وقد تنتهي إلىٰ أكثرَ من ذلك إذا استُقصيَ تتبعها في مواضعها.

وقد صنَّف الناس في أحكام القرآن تصانيفَ كثيرةٍ.

ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي[(٣)]، وأبي الحسن كِيَاهْ[(٤)].

---

(١) في ب، ج، هـ: «وإنا».

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).

(٣) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهضمي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٢٨٢).

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهرَّاسي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٨٦)، و«كيا» و«كياه» بمعنىٰ واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته علىٰ شرح المحلي علىٰ «جمع الجوامع» في ضبطه (١/ ٣٣٩): «ضبطه الكورانيُّ بفتحها؛ لأن «كِيَا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصلٍ».

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس[١]: **تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي**[٢]، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفَرَس[٣].

(٤) وأما النسخ: فهو يتعلقُ[٤] بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسَخُ الأخبار.

ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسَخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيفَ كثيرةٍ، **أحسنها**: تأليف القاضي أبي بكر ابن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد النسخ، وذِكْرِ ما تكرَّر[٥] في القرآن من المنسوخ، وذكرْنا سائرَه في مواضعه.

(٥) **وأما الحديث: فيحتاج المفسِّرُ إلىٰ روايته وحفظه؛ لوجهين:**

الأول: أنّ كثيرًا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابِ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلَم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتىٰ نزلت؛ فإن النسخ مبنيٌّ علىٰ معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم علىٰ أقوال الناس.

(٦) **وأما القَصص**: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلَّا أن الضروريَّ منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوىٰ ذلك زيادةٌ مستغنًىٰ عنها.

---

(١) في ب، د زيادة: «فيها».

(٢) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٥٢).

(٣) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ١٣٣).

(٤) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٥) في ج، هـ: «ما تقرر».

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتىٰ إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياءﷺ، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص علىٰ ما يتوقف التفسير عليه، وعلىٰ ما ورد منه في الحديث الصحيح.

(٧) **وأما التصوُّفُ:** فله تعلُّقٌ بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة[(١)].

وقد تكلمت المتصوِّفة[(٢)] في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلىٰ دقائق المعاني ووقف علىٰ حقيقة المراد، ومنهم من توغَّل في الباطنية، وحمل القرآن علىٰ ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السُّلَمي[(٣)] كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»،

---

(١) [**التعليق ٢**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** التصوُّف البريء من البدع القولية والفعلية، والمقصور علىٰ العناية بالأخلاق وأعمال القلوب يشهد له آيات من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

فأما التصوفُ البدعيُّ المشتمل علىٰ بدعٍ قولية أو فعلية، أو الدَّعاوَىٰ التي لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، فلا تجوز إضافته إلىٰ القرآن؛ فالقرآن لا يدلُّ إلَّا علىٰ الحقِّ من الاعتقادات والعبادات الظاهرة والباطنة، وشيوخُ الصوفية المتقدمون يتقيدون في تصوُّفهم وسلوكهم بالكتاب والسنة كالجُنَيد وأبي سليمان الدارانيِّ، وسهل بن عبد الله التُّستري، والفضيل بن عياض، قال أحدهم، وهو أبو سليمان الداراني: إنه ليقع بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين من الكتاب والسنة. ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٦٩٤) ودرء التعارض (٥/ ٣٩٤) والصفدية (١/ ٢٥٣).

(٢) في د: «الصوفية».

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ الأزديُّ، السُّلَميُّ الأمِّ، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٢٤٧).

وقال بعض العلماء: بل هو[١] البواطل، وإذا أنصفْنا قلنا: فيه حقائقُ وبواطلُ.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه، **وتكلَّمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.**

[١] فتكلمنا على **الشكر** في «**أم القرآن**»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢] وتكلمنا على **التقوى** في قوله تعالى في «**البقرة**»: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣] وعلى **الذِّكر** في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤] وعلى **الصَّبر** في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥] وعلى **التوحيد** في قوله فيها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

[٦] وعلى **محبة الله**[٢] في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

[٧] وعلى **التوكُّل** في قوله في «**آل عمران**»: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

[٨] وعلى **المراقبة** في قوله في «**النساء**»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

[٩، ١٠] وعلى **الخوف والرَّجاء** في قوله في «**الأعراف**»: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

[١١] وعلى **التوبة** في قوله في «**النور**»: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٢] وعلى **الإخلاص** في قوله في «**لم يكن**»: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

(٩) **وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقَين:**

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

---

(١) في ب، ج، هـ: «هي».

(٢) في أ: «المحبة».

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكلُّ طائفة منهم تحتجُّ لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحقَّ والمبطلَ.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

(١٠) **وأما أصول الفقه**: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أنَّ كثيرًا من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعْمَ العونُ على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسرَ إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبيَّن، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

(١١) **وأما اللغة**: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فنٌّ من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيفَ كثيرةٍ، وقد ذكرنا -بعد هذه المقدمة- مقدمةً في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطولَ الكتاب بكثرة تكرارها.

(١٢) **وأما النحو**: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علمِ اللسان[١].

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركَّب.

والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

---

(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنىٰ، أو يختلف المعنىٰ باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوىٰ ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ[(١)] بغير كبيرِ فائدةٍ.

(١٣) **وأما علم البيان:** فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائدَ فائقةً، ونكتًا مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابًا في أدوات البيان؛ ليُفهم به ما يرد منها مفرَّقًا في مواضعَ[(٢)] من القرآن.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

(٢) في د: «مواضعه».

الباب الخامس

في أسبـاب الخلاف بين المفسـرين والوجوهِ التي نُرجِّحُ(١) بها بين أقوالهم.

فأمَّا أسبابُ الخلاف فهي اثنا عشرَ:

- **الأول**: اختلاف القراءات.
- **الثاني**: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.
- **الثالث**: اختلاف اللُّغَويين في معنىٰ الكلمة.
- **الرابع**: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.
- **الخامس**: احتمال العموم أو الخصوص.
- **السادس**: احتمال الإطلاق أو التقييد.
- **السابع**: احتمال الحقيقة أو المجاز.
- **الثامن**: احتمال الإضمار أو الاستقلال.
- **التاسع**: احتمال كون الكلمة زائدةً أو غيرَ زائدةٍ.
- **العاشر**: احتمال حمل الكلام علىٰ الترتيب، أو علىٰ التقديم والتأخير.
- **الحادي عشر**: احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا.
- **الثاني عشر**: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف رضي الله عنهم.

---

(١) في ج، هـ: «يترجح».

وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

◈ **الأول**: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضعٍ آخرَ[١] حملناه عليه، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

◈ **الثاني**: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه ﵇ تفسير شيءٍ من القرآن عوَّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

◈ **الثالث**: أن يكون القول قولَ الجمهور وأكثرِ المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحَه.

◈ **الرابع**: أن يكون القول قولَ من يُقتدَىٰ به من الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس ﵄؛ لقول رسول الله ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٢].

◈ **الخامس**: أن يدل علىٰ صحة القول كلامُ العرب؛ من اللغة، أو الإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق.

◈ **السادس**: أن يشهد لصحة القول سياقُ[٣] الكلام، ويدلَّ عليه ما قبله أو ما بعده.

◈ **السابع**: أن يكون ذلك المعنىٰ هو المتبادِر إلىٰ الذهن، فإن ذلك دليلٌ علىٰ ظهوره ورجحانه.

◈ **الثامن**: تقديم الحقيقة علىٰ المجاز، فإن الحقيقة أَولىٰ أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

---

(١) في ب، ج، هـ: «علىٰ أن المراد بعض آخر»!

(٢) أصل الحديث في البخاري (١٤٣) بلفظ: «**اللهم فقهه في الدين**» فقط، وفي مسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «**اللهم فقهه**» فقط، وأما زيادة: «**وعلِّمه التأويل**» فقد أخرجها أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، (٣٠٣٢)، (٣١٠٢)، وابن حبان (٧٠٥٥)، والحاكم (٦٣٣٦) وصححها ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة (١٠/ ٢٢٢) وقال: «وهذه زيادة حسنة»، وصححها ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٩٣٥).

(٣) في أ: «مساق»، وفي الهامش: «خ: سياق».

وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتىٰ يصير أغلب استعمالًا من الحقيقة، ويسمىٰ مجازًا راجحًا، والحقيقةُ مرجوحةٌ، **وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّمُ؟**

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصحَ وأبرعَ، فيكون أرجحَ.

◈ **التاسع**: تقديم العموم علىٰ الخصوص، فإن العموم أولىٰ؛ لأنه الأصل، إلَّا أن يدلَّ دليل علىٰ التخصيص.

◈ **العاشر**: تقديم الإطلاق علىٰ التقييد، إلَّا أن يدل دليل علىٰ التقييد.

◈ **الحادي عشر**: تقديم الاستقلال علىٰ الإضمار، إلَّا أن يدل دليل علىٰ الإضمار.

◈ **الثاني عشر**: حمل الكلام علىٰ ترتيبه، إلَّا أن يدلَّ دليل علىٰ التقديم والتأخير.



الباب السادس

في ذكـر المفسِّـرين(١)

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:

- فمنهم من فسَّر القرآن، وتكلَّم في معانيه، وهم الأكثرون.
- ومنهم من توقَّف عن الكلام فيه؛ احتياطًا؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر من القرآن إلا آياتٍ بِعَددٍ، علَّمه إياهنَّ جبريل»(٢)، وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»(٣).

وتأوَّل المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مُغيَّبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيفٍ من الله تعالىٰ.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلَّم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بما(٤) تقتضيه أدوات العلوم، ونظرَ في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٨/ ١٢٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٨/ ٢٣)، والطبري (١/ ٧٨، ٨٣) من حديث جعفر بن محمد الزبيري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، وأعلَّه الطبري بجعفر، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤): «حديث منكر غريب» وضعفه بجعفر، وقال الدارقطني في العلل (١٤/ ٦٢): «وخالفه [يعني:جعفرَ] ابنُ أبي الزناد، ورواه عن هشام عن أبيه قال: لم تكن عائشة تفسر شيئًا إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ. وهو الصحيح».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٨٠٣٢)، وأبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث غريب»، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨٩٠٠).

(٤) في ب: «فيما».

واعلمْ أنَّ المفسرين على طبقاتٍ:

فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم:

وأكثرهم كلامًا في التفسير: ابن عباس رضي الله عنهما، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ويقول: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»(٢).

ويتلوهما: عبد الله بن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.

ثم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرِو بن العاص رضي الله عنهم.

وكلُّ ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من التفسير فهو حسَنٌ مقبول.

والطبقة الثانية: التابعون:

وأحسنهم كلامًا في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصريُّ، وسعيد بن جبير، ومجاهدٌ مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وعلقمةُ صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والضحاك بن مُزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسيرَ القرآن عُدولُ كلِّ خلَفٍ، وألَّف الناس فيه، كالمفضَّل(٣)، وعبدِ الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.

ثم إن محمدَ بن جريرٍ الطبريَّ جمع أقوال المفسرين(٤)، وأحسن النظر فيها.

---

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٤١٥)

(٢) لم أقف على إسناده، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٣) بغير إسناد.

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفيّ، له كتاب «ضياء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءًا، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ). انظر: السير، للذهبي (١٤/ ٣٦٢)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٢٨).

(٤) في د: «المتقدمين».

ومن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش[(١)]، والثعلبيُّ[(٢)]، والماورديُّ[(٣)]، إلَّا أن كلامهم يحتاج إلىٰ تنقيح، وقد استدرك الناس علىٰ بعضهم.

وصنف أبو محمدٍ ابنُ قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثيرٍ من علومه.

وصنف في معاني القرآن جماعةٌ من النَّحْويين؛ كأبي إسحاق الزجَّاج[(٤)]، وأبي علي الفارسي[(٥)]، وأبي جعفر النحَّاس[(٦)].

وأمَّا أهل المغرب والأندلس:

فصنف القاضي مُنذِرُ بن سعيد البَلُّوطيُّ[(٧)] كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكيُّ بن أبي طالب[(٨)] كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلىٰ غير ذلك من تواليفه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

---

(١) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ١٣٥).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النّيسابوري الثّعلبيّ، ويقال له: الثعالبي، وهو لقبٌ لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٦٦).

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماورديّ البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٤٢٧).

(٤) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤١١).

(٥) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤٩٦).

(٦) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٣٦٢).

(٧) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٦).

(٨) هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحويّ المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٧).

وأما أبو عمرٍو الدانيُّ[(١)] فتواليفه تنيف على مئة وعشرين، إلَّا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

وأما أبو العباس المهدويُّ[(٢)] فمُتْقِنُ التآليف، حسَنُ الترتيب، جامعٌ لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تَلِف تلافَاه بكتاب: «قانون التأويل»[(٣)] إلَّا أنه اخترمتْه المنيّة قبل تَخليصه وتلخيصه، وألَّف في سائر علوم القرآن تواليفَ مفيدةً.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التواليف وأعدلُها، فإنه اطَّلع على تواليفِ مَن كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدَّد النظر، محافظٌ على السنة.

ثم خُتم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير[(٤)]، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٧٩).

(٢) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، ألفه التفسير الكبير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٥٦).

(٣) لابن العربي كتابان بهذا العنوان: أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل»، وهذا هو الكتاب الذي عناه ابن جزي، والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير وعلوم القرآن، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليماني. انظر: قسم الدراسة الذي قدمه د. السليماني لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الزّبير الثقفيّ العاصمي، الجيّاني المولد، الغرناطيّ المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٧).

❁ **ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق:** تفسيرُ أبي القاسم الزمخشريِّ، وأبي الفضل الغَزنويِّ(١)، وأبي الفضل ابنِ الخطيب(٢).

فأما الزمخشري: فمسدَّدُ النظر، بارعٌ في الإعراب، متقنٌ في علم البيان؛ إلَّا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصَرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدَّر صفْوُه، وتمرَّر حُلْوُه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كَدِرَ.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصرٌ جامع، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمَّن كتابُه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباعَ الكلام في قواعد علم الكلام، ونمَّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الـجِرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميعَ بخدمة كتابه، ويَجزِيهم أفضلَ ثوابه.

---

(١) في أ، ب: «الغزنوني»، وفي ج، هـ: «القزويني» وهو تصحيف.
وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقَل عنه ابن جزي -مع التصريح به- من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فانبجست﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كل في فلك يسبحون﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هيهات..﴾، وفي العلق عند قوله: (﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾، وهو أحد المصادر التي استمدَّ منها ابن جزي مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقِّق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام.انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ٢٠٦)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٣/ ١٤٧)، وإنباه الرواة، للقفطي (٣/ ١٥٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ١٣٧)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٤٨)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

الباب السابع

في الناسخ والمنسوخ

النسخُ في اللغة: هو الإزالة، أو النَّقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّرِه.

ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

- **الأول:** نسخ اللفظ والمعنىٰ، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم»[1].
- **والثاني:** نسخ اللفظ دون المعنىٰ، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيَا فارجموهما ألَبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[2].
- **والثالث:** نسخ المعنىٰ دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن علىٰ ما عدّه بعض العلماء[3] مئتا موضعٍ، وثنتان وعشرةٌ[4] مواضعَ منسوخة؛ إلَّا أنهم عَدُّوا التخصيص

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر ﷺ وفيه: «..ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إنَّ كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..».
وقد عدَّ هذا المثال من نوع نسخ اللفظ والمعنىٰ -أي: الحكم- معًا، وعدَّه كذلك -أيضًا- ابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٢٧٣) والاستذكار (٥/ ٤١٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٣١٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٠٧)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٦٦٣) وغيرهم. والأصوليون يجعلون هذا المثال من نوع نسخ التلاوة دون الحكم، كما في شرح تنقيح الفصول للقرافي، ط. الفكر (٢٤٢)، والواضح لابن عقيل (٤/ ٢٢٠) وغيرهما، ويُمثِّلون لنوع نسخ التلاوة والحكم معًا بما أخرجه مسلم (١٤٥٢) عن عائشة ﵂، أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات..».

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٠٧)، والنسائي في الكبرىٰ (٧١١٢)، وابن حبان (٤٤٢٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٠)، والحاكم (٨٠٦٨) وصححه، عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب ﵁.

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة»، وفي أ، ج، هـ: «ثنتان وعشرة» بدون واو.
وقوله: «ثنتان وعشرة» كذا بالعطف، وهذا هو أصل العدد في العشرة مع النيِّف، إلا أن العرب حذفت حرف العطف اختصارًا، وركَّبت الاسمين وبنتْهما علىٰ الفتح، وجعلت تمييزه مفردًا منصوبًا، فصار: «اثنا عشرَ موضعًا»، وأجاز ابن مالك أن يُعطف هذا العدد عودًا إلىٰ الأصل، فيُمنع إذ ذاك من البناء والتركيب، =

والتقييد والاستثناء نسخًا! وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه.

۞ ونقدِّم هنا ما جاء من نسخ مسالمةِ الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ ليُغنيَ ذلك عن تَكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربعَ عشرة آيةً، من أربع وخمسين سورة(١):

١. **ففي البقرة:**

[١] ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [الآية: ٨٢].

[٢] ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٣٨].

[٣] ﴿وَلاَ تَعْتَدُوٓاْ﴾ [الآية: ١٨٩]؛ أي: لا تبدؤوا بالقتال.

[٤] ﴿وَلاَ تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩٠].

[٥] ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٥].

[٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٥].

٢. **وفي آل عمران:**

[٧] ﴿وَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٢٠].

[٨] ﴿مِنْهُمْ تُقَيٰةً﴾ [الآية: ٢٨].

٣. **وفي النساء:**

[٩، ١٠]﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ٦٢و ٨١].

= وعلى هذا الوجه قال ابن جزيٍّ هنا: «ثنتان وعشرةٌ» بالعطف والإعراب، ثم قال: «مواضعَ» بجمعه وإضافة العدد إليه؛ إذ هكذا يكون تمييز العشرة. انظر: شرح التسهيل، لابن مالك (٢/ ٤٠١)، والتذييل والتكميل شرح التسهيل، لأبي حيان (٩/ ٣١٣-٣١٥)، والنحو الوافي، لعباس حسن (٤/ ٥٦٧).

(١) هذه المسألة استمدّها ابن جزي ﷺ من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تامٍّ بين النصين، غير أن ابن جزيٍّ ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابنَ جزيٍّ ذكرُ الآية المئة والرابعة عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾. انظر: «عين المعاني».

[١١] ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [الآية: ٧٩].

[١٢] ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [الآية: ٨٣].

[١٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٨٩].

٤. **وفي المائدة:**

[١٤] ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ [الآية: ٣].

[١٥] ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾[1].

[١٦] ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [الآية: ١٠٧].

٥. **وفي الأنعام:**

[١٧] ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية:٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الآية: ٩٢].

[١٩] ﴿عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الآية: ١٠٥].

[٢٠] ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢١] ﴿عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ [الآية:١٠٨].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ﴾ [الآية: ١٠٩].

[٢٣، ٢٤]﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ في موضعين [الآية: ١١٣ ١٣٨].

[٢٥] ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [الآية: ١٣٦].

[٢٦] ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ١٥٩].

[٢٧] ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الآية: ١٦٠].

---

(١) كذا ورد في الأصول الخطية! والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ، وإنما الذي في المائدة: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ٩٤]، و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آية: ١٠١].

٦. **وفي الأعـراف:**

[٢٨] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

٧. **وفي الأنفـال:**

[٣٠] ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣]؛ يعني: المعاهَدين.

٨. **وفي التوبـة:**

[٣١] ﴿فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ [الآية:٧][١].

٩. **وفي يونس:**

[٣٢] ﴿فَانتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

---

(١) قوله: «وفي الأنفال: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣]؛ يعني: المعاهَدين. وفي التوبة: ﴿فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ [الآية:٧]» هكذا نص العبارة في «عين المعاني» للغزنوي، ولم يتبيَّن لي وجه قوله: «يعني: المعاهَدين» بعد آية الأنفال! ولعلَّ الأليق بها أن تكون بعد آية التوبة، فهي التي معناها في المعاهدين ظاهرٌ بيِّنٌ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾، وأما آية الأنفال، فالضمير في ﴿اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ للمؤمنين الذين لم يهاجروا! إلا إن قصد بالمعاهدين هنا ما جاء في تتمَّة الآية ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾، أي: إذا استنصروكم علىٰ قوم بينكم وبينهم ميثاق -يعني: معاهدين- فلا تنصروهم. فيحتمل ذلك، والله أعلم. قال هبة الله ابن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٠): «قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾.. فكان بين النبي ﷺ وبين أحياء من العرب موادعة، لا يقاتلهم ولا يقاتلونه، وإن احتاج إليهم عاونوه، وإن احتاجوا إليه عاونهم، فصار ذلك منسوخًا بآية السيف». وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (٤٥٩، ٤٦٦)

١٠. **وفي هـود:**

[٣٩] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُـجبِرُ.

[٤٠] ﴿ إِعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية:١٢٠].

[٤١] ﴿وَانتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ١٢٠].

١١. **وفي الرعـد:**

[٤٢] ﴿ عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الآية: ٤١].

١٢. **وفي الحجـر:**

[٤٣] ﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿فَاصْفَحِ﴾ [الآية:٨٥].

[٤٥] ﴿لاَ تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

١٣. **وفي النحـل:**

[٤٨] ﴿إِلاَّ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٣٥].

[٤٩] ﴿ عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الآية: ٨٢].

[٥٠] ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ [الآية: ١٢٥].

[٥١] ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

١٤. **وفي الإسـراء:**

[٥٢] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

١٥. **وفي مريـم:**

[٥٣] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٨].

[٥٤] ﴿وَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية: ٧٥].

[٥٥] ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٥].

١٦. **وفي طـه:**

[٥٦] ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية: ١٣٤].

١٧. **وفي الحج:**

[٥٧] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ [الآية: ٦٦].

١٨. **وفي المؤمنين:**

[٥٨] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٥٥].

[٥٩] ﴿ٱدْفَعْ﴾ [الآية: ٩٧].

١٩. **وفي النـور:**

[٦٠] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: ٥٢].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٥٢].

٢٠. **وفي النمـل:**

[٦٢] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٩٤].

٢١. **وفي القصص:**

[٦٣] ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ٥٥].

٢٢. **وفي العنكبوت:**

[٦٤] ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي مِن عدم الإجبار.

٢٣. **وفي الـروم:**

[٦٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٥٩].

٢٤. **وفي لقمان:**

[٦٦] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: ١١].

٢٥. **وفي السجدة:**

[٦٧] ﴿وَانتَظِرۡ﴾ [الآية: ٣٠].

٢٦. **وفي الأحزاب:**

[٦٨] ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الآية: ٤٨].

٢٧. **وفي سبإ:**

[٦٩] ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

٢٨. **وفي فاطر:**

[٧٠] ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

٢٩. **وفي يس:**

[٧١] ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ﴾ [الآية: ٧٦].

٣٠. **وفي الصافات:**

[٧٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٤] .

[٧٣] ﴿وَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

٣١. **وفي ص:**

[٧٦] ﴿ٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ١٧] .

[٧٧] ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٤].

٣٢. **وفي الزمر:**

[٧٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم﴾ [الآية: ١٤].

[٨٠] ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٨١] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٣٨].

[٨٢] ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٣]؛ لأن فيه تفويضًا.

٣٣. وفي المؤمن:

[٨٣، ٨٤]﴿ فَاصْبِرْ﴾ في موضعين [الآية: ٥٤ و ٧٦].

٣٤. وفي السجدة:

[٨٥] ﴿ٱدْفَعْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٣].

٣٥. وفي الشورى:

[٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٤].

[٨٧] ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٣].

[٨٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ [الآية: ٤٥].

٣٦. وفي الزخرف:

[٨٩] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

٣٧. وفي الدخان:

[٩١] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية:٥٦].

٣٨. وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْفِرُواْ﴾ [الآية: ١٣].

٣٩. وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿ فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٤].

٤٠. وفي القتال:

[٩٤] ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ [الآية:٤].

٤١. **وفي ق:**

[٩٥] ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَآ أَنتَ. . ﴾ [الآية: ٤٥].

٤٢. **وفي الذاريات:**

[٩٧] ﴿فَتَوَلَّ ﴾ [الآية: ٥٤].

٤٣. **وفي الطور:**

[٩٨] ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ ﴾ [الآية: ٢٩].

[٩٩] ﴿وَاصْبِرْ ﴾ [الآية: ٤٦].

[١٠٠]﴿فَذَرْهُمْ ﴾ [الآية: ٤٣].

٤٤. **وفي النجم:**

[١٠١]﴿فَأَعْرِضْ ﴾ [الآية: ٢٨].

٤٥. **وفي القمر:**

[١٠٢]﴿فَتَوَلَّ ﴾ [الآية: ٦].

٤٦. **وفي ن:**

[١٠٣]﴿ *فَاصْبِرْ ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٤]﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ [الآية: ٤٤].

٤٧. **وفي المعارج:**

[١٠٥]﴿ فَاصْبِرْ ﴾ [الآية: ٥].

[١٠٦]﴿فَذَرْهُمْ ﴾ [الآية: ٤٢].

٤٨. **وفي المزمل:**

[١٠٧]﴿وَاهْجُرْهُمْ ﴾ [الآية: ٩].

[١٠٨]﴿وَذَرْنِى ﴾ [الآية: ١٠].

٤٩. **وفي المدثر:**

[١٠٩]﴿ذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

٥٠. **وفي الإنسان:**

[١١٠]﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٢٤].

٥١. **وفي الطارق:**

[١١١]﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: ١٧].

٥٢. **وفي الغاشية:**

[١١٢]﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الآية: ٢٢](١).

٥٣. **وفي الكافرين:**

[١١٣]﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية:٦].

۞ **نَسخ ذلك كلَّه:** ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

---

(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية: «(٥٤-)التين: [١١٤]﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ معنًى».

الباب الثامن

في جـوامع القــراءات

وهي على نوعين: مشهورة، وشاذَّة.

◈ **فالمشهورةُ:** القراءات السبع؛ وهي: حرف[١] نافعٍ المدنيِّ، وابنِ كثير المكي، وأبي عمرٍو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصمٍ وحمزة والكسائي الكوفيِّين.

ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوبُ الحضرمي، وابن محيصن[٢]، ويزيدُ بن القعقاع[٣].

◈ **والشاذَّة:** ماسوىٰ ذلك، وإنما سميت شاذةً؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحةَ اللفظ و[٤]قويّةَ المعنىٰ.

ولا يجوز أن يُقرَأ بحرفٍ إلَّا بثلاثة شروط:

١. موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢. وموافقته لكلام العرب ولو علىٰ بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.

٣. ونقْله نقلًا متواترًا، أو مستفيضًا.

واعلم أنّ اختلاف القُرَّاء على نوعين: أصول، وفَرْش الحروف.

---

(١) في د: «حروف».

(٢) تقدمت الترجمة بهما في الباب الرابع.

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)، وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أو».

◈ **فأما الفرشُ:** فهو ما لا يرجع إلىٰ أصل مطَّردٍ، ولا قانونٍ كليٍّ.

وهو علىٰ وجهين: اختلافٌ في القراءة:

◂ باختلاف المعنىٰ.

◂ وباتِّفاق المعنىٰ.

◈ **وأما الأصول:** فالاختلاف فيها لا يغيِّر المعنىٰ.

وهي ترجع إلى ثمانِ قواعدَ:

◂ **الأولى:** المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها علىٰ المد الطبيعي بسبب الهمز، و[1]التقاء الساكنين.

◂ **الثانية:** الهمزُ، وأصله التَّحقيق، **ثم قد يخفَّفُ علىٰ سبعة أوجه:**

إبدالٌ: واوٌ، وياء، وألف.

وتسهيلٌ: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.

وإسقاطٌ.

◂ **الثالثة:** الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرٍو؛ وهو إدغام المتحرِّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام السَّاكن.

◂ **الرابعة:** الإمالة، وهي: أن تَنحوَ بالفتحة نحوَ الكسرة، وبالألف نحوَ الياء، والأصل الفتح.

ويُوجِبُ الإمالةَ: الكسر، أو الياء.

---

(١) في أ: «أو».

- **الخامسة**: الترقيق والتفخيم.

والحروف على ثلاثة أقسام:

[١] **مفخَّمٌ في كل حال**، وهي حروف الاستعلاء السبعة.

[٢] **ومفخم تارةً ومرقَّق أخرىٰ**، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

[٣] **والمرقق علىٰ كل حال**: سائرُ الحروف.

- **السادسة**: الوقف، **وهو علىٰ ثلاثة أنواع**:

[١] **سكونٌ**، جائز في الحركات الثلاث.

[٢] **ورَومٌ** في المضموم والمكسور.

[٣] **وإشمامٌ** في المضموم خاصةً.

- **السابعة**: مراعاة الخطِّ في الوقف.

- **الثامنة**: إثباتُ الياءات وحذفُها، وتسكينُها، وفتحها.



الباب التاسع

في المـواقف

وهي أربعة أنواع: موقفٌ تامٌّ، وحسنٌ، وكافٍ، وقبيحٌ، وذلك بالنظر إلىٰ الإعراب والمعنىٰ.

◈ **فإن كان الكلام مفتقرًا** إلىٰ ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرٌ[1] إليه كذلك= لم يجز الفصل بينهما، **والوقف علىٰ الكلام الأول قبيح.**

وذلك الفصلُ بين كلِّ معمولٍ وعامله، وبين كلِّ ذي خبرٍ وخبره، وبين كلِّ ذي جوابٍ وجوابه، وبين كلِّ ذي موصولٍ وصلته.

◈ **وإن كان الكلام** الأول مستقلًّا يُفهَم دون الثاني، إلا أنَّ الثانيَ غيرُ مستقل إلا بما قبله= **فالوقف علىٰ الأول كافٍ.**

وذلك في التوابع والفضَلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك.

إلا أنَّ وصْلَ الاستثناء المتصل آكدُ من المنقطع.

ووصل التوابع والحال إذا كانت اسمًا مفردًا[2] آكدُ من وصْلِها إذا كانت جملةً.

◈ **وإن كان الكلام الأول** مستقلًّا والثاني كذلك:

فإن كانا في قصة واحدة: **فالوقف علىٰ الأول حسنٌ.**

وإن كانا في قصتين مختلفتين: **فالوقف تامٌّ.**

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنىٰ، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجحٌ ومرجوح وباطل.

وقد يُوقَفُ لبيان المراد، وإن لم يتمَّ الكلام.

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقرًا».

(٢) في أ: «اسمًا مفردةً»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

۞ **تنبيه:** هذا الذي ذكرنا من رَعْي الإعراب والمعنىٰ في المواقف استقرَّ عليه العمل، وأَخذ به شيوخُ المقرئين.

وكان الأوائل يراعون رؤوسَ الآيات، فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالفِقَر في النثر، والقوافي في الشعر، ويؤيد[1] ذلك: ما خرَّجه الترمذي عن أم سلمة ﵂: «أن رسول الله ﷺ كان يقطِّع قراءته، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف»[2].



(١) في ج، د: «ويؤكد».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) وقال: «حديث غريب»، وأخرجه كذلك أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١) وزادوا في أوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وصححه ابن خزيمة (٤٩٣)، والدارقطني (١١٩١)، والحاكم (٢٩١٠) ووافقه الذهبي، وأعلَّه الترمذي بالانقطاع.

الباب العاشر

في الفصاحـة والبلاغـة وأدوات البيـان

أما الفصاحـة: فلها خمسة شروط:

- **الأول**: أن تكون الألفاظ عربيةً، لا مما أحدثه المولَّدون، ولا مما غلِطت فيه العامة.
- **الثاني**: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشيّة المستثقَلة.
- **الثالث**: أن تكون العبارة واقعةً على المعنى، مُوَفِّيةً له، لا قاصرةً عنه.
- **الرابع**: أن تكون العبارة سهلةً، سالمةً من التقعير[1].
- **الخامس**: أن يكون الكلام سالـمًا من الحشو الذي لا يُحتاج إليه.

❁ **وأما البلاغة:** فهي سياق الكلام على حسَب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يَهزُّ النفوس، ويؤثِّر في القلوب، ويَقود السامع إلى المراد، أو يَكاد.

❁ **وأما أدوات البيان:** فهي صناعة البديع، وهي: تزين الكلامَ كما يزين العلَمُ الثوب.

وقد وجدنا في القرآن منها: اثنين وعشرين نوعًا، ونبَّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها، ونبين معانيَها.

◈ **النوع الأولُ:** المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعَلاقة بينهما.

وهو اثنا عشر نوعًا:

[١] التشبيه.

[٢] والاستعارة.

[٣] والزيادة.

[٤] والنقصان.

---

(١) في هامش ب: «التعقيد».

[٥] وتسمية المجاور باسم مجاوره.

[٦] والـمُلابس باسم مُلابسه.

[٧] وإطلاق اسم الكلِّ علىٰ البعض.

[٨] وعكسه.

[٩] وتسمية السبب باسم المسبَّب.

[١٠] وعكسه.

[١١] والتسمية باعتبار ما يستقبل.

[١٢] والتسمية باعتبار ما مضىٰ؛ وفي هذا خلافٌ، هل هو حقيقة أو مجاز؟

واتَّفق أكثر(١) أهل علوم اللسان وأهل الأصول علىٰ وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فُصَحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منَعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصىٰ.

◈ **النوع الثاني:** الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريحٍ.

◈ **الثالث:** الالتفات، وهو علىٰ ستة أنواع:

[١، ٢] خروجٌ من التكلُّم إلىٰ الخطاب، أو الغَيبةِ.

[٣، ٤] وخروج من الخطاب إلىٰ التكلم، أو الغَيبة.

[٥، ٦] وخروج من الغَيبة إلىٰ التكلم، أو الخطاب.

◈ **الرابع:** التَّجريد، وهو: ذِكْر شيءٍ بعد اندراجه في لفظ عام متقدمٍ.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرَّدِ ذكرُه، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

◈ **الخامس:** الاعتراض، وهو إدراج كلامٍ بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبَر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخالُه في أثناء كلامٍ متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أُدرِج فيه.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

◈ **السادس:** التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنىٰ، **ثم إن الاتفاق قد يكون:**

في الحروف والصيغة.

أو في الحروف خاصةً.

أو في أكثر الحروف لا في جميعها.

أو في الخطِّ لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.

◈ **السابع:** المطابقة[(١)]، وهي ذكر الأشياء المتضادَّة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.

◈ **الثامن:** المقابلة، وهي أن تَجمع بين شيئين فصاعدًا، ثم تقابلَها بأشياءَ أُخَرَ.

◈ **التاسع:** المشاكلة، وهي أن تَذْكر الشيء بلفظِ غيره، لوقوعِه في صحبته.

◈ **العاشر:** التَّرديد، وهو ردُّ أول الكلام علىٰ آخره، ويسمَّىٰ في الشعر: رد العَجُز علىٰ الصَّدْر.

◈ **الحادي عشر:** لزومُ ما لا يلزم، وهو أن تلتزم قبل حرف الرويِّ حرفًا آخر، وكذلك[(٢)] عند رؤوس الآيات.

◈ **الثاني عشر:** القلب، وهو أن يكون الكلام يصحُّ[(٣)] ابتداءُ قراءتِه من أوله وآخره، نحو: دعد، أو تُعكَس كلماتُه فيقدَّم المؤخر منها ويؤخَّر المقدم.

◈ **الثالثُ عشرَ:** التقسيم، وهو أن تقسِّم المذكورَ إلىٰ أنواعه، أو[(٤)] أجزائه.

◈ **الرابعُ عشر:** التَّتميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضِّحه أو يؤكده، وإن كان مستقِلًّا دون هذه الزيادة.

◈ **الخامسُ عشر:** التَّكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر،

فتُكرِّرُ الكلمةَ علىٰ وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمدْح المذكور، أو ذمِّه، أو للبيان.

---

(١) في ب: «الطباق».

(٢) في ب، د: «وذلك».

(٣) في أ: «تصح»، وفي ب: «يصلح».

(٤) في أ، د: «و».

◈ **السادسُ عشر:** التهكُّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاءً بالمخاطَب، أو بالمخبَر عنه، كذِكْر البِشارة في موضع النِّذارة.

◈ **السابعُ عشر:** اللفُّ والنشر، وهو أن تَلُفَّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلَّقاتٍ بها(١).

وفيه طريقتان:

[١] أن تبدأ في ذكر المتعلَّقات بالأول.

[٢] وأن تبدأ بالآخِر.

◈ **الثامنُ عشر:** الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبرٍ واحد، وفي وصفٍ واحد، وشبه ذلك.

◈ **التاسعُ عشر:** التَّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخِر الكلام مستويةَ الوزن، أو متقاربةً مع الألفاظ التي في أوله.

◈ **الموفِّي عشرين:** التَّسجيع، وهو أن تكون كلماتُ الآية علىٰ رويٍّ حرفٍ واحد.

◈ **الحادي والعشرون:** الاستطراد، وهو أن تتطرَّقَ من كلامٍ إلىٰ كلام آخَرَ بوجهٍ يصلُ ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النَّسيب إلىٰ المدح بمعنىٰ يتعلق بالطرفين، مع أنه إنَّما قصد المدح.

◈ **الثاني والعشرون:** المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فعَّال ومِفعال.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدَّت المبالغة فهي غلوٌّ وإغراق، وذلك مستكرَهٌ عند أهل هذا الشأن.



---

(١) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».

الباب الحادي عشر

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل

ويدلُّ على ذلك عشرةُ وجوه:

- **الأول**: فصاحتُه التي امتاز بها عن كلام[١] المخلوقين.
- **الثاني**: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.
- **الثالث**: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعدَ ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.
- **الرابع**: ما أخبر فيه مِن أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلَّمَ ذلك ولا قرأه في كتاب.
- **الخامس**: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبَلة؛ فوقعت على حسَب ما قال.
- **السادس**: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكرِ صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه[٢]، ودعوةِ الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردِّ على أصناف الكفار، وذلك كلُّه يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحيٍ من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرَف الله تلك المعرفة وعظَّم جلالَه ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.
- **السابع**: ما شرع فيه من الأحكام، وبين[٣] من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غايةُ الحكمة وثمرة العلوم.

---

(١) في د: «عن غيره من كلام..».

(٢) **[التعليق ٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: ليس في ذلك شيء؛ فإن هذه المعاني قد دلَّ عليها القرآن، وما يستحيل على الله هي العيوب والآفات، وقد نفاها القرآن؛ كالموت والسِّنة والنوم واللُّغوب والعجز والغفلة. تعالى الله عن ذلك.

(٣) في أ زيادة: «فيه».

◈ **الثامن**: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير علىٰ تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

◈ **التاسع**: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعايَنة.

◈ **العاشر**: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه علىٰ كثرة التَّرداد، بخلاف سائر الكلام.



الباب الثاني عشر

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

◈ **فمن ذلك:** [١]عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**[٢].

◈ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويَتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»**[٣].

◈ وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ»**[٤].

◈ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«استذكروا القرآن فلهو أشدُّ تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعَم بعُقُلِها»**[٥].

◈ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»**[٦].

---

(١) في د زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٢٧)

◈ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»(١).

◈ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال: «هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم»، فنزل منه ملَكٌ فقال: «هذا ملك نزل إلىٰ الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يؤتهما نبيٌّ قبْلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه»(٢).

◈ وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاهُ»(٣).

◈ وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا البقرة؛ فإنَّ أخْذَها بركةٌ، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطَلة»(٤).

◈ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفِرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(٥).

◈ وعن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: «ليَهْنِكَ العلمُ يا أبا المنذر»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٤) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

(٥) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٦) أخرجه مسلم (٨١٠).

◊ وعن النواس بن سمعانَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآنِ يومَ القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتها[١] بعدُ، قال: «كأنَّهما غَمامتان، أو ظُلَّتان سَوداوان بينَهما شَرْقٌ[٢]، أو كأنَّهما فِرْقَان من طيرٍ صَوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما»[٣].

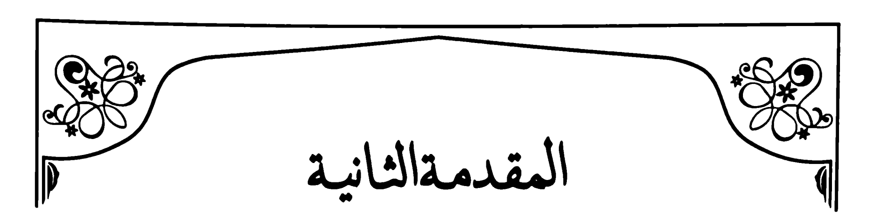
◊ وعن أبي الدرداءِ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال»[٤].

◊ وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «سورةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِل ثلثَ القرآن»[٥].

◊ وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أُنزلت عليَّ لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٦].

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهنّ».
(٢) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٢١٣٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٠٥).
(٤) أخرجه مسلم (٨٠٩).
(٥) أخرجه مسلم (٨١١).
(٦) أخرجه مسلم (٨١٤).



المقدمة الثانية

في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدِّمة الكلماتِ التي يكثر دَورُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

وإنَّما جمعناها[(١)] **في هذا الباب لثلاثِ فوائدَ:**

- **إحداها:** تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرِّقةً، فجَمْعُها أسهل لحفظها.
- **والثانية:** ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جُمعت فيها الأصولُ المطَّردة والكثيرة الدَّور.
- **والثالثة:** الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوفَ التطويل بتَكرارها.

وربما نبَّهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.

ورتَّبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسيرَ كلمة في موضعها من القرآن فلينظرْها في هذا الباب.

واعتبرنا في هذه الحروف الحرفَ الذي يكون فاءَ الكلمة وهو الأصليُّ، دون الحروف الزوائدِ في أول الكلمات.

---

(١) في ب، ج، د: «جعلناها».

حرف الهمزة(١)

١. **آية: لها معنيان:**

أحدهما: عِبرة وبرهان.

والثاني: آيةٌ من القرآن، وهي كلام متَّصل إلىٰ الفاصلة، والفواصل: هي رؤوس الآيات.

٢. **أَتىٰ بقصر الهمزة:** معناه: جاءَ، ومضارعه: يأتي، ومصدره: إتيانٌ، واسم الفاعل منه: آتٍ، واسم المفعول منه: مأتيٌّ؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

٣. **وآتىٰ بمد الهمزة:** معناه: أعطىٰ، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاءٌ، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦١].

٤. **أبىٰ يأبَىٰ:** أي: امتنعَ.

٥. **أَثَـرُ الشيءِ:** بقيَّتُه وأَمارته، وجمعه: آثارٌ.

والأثَر -أيضًا-: الحديث.

و﴿أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٣]: بقيَّة.

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٨]: حرثوها.

وآثَرَ الرجلُ الشيءَ يُؤْثِره: أي: فضَّله.

---

(١) يَلحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائدٌ ومألوف عند المشارقة، وذلك لأن المؤلف ﷺ اتّبع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء، فالمغاربة والمشارقة يتَّحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلىٰ حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقيَّة الحروف، يقول القلقشندي في «صبح الأعشىٰ» (٣/ ٢٢): «واعلم أن ترتيب الحروف علىٰ ضربين: مفردٍ ومُزدوجٍ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كلٍّ من النوعين خلافٌ في الترتيب، أما المفرد: فأهل الشَّرق يرتِّبونه علىٰ هذا الترتيب:

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي.

وأما أهل الغرب فإنهم يرتِّبونه علىٰ هذا الترتيب:

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي».

٦. إثمٌ: ذنبٌ؛ ومنه: ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٍ﴾ أي: مذنبٌ.

٧. أجْرٌ: ثوابٌ.

وبمعنىٰ: الأُجرةِ؛ ومنه: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾[القصص: ٢٦]، و﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ [القصص: ٢٧].

وأمَّا: ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠] و﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٩] = فذلك كلُّه من الـجِوار؛ بمعنىٰ: التَّأمين.

٨. آمَن إيمانًا أي: صدَّق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالىٰ، أي: المصدِّق لنفسه، وقيل: إنه من الأَمْن، أي: يؤمِّن أولياءَه مِن عذابِه(١).

---

(١) [التعليق ٤] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ ﷺ: «الإيمانُ في اللغة: التصديقُ مطلَقًا»: أقولُ: هذا هو المشهورُ عند اللغويِّين وجمهورِ المفسِّرين، وهذا التفسيرُ للإيمانِ أشهَرُ ما احتَجَّ به المرجئةُ القائلونَ بأنَّ الإيمان هو التصديقُ؛ يَعنُونَ به تصديقَ القَلْب. والقولُ بأنَّ الإيمانَ هو التصديقُ مطلَقًا، يقتضي أنَّ كلَّ تصديقٍ إيمانٌ. وخالَفَ في ذلك الإمامُ ابن تيميَّةَ ﷺ؛ فذكَرَ أنَّ الإيمانَ في اللغةِ تصديقٌ خاصٌّ، وهو التصديقُ فيما يُؤتَمَنُ عليه المُخبِر؛ كالإخبارِ عن الأمورِ الغائبة؛ فلا يقالُ لمن صدَّق مُخبِرًا عن طلوعِ الشمسِ: «آمَنَ له»، بل صدَّقه؛ لأنَّ طلوعَ الشمسِ مِنَ الأمورِ الحِسِّيَّةِ الظاهرةِ.
وقولُهُ: «والإيمانُ في الشرعِ: هو التصديقُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخِرِ»: أقولُ: نَعَمْ؛ هذا هو الإيمانُ في الشرعِ بمعناهُ الخاصِّ المتعلِّقِ بالاعتقاد، ويُطلَقُ الإيمان في الشرعِ إطلاقًا عامًّا يَشمَلُ جميعَ شرائعِ الدِّينِ الظاهِرةِ والباطِنةِ؛ يَدُلُّ لذلك قولُهُ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ» [أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ]؛ وفي الحديثِ رَدٌّ علىٰ المرجئةِ الذين يُخرِجونَ الأعمالَ عن مسمَّىٰ الإيمان. وعلىٰ ذلك: فيكونُ الإيمانُ بمعناهُ العامِّ اسمًا لكلِّ ما شرَعَهُ اللهُ مِنَ الاعتقاداتِ والأقوالِ والأعمال؛ ولذا قال أهلُ السُّنَّةِ: «الإيمانُ: اعتقادٌ بالجَنَانْ، وقولٌ باللسانْ، وعمَلٌ بالأركانْ».

٩. **وأَمِن** -بقصر الهمزة وكسر الميم- أَمْنًا وأَمَنَةً: ضدُّ الخوف.

وأمِن -أيضًا-: من الأمانة.

وأمَّن غيرَه: من التأمين .

١٠. **أليم**: مؤلِـمٌ أي: موجِعٌ؛ ومنه: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٣].

١١. **إمام: له أربعة معان:**

[١] القدوة.

[٢] والكتاب.

[٣] والطريق.

[٤] وجمع «آمٍّ» أي: تابع؛ وهو: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٢. **أُمَّـة: لها أربعة معان:**

[١] الجماعة من الناس.

[٢] والدِّين.

[٣] والحين.

[٤] والإمام؛ أي: القدوة.

١٣. **أُمِّـيٌّ**: لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأُمِّيين.

١٤. **أُمٌّ: لها معنيان:**

[١] الوالدة.

[٢] والأصل.

وأم القرىٰ: مكة .

١٥. **أُخرىٰ**: مؤنثةُ: آخَر، وآخِر.

١٦. **آل: له معنيان:**

[١] الأهل؛ ومنه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١] .

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٨].

١٧. **أمس**: اليومُ الذي قَبل يومِك.

والزمانُ الماضي.

١٨. **إِنَاهُ**: وقتُه، وجمعه: آناءٌ؛ ومنه: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: ١٠].

١٩. **أمْرٌ**: **له معنيان:**

أحدهما: طلب الفعل علىٰ الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.

وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطَّلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجُّب، والخبر.

والثاني: بمعنىٰ الشأن والصفة.

وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [هود: ٥٧].

٢٠. **إسرائيل**: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو والد الأسباط، واليهودُ من ذريَّتهم.

٢١. **إيابٌ**: رجوعٌ؛ ومنه: ﴿مَـَٔابٖ﴾ أي: مرجعٍ.

و«رجلٌ أوّابٌ»: كثيرُ الرجوع إلىٰ الله.

والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سبأ: ١٠].

٢٢. **إِفْكٌ**: أشدُّ الكذب، والأفّاك: الكذَّاب.

وأُفِكَ الرجلُ عن الشيء: أي: صُرِف عنه؛ ومنه ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦].

٢٣. **أَوىٰ** الرجلُ إلىٰ الموضع -بالقصر-.

وآواه غيرُه -بالمدِّ-؛ ومنه: ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

٢٤. **أُفٍّ**: كلمة شرٍّ.

٢٥. **آلاءُ اللهِ**: نِعَمُه؛ ومنه: ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن: ١١].

٢٦. **أَسِف**: **له معنيان:**

[١] الحُزْن.

[٢] والغضب؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].

٢٧. **إسوة** -بكسر الهمزة وضمها-: قُدوة.

٢٨. أَسِيَ الرجلُ يأسَىٰ أسًىٰ أي: حَزِن؛ ومنه: ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ [المائدة: ٢٨] و﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٢].

٢٩. أَذانٌ -بالقصر-: إعلامٌ بالشيء؛ ومنه الأذان بالصلاة.

والآذانُ -بالمد-: جمع أُذُنٍ.

٣٠. أَذِنَ اللهُ: يأتي بمعنىٰ: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة.

وأَذِنتُ بالشيء: عَلِمت[1] به -بكسر الذال-، وآذنت به غيري -بالمد-.

٣١. إِصْرٌ: له معنيان:

[١] الثِّقَلُ.

[٢] والعَهدُ.

٣٢. أَيْدٌ: قوةٌ؛ ومنه: ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ ﴾ [البقرة: ٨٦]، و﴿بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] .

والأيدي: جمع يدٍ، فهمزتها زائدة .

٣٣. أُكلٌ -بضم الهمزة-: اسم المأكول، ويجوز فيه ضمُّ الكاف وإسكانُها.

والأَكْلُ -بفتح الهمزة-: المصدر.

٣٤. أَيكة: غَيضَةٌ .

٣٥. أَثاثٌ: متاع البيت.

٣٦. أُجاجٌ: مُرٌّ .

٣٧. أرائك: أَسِرَّةٌ، واحدها: أريكة.

٣٨. آنية: له معنيان:

[١] جمعُ إناءٍ؛ ومنه: ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدةُ الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٥].

---

(١) في ب، د: «أعلمتُ».

ووزن الأول: أَفعِلةٌ،

والثاني: فاعلةٌ، ومذكّرُها: آنٍ؛ ومنه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣].

٣٩. أَحدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه : ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمُ نفيٍ، بمعنىٰ: إنسان.

٤٠. أيَّانَ: معناه: متىٰ.

٤١. أنَّىٰ: بمعنىٰ: كيف، ومتىٰ، وأين.

٤٢. إنَّ المكسورة المشدَّدة: للتأكيد.

والمفتوحة المشددة: مصدرية.

٤٣. إنَّما: للحصر.

٤٤. إِنْ المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] ونافية.

[٣] وزائدة.

[٤] ومخففة من الثقيلة.

٤٥. أَنْ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية.

[٢] وزائدة.

[٣] ومخففة من الثقيلة.

[٤] وعبارةٌ عن القول.

٤٦. إذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمان مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط.

[٢] وفُجائيةٌ.

٤٧. **إذْ: لها معنيان:**

[١] ظرفُ زمان ماضٍ.

[٢] وسببيةٌ للتعليل.

٤٨. أو:

[أ-] **العاطفةُ: لها خمسة معان:**

[١] الشكُّ.

[٢] والإبهام.

[٣] والتخيير.

[٤] والإباحة.

[٥] والتنويع[1].

[ب-] **والناصبةُ للفعل**: بمعنىٰ: «إلىٰ أنْ»، أو: «إلّا أنْ»، أو: «كي».

٤٩. أَمْ: استفهامٌ، وقد يكون فيها معنىٰ[2] الإنكار، أو الإضراب.

وتكون:

متصلةً؛ للمعادَلة بين ما قبلها وما بعدها.

ومنفصلةً مما قبلها.

٥٠. **إمَّا المكسورة المشددة**: للتنويع، والشك، والتخيير.

وقد تكون مركَّبةً مِن «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة.

٥١. **أمَّا المفتوحة المشددة**: للتقسيم، والتفصيل.

٥٢. **ألا المفتوحة المخففة**: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعَرْض، والتمني.

٥٣. **إلَّا المكسورة المشددة**: استثناءٌ.

وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.

وتكون مركبةً مِن «إنْ» الشرطية و«لا» النافية.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقد يكون بمعنىٰ».

٥٤. **أيٌّ المشددة: سبعة أنواع:**

[١] شرطيةٌ.

[٢] واستفهامية.

[٣] وموصولة.

[٤] ومنادًى.

[٥] وصفةٌ.

[٦] وظرفية إذا أُضيفت إلىٰ ظرف.

[٧] ومصدرية إذا أضيفت إلىٰ مصدر.

٥٥. **إِيْ المكسورة المخففة:** معناها: التَّصديق.

٥٦. **إلىٰ:** معناها: انتهاء الغاية.

وقد[1] تكون بمعنىٰ «مع».

٥٧. **الهمزة:** للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والنِّداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصليةٌ، وزائدةٌ؛ للبناء.

حرف الباء

٥٨. **بارئٌ:** خالقٌ، ومنه: ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] أي: الخلق.

٥٩. **بَعْثٌ:** له معنيان:

[١] بعْثُ الرسل.

[٢] وبعث الموتىٰ من القبور.

٦٠. **بسَط اللهُ الرزقَ:** وسَّعه، وضده: قبَض وقدَر الرزقَ أي: ضيَّقَه.

ومن أسماء الله تعالىٰ: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادةً.

(١) في أ، ب: «وقيل».



٦١. **بَشرَ: مِن البِشارة، وهي: الإعلام بالخير قبل وروده.**

وقد تكون للشرِّ إذا ذُكِر معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: المبشِّر والبَشير.

واستبشَر بالشيء: فرح به.

٦٢. **بُعْدٌ: له معنيان:**

[١] ضد القُرْب، والفعل منه: بَعُدَ -بضم العين-.

[٢] والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه: ﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود: ٩٥].

٦٣. **بلاءٌ: له معنيان:**

[١] العذاب.

[٢] والاختبار، ومنه: ﴿إِبْتَلِىٓ ﴾ [البقرة: ١٢٣] و﴿وَنَبْلُوكُم ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤. **بِـرٌّ: له معنيان:**

[١] الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ [الممتحنة: ٨].

[٢] والتَّقوىٰ والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾[البقرة: ١٨٨].

ورجل بارٌّ وبَـرٌّ، وجمعه[1]: أبرار.

والبَرُّ: من أسماء الله تعالىٰ.

٦٥. **بات: معروفٌ، ومصدره بَياتٌ.**

وبيَّت الأمرَ: دبَّره بالليل.

٦٦. **بغتةً: فجْأةً.**

٦٧. **بُروج:** جمع بُرْج، وهو الحِصن.

وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

(١) في ب، ج، هـ: «والجمع».

٦٨. **بَيْنَ**: ظرفٌ.

وبين يديِ الشيء: ما تقدَّم قبله.

والبَينُ: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

٦٩. **بيِّناتٌ**: براهين من المعجزات وغيرها.

ومبيّنة: مِن البيان.

٧٠. **مُبِين**(١): مِن البيان، وله معنيان:

[١] بيِّنٌ غير متعدي.

[٢] ومبيِّنٌ لغيره.

٧١. **بدا يبدو** -بغير همز-: ظهَر، وأبديته: أظهرتُه.

والبادي -أيضًا-: من البادية، ومنه: ﴿بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

٧٢. **بدأَ** -بالهمز-: من الابتداء، ويقال: بدأ الله(٢) الخلقَ، وأبدأه. وقد جاء القرآنُ بالوجهين .

٧٣. **بغَىٰ**: له معنيان:

[١] العدوان علىٰ الناس.

[٢] والحسد.

والبِغاء -بكسر الباء-: الزِّنا، ومنه: امرأةٌ بغيٌّ أي: زانية.

وابتغىٰ الشيءَ وبغَاه: أي: طلبه .

٧٤. **بثَّ الحديثَ وغيرَه**: نشَره.

و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٣] : المنتشر.

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦] : متفرقة.

---

(١) في هـ: «بيِّن».

(٢) اسم الله لم يرد في ب، ج، د، هـ.

والبثُّ: الـحُزْن الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥. بوَّأَ: أنزل الرجلَ منزلًا؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٣]، و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوَّأَ﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦. بوارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هَلْكَىٰ.

٧٧. باء بالشيءِ: رجع به.

وقد يقال بمعنىٰ: اعترف.

٧٨. بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٦]: مِن البؤس.

والبَأس: القتال، والشجاعة، والمكروه.

وبأس الله: عذابُه.

وبِئسَ: كلمة ذمٍّ.

٧٩. برزخ: شيءٌ بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

٨٠. بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدِعٌ أي: خالقُ الشيءِ ابتداءً.

٨١. بسَر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

٨٢. بصير: مِن البصر، يقال: أبصرتُه، وبَصُرتُ به[1].

والبصائر: البراهين، جمع بَصيرةٍ.

---

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

٨٣. برَز: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٦]، و﴿بَـٰرِزُونَ﴾ [غافر: ١٥].

٨٤. بطْش: أخذٌ بشدَّةٍ.

٨٥. بخْسٌ: نقْص.

٨٦. بعْلٌ: له معنيان:

[١] زوج المرأة، وجمعه: بُعولةٌ.

[٢] والبعل -أيضًا-: الربُّ، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥].

٨٧. بهجة: حُسْن، وبهيج: حسَنٌ.

٨٨. مبلسون: جمع مبلِس، وهو اليائسُ.

وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته.

وقيل: الحزين النادم؛ ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [الروم: ١١].

ومنه اشتقَّ: إبليس.

٨٩. بُهِت: انقطعت حجته.

٩٠. تباركَ: مِن البركة، وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدَّس .

٩١. بلىٰ: جوابٌ يقتضي إثباتَ الشيء.

٩٢. بلْ: معناها: الإضرابُ عمَّا قبلها.

٩٣. البـاء: للإلصـاق، ولنَقْـلِ الفعـل في التعـدِّي، وللقسـم، وللتعليـل، وللمصـاحبة، وللاستعانة، وظرفيةٌ، وزائدةٌ.

حرف التاء

٩٤. تلَا يتلو: له معنيان:

[١] قرأ.

[٢] وتَبِع.

٩٥. **تقوىٰ**: مصدرٌ مشتقٌّ من الوِقاية، فالتاء بدل من واو.

ومعناه: الخوفُ، والتزامُ طاعة الله، وتركُ معاصيه؛ فهو جماع كلِّ خير.

٩٦. **تاب يتوب**: رجع، توبةً وتوبًا؛ فهو تائب.

وتوَّاب: كثير التوبة.

وتوَّاب: اسم الله تعالىٰ أي: كثير التوبة علىٰ عباده.

وتاب الله علىٰ العبد:

ألهمه للتوبة(١).

أو قَبِل توبته.

٩٧. **تبابٌ**: خسران، وتبَّ: خسِر.

٩٨. **تبارٌ**: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

٩٩. **أترفوا**: نُعِّموا، والمترَفون: المنَعَّمون(٢) في الدنيا.

حرف الثاء

١٠٠. **ثمود**: قبيلةٌ من العرب الأقدمين.

١٠١. **ثوَىٰ في الموضع**: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوىً﴾.

١٠٢. **ثُبورٌ**: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مَثْبوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه(٣).

١٠٣. **ثمر**: ما يؤكل مما تُنبِت(٤) الأرض.

ويقال بالفتح والضم.

---

(١) في د: «التوبة».

(٢) في د: «المتنعمون».

(٣) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٤) في ب، ج، هـ: «تنبته».

١٠٤. **ثُقِفوا**: أخذوا، وظُفِر بهم؛ ومنه: ﴿وَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٨].

١٠٥. **ثاقب**: مضيءٌ.

١٠٦. **ثمَّ**:

[أ] بالفتح: ظرف.

[ب] وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيبَ والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيبِ الإخبار.

حـرف الجيـم

١٠٧. **جعَل**: لها أربعة معانٍ:

[١] صيَّر.

[٢] وألقىٰ.

[٣] وخلَق.

[٤] وأنشأ يفعل كذا.

١٠٨. **جَناحُ الطائرِ**: معروف.

وجَناح الإنسان: إِبطُه، ومنه: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

و﴿لَا جُنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٤]: لا إثم؛ فمعناه: إباحةٌ.

وجَنَح للشيءِ: مال إليه .

١٠٩. **لا جرَمَ**: لا بُدَّ.

١١٠. **اجتبىٰ**: اختار.

١١١. **جدال**: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

١١٢. **تجأرون**: تَصيحون بالدعاء.

١١٣. **جَواري**: جمع جارية، وهي السفينة.

١١٤. **أجرم فهو مُجرمٌ له معنيان:**

[١] الكفر.

[٢] والعصيان.

١١٥. جِنٌّ: الجنون.

وقد جاء بمعنىٰ الملائكة.

١١٦. جانٌّ: **له معنيان:**

[١] الجنون(١).

[٢] والحيَّة الصغيرة.

١١٧. جنَّةٌ: بالفتح: البستان.

وبالكسر: الجنون.

وبالضم: التُّرس وما أشبهه مما يُستَتر به؛ ومنه استعير: ﴿أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦].

١١٨. جاثية: أي: علىٰ رُكَبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جُثِيّٗا﴾ [مريم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩. الـجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠. جاثمين: باركين علىٰ ركبهم.

١٢١. جبَّار: **اسم الله تعالىٰ له معنيان:**

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

---

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها -وهي «جنٌّ»- بالجنون مشكلٌ، ولم أقف بعد البحث علىٰ مَن فسَّرها بذلك، فلعله وهمٌ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين: أنهم الجنُّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن»: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ..﴾: «الجانُّ: الجنُّ، يعني: إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص:٩٠): «جانٌّ: واحد الجن، وجنسٌ من الحيَّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وآية «النمل»: ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾.

وقد يكون من الجبْر للكَسير وشبهه.

والجبَّار -أيضًا-: الظالم.

١٢٢. أجداث: قبور.

١٢٣. جزَىٰ: له معنيان:

[١] مِن الجزاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنىٰ أغنىٰ؛ ومنه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٧].

وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفَىٰ.

١٢٤. جَرَح: له معنيان:

[١] من الجُروح.

[٢] وبمعنىٰ: الكسْب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦١]، و ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢٠].

ولذلك سُمِّيت كلاب الصيد: جوارحَ؛ لأنها كواسبُ لأهلِها.

١٢٥. جُنُب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنىٰ: البُعْد؛ ومنه: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١٠].

حرف الحاء

١٢٦. حمدٌ: هو الثَّناء، سواء كان جزاءً علىٰ نعمةٍ، أو ابتداءً، والشُّكر إنما يكون جزاءً؛ فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالىٰ، أي: محمودٌ.

١٢٧. حكمة: عقل[1]، أو علم.

وقيل في: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٨]: هي السنة.

١٢٨. حكيم: اسم الله تعالىٰ، مِن:

الحكمة.

أو من الـحُكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩. حليم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنىٰ: العفو.

والأحلام: العقول.

والحليم: من أسماء الله تعالىٰ:

قيل: الذي لا يعجِّل بالعقوبة علىٰ من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرىٰ في المنام.

١٣٠. حبِط: بطَل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١. حنيف: مسلم وموحِّد لله.

وقيل: حاجٌّ.

وقيل: مختتِنٌ.

وجمعه: حنفاء.

١٣٢. محصِنين ومحصَنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] والحرية.

---

(١) في د: «كمال».

[٣] والعفاف.

[٤] والتزوُّج.

و﴿ لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾[الأنبياء: ٧٩] : يَقِيَكم.

١٣٣. **حُجَّة** -بالضم-: دليل وبرهان.

وحاجَّ فلانٌ فلانًا: جادله، وحجَّهُ: غلبه بالـحُجة.

والحجُّ -بالفتح والكسر-: القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وحِجَّة -بالكسر-: سَنةٌ، وجمعها: حِجَج.

١٣٤. **حِطَّة**: أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا.

وقيل: هي كلمة بالعِبرانية تفسيرها: «لا إله إلا الله».

١٣٥. **حضر**: **بالضاد**: من الحضور؛ ومنه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، و﴿ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

وبالظاء: من المنع؛ ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [الإسراء: ٢٠]، و﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١].

وبالذال: من الحذر وهو الخوف؛ ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء: ٥٧].

١٣٦. **حِفْظُ العلمِ**: وَعْيُه، وحِفظُ الشيء: حراستُه.

والحفيظ: اسم الله تعالىٰ:

قيل: معناه العليم.

وقيل: حافظُ الخلق، أي: كالِئُهم من المهالك.

١٣٧. **حاق بهم**: حلَّ بهم.

١٣٨. **حبلٌ** من الله ومن الناس: أي: عهدٌ.

وحبل الله: القرآن.

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩. **حسِب** -بكسر السين-: ظنَّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحسَب -بالفتح-: مِن العدد، ومضارعه: **يحسُب** بالضم؛ ومنه: **الحساب، والحُسبان.**

و﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٣٩] أي: مَرامٍ، واحدها: **حُسبانةٌ** .

١٤٠. **حساب**: مِن الظنِّ، ومِن العدد.

و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل: الوجهين.

وأن يكون: مِن المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضييق.

و﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي: كافيًا.

١٤١. **حسيب: اسم الله تعالىٰ، فيه أربعة أقوال:**

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسِبٌ.

١٤٢. **حَسبُك الله**: أي: كافِيك.

١٤٣. **حُزْنٌ**: تأسُّفٌ علىٰ ماض أو حال.

والخوف: توقُّعٌ في المستقبل.

ويقال: حزِن بكسر الزاي، وحزَنه غيرُه بفتحها، وأَحزنه -أيضًا-.

١٤٤. **حصيرٌ**: مُحبَس؛ من الحصْر.

وأُحصِر عن الشيء: حُبس عنه.

وحسير -بالسين-: كَلِيلٌ.

١٤٥. **حصيد**: هو ما يحصد من الزرع وغيره.

واستعير منه: ﴿فَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] أي: باقٍ وذاهبٌ.

١٤٦. **حميم : له معنيان:**

[١] الصديق[1].

[٢] والماء الحار.

١٤٧. **محيص**: مهرَب.

١٤٨. **حِجْر**: له أربعة معان:

[١] الحرام.

[٢] والعقل.

[٣] ومنازل ثمود.

[٤] وحجر الكعبة.

١٤٩. **حِـمْلٌ** -بكسر الحاء-: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للذنوب.

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أَحمال.

١٥٠. **إحسان**: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات.

[٢] والإنعام على الناس.

[٣] ومراقبةُ الله تعالى المشارُ إليها في قوله ﷺ: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»**[2].

١٥١. **حقٌّ**: له أربعة معان:

[١] الصدق.

[٢] والعدل في الحكم.

[٣] والشيء الثابت.

[٤] والأمر الواجب.

---

(١) في ج، د: «الصديد».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مسلم -أيضًا- (٨) من حديث ابن عمر عن أبيه ﷺ، وهو ضمن حديث جبريل الطويل.

والحق: اسم الله تعالىٰ، أي: الواجبُ الوجود[1].

١٥٢. حاصبٌ: ريح شديدة، سُمِّيت بذلك؛ لأنها ترمِي بالحصباء أي: الحصىٰ.

والحاصب -أيضًا-: الحجارة.

١٥٣. حِلْية: حَلْيٌ.

١٥٤. حرجٌ: ضِيق، أو مشقة.

١٥٥. حولٌ: له معنيان:

[١] العام.

[٢] والحِيلة.

و﴿ حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٣] -بكسر الحاء-: انتقالًا.

١٥٦. حرْثُ الأرضِ: مصدر، ثم استعمل بمعنىٰ: الأرض، والزرع، والجنات.

١٥٧. حسَّ -بغير ألف-: قتَل؛ ومنه: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وأحسَّ: مِن الحِسِّ.

١٥٨. حُرُم -بضمتين-: محرمون بالحج.

١٥٩. حُقُب -بضمتين- وأحقابٌ: جمع حِقْبٍ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال: إنها ثمانون سنة.

١٦٠. حف الشيءُ بالشيءِ: أطاف[2] به من جوانبه، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢] و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

---

(١) **[التعليق ٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُهُ: «أي: الواجبُ الوجودِ»: أقولُ: هذا مِن معنىٰ اسمِهِ تعالىٰ الحَقِّ، ويدخُلُ في معنىٰ هذا الاسم «الحَقِّ»: أنه الموصوفُ بكلِّ كمال، المنزَّهُ عن كلِّ نقص، وأنه الإلهُ الحَقُّ، ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ، فيدخُلُ في معنىٰ هذا الاسمِ: جميعُ أسمائِهِ الحسنىٰ، وصفاتِهِ العلا.

س: هل يصحُّ إطلاقُ «واجبِ الوجودِ» علىٰ اللهِ تعالىٰ؟

ج: نَعَمْ؛ يجوزُ إطلاقُ «واجبِ الوجودِ» علىٰ اللهِ تعالىٰ خبرًا، لا اسمًا؛ فهو تعالىٰ واجبُ الوجود؛ أي: لا يجوزُ عليه الحدوثُ ولا العدَمُ، وليس ذلك مِن الأسماءِ الحسنىٰ التي يُدْعَىٰ بها

(٢) في د: «أحاط».

١٦١. **حلَّ بالمكان**: يَحلُّ -بالضم والكسر-.

وحلَّ من إحرامه: يَحِلُّ -بالكسر[1] لا غير-.

١٦٢. **حطامٌ**: فُتاتٌ.

والحطام: ما تحطَّم من عِيدان الزرع اليابس.

حرف الخاء

١٦٣. **خلَق**: له معنيان:

[١] من الخِلقة؛ ومنه: الخالق اسم الله، والخلَّاق.

[٢] وخلَق الرجلُ: كذَب؛ ومنه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ [العنكبوت: ١٦] و ﴿إِخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٦] أي: كذبٌ.

١٦٤. **خلَاق**: نصيب.

١٦٥. **خير**: ضد الشرِّ، وله أربعة معان:

[١] العمل الصالح.

[٢] والمال.

[٣] والخِيَرة.

[٤] والتفضيل بين شيئين.

١٦٦. **خلَا**: له معنيان:

[١] من الخَلْوة.

[٢] وبمعنى: ذهَب وتقدَّم؛ ومنه: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٣].

١٦٧. **خطيئة**: ذنبٌ، وجمعه: خطايا وخطيآت، والفعل منه: خَطِئَ، فهو خاطئٌ.

وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ.

١٦٨. **خاسئين**: مطرودين؛ من قولك: خَسَأتُ الكلبَ، ومنه: ﴿إِخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

١٦٩. خلفٌ -بفتح الخاء وإسكان اللام- له معنيان:

[١] وراءَ.

[٢] ومَن خلَف سلفَه بشرٍّ.

فإذا خلَفه بخيرٍ قيل بفتح اللام.

١٧٠. خِلاف: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنىٰ: بَعْدَ أو دُون؛ ومنه: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨٢].

١٧١. خَوَّل: أعطىٰ.

١٧٢. خُلَّةٌ -بضم الخاء-: مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أَخِلَّاء.

١٧٣. خِلال: له معنيان:

[١] وِدادٌ؛ ومنه: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

[٢] وبمعنىٰ: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٧٤. خرَّ يخِرُّ: سقط علىٰ وجهه.

١٧٥. خامدين: ميّتين[١] هالكين، وأصله: من خمود النار.

١٧٦. خَطْبٌ: خبرٌ.

والخطْب -أيضًا-: الأمر العظيم.

وخِطبة النساء: بالكسر.

وخُطبة الخطيب: بالضم.

١٧٧. خرَّاصون: كذَّابون؛ ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٧].

والخَرْص -أيضًا-: التقدير؛ وقيل: إنّ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من غير تحقيق.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

١٧٨. خَبالٌ: شرٌّ.

١٧٩. خوَّان: كثير الخيانة.

١٨٠. مختال: من الخيلاء.

١٨١. ختَّار: غدَّار؛ مِن: خَترِ العهدِ.

١٨٢. مخمصةٌ: مِن الـخَمص؛ وهو الجوع.

١٨٣. أخدان: جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل.

١٨٤. خراجٌ وخَرْجٌ: أي: أُجرة، أو عطيَّةٌ.

حرف الدال

١٨٥. دين: له خمسة معان:

[١] الملَّة.

[٢] والعادة.

[٣] والجزاء.

[٤] والحساب.

[٥] والقهر.

١٨٦. أدنىٰ: له معنيان:

[١] أقربُ؛ فهو من الدنوِّ.

[٢] وأقلُّ؛ فهو من الدنيءِ الحقير.

١٨٧. دأبٌ: له معنيان:

[١] عادةٌ.

[٢] وجِدٌّ وملازمة؛ ومنه: ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ [يوسف: ٤٧] أي: متتابعةً للزراعة؛ من قولك: دأَبتُ علىٰ الشيء: دمت عليه.

١٨٨. دار السلام: الجنة.

١٨٩. دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرةٌ؛ ومنه: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[التوبة: ٩٩].

١٩٠. دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ٥٧].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٦].

[٤] والنداء؛ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٢].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١. دابَّة: كل ما يَدِبُّ، فتعمُّ[1] جميع الحيوان.

١٩٢. دحورٌ: إبعادٌ؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣. دعَّ -بتشديد العين- يدُعُّ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، و﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

١٩٤. درَأَ: دفَع؛ ومنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ [الرعد: ٢٤].

١٩٥. مدرارًا: مِن: درَّ المطر: إذا صَبَّ.

١٩٦. داخرين: صاغرين.

١٩٧. دُكَّت الأرض: أي[2]: دُقَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض؛ ومنه: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: مستويًا مع الأرض.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فيَجمع».

(٢) في أ: «إذا».

حرف الذال

١٩٨. ذِكْرٌ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآنُ؛ ومنه: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشَّرف.

و﴿مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]: مفتَعِلٌ من الذِّكر.

١٩٩. ذنوب: بضم الذال: جمع ذَنْب.

وبالفتح: النَّصيب؛ ومنه: ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيبًا من العذاب.

والذَّنوب -أيضًا-: الدَّلْو.

٢٠٠. ذِبْحٌ: بكسر الذال: المذبوح، وبالفتح: المصدر.

٢٠١. ذرأَ: خلق ونشَر.

٢٠٢. ذَلولٌ: مُذلَّلةٌ للعمل؛ من الذِّل -بكسر الذال-؛ ومنه: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧١].

ورجل ذليلٌ: من الذُّل -بالضم-.

و﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أُدنيت(١).

٢٠٣. أذقان: جمع ذَقَنٍ.

حرف الراء

٢٠٤. رَبٌّ: له أربعة معان:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

---

(١) في ج، هـ: «أي: دنيت».

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥. ريبٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱرْتَابُوٓاْ﴾ [النور: ٤٨]، و﴿مُّرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

٢٠٦. رجَعَ: يستعمل متعدِّيًا بمعنىٰ: ردَّ، وغيرَ متعدٍّ.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمانٍ، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧. رعَىٰ: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعْيِ الغنم.

٢٠٨. رُوحٌ: له أربعة معان:

[١] النفْس التي بها الحياة؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[الإسراء: ٨٥].

[٢] والوحي؛ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

[٣] وجبريل؛ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

[٤] وملَكٌ عظيم؛ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

ورَوْحٌ -بفتح الراء-: رائحة طيبة.

والرَّيحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

٢٠٩. رُكامٌ: بعضه فوق بعض؛ ومنه: ﴿مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]،و﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢١٠. رجا: طمِع.

وقد يستعمل في الخوف؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧].

٢١١. رجالٌ: جمع رجل.

وجمع راجلٍ أي: غير راكب؛ ومنه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]، ومثله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٢١٢. رفَثٌ: له معنيان:

[١] الجماع.

[٢] والكلام بهذا المعنىٰ.

٢١٣. رِجْزٌ: عذابٌ، إلَّا(١): ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرِّجْس -بالسين-: النجَس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنىٰ العذاب.

٢١٤. رَهْبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥. رؤوفٌ: من الرَّأفة، وهي الرحمة.

إلَّا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرأفة.

٢١٦. مرضاةٌ: مَفْعَلة من الرِّضا.

٢١٧. راسياتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨. رغَدًا: كثيرًا.

٢١٩. ربوةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠. ربا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١. أرحام: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل -أيضًا- في القرابة.

٢٢٢. أَرْجِه: أَخِّرْهُ؛ ومنه: ﴿تُرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١]، و﴿مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

ويجوز فيه: الهمز، وتركُه.

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز..».

٢٢٣. رأىٰ[١]: من رؤية العين[٢]: يتعدَّىٰ إلىٰ واحد.

ومن رؤية القلب -بمعنىٰ العلم-: يتعدىٰ إلىٰ مفعولَين.

٢٢٤. تربَّصَ: انتظرَ.

٢٢٥. رفاتٌ: فُتات.

٢٢٦. أرذل العمر: الهرم.

و﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]: من الرُّذَالة.

٢٢٧. رقَىٰ: من الرُّقية بفتح القاف؛ ومنه: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٦].

ورقِيَ في السُّلَّم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٢٨. أرداكم: أهلككم، والردَىٰ: الهلاك؛ ومنه: ﴿لَتُرۡدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦]، و﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١].

٢٢٩. رجفةٌ: زلزلةٌ وشدَّة[٣].

حرف الزاي

٢٣٠. زُبُرٌ -بضمتين-: كُتبٌ.

والزَّبُور: كتاب داود عليه السلام.

٢٣١. زُخرفٌ: زينةٌ.

والزخرف -أيضًا-: الذهب.

٢٣٢. زكاة: له في اللغة معنيان: الزيادة، والطهارة.

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال؛ وهو من:

الزيادة؛ لأنه يبارَك له فيه فيزيد.

(١) في هـ: «أراني».

(٢) في د: «البصر».

(٣) في ب: «شديدة».

أو من الطهارة؛ لأنه يطهِّره من الذنوب.

وزكَّيت الرجل: أثنيت عليه.

وزكَا هو -مخففة-: أي صار زاكيًا(١).

٢٣٣. زوج: له ثلاثة معان:

[١] الرجل.

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَٰجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٦].

٢٣٤. زلَّ: له معنيان:

[١] زلَلُ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلل.

٢٣٥. زاغ عن الشيء زَيغًا: مال عنه، وأزاغه غيرُه: أماله.

٢٣٦. زُلفَىٰ: قربىٰ، و﴿أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبت.

﴿وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[هود: ١١٤]:ساعاتٍ.

٢٣٧. زعَم: أي: ادَّعىٰ ولم يوافقه غيره.

قال ابن عباس ﵄: زعَم: كنايةٌ عن كذب(٢).

٢٣٨. زعيمٌ: ضامن.

٢٣٩. يُزجِي: يَسوق.

---

(١) في د: «زكيًا».

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس ﵄، وإنما وقفت عليه من قول من ابن عمر ﵄، أخرجه الطبري (٢٣/ ٩) عن ابن عمر ﵄ أنه قال: «زعم: كُنيَة الكذب»، وروي عن شريح أيضًا، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣١٣) أنه قال: «زعموا: كنيةُ الكذب».

٢٤٠. زَلزلة الأرضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنىٰ: الشدَّة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٢].

٢٤١. زجرةٌ واحدة: صيحةٌ، يعني: نفخةَ الصور.

والزجرة: الصيحة بشدةٍ وانتهار.

و﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]: من الزَّجْرِ.

حرف الطاء

٢٤٢. طبَع: ختَم، والخاتم: الطابع.

٢٤٣. طَوْلٌ -بفتح الطاء-: فَضْلٌ، أو غِنًىٰ.

٢٤٤. طائر: له معنيان:

[١] من الطَّيَران.

[٢] ومن الطِّيَرة.

٢٤٥. طُوىٰ: قيل: اسم للوادي.

وقيل: معناه: مرتين، أي: قُدِّس الوادي مرتين.

٢٤٦. طهارة: له معنيان:

[١] الطهارة بالماء؛ ومنه: ﴿جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٧]، والماء الطهور؛ وهو المطهِّر.

[٢] والطهارة من القبائح والرذائل؛ ومنه: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

٢٤٧. طيِّبٌ: له معنيان:

[١] اللذيذ(١).

[٢] والحلال.

(١) في ج، د: «الدين».

٢٤٨. **طُوفان:** سيل عظيم.

٢٤٩. **طاغوت:** أصنام وشياطين، ويكون مفردًا وجمعًا.

والطاغوت -أيضًا-: رئيس النصارىٰ -علىٰ قولٍ-.

٢٥٠. **طِباق:** بعضها علىٰ بعض.

و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: حالًا بعد حال.

٢٥١. **طُورٌ** -بالضم-(١): الجبل، وهو الطَّود.

٢٥٢. **طَفِقَ يفعلُ كذا:** أي: جعل يفعله.

٢٥٣. **طائفين:** من الطواف(٢).

و﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: لَمَمٌ، و﴿طَآئِفٌ﴾: فاعل منه.

حرف الظاء

٢٥٤. **ظهَر الأمرُ:** بدا، وأظهره غيرُه: أبداه.

٢٥٥. **ظهيرٌ:** معين.

٢٥٦. **ظاهر الرجلُ من امرأته، وتظاهر وتظهَّر أي:** قال لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وهو الظِّهار.

٢٥٧. **ظَهْرُ البيتِ:** أعلاه.

وظهَرتُه أي: ارتفعتُ عليه؛ ومنه: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٣].

٢٥٨. **ظلمٌ:** يقع في القرآن علىٰ ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «طائفتين: من الطوائف».

[٣] وظلم الناس أي: التعدِّي عليهم.

٢٥٩. ظنَّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحقيق.

[٢] وغلَبَةُ أحدِ الاعتقادين.

[٣] والتُّهَمَةُ.

٢٦٠. ظمَأٌ: عطشٌ.

٢٦١. ظِلال: جمع ظِلٍّ.

وظُلَل -بالضم-: جمع ظُلَّة؛ وهي ما كان من فوق.

٢٦٢. ظَلَّ بالنهار: بمنزلة بات بالليل.

حرف الكاف

٢٦٣. كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع[1]؛ ومنه: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ١٩] أي: الزُّرَّاعَ.

وتكفير الذنوب: غفرانُها.

٢٦٤. كافَّةً: جميعًا.

٢٦٥. كرَّة: رجعة.

٢٦٦. كَبِرَ -بكسر الباء-: من السنِّ، يَكبَرُ -بالفتح- في المضارع.

وكَبُرَ الأمرُ -بالضم- في الماضي والمضارع.

وكُبَرُ -بضم الكاف وفتح الباء-: جمع كبرى.

وكُبَّار -بالضم والتشديد-: كبيرٌ، مبالغةٌ.

(١) في د: «الزارع».

والكِبْرُ: التكبُّر.

وكِبْرُ الشيءِ -بكسر الكاف وضمها-: معظمُه.

والكبرياء: المُلك والعظمة.

والمتكبِّر: اسم الله تعالىٰ، من الكبرياء بمعنىٰ[1]: العظمة.

٢٦٧. كَفِلَ: يَكفَل أي: ضمَّ الصبي وحضَنه.

و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]: اجعلني كافِلَها.

٢٦٨. كِفْلٌ: نصيبٌ.

٢٦٩. كلالةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولدَ له ولا والدَ.

٢٧٠. كاد: قارب الأمر ولم يفعلْه.

فإذا نُفِي اقتضىٰ الإثبات.

٢٧١. كريمٌ: من الكرم، وهو الحسَب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالىٰ؛ أي: محسنٌ[2].

٢٧٢. أكنَّةٌ: أغطِيةٌ.

وأكنان: جمع كِنٍّ؛ وهو ما وقَىٰ من الحر والبرد.

٢٧٣. كهلٌ: هو الذي انتهىٰ شبابه.

٢٧٤. أكمام: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥. أكبَّ الرجلُ علىٰ وجهه؛ فهو مُكِبٌّ، وكَبَّه غيرُه: بغير ألف.

٢٧٦. كهف: غار.

---

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنىٰ».

(٢) [التعليق ٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: هذا تفسير للاسم ببعض معناه؛ فإن الكرَم يتضمن الجود والإحسان، ويتضمن الحُسْن والجمال، وما ذكره المفسِّر هو المناسب للسياق.

٢٧٧. كيدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من[١] الله: مشيئةُ أمرٍ يَنزل[٢] بالعبد من حيث لا يشعر[٣].

٢٧٨. كِسفًا بفتح السين: جمع كِسْفةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩. كُبتوا: أي: أُهلكوا، و﴿يَكۡبِتَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٢٧] : يُهلكَهم، أو يخزيَهم[٤].

٢٨٠. أَكْمَهُ: هو الذي وُلد أعمىٰ.

٢٨١. كان: علىٰ نوعين:

[١] تامَّة؛ بمعنىٰ حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبَر عنه في زمانها. وقد تأتي بمعنىٰ الدَّوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزلْ ولا يزالُ موصوفًا بذلك الوصف.

٢٨٢. كأنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣. كي: معناها التعليل.

٢٨٤. كمْ: معناها التكثير، وهي خبرية، واستفهامية.

٢٨٥. كأيِّنْ: بمعنىٰ: كم.

وهي عند سيبويه: كافُ التشبيه دخلت علىٰ أيٍّ.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) [التعليق ٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: فسَّر ابن جزي الكيد من الله بالمشيئة، والكيد فعل من أفعال الربِّ يفعله بالكفار عقوبة ومجازاة بمثل فعلهم، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥]، ويكون الكيد من الله للعبد المؤمن من نبيٍّ أو صالحٍ نصرًا وتأييدًا، ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، فابن جزي فسَّره بسببٍ من جهة الله، وهو المشيئة.

(٤) في د: «يخرجهم».

٢٨٦. **كلَّا**: حرف ردعٍ وزجر.

وقيل: إنها تكون للنفي، أي: ليس الأمر كما ظننتَ.

وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنىٰ أَلَا .

٢٨٧. **الكاف**: بمعنىٰ التشبيه، وبمعنىٰ التعليل.

وقيل: إنها تكون زائدة.

حرف اللام

٢٨٨. **لبَسَ الأمرَ**: أي: خلَطه، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولبِسَ الثوبَ: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩. **ألبابٌ**: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠. **لبِثَ في المكان**: أقام فيه.

٢٩١. **لـمَزَ يلمز**: أي: عاب الشيء.

٢٩٢. **لؤلؤٌ**: جوهر.

٢٩٣. **لغْوُ الكلامِ**: الباطلُ منه، والفحش[1].

ولغو اليمين: ما لا يَلزم.

٢٩٤. **لـهَا** -بفتح الهاء-: من اللَّهو، ومضارعه: يَلهو.

ولَـهِيَ عن الشيء -بالكسر والياء- يَلهَىٰ -بالفتح-: إذا أعرض عنه.

وأَلـهاه الشيءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥. **لطيفٌ**: اسم الله تعالىٰ؛ قيل: معناه رفيق.

وقيل: خبير بخفيَّات الأمور.

---

(١) في د: «ومنه الفحش».

٢٩٦. لدىٰ ولدن: معناهما عندَ.

٢٩٧. ليت: معناها التمني.

٢٩٨. لعلَّ: معناها الترجِّي في المحبوبات، والتوقُّع للمكروهات.

وأشكل ذلك في حق الله تعالىٰ؛ فقيل: جاءت في القرآن علىٰ منهاج كلام العرب، وبالنظر إلىٰ المخاطَب، أي: ذلك مما يُرتجىٰ عندكم، أو[1] يُتوقَّع.

وقد يكون معناها: التعليل[2]، أو مقاربة الأمر؛ **فلا إشكال.**

٢٩٩. لو: لها معنيان:

[١] التمني.

[٢] وامتناعُ شيءٍ لامتناع غيره.

٣٠٠. لولا: لها معنيان:

[١] العرض، مثل: لَوْمَا.

[٢] وامتناع شيءٍ لوجود غيره.

٣٠١. لـمَّا: لها معنيان:

[١] النفي، وهي الجازمة.

[٢] ووجود شيء لوجود غيره.

وأما لـمَا -بالتخفيف-: فهي لام التأكيد دخلت علىٰ «ما».

وقال الكوفيون: هي بمعنىٰ «إلَّا» الموجِبة بعد النفي .

٣٠٢. لا: ثلاثة أنواع:

[١] نافية.

[٢] وناهية.

[٣] وزائدة.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أي».

(٢) في د: «التقليل».

٣٠٣. **اللام: خمسة أنواع:**

[١] لام الجرِّ.

[٢] ولام كي.

[٣] ولام الجحود.

[٤] ولام الأمر.

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره؛ وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجرِّ لها ثلاثة معان: الـمِلك، والاستحقاق، والتعليل.

وقد تأتي للتعدي إذا ضعُفَ العامل.

وقد تأتي بمعنىٰ «عندَ»؛ نحو: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٣]، و﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولام كي معناها: السببيَّة، والتعليل.

وقد تأتي بمعنىٰ الصيرورة في العاقبة؛ نحو: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا﴾ [القصص: ٧].

وقد تأتي بمعنىٰ «أنْ» المصدرية؛ ومنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦].

حرف الميم

٣٠٤. مرضُ الجسد: معروف.

ومرض القلب: الشكُّ في الإيمان، والبُغضة في الدين.

٣٠٥. الـمَنُّ: شبه العسل.

وقيل: خبزُ[1] النَّقِيِّ.

والسلوىٰ: طائر.

والمنُّ -أيضًا-: الإنعام.

---

(١) في د: «الخبز».

والمنُّ -أيضًا-: ذِكْرُ العطيَّة.

والمنُّ -أيضًا-: القطع؛ ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٧].

٣٠٦. أمانيُّ: جمع أمنيَّةٍ، ولها ثلاثة معان:

[١] ما تتمنَّاه النفس.

[٢] والتلاوة.

[٣] والكذب.

وكذلك تمنَّىٰ؛ له هذه المعاني الثلاثة.

٣٠٧. ملأُ القومِ: أشرافُهم، وذَوو الرأي منهم.

٣٠٨. مَثَلٌ -بفتح الميم والثاء- **له أربعة معان:**

[١] الشبيه والنظير.

[٢] ومِن المثَل المضروب؛ وأصله من التشبيه.

[٣] ومثَل الشيء: حالُه وصفته.

[٤] والمثَل: الكلام الذي يُتمثَّل به.

ومِثْل الشيء -بكسر الميم-: شِبْهه.

٣٠٩. مِريةٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أي: الشاكِّين.

و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [الكهف: ٢٢] مِن المِراء؛ وهو الجدال.

٣١٠. أملَىٰ لهم: أمهَلهم وزادهم.

٣١١. مهاد: فراش.

٣١٢. مدَّ يمُدُّ: أي: أملىٰ.

وقد تكون بمعنىٰ: زاد؛ مثل: أمدَّ بالألف من المَدَد(١).

٣١٣. مُضغةٌ: قطعة لحم.

---

(١) في ب، د: «المداد».

٣١٤. **إملاقٌ**: فقر.

٣١٥. **مَريد و مارد**: من العُتوِّ والضلال.

٣١٦. **مكانةٌ**: بمعنىٰ: مكان.

أو: من التمكين[1] والعزِّ؛ ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧. **مَواخرُ**: فواعل من المَخْرِ؛ يقال: مَخَرَت السفينةُ: إذا جرَت تشقُّ الماء.

٣١٨. **مَجيدٌ**: من المجد؛ وهو الكرم والشرف.

٣١٩. **مقْتٌ**: هو الذم، أو البغض علىٰ فعل القبيح.

٣٢٠. **مَعينٌ**: ماءٌ جارٍ كثيرٌ؛ وهو من قولك: معَن الماء أي: كثر.

وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه: مفعول؛ فالميم زائدة.

٣٢١. **مَريج**: مختلِط.

والمارج: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء: إذا اضطرب.

وقيل: من الاختلاط؛ أي: خُلط نوعان من النار.

٣٢٢. **مرج البحرين**: أي: خلَّىٰ بينهما.

وقيل: خلَطهما.

وقيل: أفاض أحدَهما في الآخر.

٣٢٣. **مُهْلٌ**: فيه قولان:

دُرْدِيُّ الزيت[2].

وما أُذيب من النحاس.

٣٢٤. **مَنون**: له معنيان:

[١] الموت.

[٢] والدهر.

---

(١) في د: «التمكُّن».

(٢) هو ما يبقىٰ في أسفله. «لسان العرب» مادة (درد).

٣٢٥. مس: له معنيان:

[١] اللمس باليد وغيره.

[٢] والجنون.

٣٢٦. مَن: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] ونكرة موصوفة.

٣٢٧. ما:

[أ] إذا كانت اسمًا فلها ستة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] وموصوفة.

[٥] وصفة.

[٦] وتعجبية.

[ب] وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع:

[١] نافية.

[٢] ومصدرية.

[٣] وزائدة.

[٤] وكافَّة.

[٥] ومهيِّئة(١).

---

(١) أي: تهيئ «إن» وأخواتها للدخول على الجمل. انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (١/ ٣١٠).

٣٢٨. **مِن: لها ستة أنواع:**

[١] لابتداء الغاية.

[٢] ولجملة الغاية.

[٣] وللتبعيض.

[٤] ولبيان الجنس.

[٥] وللتعليل.

[٦] وزائدة.

٣٢٩. **مهما**: اسم شرط.

حرف النون

٣٣٠. **نظَرَ: له معنيان:**

[١] من النَّظَر.

[٢] ومن الانتظار.

فإذا كان من الانتظار: تعدَّىٰ بغير حرف.

ومِن نظر العين: يتعدىٰ بـ«إلىٰ».

ومِن نظر القلب: يتعدىٰ بـ«في».

٣٣١. **أَنظَر** -بالألف-: أَخَّر؛ ومنه: ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٣]، و﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤]، و﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

٣٣٢. **نَضْرةٌ** -بالضاد-: من التنعُّم؛ ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢١] أي: ناعمة.

وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]: فهو من[1] النظر.

٣٣٣. **نعمة**: بفتح النون: من النَّعيم.

وبكسرها: من الإنعام.

(١) في ب، ج، هـ: «فمن».

٣٣٤. **أَنعام**: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكيرها وتأنيثها.

ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٣٣٥. **نِعْمَ**: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

٣٣٦. **نَعَمْ** -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافَقة علىٰ ما قبلها من نفي أو إثبات.

بخلاف «بلىٰ»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٣٣٧. **نِـدٌّ**: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أندادٌ.

٣٣٨. **أَنْذَر**: أعلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿ نَذِيرٍ ﴾[المائدة: ٢١]، و﴿ مُنذِرٌ ﴾[الرعد: ٨]، و﴿ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، و﴿ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٨] أي: إنذاري؛ فهو مصدر؛ ومنه: ﴿ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ١٦].

ونَذَر النَّذْرَ: بغير ألف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، و﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧] .

٣٣٩. **نكالٌ**: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٣٤٠. **نجَّىٰ** -بتشديد الجيم-: له معنيان:

[١] من النجَاة.

[٢] ومن النجْوة؛ وهو الموضع المرتفع؛ ومنه: ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢] علىٰ قول.

٣٤١. **نجوىٰ**: معناه: كلامٌ خفي؛ ومنه: ناجىٰ، و﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢] .

وقيل: إنه يكون بمعنىٰ الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٤٧] .

وقد يحمل ذلك علىٰ حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوىٰ.

٣٤٢. **نسيان: له معنيان:**

[١] الذُّهول؛ ومنه: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

[٢] والتَّرك؛ ومنه: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣٤٣. **نسخٌ: له معنيان:**

[١] الكتابة؛ ومنه: ﴿نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

[٢] والإزالة؛ ومنه: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٥].

٣٤٤. **نصرٌ** -بالصاد المهملة-: معروف.

وبالسين: اسم صنم؛[1] ﴿وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٤].

واسم طائر -أيضًا-.

٣٤٥. **نشور**: خروج الناس من القبور، يقال: أَنشرهم الله فنَشَرُوا.

و﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرَۢا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ لأنها تنشر السحاب.

٣٤٦. **نشوز** -بالزاي-: له معنيان:

[١] شرٌّ بين الرجل والمرأة.

[٢] وارتفاعٌ؛ ومنه: ﴿ٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان.

٣٤٧. **نُزُلٌ** -بضمتين-: رِزقٌ؛ وهو ما يطعم الضيف.

٣٤٨. **نأىٰ**: أي: بعُدَ؛ ومنه: ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ [الأنعام: ٢٧].

٣٤٩. **نكَص**: رجع إلىٰ وراء.

٣٥٠. **نفَر نُفورًا عن الشيء**: ينفُر -بضم المضارع-؛ ومنه: نفرت الدابة.

ونفَر ينفِر -بكسر المضارع- نفيرًا: أي: أسرع وجدَّ؛ ومنه: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) في د زيادة: «ومنه».

٣٥١. نبأٌ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترْكُ الهمز تخفيفٌ.

وقيل: إنه -عند من ترك الهمز- مشتقٌّ من النَّبْوَة؛ وهي الارتفاع.

٣٥٢. نطفةٌ: أي نقطةٌ من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١] يعني: من المنيِّ.

٣٥٣. أناب إلىٰ الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤].

٣٥٤. نفِد ينفَد: أي: تمَّ وانقطع.

٣٥٥. نهرٌ -بفتح الهاء-: الوادي، ويجوز الإسكان.

وأمَّا ﴿ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ١٠]: فهو من الانتهار؛ وهو الزَّجر.

٣٥٦. منيرٌ: من النور؛ وهو الضوءُ حسًّا أو معنًىٰ.

٣٥٧. نصبٌ: بضمتين، وبضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد: بمعنًىٰ واحدٍ؛ وهو حجَر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.

٣٥٨. نَصَبٌ -بفتحتين-: تعبٌ، و﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ [ص: ٤١] أي: بلاءٍ وشرٍّ.

٣٥٩. نقَم الشيءَ ينقِمه: أي: كرهه وعابه.

٣٦٠. نضيدٌ: منضودٌ بعضه إلىٰ بعض.

٣٦١. نكيرِي: إنكاري[1]، ويقال: نكَر الشيء وأنكره: بمعنًىٰ[2].

٣٦٢. يَنسِلون: من النَّسَلان؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الـخُطا.

---

(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحد».

حرف الصاد

٣٦٣. **صراطٌ**: هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنىٰ: الطريقة الدينية.

وأصله السين، ثم قلبت صادًا؛ لحرف الإطباق بعدها.

وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

٣٦٤. **صلاة**: إذا كانت من الله: فمعناها رحمة.

وإذا كانت من المخلوق: فلها معنيان:

[١] الدعاء.

[٢] والأفعال المعلومة.

٣٦٥. **صومٌ**: أصله في اللغة: الإمساك مطلقًا.

ثم استعمل شرعًا في: الإمساك عن الطعام والشراب(١).

وقد جاء بمعنىٰ الصمت في قوله: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً﴾ [مريم: ٢٥]؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام.

٣٦٦. **صدَقة**: ينطلق(٢) علىٰ: الزكاة الواجبة، وعلىٰ التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدِّقين [الحديد: ١٧].

وأما: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧. **صدُقة** -بضم الدال-: صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨. **الصدق**: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسْن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

---

(١) في هامش ب: «والجماع».

(٢) في د: «تطلق».

٣٦٩. صعِد يصعَد أي: ارتفع.

وأَصعد -بالألف- يُصعِد -بالضم- أي: أبعد في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠. صعيدًا طيبًا: أي: ترابًا.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١. صدَّ: له معنيان:

[١] فالمتعدِّي: بمعنىٰ: منع غيرَه من شيءٍ، ومصدره: صَدٌّ، ومضارعه بالضم.

[١] وغيره: بمعنىٰ: أَعرض، ومصدره: صدودٌ.

٣٧٢. صار: له معنيان:

[١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٠]، و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾.

[٢] وبمعنىٰ: ضَمَّ، ومضارعه: يَصور؛ ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٣٧٣. صاعقة: لها ثلاثة معان:

[١] الموت.

[٢] وكلُّ بلاءٍ يصيب.

[٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.

وجمعها: صواعق.

٣٧٤. أَصَرَّ على الذنب يُصِرُّ إصرارًا: دام عليه، ولم يتبْ منه.

٣٧٥. صُواعٌ: مِكيالٌ؛ وهو السقاية والصاع.

وسُواع -بالسين-: اسم صنم.

٣٧٦. صابين[1]: قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.

وقيل: إنهم يرون بتأثير الكواكب.

(١) كذا رسمت كلمة «صابئين» في النسخ الخطية بغير همزٍ؛ اتباعًا لقراءة نافع.

وفيه لغتان: الهمز، وتركُه؛ مِن: صَبا إلىٰ الشيء: إذا مال إليه.

٣٧٧. تصطَلون: تَفتعِلون؛ مِن: صَلِيَ بالنار[1]: إذا تسخَّن بها، والطاء بدل من التاء.

٣٧٨. اصطفىٰ: أي: اختار، وأصله: من الصَّفا؛ أي: اتخذه صفيًّا.

٣٧٩. صَغارٌ -بفتح الصاد-: ذِلَّةٌ؛ ومنه: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والصغير: ضد الكبير.

٣٨٠. صدَف عن الشيء يَصدِف: أعرض عنه.

٣٨١. صَرِيخٌ: مُغيث؛ ومنه: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣٨٢. صلصال: طين يابس.

فإذا مسَّته النار: فهو فخَّار.

٣٨٣. صرْحٌ: قصر.

وهو -أيضًا-: البناء العالي.

حرف الضاد

٣٨٤. ضرب: له أربعة معان:

[١] مِن الضرْب باليد وشبهه.

[٢] ومن ضرب الأمثال.

[٣] ومن السفر؛ ومنه: ﴿ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النساء: ١٠٠].

[٤] ومن الالتزام؛ ومنه: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي: أُلزِموها.

و﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ [الكهف: ١١] أي: ألقينا عليهم النوم.

و﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾ [الزخرف: ٥] أي: نُمسك عنكم التذكير.

---

(١) في د: «النارَ».

٣٨٥. **ضاعف الشيءَ**: كثَّره، ويجوز فيه التشديد.

وضِعف الشيء -بكسر الضاد-: مِثلاه، وقيل: مِثْله.

والضِّعف -أيضًا-: العذاب.

والضُّعف بالضم: يجوز[1] فيه الفتح .

٣٨٦. **ضرٌّ** -بفتح الضاد وضمها-: بمعنًىٰ.

وكذلك **الضير** -بالياء-؛ ومنه: ﴿لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والضرَّاء: ما يصيب من المرض وشبهه.

٣٨٧. **ضحىٰ**: أول النهار، والفعل منه: أَضحىٰ.

وأما **ضَحِيَ** -بكسر الحاء- يَضحَىٰ في المضارع فمعناه: بَرَز للشمس، وأصابه حرُّها؛ ومنه: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٦].

٣٨٨. **ضيفٌ**: يقال للواحد، والاثنين، والجماعة.

٣٨٩. **ضِيق** -بكسر الضاد-: مصدر.

وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيفٌ من ضَيِّق المشدد؛ كمَيِّت ومَيْت .

حرف العين

٣٩٠. **عاذ بالله يعوذ**: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.

ويقال -أيضًا-: **استعاذ يَستعيذ**.

ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾ [غافر: ٢٧]،و﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٢٣].

٣٩١. **العالمين**: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوىٰ الله تعالىٰ.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصةً؛ لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

---

(١) في ب، د: «ويجوز».

٣٩٢. **يعمهون**: يتحيَّرون في ضلالهم، والعَمَهُ: الحيرة .

٣٩٣. **عدَل يعدِل عدْلًا**: ضدُّ جَارَ.

وعدَل عن الحق عُدولًا.

وعدَلتُ فلانًا بفلان: سوَّيتُ بينهما؛ ومنه: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ٢] .

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [الأنعام: ٧٠].

[٣] ومِثْلُ الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً﴾ [المائدة: ٩٧].

٣٩٤. **عزيز**: اسم الله تعالىٰ، معناه: الغالب(١).

وعزَّ: غلَب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلىٰ: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٣] أي: قوَّينا.

وقيل: العزيز: العديم المثل.

٣٩٥. **عفا: له أربعة معان:**

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقَّه؛ ومنه: ﴿إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوْاْ﴾ [الأعراف: ٩٤] .

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦. **عفُوٌّ: له ثلاثة معان:**

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

---

(١) **[التعليق ٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك**: هذا تفسير للاسم ببعض معناه؛ فإن العزَّة تتضمَّن القهر والغلبة والقوة وعدم النظير، وهو تعالىٰ عزيزٌ بكل معاني العزَّة.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣٩٧. عَينٌ: له في القرآن معنيان:

[١] العين المبصرة.

[٢] وعين الماء.

وله في غير القرآن معانٍ كثيرةٌ.

٣٩٨. عِينٌ -بكسر العين-: واسعاتُ العيون؛ وهو جمع عَيناءَ.

٣٩٩. عنَتٌ: معناه الهلاك، أو المشقة؛ ومنه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٨] أي: لأهلككم، أو ضيَّق عليكم.

والعنَت -أيضًا-: الزنا؛ ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾[النساء: ٢٥].

وأما: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ [طه: ١٠٨] فليس من هذا؛ لأن لامَه واوٌ، فهو من: عنا يعنو: إذا خضع.

٤٠٠. عاقب: له معنيان:

[١] من العقوبة على الذنب.

[٢] ومن العُقبىٰ؛ ومنه: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ [الممتحنة: ١١] أي: أصبتم عقبىٰ.

٤٠١. أَعجاز نخل: أصولها.

٤٠٢. أعجز[١] الشيءُ: إذا فات ولم يُقدَر عليه؛ ومنه: ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَۖ﴾ [الزمر: ٤٨]، و ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ﴾ [فاطر: ٤٥].

وأما ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٤٩] -بالألف- فمعناه: مسابقين.

٤٠٣. عال يَعيل عَيلةً: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾ [الضحىٰ: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول -أيضًا-: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنىٰ: أعال[٢] بالألف.

(١) في د: «أعجزه».

(٢) لم ترد في ب، ج، هـ.

٤٠٤. عرَج يَعرُج -بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع-: صعِد وارتقىٰ؛ ومنه: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

وعرِج -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع-: صار أعرج.

٤٠٥. عُتبَىٰ: معناه: الرِّضا؛ ومنه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، و﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦. أعدَّ -بالألف-: يسَّر الشيءَ وهيأَه.

وعدَّ -بغير ألف-: من العَدد.

٤٠٧. عرشٌ: سرير الـمَلِك؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، و﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾[النمل: ٤٣].

وعرش الله: فوق السماوات.

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون(١).

و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٨]: سقوفها.

٤٠٨. عورةٌ: أصلُ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل: عورة الإنسان.

و﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ [النور: ٥٦] أي: أوقاتِ انكشافٍ.

و﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةٌ معرَّضة للسُّرَّاق.

٤٠٩. عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

(١) في النسخ المعتمدة: «و«تعرشون»: تبنون»، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتُّه، وهو موافق لإحدىٰ النسخ الخطية التي لم أعتمدها أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.

٤١٠. **عبَر يَعْبُر: له معنيان:**

[١] من عِبارة الرؤيا؛ ومنه: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١. **عَمُونَ وعَمِينَ**(١): جمع عَمٍ؛ وهو صفة على وزن فَعِل -بكسر العين-؛ من العمَى في البصر، أو في البصيرة.

٤١٢. **علا يعلو**: تكبَّر؛ ومنه: ﴿فَوْماً عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] و﴿عَلاَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٣].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلوِّ؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به(٢).

٤١٣. **عزَب الشيءُ**: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفى عنه(٣).

٤١٤. **عُصبةٌ**: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥. **علَقةٌ**: واحدةُ العلَقِ؛ وهو الدَّم.

٤١٦. **عاصفٌ**: ريح شديدة.

٤١٧. **عصْفٌ**: ورقُ الزرعِ.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

(٢) [التعليق ٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُهُ: «مِن العُلُوِّ؛ بمعنى: الجلالِ والعَظَمة ...»، إلخ: أقولُ:
يلاحَظُ أنه اقتصَرَ على معنيَيْنِ مِن معاني العُلُوِّ:
الأوّل: الجلالُ والعَظَمةُ؛ المتضمِّنُ لعلوِّ القهر.
والثاني: التنزيهُ للهِ عما لا يليقُ به؛ وهذا يتضمَّنُ علوَّ القَدْرِ.
ولم يذكُرْ ﷺ عُلُوَّ الذاتِ، وهو ارتفاعُهُ تعالى فوقَ جميعِ المخلوقاتِ، مستوِيًا على عَرْشِه. وهذا هو الذي اختلَفَ فيه أهلُ السُّنَّةِ والمبتدِعةُ؛ كالجهميَّةِ ومَن وافَقَهم؛ فاسمُهُ: «العَلِيُّ» سبحانه، يتضمَّنُ معانيَ العلوِّ الثلاثةَ، والله أعلم.

(٣) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».

حرف الغين

٤١٨. غِشاوة: غطاءٌ؛ إما حقيقةً، أو مجازًا.

٤١٩. غمام: هو السحاب.

٤٢٠. غُلْفٌ: جمع أَغلف؛ وهو كلُّ شيء جعلتَه في غلاف؛ أي: قلوبنا محجوبة.

٤٢١. غُرفةٌ -بضم الغين- لها معنيان:

[١] المسكن المرتفع.

[٢] والغرفة من الماء بالضم، وبالفتح: المرة الواحدة.

٤٢٢. غادر: ترك؛ ومنه: ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ [الكهف: ٤٨](١).

٤٢٣. غلَّ يغُلُّ: من الغلول؛ وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق.
والغِلُّ: الحقد.

٤٢٤. أغلال: جمع غُلٍّ -بالضم-؛ وهو ما يجعل في العنق، ومنه: ﴿مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤٢٥. غلا يغلو: من الغلوِّ؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط؛ ومنه: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦. غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧. غَشِيَ الأمر يَغشَىٰ -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- معناه: غطَّىٰ حسًّا أو معنًىٰ؛ ومنه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يغطِّي بظلامه.
ويُنقَل(٢) بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غشَّىٰ وأَغشىٰ.

---

(١) في ب، ج، هـ: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الكهف: ٤٧].

(٢) في د: «ويستعمل»، وفي نسخة خزانة القرويين: «ويُقال»، والمثبت هو الصواب، ومعنىٰ «يُنقل» أي: يتعدَّىٰ، فيتعدىٰ الفعل «غشي» بالهمزة وبالتشديد إلىٰ مفعولين بعد أن كان يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد. انظر: التذييل والتكميل شرح التسهيل، لأبي حيان (٧/ ٥٧).

و﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤٠] يعني: ما يغشاهم[1] من العذاب أي: يصيبهم؛ ومنه: ﴿ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٧].

والغاشية -أيضًا-: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨. **غبَر**: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿ عَجُوزاً فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

٤٢٩. **غرور** -بضم الغين-: مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

٤٣٠. **غاض الشيءُ**: نقص؛ ومنه: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٩].

وغاظ يغيظ -بالظاء المشالة-: من الغَيظ.

٤٣١. **غَورٌ**: أي: غائر؛ من غار الماء: إذا ذهب.

٤٣٢. **غرام**: عذاب؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٩].

والـمَغرَم: غُرْم المال؛ ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور: ٤٦].

حرف الفاء

٤٣٣. **فُرقان**: أي: مفرِّقٌ بين الحق والباطل؛ ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: تَفرِقةً.

ولذلك سمي القرآن: بالفرقان.

٤٣٤. **فئة**: جماعة من الناس.

---

(١) في ج، د: «يغشيهم».

٤٣٥. **فِصالٌ**: فطام من الرَّضاع.

٤٣٦. **فضْلٌ**: له معنيان:

[١] الإحسان.

[٢] والربح في التجارة وغيرها؛ ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ١٨].

٤٣٧. **فسق**: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنىٰ الكفر، وتارة بمعنىٰ العصيان.

٤٣٨. **فتنة**: لها ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والاختبار.

[٣] والتعذيب.

٤٣٩. **فاءَ يَفيءُ**: أي: رجع.

٤٤٠. **فُلْكٌ** -بضم الفاء-: أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع .

٤٤١. **فَلَكٌ** -بفتحتين-: القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢. **فزع**: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ فَزِعُواْ فَلاَ فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١].

٤٤٣. **فرح**: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤. **فاحشة وفحشاء**: هي كل ما يَقبُح ذكره من المعاصي.

٤٤٥. **فرضٌ**: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦. **فتح: له معنيان:**

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، ويقال للقاضي: فتَّاح.

واسم الله تعالىٰ الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق النصر والفتح(١).

٤٤٧. **انفضُّوا:** أي: تفرَّقوا.

٤٤٨. **فطَرَ:** خلقه ابتداءً؛ ومنه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٥].

و﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٢٩]: الـخِلْقة التي خلَق الخلْق عليها.

وأفطر -بالألف-: من الطعام.

٤٤٩. **فُطورٌ:** شقوق؛ ومنه: ﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١]، أي: انشقَّت، و﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [مريم: ٩١].

٤٥٠. **فجٌّ:** طريق واسع، وجمعه: فِجاجٌ.

٤٥١. **فار التنور:** يقال لكلِّ شيءٍ هاج وغلا حتىٰ فاض؛ ومنه: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]، وقولهم: فارت القدر.

٤٥٢. **فَوجٌ:** جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

٤٥٣. **فاكهين:** من التلذُّذ بالفاكهة.

أو من الفَكَاهة؛ وهي السُّرور واللهو.

٤٥٤. **فؤاد:** هو القلب، وجمعه: أفئدة.

٤٥٥. **استفزَّ يَستفِزُّ:** أي: استخفَّ.

٤٥٦. **فقه:** فهم؛ ومنه: ﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾، و﴿مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا﴾ [هود: ٩١].

---

(١) [التعليق١٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: كلٌّ من المعنيين صحيح: الحاكم وخالق النصر، ويشهد للأول قوله تعالىٰ عن شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ونصرُه تعالىٰ لأوليائه علىٰ أعدائه نوعٌ من الحكم الكوني، وصيغة الفتَّاح تدل علىٰ كثرة الفتح، كالغفَّار والخلَّاق والرَّزَّاق، وفي الجملة ما قاله المفسِّر مستقيم.

٤٥٧. في: حرف جر بمعنىٰ الظرفية.

وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنىٰ «مع».

وقيل: بمعنىٰ «علىٰ».

٤٥٨. الفاء: ثلاثة أنواع:

[١] عاطفة.

[٢] ورابطة.

[٣] وناصبة للفعل بإضمار «أنْ».

ومعناها: الترتيب، والتعقيب، والتسبيب[1].

حرف القاف

٤٥٩. قرآن: له معنيان:

[١] الكتاب العزيز.

[٢] ومصدرُ: قَرَأَ؛ أي: تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦].

٤٦٠. قنوتٌ: له خمسة معان:

[١] العبادة.

[٢] والطاعة.

[٣] والقيام في الصلاة.

[٤] والدعاء.

[٥] والسكوت.

٤٦١. قضاءٌ: له سبعة معان:

[١] الحُكْم.

[٢] والأمر.

---

(١) في د: «والتسبب».

[٣] والقدَر السابق.

[٤] وفعل الشيء.

[٥] والفراغ منه.

[٦] والموت.

[٧] والإعلام بالشيء؛ ومنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

٤٦٢. **قدَرَ: له خمسة معان:**

[١] من القُدْرة.

[٢] ومن التَّقدير.

[٣] ومن المِقْدار.

[٤] ومن القدر والقضاء.

[٥] وبمعنى التَّضييق؛ نحو: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

وقد يشدَّد الفعل ويخفَّف.

والقدرُ -بفتح الدال وإسكانها-: القضاء، والمقدار.

وبالفتح لا غير: من القضاء.

٤٦٣. **قام: له ثلاثة معان:**

[١] من القيام على الرِّجلين.

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه؛ ومنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

[٣] وقام الأمرُ: ظهر واستقام؛ ومنه: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

٤٦٤. **أقام: له ثلاثة معان:**

[١] أقام الرجل غيرَه؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧].

[٣] وأقام في الموضع: سكَن؛ ومنه: ﴿مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥. **قيُّوم**: اسم الله تعالىٰ؛ وزنه فَيْعُول؛ وهو بناءُ مبالغةٍ؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبِّر الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿فَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

٤٦٦. **قِيام**: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنىٰ: قِوَام الأمر ومِلَاكه.

وقِيَم -بغير ألف-: جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧. **قرضٌ**: سلفٌ؛ والفعل منه: أَقرض يُقرِض.

٤٦٨. **أَقسطَ** -بالألف- قِسْطًا[1]: عدَل في الحكم؛ ومنه: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقَسَط -بغير ألف-: جارَ؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن: ١٥].

٤٦٩. **مقاليد**: فيه قولان: خزائن، ومفاتح[2].

٤٧٠. **قدَّس يُقدِّس**: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

والقُدُّوس: اسم الله تعالىٰ، فُعُّول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١. **قال يقول**: من القول.

وقد يكون بمعنىٰ الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلٌ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَآيِلُونَ﴾ [الأعراف: ٣] ،و ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢. **قفَىٰ**: اتَّبع؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفوته: إذا جئتَ في أثَره.

وقفَّيت -بالتشديد-: إذا سقتَ شيئًا في أثَره؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾[البقرة: ٨٦]

---

(١) في د: «يُقسِط».

(٢) في ج، هـ: «ومفاتيح».

٤٧٣. قَرْنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤. قواعد البيت: أساسُه، واحده: قاعدة.

و﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٥٨]: واحدهُ: قاعدٌ؛ وهي العجوز.

٤٧٥. قُربانٌ: ما يتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ من الذبائح وغيرها.

وقربان -أيضًا-: من القَرابة.

٤٧٦. قلَىٰ يَقلِي: أبغض؛ ومنه: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٣] ، و ﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧. اقترف: اكتسب حسنةً، أو سيئة.

٤٧٨. قَصصٌ: له معنيان:

[١] من الحديث.

[٢] ومن قصِّ الأثر؛ ومنه: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ [الكهف: ٦٣]، و ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١٠].

٤٧٩. قَرِرْتُ به عينًا أَقَرُّ: بالكسر في الماضي والفتح في المضارع.

وقَرَرْتُ في المكان: بالفتح في الماضي والكسر في المضارع .

٤٨٠. قسطاسٌ: ميزان.

٤٨١. قتَر وقتَرةٌ: غبار.

وهو عبارة عن تغيُّر الوجه.

٤٨٢. قُتورٌ: من التقتير.

٤٨٣. قارعة: داهية وأمر عظيم.

٤٨٤. قبسٌ: شعلة نارٍ.

٤٨٥. قَنِطَ: يئس من الخير.

٤٨٦. قرطاس: صحيفة، وجمعها: قراطيس.

حرف السين

٤٨٧. أسباطٌ: جمع سِبطٍ؛ وهم ذرية يعقوب عليه السلام، كان له اثنا عشر ولدًا ذكرًا، فأعقب كلُّ واحد منهم عَقبًا.

والأسباط في بني إسرائيل: كالقبائل في العرب.

٤٨٨. سبيل: هو الطريق، وجمعه: سُبُلٌ.

ثم استعمل في طريق الخير والشر.

وسبيل الله: الجهاد.

وابن السبيل: الضيف، وقيل: الغريب.

٤٨٩. سَوَّىٰ -بالتشديد-: له معنيان:

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء.

[٢] وبمعنىٰ: أتقن وأحسن؛ ومنه: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

٤٩٠. سَواءٌ -بالفتح والهمز-: من التسوية بين الأشياء.

و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]: وسَطها.

و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢١]: قَصْدُ الطريق.

٤٩١. سِوَىٰ -بالكسر أو الضم مع ترك الهمز-: استثناءٌ.

وقد يكون من التسوية.

٤٩٢. سفهاء: جمع سفيه؛ وهو الناقص العقل.

وأصل السَّفَهِ: الخفَّة؛ ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

٤٩٣. سلوىٰ: طائرٌ يشبه السُّمَانَىٰ، وكان ينزل علىٰ بني إسرائيل مع المنِّ.

٤٩٤. سأل: له معنيان:

[١] طلب الشيء.

[٢] والاستفهام عنه.

وسال -بغير همز-: من المعنيين المذكورين، ومن السَّيل.

٤٩٥. **سبحان**: تنزيه، وسبَّحتُ الله أي: نزَّهتُه عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث[1] وجميعِ العيوب والنقائص.

٤٩٦. **سار يسير**: مشىٰ ليلًا أو نهارًا.

٤٩٧. **سرَىٰ يَسرِي**: مشىٰ ليلًا، ويقال -أيضًا-: أَسرىٰ -بالألف-.

٤٩٨. **سَخِر يَسخَر** -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأَ.

٤٩٩. **سخَّرَ** -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠. **سخريًّا بضم السين**: من السُّخْرَة؛ وهو تكليف الأعمال.
وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١. **سلطان**: له معنيان:
[١] البرهان.
[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣١].

٥٠٢. **سام يسوم**: أي: كُلِّف الأمرَ وأُلزِمَه؛ ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٨].
وأصله: من سوم السلعة في البيع .

٥٠٣. **سئِم يَسأم**: أي: ملَّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لاَ يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٥٠٤. **سُنَّة**: أي: عادة.

٥٠٥. **سلَف الأمرُ**: أي: تقدَّم.
وأَسلفه الرجلُ: أي: قدَّمه؛ ومنه: ﴿هَنِيئاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٣].

---

(١) [التعليق ١١] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «وصفاتِ الحُدُوث»: أقولُ: هذا لفظٌ مجمَلٌ يَحتمِلُ حقًّا وباطلًا: فإنْ أُريدَ بـه: تنزيهُهُ تعالىٰ عن وصفِهِ بشيءٍ مِن خصائصِ المخلوقِ مما يستلزِمُ تمثيلَهُ سبحانه بخَلْقِه -: فهو حقٌّ. وإنْ أُريدَ به: تنزيهُهُ عما يكونُ بمشيئتِهِ تعالىٰ مِن أفعالِهِ (وهو ما يعبِّرون عنه بحلولِ الحوادثِ، ويَقصِدونَ نفيَ قيامِ الأفعالِ الاختياريَّةِ به) -: فإنَّ ذلك باطلٌ. وهذا أصلٌ عند أكثرِ المتكلِّمين؛ فإنهم يقولون: إنه تعالىٰ منزَّهٌ عن حلولِ الحوادثِ، يريدونَ: نفيَ قيامِ الأفعالِ الاختياريَّةِ به سبحانه؛ كالمجيءِ، والنزولِ، والاستواءِ على العَرْش، والله أعلم.

٥٠٦. **سرَّاء**: فَعْلاء؛ من السرور.

٥٠٧. **سارع إلىٰ الشيء**: بادر إليه.

٥٠٨. **إسراف**: إفراط.

والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفرِطون في الكفر والمعاصي.

٥٠٩. **سَوأَة**: عورة.

والسوءُ: ما يسوءُ -بالفتح والضم-.
و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ٩]: فُعْلىٰ؛ من السوء.
و﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [هود: ٧٦]: فُعِل بهم السوء.

٥١٠. **سَنَةٌ** -بفتح السين-: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.

وقد تقال بمعنىٰ: القحط والجدب.

٥١١. **سِنَةٌ** -بكسر السين-: ابتداءُ النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسَن .

٥١٢. **سلَك يسلُك**: له معنيان:

[١] أدخل؛ ومنه: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢]، و﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢٠] .
[٢] ومِن: سلوك الطريق.

٥١٣. **أسفارٌ**: جمع: سَفَرٍ -بفتحتين-.

وجمع: سِفْرٍ؛ وهو الكتاب.

٥١٤. **ساح يسيح**: أي: سار؛ ومنه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢].
و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٣]: الصائمون.

٥١٥. **سوَّل** -بتشديد الواو-: زيَّن؛ ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [يوسف: ١٨].

٥١٦. **سرابيل**: جمع سربال؛ وهو القميص.

٥١٧. **سبأ**: قبيلة من العرب.

٥١٨. سَموم: شدَّةُ الحرِّ.

٥١٩. سلام: له ثلاثة معان:

[١] التحية.

[٢] والسلامة.

[٣] والقول الحسن؛ ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٥٢٠. سلام: اسم الله تعالىٰ؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من أسماء التنزيه.

وقيل: مُسلِّم العباد من المهالك.

وقيل: ذو السلام علىٰ المؤمنين في الجنة.

٥٢١. سَلَمٌ -بفتحتين-: انقيادٌ، وإلقاءٌ باليد.

وهو -أيضًا- بَيعٌ.

٥٢٢. سَلْم -بفتح السين وإسكان اللام-: صُلح ومهادنة.

٥٢٣. سِلْم -بكسر السين وإسكان اللام-: معناه: الإسلام.

٥٢٤. سُلَّم -بضم السين وفتح اللام مشددةً-: هو الذي يُصعَد فيه.

٥٢٥. أسلم يُسلِم: له ثلاثة معان:

[١] الدُّخول في الإسلام.

[٢] والإخلاص لله.

[٣] والانقياد؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣].

٥٢٦. سعىٰ يسعىٰ: له ثلاثة معان:

[١] عَمِل عمَلًا؛ ومنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨].

[٢] ومشىٰ؛ ومنه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

[٣] وأسرع في مَشيه؛ ومنه: ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠].

٥٢٧. **سكن يسكن: له معنيان:**

[١] من السكون ضد الحركة.

[٢] ومن السُّكْنىٰ في الموضع.

٥٢٨. **سكينة**: وقار وطُمَأنينة .

٥٢٩. **سائغ**: سهل للشَّراب[١]، لا يَغَصُّ به من شربه .

٥٣٠. **سابغات**: دروع واسعات طوال.

٥٣١. **أساطير الأولين**: ما كتبه المتقدمون.

٥٣٢. **مسيطر**: أي مُسَلَّط.

و﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥] أي: الأرباب.

٥٣٣. **سندس وإستبرق**: ثياب حرير.

وقيل: السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.

٥٣٤. **سحقًا**: بُعْدًا؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد.

٥٣٥. **سعير**: جهنم.

و﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]: أُوقدت.

٥٣٦. **سبب** -وجمعه: أسباب-: **له خمسة معان:**

[١] الحبل؛ ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥] .

[٢] والاستعارة من الحبل في المودَّة والقرابة؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٥].

[٣] والطريق؛ ومنه: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾ [الكهف: ٨٤].

[٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَابَ ٱلسَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٧].

[٥] وسبب الأمر: مُوجِبه .

---

(١) في ب: «للشرب».

حرف الشين

٥٣٧. **شعَر**: بالأمر يشعُر: أي: عَلِمه.

والشعور: العلم من طريق الحسِّ؛ ومنه: ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١].

٥٣٨. **شهِد يَشهَد**: له معنيان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

٥٣٩. **شهداء**: جمع شهيد؛ وله ثلاثة معان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله.

٥٤٠. **شكر**: قد تقدم في الحمد(١).

والشَّاكر والشَّكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب.

وقيل: المثني على العباد.

٥٤١. **شرَىٰ**: أي: باع.

وقد يكون بمعنىٰ: اشترىٰ.

٥٤٢. **شِقاقٌ**: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

٥٤٣. **شهاب**: كوكب.

وقد يطلق على شعلة النار.

٥٤٤. **شجر**: هو كل ما ينبت في الأرض.

و﴿شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٤] أي: اختلفوا فيه.

---

(١) انظر المادة (١٢٦).

٥٤٥. **شنآن**: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

٥٤٦. **شرَع الله الأمرَ**: أي: أمر به.

والشريعة والشرعة: الملة.

وشَرَعت الدَّوابُّ في الماء.

٥٤٧. **شعائرُ الله**: معالم دينه، واحدها: شَعيرة أو شِعارة.

٥٤٨. **شِرْكٌ**: له معنيان:

[١] من الإشراك.

[٢] وهو -أيضًا- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

٥٤٩. **شركاء**: جمع شريك.

٥٥٠. **مشحون**: أي: مملوء.

حرف الهاء

٥٥١. **الـهُدَىٰ**: له معنيان:

[١] الإرشاد.

[٢] والبيان.

ومِن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٦].

والإرشاد قد يكون إلىٰ الطريق، وإلىٰ الدين، وبمعنىٰ التوفيق والإلهام.

٥٥٢. **الـهَدْيُ** -بفتح الهاء وإسكان الدال-: ما يُهدَىٰ إلىٰ الكعبة من البهائم.

٥٥٣. **هاد يهود**: أي: تاب؛ ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

و﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة: ٦١] أي: تهوَّدوا؛ أي: صاروا يهودًا، وأصله من قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

٥٥٤. هود: له معنيان:

[١] اسم نبي عادٍ ﵇.

[٢] وبمعنىٰ اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُواْ هُوداً﴾ [البقرة: ١٣٤].

٥٥٥. هوَىٰ النفسِ -مقصور-؛ وهو ما تحبُّه وتميل إليه.

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع.

والهواء -بالمد والهمز-: ما بين السماء والأرض.

و﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٥] أي: مُنْخَرِقةٌ لا تَعي(١) شيئًا.

وهوَىٰ يهوِي -بالفتح في الماضي والكسر في المضارع-: وقع من علْوٍ.

ويقال -أيضًا- بمعنىٰ الميل؛ ومنه: ﴿أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

٥٥٦. هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمِّي: المهاجرون.

٥٥٧. هجَر: من الـهِجران.

ومن الـهُجْر -أيضًا-؛ وهو: فحش الكلام.

وقد يقال في هذا: أَهجر -بالألف-.

٥٥٨. أُهِلَّ لغير الله به: أي: صِيح، والإهلال: الصياح.

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح.

وفي النية؛ أي: أُرِيدَ به غيرُ الله.

٥٥٩. مهيمن عليه: أي شاهدٌ. وقيل: مؤتـمَن.

والمهيمن: اسم الله القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

---

(١) في ب، د: «لا تغني».

٥٦٠. هَوانٌ وهُونٌ: أي: ذلٌّ.

٥٦١. مُهين -بضم الميم-: مُفعِل مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.

وأما **مَهين** -بفتح الميم-: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.

حرف الواو

٥٦٢. وَقود النارِ -بفتح الواو-: ما توقد به من الحطب وشبهه.

والوُقود -بالضم-: المصدر.

٥٦٣. وجهٌ: له معنيان:

[١] الجارحة.

[٢] والجهة؛ ومنه: ﴿وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٧].

وأما وجه الله:

ففي قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧١]، أي: طلب رضاه.

وفي قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٥]:

قيل: الوجه: الذَّات.

وقيل: صفةٌ كاليدين؛ وهو من المتشابه(١).

٥٦٤. وعَد يَعِد وعْدًا: بالخير.

وقد يقال في الشرِّ إذا قُيِّد.

وأوعد -بالألف- يُوعِد وَعيدًا: بالشرِّ لا غير.

٥٦٥. ودَّ يوَدُّ: له معنيان:

[١] من المودَّة والمحبة.

[٢] وبمعنىٰ: تمنَّىٰ، نحو: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [النساء: ٨٨].

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٢٢).

والوُدُّ بالضم: المحبة.

و﴿وُدّاً﴾ [نوح: ٢٣]: اسم صنم، بضم الواو وفتحها.

٥٦٦. ودود: اسم الله تعالى؛ أي: محبٌّ لأوليائه.

وقيل: محبوب.

٥٦٧. ويلٌ: كلمة شر.

وقيل: إن الويل وادٍ في جهنم.

٥٦٨. وجَب: له معنيان:

[١] من وجوب الحق.

[٢] وبمعنى: سقط، كقولهم: وجب الحائط: إذا سقط؛ ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٤].

٥٦٩. وسَطٌ وأوسطٌ: له معنيان:

[١] من التوسُّط بين الشيئين.

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن[١].

٥٧٠. وسِع يسَع سعةً: من الاتساع ضد الضيق.

والسعة: الغِنَى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، **وقيل**: واسعٌ: جواد.

٥٧١. مُوسِع: غنيٌّ؛ أي: واسع الحال، وهو ضد المُقْتِر.

و﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: **قيل**: أغنياء، **وقيل**: قادرون.

و﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾: طاقتَها.

---

(١) في ج، د: «والإحسان».

٥٧٢. ولَّىٰ: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجَعل واليًا.

٥٧٣. تولَّىٰ: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار واليًا.

[٣] واتخذ وليًّا؛ ومنه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٨].

٥٧٤. وليٌّ: ناصر.

والولي: اسم الله؛ **قيل:** ناصر، **وقيل:** متولي أمرَ الخلائق.

٥٧٥. مولىٰ: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والوليُّ -أي القريب-.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتِق.

[٦] والمعتَق.

[٧] وبمعنىٰ: أَولىٰ؛ ومنه: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[الحديد: ١٤].

٥٧٦. ولَجَ يلِج: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

وأَولج يُولِج: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾.

٥٧٧. وهَن يهِن: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ [مريم: ٣]، **والوَهن:** الضعف.

٥٧٨. ورَد الماءَ يَرده: إذا جاء إليه.

وأورده غيرُه.

و﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلىٰ الماء فيستقي لهم.

٥٧٩. أوزعني: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠. يوزعون: يدفعون.

٥٨١. وليد: صبيٌّ، وجمعه: ولدان.

٥٨٢. وجِل: يَوْجَلُ وجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لاَ تَوْجَلِ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

٥٨٣. أوجس: وجَد في نفسه وأضمر.

٥٨٤. وارىٰ يُواري: أي: ستَر؛ ومنه: ﴿يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٣]، و﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩].

وتوارىٰ: أي: استتر واستخفىٰ.

٥٨٥. وطِئ يطَأ: **له ثلاثة معان**:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦. وَقْرٌ -بفتح الواو-: هو الصمم والثِّقَل في الأذن.

والوِقْر -بكسر الواو-: الحِمْل؛ ومنه: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧. ودْقٌ: هو المطر.

٥٨٨. واصب: أي: دائم.

٥٨٩. وكيل: كفيل بالأمر.

وقيل: كافٍ.

٥٩٠. وِزْرٌ -بكسر الواو وإسكان الزاي-: **له معنيان**:

[١] الذنب؛ ومنه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

[٢] والحِمل الثقيل، وهو الأصل؛ ومنه: ﴿أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٦]؛ أي: أحمالًا.

٥٩١. وَزَرٌ -بفتحتين-: أي: ملجأٌ.

٥٩٢. وزير: أي: مُعين، وأصله: من الوِزْر بمعنىٰ: الثِّقَل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقالَه.

٥٩٣. وسوس الشيطان إلىٰ الإنسان: ألقىٰ في نفسه.

والوَسواس: الشيطان.

٥٩٤. أوحَىٰ يُوحِي وحيًا: له ثلاثة معان:

[١] كلام الملَك عن الله للأنبياء؛ ومنه قيل للقرآن: وحْيٌ.

[٢] وبمعنىٰ الإلهام؛ ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

[٣] وبمعنىٰ الإشارة؛ ومنه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١٠]؛ أي: أشار.

٥٩٥. وعَىٰ العلمَ يعِي[١]: حفظه؛ ومنه: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١].

وأَوعىٰ -بالألف- يُوعِي: جمع المال في وعاءٍ؛ ومنه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

حرف الياء

٥٩٦. يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنىٰ.

[٢] والجهة اليمنىٰ.

[٣] وبمعنىٰ القوة.

[٤] وبمعنىٰ الحلف.

٥٩٧. أيمن: أي: إلىٰ الجهة اليمنىٰ.

(١) في أ، ب: «يعني».

٥٩٨. يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل؛ ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

[١] وهيِّنٌ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

واليُسر: ضد العسر.

٥٩٩. يئس من الأمر يَيأس: أي: انقطع رجاؤه؛ ومنه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، و﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ [هود: ٩].

وأما ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣٢]: فمعناه: ألم يعلم.

٦٠٠. يمٌّ: هو البحر.

٦٠١. مَيسِرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسُرَ لي كذا: إذا وجَب.

واليَسَر -بفتح الياء والسين-: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

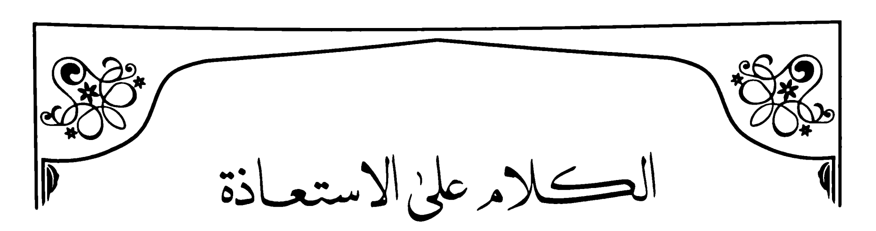
وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح -وهي الأزلام- لكل واحد منها(١) نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها(٢) لا نصيب له، ويجزِّؤونها عشرة أجزاء، ثم يُدخِلون الأزلامَ في خريطة ويضعونها على يدَي عدلٍ، ثم يُدخِل يده فيها فيُخرج باسم رجل قِدْحًا، فمن خرج له قِدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له: غَرِم ثمن الناقة كلِّها.

٦٠٢. يَنبوعٌ: أي: عينٌ من ماء، والجمع ينابيع.

---

(١) في د: «منهم».

(٢) في د: «وبعضهم».



الكلام على الاستعاذة

فيه عشرُ فوائد من فنونٍ مختلفة:

❁ **الأولى:** لفظ التعوُّذ على خمسة أوجهٍ:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المرويُّ عن النبي ﷺ(١)، والمختار عند القرَّاء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ(٢).

[٣]و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القويِّ من الشيطان الغويِّ».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المَريد»=

وهي محدثة.

❁ **الثانية:** يؤمر القارئُ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتدأ أول سورة، أو جزءَ سورة.

والأمر بذلك على الندب.

❁ **الثالثة:** يُجهَر بالاستعاذة عند الجمهور، وهو المختار.

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٧٩) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمَّ، انظر: نتائج الأفكار (١/ ٤١٦). وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٧٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٥٦٨)، والحاكم (٨٥٨) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث جبير بن مطعم ﷺ، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ٤١٢).

(٢) أخرجه أحمد (١١٤٧٣)، والترمذي (٢٤٢)، وأبو داود (٧٧٥)، وابن خزيمة (٤٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال الترمذي: «وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب»، ونَقل عن الإمام أحمد أنه قال: «لا يصح هذا الحديث»، وضعفه -أيضًا- ابن خزيمة، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ٤١٧).

الرابعة: لا يتعوَّذ في الصلاة عند مالك.

ويتعوَّذ في أوَّل ركعةٍ عند الشافعي وأبي حنيفة(١).

وفي كلِّ ركعةٍ عند قوم.

فحجة مالك: عملُ أهل المدينة.

وحجة غيره: قول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ وذلك يعم الصلاةَ وغيرَها(٢).

الخامسة: إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأنَّ معنىٰ الاستعاذة لا يتعلق إلَّا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء.

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾.

السادسة: ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ **يحتمل أن يراد به:**

الجنسُ؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين.

أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس.

وهو مشتقٌّ مِن:

شطَنَ: إذا بعُدَ(٣)؛ فالنون أصلية، والياء زائدة، ووزنه: «فَيعال».

وقيل: مِن شاط: إذا هاج(٤)؛ فالنون زائدة، والياء أصلية، ووزنه: «فَعْلان».

وإن سَمَّيتَ به: لم ينصرف علىٰ الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف علىٰ الأوَّل.

السابعة: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: فَعيل بمعنىٰ مفعول، **ويحتمل معنيين:**

أن يكون بمعنىٰ: لعين وطريد(٥)؛ وهذا يناسب إبليس؛ لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٤٢٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٥).

(٣) لأنه بعد عن الخير ورحمة الله. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

(٤) إذا هاج وأحرق ونحوه؛ إذ هذه أفعاله. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

(٥) أي: هو مرجوم باللعنة والمقت وعدم الرحمة. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

وأن يكون من: الرَّجم بالنجوم؛ وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

والأوَّل أظهر.

❁ **الثامنة**: من استعاذ بالله صادقًا أعاذه، فعليك بالصدق، ألَا ترىٰ امرأةَ عمران لما أعاذت مريم وذرِّيَّتها عصمها الله!؛ ففي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مولودٍ(١) إلَّا نخَسه الشيطان فيستهلُّ صارخًا(٢)، إلَّا ابنَ مريم وأمَّه»(٣).

❁ **التاسعة**: الشيطان عدوٌّ حذَّر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَتِه(٤)، وهو يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فيأمره -أوَّلًا- بالكفر ويشكِّكه في الإيمان، فإن قدَر عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثبَّطه عن الطاعة، فإن سلِم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

❁ **العاشرة**: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلْق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.



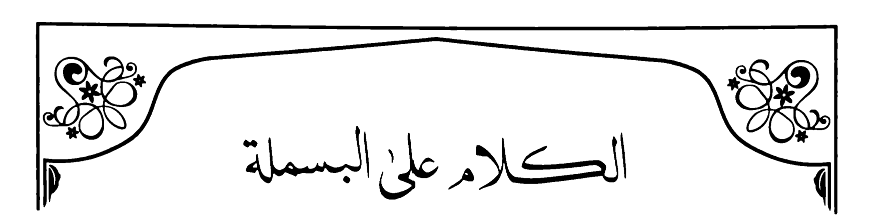
---

(١) في الرواية زيادة: «يولد».

(٢) في الرواية زيادة: «مِن نخْسة الشيطان».

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) قال في «لسان العرب» (١٩/ ٢٦٤): «ويقال: كفَّ عنَّا عاديَتك: أي: ظلمك وشرَّك».



فيـه عشـر فوائـد[١] :

۞ **الأولى:** ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها، إلَّا من النمل خاصة[٢]. وهي عند الشافعي: آية من الفاتحة[٣]. وعند ابن عباس رضي الله عنهما: آية من كل سورة[٤].

فحجة مالك: ما ورد في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت عليَّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين**»[٥]؛

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٨).

(٢) مذهب مالك أن البسملة ليست آية من القرآن، إلا في النمل (حاشية الدسوقي ١/ ٢٥١)، ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين -وهي المذهب عند الأصحاب-: أن البسملة آية من القرآن، ولكنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنما هي آية مستقلة فاصلة بين كل سورتين سوى براءة (البناية شرح الهداية ٢/ ١٩٦، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٣/ ٤٣٠-٤٣٨).

(٣) وهي الرواية الثانية في مذهب أحمد، اختارها أبو عبد الله ابن بطة، وأبو حفص العكبري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦٠٩) وأبو عُبيد في فضائل القرآن (٢١٨، ٢٢٢) من طريق ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه من هذا الطريق البيهقي في السنن (٢٣٩٩) والحاكم في المستدرك (٢٠٢٠) وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه»، وأخرجه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٩١) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن من طريق مجاهد عن ابن عباس، وحسنه السيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨)، وقال ابن كثير في تحفة الطالب (٩٣): «إسناده جيد».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٤) عن سعيد مولى عامر بن كريز، أن رسول الله ﷺ: قال لأبي بن كعب: «**إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلَمَ سورةً ما أَنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها**».. وفيه: قال ﷺ: «**كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟**» فقال: فقرأت عليه: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ: «**هي هذه السورة، وهي السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيم الذي أُعطيتُ**»، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٠/ ٢١٧): «حديثه هذا مرسل»، وقال ابن حجر في المطالب العالية (١٤/ ٤٣٣): «هذا مرسل صحيح الإسناد»، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٠٤): «ظاهره أنه منقطع، إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب، فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم». =

ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: «إنَّ الله يقول: قسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين..»[1] فبدأ بهذا دون البسملة.

وحجة الشافعي: ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»[2].

وحجة ابن عباس ﵄: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

۞ **الثانية:** إذا ابتدأت أوَّل سورة بسملت، إلَّا «براءة»، وسنذكر علَّة سقوطها من «براءة» في موضعه. وإذا ابتدأت جزءَ سورة: فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرٍو الداني[3]. وتترك البسملة عند غيره. وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القرَّاء في البسملة وتركها.

۞ **الثالثة:** لا يبسمل في الصلاة عند مالك. ويبسمل عند الشافعي جهرًا في الجهر، وسرًّا في السرِّ. وعند أبي حنيفة: سرًّا في الجهر والسرِّ[4].

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آيةً من الفاتحة حسَبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صلَّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لا يذكرون: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

= وروى قصةَ أُبيٍّ أحمد (٩٣٤٥)، والترمذي وصححه (٢٨٧٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤١)، وابن خزيمة (٥٠٠)، والحاكم وصححه (٢٠٤٨) من حديث أبي هريرة ﵁، وليس فيه موضع الشاهد.

وأخرج البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلَّى أن النبي ﷺ قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد» الحديثَ.. وفيه: قال: «﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»..

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١) من حديث أم سلمة ﵂، وصححه ابن خزيمة (٤٩٣)، والدارقطني (١١٩١)، والحاكم (٢٩١٠) ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٤٣٠-٤٣٨).

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ في أوَّل الفاتحة ولا في آخرها»[1].

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أنَّ البسملة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسَبما ذكرناه.

❁ **الرابعة:** كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتىٰ نزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتىٰ نزل: ﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١٠٩] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتىٰ نزل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها[2]. وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾[3]؛ لكثرة الاستعمال.

❁ **الخامسة:** الباء من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائنٌ بسم الله؛ فموضعها: رفعٌ. وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أَبدأُ أو أَتلو؛ فموضعها: نصب. وينبغي أن يقدَّر متأخِّرًا[4]؛ لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيهَا﴾ [هود: ٤١].

❁ **السادسة:** الاسم مشتق من السموِّ عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة[5].

وعند الكوفيين: مشتقٌّ من السِّمة -وهي العلامة-؛ ففاؤه واوٌ محذوفة[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣) ومسلم (٣٩٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٨٧٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٦)، وأبو عُبيد في فضائل القرآن (٢١٦)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه (٣٧٠٤٠)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٦٣) عن الشعبي مرسلًا، قال العجلي في الثقات (٢/ ١٢): «مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يُرسل إلا صحيحًا».

(٣) اختصارًا وتخفيفًا. المحرر الوجيز (١/ ٦٢).

(٤) أي: ينبغي تقدير المحذوف اسمًا كان أو فعلًا متأخرًا عن اسم الله، فيكون التقدير: «باسم الله ابتدائي»، أو «أبدأ»، فيقدم اسم الله. الكشاف (١/ ٦٨٦).

(٥) فهو من سما يسمو سموًّا؛ لأن التسمية تنويهٌ بالمسمَّىٰ، وإشادة بذكره. المحرر الوجيز (١/ ٦٢)، والكشاف (١/ ٦٩٧).

(٦) فهو من وسَم يَسِمُ وسمًا. المحرر الوجيز (١/ ٦٢).

ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردَّان الكلمات إلىٰ أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمَيٌّ دليلٌ علىٰ أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة. وقول الكوفيين أظهر في المعنىٰ؛ لأنَّ الاسم علامةٌ علىٰ المسمىٰ.

❁ **السابعة:** قولك «الله» اسم مرتجل جامد[1]، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف.

وقيل: إنه مشتق من التألُّه، وهو التعبد.

وقيل: من الولَـهان، وهي الحَيرة؛ لتحيُّر العقول في شأنه.

وقيل[2]: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوَّله علىٰ غير قياس، ثم أدخلت عليه الألف واللام[3].

وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلىٰ اللام؛ كما تنقل في «الَارض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرىٰ[4].

وفُخِّم[5]؛ للتعظيم، إلَّا إذا كان قبله كسرة.

❁ **الثامنة:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتان، من الرحمة، ومعناها[6]:

الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات[7].

---

(١) أي: لا اشتقاق له من فعلٍ، وإنما هو موضوع له تبارك وتعالىٰ. المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٢) انتقل إلىٰ مسألة أخرىٰ، وهي أنه بناء علىٰ القول باشتقاق «الله» من «إله»؛ اختلف كيف تَعلَّلَ «إله» حتىٰ جاء «الله». المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٣) حذفت الهمزة من أوله فصار «لَاه»، ثم أدخلت عليه الألف واللام للتعظيم فصار «الله»، وقوىٰ هذا الوجه ابن عطية، وهو الذي عوَّل عليه الزمخشري في الكشاف (١/ ٧٠٠).

(٤) أي: أدخلت الألف واللام علىٰ «إله» قبل حذف الهمزة، ثم حذفت الهمزة، ونُقلت حركتها إلىٰ اللام، فصار «اِلِلَاه»، فأدغمت إحدىٰ اللامين في الأخرىٰ، فصار «الله». المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٥) أي: فخِّمت اللام.

(٦) في ب، د: «ومعناهما».

(٧) [**التعليق ١٢**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُه: «ومعناهما: الإحسانُ ...»، إلخ: **أقولُ**: هذا يتضمَّنُ تفسيرَ الرحمةِ: إمَّا بالإحسان، أو بإرادةِ الإحسان. قال: «والإحسانُ صفةُ فعلٍ»، والذين يقولون هذا يريدونَ: =

۞ **التاسعة: الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة(١).**

وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ فالرحمن أعمُّ وأبلغ.

وقيل: الرحيم أبلغ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

= ما يخلُقُهُ اللهُ مِن النِّعَم؛ فالرحمةُ - إِذَنْ - عبارةٌ عن مخلوقاتِهِ سبحانه، وإن سمَّوْهَا: «صفةَ فعلٍ»، فهو غلَطٌ في العقل؛ فإنَّ المفعولَ لا يكونُ صفةً للفاعلِ، بل أثَرُ فِعْلِه، وهم لا يُثْبِتُونَ فعلًا يقومُ بالفاعلِ بمشيئتِه؛ فليس عندهم إلا فاعلٌ ومفعول.

وقد يفسِّرون «الرحمةَ»: بإرادةِ الإحسانِ؛ وعليه فهي صفةٌ ذاتيَّةٌ؛ كما قال المؤلِّف؛ أي: أنَّها قائمةٌ بذاتِهِ تعالى.

وكلٌّ من التفسيرَيْنِ فيه صرفٌ للَّفْظِ عن ظاهرِه؛ فإنَّ الرحمةَ لها معنًى يقابِلُ الغضَبَ؛ كما جاء في الحديثِ القُدْسيِّ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» [أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ]، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «العقيدة التدمريَّة»، في الذين ينفُون صفةَ الرحمةِ والمحبَّةِ، والغضَبِ والرضا: «إنَّهم يفسِّرونَ ذلك: إمَّا بالإرادةِ، وإمَّا ببعضِ المفعولاتِ مِن النِّعَمِ والعُقُوبات». اهـ. وعليه: فالواجبُ إثباتُ الرحمةِ صفةً للهِ حقيقةً، وتفسيرُها بالإحسانِ تفسيرٌ لها بأثَرِها، والرحمةُ في صفاتِ اللهِ نوعانِ: صفةٌ ذاتيَّةٌ، - وصفةٌ فعليَّةٌ، وذهَبَ ابن القيِّم: إلى أنَّ الصفةَ الذاتيَّةَ مدلولُ اسمِهِ الرحمنِ، والفعليَّةَ مدلولُ اسمِهِ الرحيمِ.

وينبغي أنْ يُعلَمَ أنَّ الرحمةَ المضافةَ إلى الله نوعان:

- نوعٌ هو صفةٌ له سبحانه، ذاتيَّةٌ أو فعليَّةٌ، كما تقدَّم، وإضافتُها إليه مِن إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ، وهي مدلولُ الاسمَيْنِ الشريفَيْنِ الرَّحمنِ الرحيمِ؛ ومِن هذا النوعِ: قولُ سليمانَ ﷺ متوسِّلًا: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

- والنوعُ الثاني: رحمةٌ مخلوقةٌ، وإضافتُها إلى الله مِن إضافةِ المخلوقِ إلى خالقِهِ؛ ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، فالرحمةُ هنا المَطَرُ، وقولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، والرحمةُ هنا الجَنَّةُ، وفي الحديثِ القدسيِّ: أنَّ اللهَ قال للجَنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي؛ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ» [أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ]، والله أعلم.

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧) من طريق أبي سعيد ومن طريق ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن عيسى ابن مريم قال: الرحمن: رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم: رحيم الآخرة»، وأخرجهما كذلك ابن عدي في الكامل (١/ ٤٩٣)، وابن مردويه، كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (١/ ١١٩) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٨)، وقال ابن عدي: «وهذا الحديث باطل»، وقال ابن كثير: «وهذا غريب جدا، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات»، وقال السيوطي: «بسند ضعيف جدًّا».

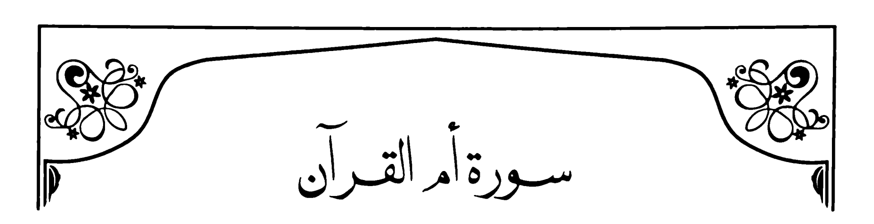
العاشرة: إنما قدَّم الرحمن لوجهين:

اختصاصه بالله.

وجريانه مجرىٰ الأسماء التي ليست بصفات[1].

---

(١) [التعليق ١٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: تقديم اسم الرحمن علىٰ الرحيم في الآيات يرجع إلىٰ الفرق بين الاسمين، وكلُّ ما قيل في الفرق بينهما يقتضي تقديم الرحمن، وقول المفسِّر: «وجريانه مجرىٰ الأسماء التي ليست بصفات» معناه: أن مِن أسماء الله ما هو علم محضٌ، لا يدل علىٰ صفة، والصواب أن كلَّ اسم من أسماء الله يدل علىٰ صفة، فهو علم وصفة؛ علم يدل علىٰ ذات الرب وصفة من صفاته، فهو علم وصفة، وليس من أسماء الله ما هو علم محض، فتدبَّر.



سورة أم القرآن

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾

وتسمَّىٰ: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني.

وفيها عشرون فائدةً، سوىٰ ما تقدَّم في «**اللغات**» من تفسير ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبعُ آيات. إلَّا أنَّ الشافعي يَعدُّ البسملة آيةً منها. والمالكيّ يُسقطها، ويعدُّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً[١].

۞ **الفائدة الأولى:** قراءة الفاتحة في الصلاة واجبةٌ عند مالك والشافعي[٢]، خلافًا لأبي حنيفة[٣]. وحجتهما: قوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٤].

وحجة أبي حنيفة: قوله ﷺ للذي علَّمه الصلاة: «**اقرأ ما تيسَّر من القرآن**»[٥].

۞ **الثانيةُ:** اختلف هل أوَّل الفاتحة علىٰ إضمار قولٍ؛ تعليمًا للعباد، أي: قولوا: الحمد لله؟ أو هو ابتداء كلام الله؟

ولا بدَّ من إضمار القول في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

---

(١) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين عنه، كما تقدَّم.

(٢) وعند أحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٤٣٩).

(٣) تحرير مذهبه: أن الفرض قراءة آية من القرآن، فتبطل الصلاة بترك ذلك، والواجب قراءة الفاتحة، فإذا ترك قراءتها، أثم، ولم تبطل صلاته. البناية شرح الهداية (٢/ ٢٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

❁ **الثالثة**: الحمد أعمُّ من الشكر؛ لأنَّ الشكر لا يكون إلَّا جزاءً على نعمةٍ، والحمد يكون جزاءً كالشكر، ويكون ثناءً ابتداءً. كما أنَّ الشكر قد يكون أعمَّ من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح.

فإذا فهمت عموم الحمد: علمت أنَّ قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي: الثناءَ عليه بما هو أهلُه من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمَّن معانيَ أسمائه الحسنى التسعة والتسعين.

ويقتضي شكرَه والثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أولى جميعَ خلقه في الآخرة والأُولى. فيا لها من كلمةٍ جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق! ويكفيك أن الله جعلها أوَّل كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

❁ **الرابعة**: **الشكر باللسان**: هو الثناء على المنعم والتحدُّث بالنعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدُّث بالنعم شكرٌ»[1].

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضُّلٌ، لا باستحقاق العبد.

◈ **واعلم أنَّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:**

[١] نعم دنياوية[2]، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية[3]، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أحمد (١٨٧٤٠)، والبزار في مسنده (٣٢٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٢)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ في ضمن حديث، وفيه: «والتحدث بنعمة الله شكر»، وضعف إسناده ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٤٩١).

(٢) في أ: «دنيوية».

(٣) في أ: «أخروية».

◈ **والناس في الشكر على مقامين:**

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصةً.

ومنهم من يشكر الله -عن جميع خلقه- على النعم الواصلة إلى جميعهم.

◈ **والشكر على ثلاث درجات:**

فدرجة العوام: الشكر على النعم.

ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال.

ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن رؤية النعمة بمشاهدة المنعِم.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أُعطوا شكروا، وإذا مُنعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه أخلاق الكلاب؛ ولكن الفقراء(١) إذا مُنعوا شكروا، وإذا أُعطوا آثروا(٢)(٣).

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «القوم»، وفي هامش أ: «خ: الفقراء».

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٥٦) قال: «حدثنا محمد بن عبد العزيز؛ قال: قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجمع بينهما. فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق! على ماذا أصّلتم أصولكم؟ فقال شقيق: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت. فقال شقيق: فعلى ماذا أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصولنا على أنا إذا رُزقنا آثرنا، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا. قال: فقام شقيق وجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق! أنت أستاذنا»، ورواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧).

(٣) [التعليق١٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُهُ: «الشُّكرُ على ثلاثِ دَرَجاتٍ ...»، إلخ: أقولُ: سلَكَ المؤلِّفُ ﷺ في تقسيمِ مراتبِ الشُّكرِ والتعبيرِ عنها طريقَ الصوفيَّة، وفي كلامِهِ هذا عِدَّةُ مآخِذَ:

الأوَّل: قولُهُ: «إنَّ الشكرَ على النعمِ درجةُ العوامِّ»: أقولُ: بل الشكرُ على النعمِ مِن شأنِ العوامِّ والخواصِّ مِن المؤمنين، وقد أثنى الله على إبراهيم ﷺ؛ فقال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، ولما ذكَر الله ما أعطى سليمانَ ﷺ مِن تسخير الجنِّ والرِّيح، قال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

الثاني: زعمُهُ أنَّ درجةَ الخواصِّ الشكرُ على النِّقَم: أقولُ: هذا لا يصحُّ؛ فإنه لم يأتِ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ تعلُّقُ الشكرِ بالنقم، وإنما الذي ورَد الحمدُ؛ فيقالُ: له الحَمْدُ على كلِّ حال، وأمَّا الشكرُ، فمتعلَّقُهُ النِّعَم، وشواهدُ هذا في القرآنِ كثيرة.

الثالث: قولُهُ في الدرجةِ الثالثةِ: «إنَّها درجةُ خواصِّ الخواصِّ»، وفسَّرها بأن يَغِيبَ عن النِّعْمةِ بمشاهَدةِ المُنعِم: أقولُ: هذا مِن جنسِ ما تقدَّم في درجاتِ الذِّكْرِ عند المؤلِّف؛ حيثُ جعَل أعلى درجاتِ الذِّكْرِ الفناءَ، وهي أنْ يَغِيبَ باللهِ عن كلِّ ما سوى الله؛ حتى عن نَفْسِه. وتقدَّم أنَّ مقامَ الفناءِ ليس بكمالٍ، بل هو نقصٌ. =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإنَّ من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسَّرتُهما في «اللغات»(١).

❁ **الخامسة:** قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلَّا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما خرَّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»(٢).

والثاني: أنَّ التوحيد الذي تقتضيه «لا إله إلَّا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدَّمنا.

وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلَّا الله»(٣)؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمنُ(٤) يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعيَّن عليه

= ولم يأتِ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ مدحُه، بل الرسولُ ﷺ - وهو أكمَلُ الخلقِ ذِكْرًا وعبوديَّة - لا يغيبُ وهو يصلِّي، بل يَسمَعُ بكاءَ الصبيِّ فيتجوَّزُ في صلاتِه، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّد ﷺ.

الرابع: ذكرُهُ الحكايةَ عن إبراهيمَ بنِ أدهَمَ، وفيها التحقيرُ للشكرِ على النِّعَم، وأنَّه أخلاقُ الكلابِ؛ فهذا - على فرضِ ثبوتِهِ - قبيح.

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٨٠١٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٤٦)، والحاكم في مستدركه (١٨٨٦) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد ﵄، عن النبي ﷺ قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعًا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال سبحان الله كُتب له عشرون حسنة، وحُطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قِبَلِ نفسه كُتب له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٩): «ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه مالكٌ في الموطأ (٥٧٤) عن طلحة بن عبيد الله بن كُريز عن النبي ﷺ، وعنه أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨١٢٥)، والبيهقي في السنن (٩٥٦٨)، وقال: «هذا مرسل، وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولًا ووصله ضعيف»، وكذا قال ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٩)، وأخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: «حديث غريب»، وضعَّفه.

(٤) في د: «للمؤمن»، وفي هـ: «المؤمن».

«لا إله إلَّا الله»(١).

---

(١) [التعليق ١٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلَّا الله»» صريحٌ في تفضيل «الحمد لله رب العالمين» على «لا إله إلا الله»، وعزا ابن جزيٍّ هذا التفضيل إلى المحققين، ولم يذكر بعض أعيانهم، ومن أيِّ طائفة هم، فمجرد قوله: «عند المحققين» لا تكفي، وفي دعوى هذا التفضيل نظر، وأما الاستدلال عليها بالحديث الذي رواه النسائي: «ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»، فهو معارض بالحديث الذي ذكره، وهو قوله ﷺ: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، فلا إله إلا الله كلمة التقوى، وهي كلمة التوحيد التي هي أصل دين الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهي مفتاح دعوتهم، ونبيُّنا ﷺ منذ بعثه الله مكث عشر سنين بمكة لا يقول للناس إلا قولوا: لا إله إلا الله، لم يأمرهم بشيء من الكلام غيرها، وهي الكلمة التي شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته وأولو العلم.

وأما جواب المؤلف عن الحديث الذي ذكره بأن «الحمد لله رب العالمين» تدل على التوحيد وزيادة، فلا يسلَّم له؛ فإن غاية ما تدل عليه توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون، لا على توحيد الإلاهية الذي دعت إليه الرسل وأنكره المشركون، ولقد فرق الله بين الرب والإله بقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، والربُّ هو الخالق المالك المدبِّر، والإله هو المعبود.

وكلمة توحيد الإلاهية لا يحصى ذكرها في القرآن؛ تارة بالاسم الظاهر: «لا إله إلا الله»، وتارة بضمير الغائب: «لا إله إلا هو»، وتارة بضمير المتكلم: «لا إله إلا أنا»، وتارة بضمير الخطاب كما في دعاء يونس ﷺ: «لا إله إلا أنت»، وبكلمة التوحيد لا إله إلا الله كان النبي ﷺ يدعو في الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم» [أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما]، وجاء في فضل كلمة التوحيد أحاديث كثيرة، كقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في يوم مئة مرة، كانت له عَدْلَ عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه» [أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه].

فهذه الفضائل لا يقاومها حديث: «من قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»؛ فلا بد من تأويله، ولعلَّ هذا التفضيل لأمر قام بقلب الذاكر لقوله: «من قبل نفسه».

ويقال أيضا: إن هذا الحديث قد روي عن كعب من قوله، ونقل ابن رجب في شرح الأربعين (٢/ ٢١) عن بعض أهل العلم أن الموقوف أصح من المرفوع. ثم وقفت - أخيرًا - على كلام للحافظ أبي بكر ابن العربي في كتابه المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٧١)، أفاض فيه في الكلام على المسألة، وذكر أن أكثر العلماء على أن كلمة التوحيد أفضل من الحمد لله، فيحسن مراجعة كلامه.

وبعد: فالذي ظهر لي أن الصحيح ما دلَّت عليه الأحاديث المستفيضة في فضل لا إله إلا الله، مع ما تقدم من الوجوه، فكلمة التوحيد هي أول الأمر وآخره، وعليها مدار الخلق والأمر، فلا يعدلها شيء من كلمات الذكر، فضلًا عن أن يكون أفضل منها. والله أعلم.

۞ **السادسة:** «**الربُّ**» وزنه: فَعِلٌ -بكسر العين- ثم أدغم. **ومعانيه أربعة: الإله**، **والسيد**، **والمالك**، **والمصلح**؛ وكلها تصلح[1] في ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، **إلَّا أن الأرجح: معنىٰ الإله**؛ لاختصاصه بالله تعالىٰ. كما أنَّ الأرجح في ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أن يراد به: كل موجود سوىٰ الله تعالىٰ، فيعم جميع المخلوقات.

۞ **السابعة:** ﴿مَٰلِكِ﴾ قرأه[2] **الجماعة**: بغير ألف؛ من الـمُلك. وقرأ[3] **عاصم والكسائي**: بالألف؛ والتقدير علىٰ هذا: مالكِ مجيءِ يومِ الدين. أو: مالك الأمرِ يومَ الدين.

وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

- **الأوَّل**: أنَّ الـمَلِك أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحد بالمالك لمالِه، وأما الملِك فهو سيِّد الناس.
- **والثاني**: قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[الأنعام: ٧٤].
- **والثالث**: أنها لا تقتضي حذفًا، والأخرىٰ تقتضيه؛ لأنَّ تقديرَها: مالك الأمرِ، أو مالك مجيءِ يومِ الدين، والحذف علىٰ خلاف الأصل.

وأمَّا قراءة الجماعة بإضافة ﴿مَٰلِكِ﴾ إلىٰ ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فهي علىٰ طريقة الاتساع، وإجراء[4] الظرف مجرىٰ المفعول به[5]، والمعنىٰ علىٰ الظرفية؛ أي: الـمَلِك في يوم الدين. ويجوز أن يكون المعنىٰ: ملِك الأمورِ يومَ الدين؛ فيكون فيه حذفٌ. وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ[6]. وقد قرئ ﴿مَٰلِكِ﴾ بوجوه كثيرة تركناها لأنها شاذةٌ.

---

(١) في أ، د: «تصحُّ» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٢) في ب، د: «قراءة».

(٣) في ج: «وقرأه»، وفي د: «وقراءة».

(٤) في أ، ج، هـ: «وأجرىٰ»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٥) أجري الظرفُ مجرىٰ المفعول به في إضافة اسم الفاعل إليه، فإن متعلَّق ﴿مَلِكِ﴾ ليس ﴿يومَ﴾، وإنما هو محذوف، ومن هذا الباب قولهم: «يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار». المحرر الوجيز (١/ ٧٩)، والكشاف (١/ ٧٣٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ٦٥).

(٦) تقدم تخريجها، راجع: المقدمة الأولىٰ، الباب التاسع في المواقف، حديث أم سلمة ﵂.

۞ **الثامنة:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و ﴿مَلِكِ﴾: صفاتٌ. **فإن قيل:** كيف جرىٰ ﴿مَلِكِ﴾ و﴿ مَٰلِكِ ﴾ صفةً للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟(١)

فالجواب: أنها تكون غيرَ محضة إذا كان بمعنىٰ الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائمٌ؛ فإضافته محضة(٢).

۞ **التاسعة:** ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ : هو يوم القيامة. ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

۞ **العاشرة:** ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّم ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضىٰ قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: أنه يعبد الله وحده، واقتضىٰ قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ اعترافًا بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلَّا بالله(٣) وحده.

۞ **الحاديةُ عشرة:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك علىٰ العبادة وعلىٰ جميع أمورنا. وفي هذا دليلٌ علىٰ بطلان قول القدرية والجبرية، وأنَّ الحق بين ذلك(٤).

---

(١) أي: إن اسم الفاعل ﴿مَلِكِ﴾ و﴿ مَٰلِكِ ﴾ إضافته غير محضة -أي: غير حقيقية-، فلا يتعرَّف بالإضافة، ويبقىٰ نكرةً، فلا يكون إذ ذاك صفة لمعرفة، وهم اسم الله؛ لأن المعرفة لا توصف بالنكرة، فكيف ساغ وقوع اسم الفاعل هنا صفة للمعرفة؟ الكشاف (١/ ٧٣٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ٦٤).

(٢) أي: إنما تكون غيرَ حقيقية إذا أُريد باسم الفاعل الحالُ أو الاستقبال، فيكون حينئذٍ في تقدير الانفصال، كقولك: «مالكُ الساعةَ أو غدًا»، فأما إذا قصد معنىٰ الماضي كقولك: «هو مالكُ عبدِه أمسِ»، أو قُصِد زمانٌ مستمرٌّ كقولك: «زيدٌ مالكُ العبيدِ» كانت الإضافة حقيقيةً معطيةً معنىٰ التعريف لاسم الفاعل، كقولك: «مولىٰ العبيد»، وهذا هو المعنىٰ في: ﴿مالك يوم الدين﴾. الكشاف (١/ ٧٣٧).

(٣) في د: «الله»

(٤) [**التعليق ١٦**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قول المفسِّر صحيح؛ فإن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾؛ فيه الردُّ علىٰ القدرية؛ لأنهم ينفون قدرة الله علىٰ فعل العبد ومشيئته له، وعلىٰ قولهم فلا معنىٰ للاستعانة به؛ لأن الاستعانة إنما تكون بالقادر، لا بالعاجز، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ردٌّ علىٰ الجبرية الذين ينفون فعل العبد، بل ينفون قدرته علىٰ أفعاله، وفي الآية إسناد فعل العبادة إلىٰ العبد، وهي أجلُّ ما يفعله، فدلَّت الجملتان في الآية علىٰ توحيد الربوبية والإلاهية، فتوحيد الربوبية يقتضي التوحيد في الاستعانة، وتوحيد الإلاهية يقتضي توحيد العبادة، فهو سبحانه المعبود، وهو المستعان، وبهذا جمعت هذه الآية حظَّ العبد وحقَّ الرب. والله أعلم.

❁ **الثانيةُ عشرة:** ﴿ٱهۡدِنَا﴾: دعاءٌ بالهدىٰ. **فإن قيل:** كيف يطلب المؤمنون الهدىٰ وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلىٰ الموت، أو(١) الزيادةِ منه؛ فإنَّ الارتقاءَ في المقامات لا نهاية له.

❁ **الثالثةُ عشرة:** قدم الحمد والثناء علىٰ الدعاء؛ لأنَّ تلك هي السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.

وكذلك قدّم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ علىٰ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنَّ رحمة الله سبقت غضبه.

وكذلك قدّم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ علىٰ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لأنَّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة(٢).

❁ **الرابعة عشرة:** ذُكِر الله تعالىٰ في أوَّل هذه السورة علىٰ طريق الغَيبة، ثم علىٰ الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمىٰ: الالتفات. وفيه إشارة إلىٰ أنَّ العبد إذا ذَكر الله تقرَّب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

❁ **الخامسة عشرة:** **الصراطُ في اللغة:** الطريق المحسوس الذي يُمشَىٰ عليه. ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنىٰ ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عِوَجَ فيه. فـ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: الإسلام، وقيل: القرآن. والمعنيان متقاربان؛ لأنَّ القرآن تضمَّن شرائع الإسلام، وكلاهما مرويٌّ

---

(١) في ج، د: «و».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: هذا وهم من المؤلف ﷺ؛ فإن العبادة هي الغاية المطلوبة من العبد، التي يجب علىٰ العبد القصدُ إليها، والاستعانة وسيلة للتحقق بالعبادة، وتقديم العبادة -وهي غاية- علىٰ الوسيلة لأنها المقصود من العبد وللعبد، وابن جزي في عبارته هذه مقلد للزمخشري ومن تبعه، وهو خلاف ما عليه المحققون من أهل التفسير، وقد أورد ابن عرفة عبارة الزمخشري ثم تعقبه، فقال: "أجاب الزمخشري: بأن العبادة وسيلة والاستعانة مقصد، فقدمت الوسيلة قبل الحاجة، والصواب العكس؛ فالعبادة هي المقصد". [تفسير ابن عرفة (١/ ٩٥) ط. دار ابن حزم]، والذي نراه في سبب التقديم أنه من باب تقديم الأهم، والله أعلم.

عن النبي ﷺ(١).

وقرئ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي(٢). **وقد قيل**: إنه قرئ بزاي خالصة(٣). **والأصل فيه**: السين، وإنما أُبدِل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

❁ **السادسة عشرة**: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: **قال ابن عباس** ﵄: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون(٤). **وقيل**: المؤمنون. **وقيل**: الصحابة. **وقيل**: قوم موسىٰ وعيسىٰ قبل أن يغيِّروا. والأوَّل أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء: ٦٩].

❁ **السابعة عشرة**: **إعراب** ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾: بدلٌ. ويبعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضة(٥)، وهو قد جرىٰ علىٰ معرفة. **وقرئ بالنصب**: علىٰ الاستثناء، أو الحال(٦).

---

(١) تفسير الصراط بالإسلام: أخرجه أحمد (١٧٩٠٩)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٦٩)، والترمذي (٢٨٥٩)، والحاكم (٢٤٥) من حديث النواس بن سمعان ﵁ في ضمن حديث طويل طرفه: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا..**»، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وتفسير الصراط بالقرآن: أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) والدارمي في مسنده (٣٣٧٤) والبزار في مسنده (٨٣٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٦٢٩)، من حديث الحارث الأعور عن علي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله.. وهو الصراط المستقيم..**»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

(٢) روىٰ قنبل عن ابن كثير بالسين، وروىٰ خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة.

(٣) قال في المحرر الوجيز (١/ ٨٦): «ورویٰ الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة، قال بعض اللغويين: «ما حكاه الأصمعي من هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة [بالإشمام] فتوهمها زايا، ولم يكن الأصمعي نحويا فيؤمن علىٰ هذا»، وحكىٰ هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر ابن مجاهد».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) عن الضحاك عن ابن عباس، وفي أوله زيادة: «الملائكة».

(٥) أي: إضافة ﴿غَيْرِ﴾ إلىٰ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾ غير حقيقية، فلا تعطي معنىٰ التعريف، بل تبقىٰ ﴿غَيْرِ﴾ نكرةً، وإنما بقيت نكرةً مع إضافتها إلىٰ معرفة من أجل معناها؛ فإنها تدلُّ علىٰ عدد غير محصور. المحرر الوجيز (١/ ٩١).

(٦) علىٰ الاستثناء تقديره: «إلا المغضوبَ عليهم»، وعلىٰ الحال تقديره: «أنعمت عليهم لا مغضوبًا عليهم». المحرر الوجيز (١/ ٩١).

۞ **الثامنة عشرة:** أسند ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلىٰ الله، والغضب إلىٰ ما لم[1] يُسَمَّ فاعله علىٰ وجه التأدُّب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأوَّل: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع[2].

۞ **التاسعة عشرة:** ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و ﴿الضَّآلِّينَ﴾: النصارىٰ، قاله ابن عباس ﵄[3] وابن مسعود ﵁[4] وغيرهما[5]، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[6]. وقيل: ذلك عامٌّ في كل مغضوب عليه، وكل ضالٍّ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجلالة قائليه[7].

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ دليلٌ علىٰ تغاير الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصارىٰ؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسىٰ بن مريم ﵇، ولقول الله فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٩].

---

(١) في أ: «لما لم».

(٢) الأوَّل في موضع نصب علىٰ المفعولية، والثاني في موضع رفع علىٰ الفاعلية. الكشاف (١/ ٧٦٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٨، ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) عن الضحاك عن ابن عباس ﵄.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٨، ١٩٦).

(٥) قال ابن أبي حاتم (١/ ٣١): «ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين».

(٦) أخرجه أحمد (١٩٦٩١)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن حبان (٦٢٤٦)، والطبري (١/ ١٨٦، ١٩٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٣١)، من حديث عدي بن حاتم ﵁، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وأخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (١/ ١٤٢) من حديث عبد الله بن شقيق عن أبي ذرٍّ ﵁، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٦)، وأحمد من طريقه (٢٠٦٧٧)، وابن جرير (١/ ١٨٧، ١٩٥) من حديث عبد الله بن شقيق عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩): «ورجال الجميع رجال الصحيح»، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩).

(٧) في أ، ب، د: «قائله».

۞ **الموفيةُ عشرين:** هذه السورة جمعت معانيَ القرآن كلِّه، فكأنها نسخةٌ مختصرة منه، فتأملْها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدِّمة الأولى» تعلمْ ذلك.

- فالإلهيات حاصلةٌ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.
- والدار الآخرة في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.
- والعبادات كلُّها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- والشريعة كلها في قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.
- والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.
- وذِكْر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

۞ **خاتمةٌ:** أُمر بالتأمين عند ختْم الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها.

وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهمَّ استجب.

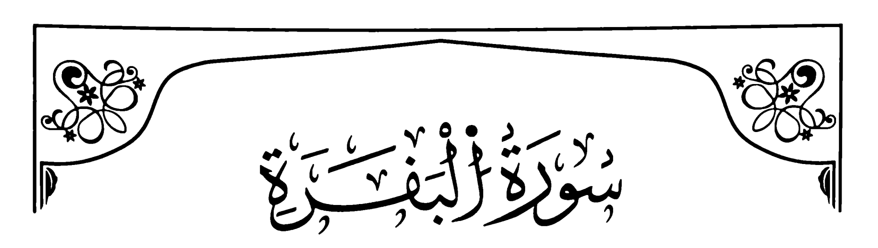
وقيل: هو من أسماء الله.

ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها، ولا يجوز تشديد الميم.

ويؤمِّن في الصلاة: المأموم، والفذ، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا جهر(١).



(١) أي: يستحبُّ التأمين للمأموم والفذِّ مطلقًا سواء أسرَّ الإمام بالقراءة أو جهر، وكذلك للإمام إذا أسرَّ، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة، واختلف في استحباب التأمين للإمام إذا جهر، فروي عن مالك: أنه يؤمِّن، وفاقًا للشافعي وأحمد، والمشهور من مذهبه: أنه لا يؤمِّن في الجهر، وفاقًا لأبي حنيفة. القوانين الفقهية (ص: ١١٤).



سورة البقرة

﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(١) ﴿الٓمٓ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓر﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿طسٓ﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿عٓسٓقٓ﴾، و﴿نٓ﴾=

فقال قومٌ: لا تفسَّر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»[(١)].

وقال قوم: تفسَّر؛ ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء للسور، وقيل: أسماء لله، وقيل: أشياء[(٢)] أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطَّعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من: «جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومِثْل ذلك في سائرها.

---

(١) لم أقف عليه مسندًا إلى أبي بكر رضي الله عنه، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (٣/ ١٩) إلى أبي بكر أيضًا، وفي «الدر المنثور» (١/ ١٢٧): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرًّا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما بدا لك».

(٢) في ب، ج، هـ: «أسماء».

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلُّ بعدد حروف «أبي جاد» علىٰ السنين التي تبقَىٰ هذه الأمةُ، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره[(١)].

وقد جمع أبو القاسم السُّهيلي[(٢)] عددَها علىٰ ذلك، بعد أن أسقط المتكرِّر، فبلغت تسعَ مئة وثلاثةً[(٣)].

وإعراب هذه الحروف: يختلف بالاختلاف في معناها[(٤)]: فيُتصوَّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

- **فالرفع**: علىٰ أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.
- **والنصب**: علىٰ أنها مفعولةٌ بفعل مضمر.
- **والخفض**: علىٰ قول من جعلها مُقسَمًا بها؛ كقولك: «اللهِ لأفعلنَّ».

وإنما سُكِّنت لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركةً؛ فسكونُها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحدْ، اثنانْ».

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٨) من حديث محمد بن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب، في حديث طويل، وفيه أن أبا ياسر بن أخطب سمع النبي ﷺ يقرأ ﴿ألم﴾ و﴿ألمص﴾ و﴿ألر﴾ و﴿ألمر﴾، فذكر أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار أن مدة بقاء ملكه سبع مئة سنة وأربع وثلاثون.

وضعف هذا الخبر الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٦١)، وقال: «وأما من زعم أنها دالةٌ علىٰ معرفة المُدَد، وأنه يُستخرج من ذلك أوقاتُ الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعىٰ ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيفٌ، وهو مع ذلك أدلُّ علىٰ بطلان هذا المسلك من التمسك به علىٰ صحته، وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار..» فذكر الخبر، ثم قال: «فهذا مداره علىٰ محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به، ثم كان مقتضىٰ هذا المسلك إن كان صحيحًا أن يُحسَب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرر فأطمُّ وأعظم»، وضعف إسناده -أيضًا- السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٢٤).

(٢) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي الأندلسي المالَقي السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأُنُف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ١٤٣)، والديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٤٨٠).

(٣) انظر: الروض الأنف (٤/ ٤٢٠).

(٤) في د: «معانيها».

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو هنا: القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ، والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد[(١)] له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ١] يعني: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وقيل: خبره ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ فعلىٰ هذا: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة مستقلَّة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل. ﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾[(٢)]؛ فيوقف عليه. وقيل: خبرها محذوف[(٣)]؛ فيوقف: ﴿لَا رَيْبَ﴾. والأول أرجح؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أُخَر.

فإن قيل: فهلَّا قدَّم قوله: ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧] ؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفيَ الريب عنه، ولو قدَّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارةً إلىٰ أن ثَمَّ كتابًا آخر فيه ريبٌ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلىٰ أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنىٰ يبعد قصده؛ فلم يقدِّم الخبر[(٤)].

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنىٰ: الإرشاد؛ لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنىٰ البيان لعمَّ؛ كقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وإعرابه: خبر ابتداءٍ، أو مبتدأٌ، وخبره: ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف[(٥)]: ﴿لَا رَيْبَ﴾ ، أو منصوب علىٰ الحال، والعامل فيه الإشارة[(٦)].

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مُفتعِلين؛ من التقوىٰ، وقد تقدَّم معناه في «اللغات»[(٧)].

(١) في ج، د: «وتشهد».
(٢) في ب، د: «وخبر ﴿لا﴾: ﴿فيه﴾».
(٣) تقديره: «فيه». الكشاف (٢/ ٥٧).
(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥).
(٥) في هامش هـ زيادة: «على».
(٦) أي: العامل في الحال معنىٰ الإشارة، والتقدير: ذلك الكتاب أشير إليه أو أنبِّه عليه حال كونه هدًىٰ. انظر: حاشية الطِّيبي علىٰ الكشاف (٢/ ٧٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ١١٢).
(٧) انظر المادة (٩٥) في اللغات.

نتكلَّم في(١) التقوى في ثلاثة فصول:

الأوَّل: في فضائله المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

[١] الهدىٰ؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١].

[٢] والنُّصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [النحل: ١٢٨].

[٣] والوَلاية؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨].

[٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

[٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

[٦] والمخرج من الغمِّ.

[٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ الآيةَ [الطلاق: ٢].

[٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

[٩] وغُفران الذنوب.

[١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

[١١] وتقبُّل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

[١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

[١٣] والبشرىٰ؛ لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[يونس: ٦٤].

[١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢].

الفصل الثاني: البواعث على التقوىٰ(٢) عشرةٌ:

[١] خوف العقاب الدنياوي.

[٢] وخوف العقاب الأخراوي.

---

(١) في د، وهامش أ: «علىٰ».

(٢) في ب، د زيادة: «وهي».

[٣] ورجاء الثواب الدنياوي.

[٤] ورجاء الثواب الأخراوي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشُّكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإلهَ وأنت تُظهِرُ حبَّه! ... هذا محالٌ في القياس بديعُ

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ(١)

ولله درُّ القائل:

قالتْ -وقد سألتْ عن حال عاشقِها-: ... بالله صِفْهُ ولا تَنقُص ولا تَزِدِ

فقلتُ: لو كان رهْنَ الموت من ظمإٍ ... وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ(٢)

---

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٦٩)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسني الرسّي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (١/ ٤٩٨)، ووفيات الأعيان (١/ ١٢٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨١٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:

قالتْ لِطيفِ خيالٍ زارني ومضى: ... بالله صِفْهُ ولا تَنقَص ولا تَزِدِ

فقال: أبصرتُه لو مات من ظمإٍ ... وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ

ونُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١/ ١١٨)، قال الذهبي: «ولم يصح».

الفصل الثالث: درجات التقوى خمسٌ:

[١] أن يتَّقيَ العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

[٢] وأن يتقي المعاصي والمحرَّمات، وهو مقام التوبة.

[٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

[٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

[٥] وأن يتقي حضور غير الله علىٰ قلبه، وهو مقام المشاهدة.

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ **فيه قولان**: يؤمنون بالأمور المغيَّبات، كالآخرة وغيرها؛ فالغيب -علىٰ هذا-: بمعنىٰ الغائب؛ إمَّا تسميةً بالمصدر، كعدْلٍ[1]، وإما تخفيفًا من فَيْعِل؛ كمَيْت[2]. **والآخر**: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنًا وظاهرًا. و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: **علىٰ القول الأوَّل**: يتعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ، **وعلىٰ الثاني**: في موضع الحال. **ويجوز في** ﴿ٱلَّذِينَ﴾ **أن يكون** خفضًا علىٰ النعت، أو نصبًا علىٰ إضمار فعل، أو رفعًا علىٰ أنه خبر ابتداء.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ **إقامتُها**: عملها؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه ذلك. **والكمال**: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل.

﴿يُنفِقُونَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**: الزكاة؛ لاقترانها مع الصلاة. **والثاني**: أنه التطوُّع. **والثالث**: العموم، وهو أرجح؛ لأنه لا دليل علىٰ التخصيص.

(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ **اختُلِف** هل هم المذكورون قبلُ؛ فيكون[3] من عطف الصفات؟ أو هم غيرهم -وهم مَن أسلم من أهل الكتاب-؛ فيكون عطفًا للمغايرة؟ أو مبتدأ، وخبره: الجملة بعده؟

---

(١) أي: تسمية لاسم الفاعل -وهو الغائب- بالمصدر -وهو الغيب-، كتسمية العادل بالعدْل. الكشاف (٢/ ٨٧).

(٢) فأصله: غَيِّبٌ، ثم خُفِّف، كمَيْتٍ في ميِّت. البحر المحيط (١/ ١١٣).

(٣) في أ زيادة: «قوله: ﴿والذين يؤمنون﴾» ورمز لها أعلىٰ السطر: «خ».

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من كتب الله ﷻ.

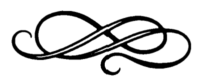
﴿٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيةُ فيمن سبَق القدر أنه لا يؤمن، كأبي جهل. **فإن كان** ﴿ٱلَّذِينَ﴾ **للجنس**: فلفظها عامٌّ يراد به الخصوص. **وإن كان للعهد**: فهو إشارةٌ إلىٰ قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم، **فقيل**: المراد من قُتِل ببدر من كفار قريش، **وقيل**: المراد حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديَّان.

﴿سَوَآءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعلٌ به؛ لأنه في تقدير المصدر[1]. أو ﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خبره. أو العكس؛ **وهو أحسن**. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **علىٰ هذه الوجوه**: استئنافٌ للبيان، أو للتأكيد، أو خبرٌ بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضًا، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر. والهمزة في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ لمعنىٰ التسوية، قد انسلخت من معنىٰ الاستفهام.

﴿٦﴾ ﴿خَتَمَ﴾ الآيةَ؛ تعليلٌ لعدم إيمانهم، وهو عبارةٌ عن إضلالهم؛ فهو مجاز. **وقيل**: حقيقةٌ، وأن القلب كالكفِّ، يُقبَض مع زيادة الضلال إِصبَعًا إصبعًا حتىٰ يختم عليه، **والأوَّل أبرع**.

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ فيوقف عليه. **وقيل**: الوقف علىٰ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، والسمع راجع إلىٰ ما بعده، والأوَّل أرجح؛ لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مجازٌ باتِّفاق. وفيه دليلٌ علىٰ وقوع المجاز في القرآن، خلافًا لمن منَعه. ووحَّد السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع[2].



(١) أي: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعل بـ﴿سَوَآءٌ﴾، فيكون تقديره: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارُك وعدمُه. الكشاف (٢/ ١٢٣).

(٢) فلُمِح الأصل -وهو معنىٰ المصدرية- في اسم العضو، ويدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾، فجمع الأذن؛ لأنها ليست في الأصل مصدرًا. الكشاف (٢/ ١٤٥).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا
نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟
كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن
لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٣﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾ *مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى
ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾
صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ يَكَادُ
ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿٧﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أصل الناس: أُنَاسٌ؛ لأنه مشتقٌّ من الأُنس، وهو اسم جمع، وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفًا.

﴿مَن يَقُولُ﴾ **إن كانت اللام في** ﴿ٱلنَّاسِ﴾ **للجنس**: فـ﴿مَن﴾ موصوفةٌ(١). وإن جعلتَها للعهد: فـ﴿مَن﴾ موصولةٌ. وأُفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رَعْيًا للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن أُبيٍّ ابنُ سلول، يظهرون الإسلام ويسرُّون الكفر. ويسمَّىٰ الآن من كان كذلك: زِنديقًا. وهم في الآخرة: مخلَّدون في النار. وأما في الدنيا: **فإن لم تقم عليهم بينةٌ**: فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، **وإن شهد علىٰ معتقدهم شاهدان عدلان**:

---

(١) كأنه قيل: ومن الناس ناسٌ يقولون كذا. الكشاف (٢/ ١٥١).

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة[(١)]، ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل[(٢)].

فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملةً فعلية، و ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملةً اسمية؛ فهلَّا طابقتْها؟ **فالجواب**: أن قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم مِن أن لو قال: «وما آمنوا»[(٣)].

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيَّدًا بالله واليوم الآخر، و ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقًا؟ **فالجواب**: **أنه يحتمل وجهين**: التقييد؛ وتَركَه[(٤)] لدلالة الأوَّل عليه. والإطلاق، وهو أعمُّ في سلْبهم عن الإيمان[(٥)].

(٨) ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الـخَدْعَ بإظهار خلاف ما يسرُّون. وقيل: معناه يخادعون رسولَ الله ﷺ[(٦)]. **والأوَّل أظهر**.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وبالُ فعلهم راجعٌ عليهم. **وقرئ**: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ -بفتح الياء من غير ألف-: مِن خَدَع[(٧)]، وهو أبلغ في المعنىٰ؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع، وخدع: إذا تمَّ له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حُذف معموله[(٨)]، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

(٩) ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ **يحتمِلُ** أن يكون حقيقةً؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازًا؛ بمعنىٰ الشكِّ، أو الحسد. ﴿فَزَادَهُمُ﴾ **يحتمل**: الدعاءَ والخبر.

﴿يُكَذِّبُونَ﴾ -بالتشديد- أي: يكذِّبون الرسولَ ﷺ. **وقرئ** بالتخفيف؛ أي: يَكْذِبون في قولهم: آمنا[(٩)].

---

(١) وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند متأخري الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ١٣٣-١٣٦).

(٢) وهو الرواية الأخرىٰ في مذهب أحمد، وهي ظاهر كلام الخرقي، واختيار الخلال، وآخر قولي الإمام أحمد.

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٧).

(٤) في ج، هـ: «وتُرِك».

(٥) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٩).

(٦) فأضاف الأمر إلىٰ الله تجوُّزًا؛ لتعلُّق رسوله به. المحرر الوجيز (١/ ١١٦).

(٧) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء من غير ألف.

(٨) في ب، د: «مفعوله».

(٩) قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء والتخفيف، وقرأ الباقون بالضم والتشديد.

١١ ﴿لَا تُفْسِدُوا۟﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشرِّ وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يَحتمل أن يكون جحودًا للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ ، أو اعتقادًا أنهم علىٰ إصلاح.

١٢ ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبيِّ ﷺ. **والكاف يَحتمل**: أن تكون للتشبيه، أو التعليل. و﴿مَآ﴾ **يَحتمل** أن تكون كافَّةً مُهيِّئةً[١]؛ كما هي في «ربما»، وأن تكون مصدريةً.

﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكارٌ منهم وتقبيحٌ.

﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ردٌّ عليهم، وإناطةٌ للسَّفه بهم. وكذلك: ﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾. وجاء بالألف واللام؛ ليفيد حصْر السفه والفساد فيهم، وأكَّده بـ«إنَّ» وبـ«ألَا» التي تقتضي الاستئنافَ وتنبيهَ المخاطَب.

١٣ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ كذَبوا؛ خوفًا من المؤمنين.

﴿خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ هم: رؤساء الكفَّار[٢]، **وقيل**: شياطين الجن، وهو بعيد. وتعدَّىٰ «خلا» بـ«إلىٰ»؛ لأنه ضُمِّن معنىٰ: مشوا، أو ذهبوا، أو ركنوا. **وقيل**: «إلىٰ» بمعنىٰ «مع»، أو بمعنىٰ الباء. وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بجملة اسمية؛ مبالغةً وتأكيدًا، بخلاف قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ فإنه جاء بالفعل؛ لضعف إيمانهم.

١٤ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**: تسميةُ العقوبة باسم الذنب؛ كقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٣]. **وقيل**: يُملي لهم؛ بدليل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾. **وقيل**: يفعل بهم في الآخرة ما يَظهر لهم أنه استهزاءٌ بهم؛ كما جاء في سورة «**الحديد**»: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ الآيةَ [الحديد: ١٣][٣].

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

(٣) [**التعليق ١٧**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: لا إشكالَ فيما ذكَرَ المؤلِّف مِن الوجوه؛ فلكلٍّ منها وَجْهٌ، وأقربُها الثاني والثالث؛ فإنَّ في كلٍّ منهما استهزاءً بالفعل.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يَزيدهم، وقيل: يُملي لهم. وقد ذُكِر ﴿يَعْمَهُونَ﴾(١).

﴿١٥﴾ ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارةٌ عن تركهم الهدىٰ مع تمكُّنهم منه، ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع(٢).

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيحٌ للمجاز(٣)؛ لـمَّا ذكَر الشراءَ ذكَر ما يتبعه من الربح والخسران. وإسناد عدم الربح إلىٰ التجارة مجازٌ -أيضًا-؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو علىٰ الإطلاق. قال الزمخشري: نفَىٰ الرِّبحَ في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾، ونفىٰ سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾(٤).

﴿١٦﴾ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثَل -هنا- بمعنىٰ: حالُـهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه. وإن كان المثَل بمعنىٰ: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ أي: أَوقد. وقيل: طلَب الوقود؛ علىٰ الأصل في «استفعل».

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ إن تعدَّىٰ: فـ ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ مفعولٌ به. وإن لم يتعدَّ: فـ ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية(٥).

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهبه، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّآ﴾ ؛ فالضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدٌ علىٰ ﴿ٱلَّذِي﴾؛ وهو علىٰ هذا بمعنىٰ: «الذين»، وحذْفُ النون منه لغةٌ. وقيل: جواب ﴿لَمَّآ﴾ محذوفٌ تقديره: طَفِئت النار؛ و﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جملةٌ مستأنَفةٌ، والضمير عائد علىٰ المنافقين؛ فعلىٰ هذا يكون ﴿ٱلَّذِي﴾ علىٰ بابه من الإفراد.

---

(١) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات.

(٢) فليس المراد أنهم كانوا علىٰ هدًىٰ، فانتقلوا منه إلىٰ الضلالة. الكشاف (٢/ ٢١٤).

(٣) هذا مصطلح بلاغيٌّ، وذلك أن المجاز الذي علاقته المشابهة -ويسمىٰ الاستعارة- ينقسم -من وجهٍ- إلىٰ ثلاثة أقسام: مجاز مطلق، لم يُذكر فيه ملائم، ومجاز مجرَّد، يُذكر فيه ملائم المشبَّه، ومجاز مرشَّح، يُذكر فيه ملائم المشبَّه به. انظر: عروس الأفراح، للبهاء السبكي (٢/ ١٧٥-١٧٧)، والكشاف (٢/ ٢١٧-٢٢٠).

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٢٢٠).

(٥) ظرفية: أي موصولة في معنىٰ الأمكنة. الكشاف (٢/ ٢٣٢).

(والأول أرجح)[١]، **والأرجح**: أنه إنَّما أُعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يُقصَد بالذي: واحدٌ بعينه، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارًا، سواء كان واحدًا أو جماعة، ثم أُعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبَّه؛ لأنهم جماعة.

فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه[٢]:

أحدها: أنَّ منفعتهم في الدنيا -بدعوىٰ الإيمان- شبيهٌ بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده.

والثاني: أنَّ اختفاءَ كفرهم كالنور، وفضيحتهم بعدَه كالظلمة.

والثالث: أنَّ ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نورٌ، وكفره بعده ظلمة.

ويرجِّح هذا قولُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «ذهب الله بضوئهم»؛ مشاكلةً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟

فالجواب: أنَّ ذهاب[٣] النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما[٤] يَنطلِقُ[٥] علىٰ الكثير.

﴿١٧﴾ ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ **يَحتمل أن يراد به**: المنافقون، أو المستوقِدون المشبَّهُ بهم. وهذه الأوصاف مجازٌ، عبارةٌ عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقدَ الحواسِّ.

---

(١) زيادة من ب، د.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٣٤)؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢).

(٣) في هامش أ: «خ: إذهاب».

(٤) في ج، د، هـ: «فإنه».

(٥) في ب: «يطلق».

﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ **إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلىٰ الهدىٰ. وإن أريد به أصحاب النار فمعناه:** أنهم متحيِّرون في الظلمة، لا يَبرَحُون[1]، ولا يهتدون إلىٰ الطريق.

١٨ ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ﴾ عطف علىٰ: ﴿ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحبِ صيِّبٍ. و﴿أَوۡ﴾ للتنويع؛ لأنَّ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين. **والصيب**: المطر، وأصله: صَيْوِب، ووزنه فَيْعِل، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب. وفي قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إشارةٌ إلىٰ قوَّته وشدَّة انصبابه.

قال ابن مسعود: إنَّ رجلين من المنافقين هربَا إلىٰ المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنَا بالهلاك، فعزما علىٰ الإيمان، ورجعا إلىٰ النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلًا للمنافقين[2]. وقيل: المعنىٰ: تشبيهُ المنافقين في حَيرتهم في الدين وفي خوفهم علىٰ أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضَلَّ عن الطريق وخاف الهلاك علىٰ نفسه؛ **وهذا التشبيه علىٰ الجملة**.

وقيل: **إنَّ التشبيه علىٰ التفصيل؛ فالمطر**: مَثَلٌ للقرآن أو الإسلام، **والظلمات**: مثل لما فيه من الإشكال علىٰ المنافقين، **والرعد**: مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، **والبرق**: مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمَٰتٞ﴾؟ **فالجواب**: أنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع. ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران[3].

﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق. **قال ابن مسعود** ﷺ: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ[4].

(١) في ج، د: «لا يرجعون».
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٨) عن ابن مسعود وابن عباس وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ و﷾، وقال عن إسناد هذا الأثر (١/ ٣٧٥): «ولستُ أعلمُه صحيحًا؛ إذ كنت بإسناده مرتابًا».
(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٢٦٩).
(٤) تقدَّم تخريجه في الأثر الذي سبقه قريبًا.

فهو -علىٰ هذا- حقيقةٌ في المنافقين.

والصواعق علىٰ هذا: ما يكرهون من القرآن، **والموت**: هو ما يتخوَّفونه؛ فهما مجازان. **وقيل**: إنه راجعٌ لأصحاب المطر المشبَّه بهم، فهو حقيقة فيهم.

والصواعق علىٰ هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدَّة الرعد، ونزولِ قطعة نار، **والموت** -أيضًا- حقيقة. **وقيل**: إنه راجعٌ للمنافقين علىٰ وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في أُذُنه[1] من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟

فالجواب: أنَّ ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك جمَعها، مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة[2].

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر علىٰ عقابهم.

(١٩) ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ **إن رجع الضمير إلىٰ أصحاب المطر** -وهم الذين شَبه بهم المنافقين-: فهو بيِّن المعنىٰ. **وإن رجع إلىٰ المنافقين**: فهو تشبيه بمن أصابه البرق علىٰ وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يُضيءُ البرق؛ وهذا مناسبٌ لتمثيل البراهين بالبرق حسَبما تقدَّم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبَّه بهم.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ **إن رجع إلىٰ أصحاب المطر فالمعنىٰ**: أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم. **وإن رجع إلىٰ المنافقين فالمعنىٰ**: أنه[3] يلوح لهم من الحق ما يَقرُبون به من الإيمان.

---

(١) في أ: «آذانه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧١).

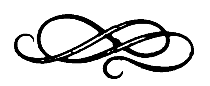
(٣) في أ: «أنهم» وفي الهامش: «خ: أنه».

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ **إن رجع إلىٰ أصحاب المطر فالمعنىٰ**: أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيِّرين لا يعرفون الطريق. **وإن رجع إلىٰ المنافقين فالمعنىٰ**: أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا علىٰ كفرهم. **وقيل**: إنَّ المعنىٰ: كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك؛ فهذا مثَل الضوء، وإذا أصابتهم شدَّةٌ أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه؛ فهذا مثَل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: ﴿كُلَّمَآ﴾، ومع الإظلام: ﴿إِذَآ﴾ ؟

فالجواب: أنَّهم لما كانوا حِراصًا علىٰ المشي: ذكر معه ﴿كُلَّمَآ﴾؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة[1].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ: **إن رجع إلىٰ أصحاب المطر فالمعنىٰ**: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق. **وإن رجع إلىٰ المنافقين فالمعنىٰ**: لو شاء الله لأَوقع بهم العذاب و[2]الفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدية؛ كما هي في قوله تعالىٰ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.



(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧٨).
(٢) في أ، ب: «أو».

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِے خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَٰشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَإِن كُنتُمْ فِے رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلتِے وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَبَشِّرِ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَٰذَا ٱلذِے رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٤﴾ *إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِۦ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيراً وَيَهْدِے بِهِۦ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِۦ إِلاَّ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٱلذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦ أَنْ يُّوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِے ٱلأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٦﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمُۥ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلذِے خَلَقَ لَكُم مَّا فِے ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ إسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوّ۪يٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿٢٠﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآيةَ: **لما قدَّم اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين= أتْبع ذلك بدعوة الخلق إلىٰ عبادة الله.** وجاءت الدعوةُ عامةً لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلىٰ جميع الناس.

﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ **يدخل فيه:** الإيمانُ به سبحانه، وتوحيده، وطاعته. فالأمر بالإيمان به: لمن كان جاحدًا، والأمر بالتوحيد: لمن كان مشركًا، والأمر بالطاعة: لمن كان مؤمنًا.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ **يتعلق:** بـ﴿خَلَقَكُمْ﴾؛ أي خلقكم لتتقوه؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. أو بفعل مقدَّر من معنىٰ الكلام أي: دعوتُكم إلىٰ عبادة الله؛ لعلكم تتقون؛ **وهذا أحسن.** وقيل: يتعلق بقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾؛ **وهذا ضعيف.**

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله: أنه في حق المخلوقين؛ جريًا علىٰ عادة كلام العرب.

وإن كانت للمقاربة أو التعليل: فلا إشكال. والأظهر فيها: أنها لمقاربة الأمر؛ نحو: «عسىٰ»؛ فإذا قالها الله فمعناها: إِطماع العباد، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالىٰ.

٢١ ﴿ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ تمثيلٌ؛ لـمَّا كانوا يقعدون وينامون عليها كالفِراش؛ فهو مجاز. وكذلك ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾. ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: «من»: للتبعيض، أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها. والباء في ﴿بِهِۦ﴾: سببيةٌ، أو كقولك: «كتبت بالقلم»؛ لأنَّ الماء سببٌ في خروج الثمرات بقدرة الله تعالىٰ.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾: «لا»: ناهية، أو نافية؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب ﴿ٱعْبُدُواْ﴾. **والأول أظهر.**

﴿أَندَادًا﴾ يراد به هنا: الشركاء المعبودون مع الله ﷻ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعوله مبالغةً وبلاغةً[1]؛ أي: وأنتم تعلمون وَحدانيته بما ذكر لكم من البراهين. وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق.

ويتعلَّق قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾ بما تقدَّم من البراهين[2]. ويحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾، **والأول أظهر.**

فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية تضمَّنت دعوةَ الخلق إلىٰ عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البرهان بخِلقتهم وخلقة السماء والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفةٌ جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام، فذكر أَوَّلاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم ولآبائهم؛ لأن الخالق يستحقُّ أن يعبد، ثم ذكر ما أَنعم به عليهم من جعل الأرض فراشًا والسماءِ بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات؛ لأنَّ المنعم

(١) مبالغةً: كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة، وبلاغةً: لقصد التعميم، أي: وأنتم تعلمون أنه لا مثل له، وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثلَ أفعاله، فحذَف المفعول؛ لقصد تعميمها. الكشاف (٢/ ٣١٢).

(٢) أي: هو الذي حفَّكم بهذه الآيات العظيمة، والدلائل النيِّرة الشاهدة بالوحدانية، فلا تتخذوا له شركاء. الكشاف (٢/ ٣٠٨).

يستحق أن يعبد ويشكر، وانظرْ قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، و﴿رِزْقاً لَّكُمْۖ﴾ يدلُّك علىٰ ذلك؛ لتخصيصه ذلك بهم؛ فما أجملها من ملاطفةٍ وخطاب بديع!

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه؛ لقوله في آخرها: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً﴾، وذلك هو الذي يُترجَم عنه بقولنا: «لا إله إلَّا الله»؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول «لا إله إلَّا الله».

الثالثة: تكرَّر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه علىٰ الاعتبار في الأرض والسماوات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل علىٰ عشرة أمور؛ وهي:

[١] أن الله موجود؛ لأنَّ الصنعة دليل علىٰ الصانع لا محالة.

[٢] وأنه واحدٌ لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلَّا هو، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾[النحل: ١٧].

[٣-٦] وأنه حيٌّ، قدير، عالم(١)، مُريد؛ لأنَّ هذه الصفاتِ الأربعَ من شروط الصانع؛ إذ لا تصدر صنعة عمَّن عَدِم صفةً منها.

[٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

[٨] وأنه باقٍ؛ لأن ما(٢) ثبت قِدَمُه استحال عَدمه.

[٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتدبيره للملكوت.

[١٠] وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافعَ لبني آدم، سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض. وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال علىٰ: وجوده تعالىٰ، أو علىٰ وَحدانيته(٣).

---

(١) في أ: «عليم».

(٢) في ب، د: «من».

(٣) [التعليق ١٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «لأنَّه لا خالقَ إلَّا هو»: أقولُ: هذا توجيهٌ لدَلَالةِ المخلوقاتِ علىٰ أنه واحدٌ؛ وهذا ليس بجيِّد في صياغةِ الاستدلال؛ لأنه تعليلٌ للشيءِ بنَفْسِه؛ فكأنه قال: «دلَّت علىٰ أنه واحدٌ؛ لأنه واحدٌ»؛ ولا يخفىٰ ما فيه.

=

فإن قيل: لم قصَر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ علىٰ المخاطَبين دون الذين مِن قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوىٰ؟ **فالجواب:** أنه لم يَقصرْه عليهم في المعنىٰ، ولكنه غلَّب المخاطبين علىٰ الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع[1].

فإن قيل: هلَّا قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبةً لقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾؟ **فالجواب:** أنَّ التقوىٰ غايةُ العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أبلغَ وأوقع في النفوس[2].

(٢٣) ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثباتٌ لنبوَّة محمد ﷺ؛ بإقامة الدليل علىٰ أنَّ القرآن الذي جاء به من عند الله. **فلما قدَّم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.**

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ ، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟

فالجواب: أنه ذكر حرف «إنْ» إشارةً إلىٰ أنَّ الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقُّع والاحتمال في الأمر[3] الواقع؛ لبُعْدِ وقوع الريب وقُبْحه عند العقلاء، كما قال تعالىٰ : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4].

= وقولُهُ: «وأكثرُ ما يأتي ذِكْرُ المخلوقاتِ في القرآنِ: في مَعرِضِ الاستدلالِ علىٰ وجودِهِ تعالىٰ، أو علىٰ وحدانيَّته»: **أقولُ:** في هذا نظَرٌ؛ فإنَّ المخاطَبِينَ ليسوا جاحِدِينَ لوجودِ الله؛ بل مُشرِكِينَ في العبادة؛ فالمقصودُ الأوَّلُ مِن ذكرِ المخلوقاتِ: الاستدلالُ بها علىٰ توحيدِ الإلهيَّة، وهم يُقِرُّونَ بأنه الخالِقُ لهذه المخلوقاتِ؛ فاحتُجَّ عليهم بما أقَرُّوا به علىٰ ما أنكرُوهُ مِن توحيدِ الإلهيَّة؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، ولمَّا قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أتبعَ ذلك بقولِه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، إلىٰ قولِه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. فتضمَّنتِ الآياتُ الأمرَ بعبادتِهِ تعالىٰ، والنهيَ عن الشِّرْكِ به، وذِكْرَ المقتضي لذلك؛ وهو خلقُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، وخلقُ السماواتِ والأرضِ وما بينهما، ونظائرُ ذلك كثيرةٌ.

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٩).

(٣) في ج، هـ زيادة: «الماضي».

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٥٤).

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبيُّ ﷺ. **والعبودية علىٰ وجهين**: عامة، وهي التي بمعنىٰ الـمِلْك. وخاصة، وهي التي يراد بها التَّشريف والتَّخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله درُّ القائل:

لا تـدعني إلَّا بيـا عبـدَهُ فإنَّـه أشـرفُ أسـمائِيْ[(١)]

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ أمرٌ يراد به التَّعجيز. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ **الضمير عائد علىٰ**: ﴿مَّا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِن»: لبيان الجنس. **وقيل**: يعود علىٰ النبي ﷺ؛ فـ«مِن» -علىٰ هذا-: لابتداءِ الغاية، ومعناه: مِن بشرٍ مثلِه، **والأول أرجح**؛ لتعيُّنه[(٢)] في «يونس» و«هود». ومعنىٰ: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: في فصاحته، وفيما تضمَّن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة.

﴿شُهَدَآءَكُم﴾: آلهتَكم، أو أعوانَكم، أو مَن يشهد لكم. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِ الله. **وقيل**: هو مِن الدنيء الحقير؛ فهو مقلوب اللفظ.

(٢٤) ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابِه، فيه مبالغةٌ وبلاغة، وهو إخبارٌ بغيبٍ ظهر مصداقُه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتيَ بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرُّفهم في الكلام، وحرصهم علىٰ التكذيب. وفي الإخبار بذلك معجزةٌ أخرىٰ.

وقد اختلف في عجْز الخلق عنه علىٰ قولين: أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، **وهو الصَّحيح. والثاني**: أنه كان في قدرتهم وصُرِفوا عنه. والإعجاز حاصل علىٰ الوجهين. وقد بيَّنَّا سائرَ وجوه إعجازه في المقدمات[(٣)].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ أي: فآمنوا؛ لتنجُوا من النار، وعبر بالملازِم عن ملازِمه[(٤)]؛ لأنَّ ذكْر النار أبلغُ في التفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبُها.

---

(١) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلىٰ أبي عبد الله المغربي (ت ٢٩٩هـ).

(٢) في ب، ج، د: «لتعيينه».

(٣) انظر الباب الحادي عشر من المقدمة الأولىٰ.

(٤) عبَّر بالملازم وهو اتقاء النار عن ملازمه وهو الإيمان وترك العِناد؛ إذ اتقاء النار من نتائج الإيمان ومن لوازمه، فكنَّىٰ به عنه. المحرر الوجيز (١/ ١٤٨)، والبحر المحيط (١/ ٢٩٧).

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي حجارة الكبريت(١)؛ لسرعة اتِّقادها، وشدَّة حرِّها، وقبح رائحتها. وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق.

﴿أُعِدَّتْ﴾ دليلٌ على أنها قد خُلِقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة. وكذلك الجنة.

(٢٤) ﴿وَبَشِّرِ﴾ يَحتمل أن يكون خطابًا للنبي ﷺ، أو خطابًا لكل أحد، ورجَّح الزمخشري هذا(٢)؛ لأنه أفخم. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دليلٌ على أنَّ الإيمان خلافُ العمل؛ لعطفه عليه، خلافاً لمن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل. وفيه دليلٌ على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة(٣).

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها. وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا(٤) تفسيره حيث وقع. وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أُخدود(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٤)، والحاكم في مستدركه (٣٠٣٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٣٤٣).

(٣) [التعليق ١٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: في كلام المؤلِّفِ مسألتانِ:
المسألةُ الأولى: قولُه: «دليلٌ على أنَّ الإيمانَ خلافُ العملِ؛ لعطفِهِ عليه»:
أقولُ: ظاهرُهُ: أنه يقرِّرُ هذا الاستدلالَ؛ وهو -بهذا- يوافِقُ جميعَ طوائِفِ المرجِئةِ في الاستدلالِ بهذه الآيةِ على إخراجِ الأعمالِ عن مسمَّى الإيمان، وأهلُ السُّنَّةِ يُخالِفُونَهم في أصلِ المسألةِ، وفي الاستدلالِ بالآيةِ؛ فيقولون: العملُ مِن الإيمانِ؛ لدلائلَ كثيرةٍ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ؛ كحديثِ وفدِ عبدِ القَيْسِ، وحديثِ شُعَبِ الإيمانِ، ويقولون: العطفُ لا يقتضي المغايَرةَ دائمًا، بل منه عطفُ الخاصِّ على العامِّ، ومِن ذلك: عطفُ الأعمالِ على الإيمانِ.
المسألةُ الثانية: قولُه: «وفيه: دليلٌ على أنَّ السعادةَ بالإيمانِ مع الأعمالِ؛ خلافًا للمرجِئة»:
أقولُ: هذا الاستدلالُ صحيحٌ، ولكنَّ قولَه: «خلافًا للمرجِئة»، لا يصحُّ على الإطلاقِ؛ لأنَّ مرجِئةَ الفقهاءِ لا ينازِعون في هذا، وإنما ينازِعُ في هذا المرجِئةُ الجهميَّةُ، القائلون: «لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ».

(٤) في ج، د: «وهذا».

(٥) روي من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١/ ٢٠٥)، كلاهما أخرجه مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٩٠) عن أنس موقوفًا، =

﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ «مِن» **الأولىٰ**: للغاية، أو للتبعيض، أو لبيان الجنس.

و«مِن» **الثانية**: لبيان الجنس.

﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٤] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناسَ ثمر الدنيا، وإن كانت خيرًا منها في المطعم والمنظر.

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: يشبه ثمرَ الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضًا في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود علىٰ: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنىٰ.

﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره. **ويحتمل أن يريد**: طهارةَ الطِّباع، وطيبَ الأخلاق.

٢٦ ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ **تأوَّل قومٌ أن معناه**: لا يترك؛ لأنهم زعموا أنَّ الحياء مستحيل علىٰ الله؛ لأنه -عندهم-: انكسارٌ يمنع من الوقوع في أمرٍ. وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريم يستحْيِي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صِفْرًا**»(١)(٢).

= قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥١٨): «والموقوف أشبه بالصواب». وروي -أيضًا- من حديث ابن عباس موقوفًا، أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٢٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣/ ١٦٣)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥١٨). وروي -أيضًا- عن مسروق من قوله، أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١٤٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٠٩١)، والطبري في تفسيره (١/ ٤٠٦)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣/ ١٦١).

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢١١)، أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وصحَّحه ابن حبان (٨٧٦)، والحاكم (١٨٣٦)، وقال: «وله شاهد بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك».

(٢) [**التعليق٢٠**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: كلامُ المؤلِّف مستقيم، علىٰ مذهب أهل السُّنَّة؛ لأنه تضمَّن إثباتَ الحَيَاءِ لله علىٰ ما يليقُ به، وأنكرَ علىٰ مَن زعَمَ أنه ممتنِعٌ علىٰ الله، مما أوجَبَ لهم تحريفَ الآية بتأويلِ الحَيَاء بالتَّرْك، واستدَلَّ المؤلِّف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلالٌ صحيح.

﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنَّه لـمَّا ذُكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك[١]. وقيل: لما ضَرب المثَلين المتقدِّمين في المنافقين تكلَّموا في ذلك؛ فنزلت الآية ردًّا عليهم[٢].

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾: مفعولٌ بـ﴿يَضْرِبَ﴾ ، و ﴿مَثَلًا﴾ حال. أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول، و ﴿بَعُوضَةً﴾ بدل منه، أو عطف بيان. أو هما مفعولان بـ﴿يَضْرِبَ﴾؛ لأنها -علىٰ هذا المعنىٰ- تتعدَّىٰ إلىٰ مفعولين، كجعل. و﴿مَّا﴾: صفة للنكرة[٣]، أو زائدة[٤].

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكِبَر، وقيل: في الصِّغَر، والأول أظهر.

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ لأنه لا يستحيل علىٰ الله أن يذكر ما شاء، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمةٌ، وضَرْبُ أمثال، وبيانٌ للناس، ولأنَّ الصادق جاء بها من عند الله.

﴿مَاذَآ أَرَادَ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه: الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب. وفي إعراب ﴿مَاذَآ﴾ وجهان: أن تكون «ما» مبتدأً، و«ذا» خبره، وهي موصولة. وأن تكون كلمة مركَّبة في موضع نصب علىٰ المفعول بـ﴿أَرَادَ﴾ . و﴿مَثَلًا﴾ منصوب علىٰ: الحال، أو التمييز.

﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ من كلام الله؛ جوابًا للذين قالوا : ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾. وهو -أيضًا- تفسيرٌ لما أراد الله بضرب المثل من الهدىٰ والضلال.

(٢٦) ﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ مطلقٌ في العهود، وكذلك ما بعده من القطع والفساد. ويَحتمل: أن يشارَ بنقض عهد الله إلىٰ اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ. ويشارَ بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلىٰ قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٦٢) عن معمر عن قتادة قوله، وعنه أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٩)، وأخرجه الطبري من طريق آخر عن قتادة أيضًا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٢٣) عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، وإسناد هذا الأثر سبق أن قال فيه الطبري في تفسيره (١/ ٣٧٥): «ولستُ أعلمُه صحيحًا؛ إذ كنت بإسناده مرتابًا».

(٣) صفة مخصِّصةٌ، أي: تُفيد النكرةَ تخصيصًا وتقريبًا، كما تقول: جئتك في أمرٍ ما. المحرر الوجيز (١/ ١٥٥).

(٤) صلةٌ زائدة، لا تفيد إلا شيئًا من تأكيد. المحرر الوجيز (١/ ١٥٥).

ويشارَ بالفساد في الأرض إلىٰ المنافقين؛ لأن الإفساد(١) من أفعالهم، حسَبما تقدَّم في وصفهم(٢).

﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ **الضمير**: للعهد، أو لله تعالىٰ.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعُها(٣): الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاب الآباء، أو نُطَفًا في الأرحام.

﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلىٰ الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأُولىٰ: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد. **وقيل: في الحياة الثانية**: إنها في القبور. **والراجح القول الأول**؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[الحج: ٦٤].

فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردِّ علىٰ الكفار، وإقامة البرهان علىٰ بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحُّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجُّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم أُلزِموا، مِن ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوتَ البعث؛ لأن القدرة صالحةٌ لذلك كلِّه .

(١) في ب، د: «الفساد».

(٢) في ب، ج، هـ: «صفتهم».

(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

الثانية: قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»[١].

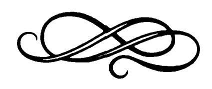
الثالثة: عطَف ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إِثْرُ العدم، لا تراخيَ بينهما، وعطَف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بـ«ثم»؛ للتَّراخي الذي بينهما.

﴿٢٩﴾ ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصَد لها. والسماء -ههنا-: جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بَعْدُ ضميرَ الجماعة[٢]. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي: أتقن خِلْقَتهنَّ؛ كقوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. **وقيل:** جعلهنَّ سواءً.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقولُه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهرُه خلاف ذلك؛ **والجواب من وجهين:**

أحدهما: أن الأرض خُلِقت قبل السماء، ودُحِيت بعد ذلك، فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثُمَّ» لترتيب الإخبار[٣].



(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤١٣).
(٢) لأن اسم الجنس دالٌّ على الجمع. المحرر الوجيز (١/ ١٦٣).
(٣) لا لترتيب الأمر في نفسه. المحرر الوجيز (١/ ١٦٢).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّے جَاعِلٌ فِے اِ۬لْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ اُ۬لدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ اَ۬لْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى اَ۬لْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِے بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ اِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ اَ۬لْعَلِيمُ اُ۬لْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ قَالَ
يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكُمُۥٓ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ
اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾ *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِ۟سْجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَيٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ اَ۬لْكَٰفِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اُ۟سْكُنَ
اَنتَ وَزَوْجُكَ اَ۬لْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ اِ۬لشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
اَ۬لظَّٰلِمِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَزَلَّهُمَا اُ۬لشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اَ۪هْبِطُواْ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِے اِ۬لْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ اِلَيٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ فَتَلَقَّيٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ اَ۬لتَّوَّابُ اُ۬لرَّحِيمُ ﴿٣٦﴾ قُلْنَا اَ۪هْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَاتِيَنَّكُم مِّنِّے هُدىً
فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ
اُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ اُ۬لنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٨﴾

﴿٢٩﴾ ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع ملَك، واختلف في وزنه: فقيل: فَعَلٌ؛ فالميم أصلية، ووزن ملائكة علىٰ هذا: فعائلة. وقيل: هو من الأَلُوكة، وهي الرِّسالة، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله: مَأْلَكٌ، ثم حذفت الهمزة، ووزن ملائكة علىٰ هذا: مَفاعِلة، ثم قلب وأخرت الهمزة؛ فصار: مَعافِلة؛ وذلك بعيد.

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عليه السلام؛ لأنَّ الله استخلفه في الأرض. وقيل: ذرِّيته؛ لأنَّ بعضهم يخلف بعضًا، والأوَّل أرجح، ولو أراد الثاني لقال: خلفاء.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية؛ سؤالٌ محضٌ؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله مَن يعصيه. وليس فيه اعتراضٌ؛ لأنَّ الملائكة منزَّهون عنه. وإنما علِموا أنَّ بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك. وقيل: كان في الأرض جنٌّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكةً فقتلتهم، فقاس الملائكة بني آدم عليهم.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعترافٌ، والتزام للتسبيح، لا افتخارٌ ولا منَّةٌ.

﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: حامدين لك، والتقدير: نسبِّح مُلْتبِسين[1] بحمدك؛ فهو في موضع الحال.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل: أن تكون الكاف مفعولًا، ودخلت عليها اللام؛ كقولك: ضربتُ لِزيدٍ. أو أن يكون المفعول محذوفًا، أي: نقدِّسك، على معنى: ننزِّهك أو نعظِّمك، وتكون اللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل؛ أي: لأجلك. أو يكون التقدير: نقدِّس أنفسَنا -أي نطهِّرها- لك.

﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء، وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿٣٠﴾ ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماءَ بني آدم، أو[2] أسماءَ أجناسِ الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسمَّيات، وهي أشخاص بني آدم، أو[3] أجناس الأشياء.

﴿أَنْبِئُونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويَسفك الدماء. وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿٣١﴾ ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ اعترافٌ.

﴿٣٢﴾ ﴿أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذرِّيتك، أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿٣٣﴾ ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود له على وجه التحيَّة، وقيل: عبادة لله، وآدم كالقبلة. ﴿فَسَجَدُوا﴾ روي أنَّ أوَّل من سجد إسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ[4].

---

(١) في ب، د، هامش أ ورمز له بـ«خ»: «متلبِّسين».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) في ج، هـ: «و».

(٤) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٩٨) عن ضمرة بن ربيعة عن قادم بن مستورد قال قال عمر بن عبد العزيز: «لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام أول من سجد له إسرافيل فأثابه الله عز وجل أن كتب القرآن في جبهته»، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٦٢) وابن أبي حاتم في تفسيره -كما في الدر المنثور (١/ ٢٦٩) عن ضمرة بن ربيعة قال: «بلغني أن أول..»، ولم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ **استثناءٌ متصل عند من قال: إنه كان ملكًا، ومنقطع عند من قال: إنه كان من الجن.**

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ **لقوله:** ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **قيل: كفَر بإبايته من السجود؛ وذلك بناء على أن المعصية كفرٌ. والأظهر: أنه كفَر باعتراضه على الله، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفرَ جحود؛ لاعترافه بالربوبية**[1].

(٣٤) ﴿وَزَوۡجُكَ﴾ **هي حواء، خلقها الله من ضِلَعِ آدم. ويقال: زوجةٌ، وزوجٌ؛ وهذا أفصح.**

﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ **هي جنةُ الخلد عند الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: هي غيرها.**

---

(١) [**التعليق ٢١**] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «قيل: كفَر بإبايته من السجود» إلخ، أقول: تضمَّن كلام المؤلف سببين في كفر إبليس:

الأول: أنه إباؤه السجود الذي أمره الله به، وهو حقيقة المعصية، وهذا يناسب مذهب الخوارج الذين يكفِّرون بالذنوب، ولعل هذا من حجَّتهم.

الثاني: وهو اختيار المؤلف ـ أن سبب كفر إبليس الاعتراض على الله بأمره بالسجود لآدم، وهذا يتضمَّن الطعن في حكمته تعالى، وتسفيهه، تعالى الله، كما قاله المؤلف، فحصَر سبب الكفر في هذين الأمرين؛ إذِ اقتصر عليهما، فضعَّف الأول واستظهر الثاني، ونفَى المؤلف أن يكون كفر إبليس جحودا، وهو صحيح؛ فلم يجحد إبليس ربوبيته تعالى إذ قال: رب أنظرني، وما جحد الأمر؛ لأن الله واجهه بالأمر بالسجود مع الملائكة، وصرَّح بأنه أمره عينا؛ فقال سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾، وسبب كفر إبليس الذي دلَّت عليه الآيات هو إباء السجود الناشئ عن الاستكبار، ولهذا قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾، وقال لإبليس: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾، كما يدل لذلك شبهة إبليس التي اعتذر بها عن امتناعه من السجود، وهو أن الله خلقه من نار، وخلق آدم من طين، وهذه الشبهة تتضمَّن دعاوى باطلة وأقيسة فاسدة ذكرها العلماء، وبيَّنوا بطلانها وفسادها، وفخر إبليس فيها بنفسه واحتقاره لآدم ظاهر، فتضمَّن اعتذارُه حقيقةَ الكبر الذي هو ردُّ الحق واحتقار الغير، وذلك بردِّ أمر الله واحتقار آدم، وبهذا يُعلم أن ما ذكره المؤلف من سببَيْ كفر إبليس ناشئان عن الاستكبار.

فالكبر إذن هو سبب كفر إبليس وأكثر الكافرين من بعده، وشواهد ذلك في القرآن كثيرة، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾. وسمَّى الله جهنم مثوى المتكبرين، ومثوى الكافرين؛ فالكافرون هم المتكبرون في الآيتين.

تنبيه: اشتهر عند كثير من المفسرين وغيرهم أن الحامل لإبليس على ترك السجود هو الحسد، ولا دليل عليه من آية أو حديث فيما أعلم.

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهيُ عن القرب يقتضي النهيَ عن الأكل بطريق الأَولىٰ، وإنما نَهىٰ عن القرب سدًّا للذريعة؛ فهذا أصل في سدِّ الذرائع.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة. وذلك مفتقر إلىٰ نقل صحيح، واللفظ مبهم.

﴿فَتَكُونَا﴾ عطفٌ علىٰ ﴿تَقْرَبَا﴾، أو: نصبٌ بإضمار «أنْ» بعد الفاء في جواب النهي.

﴿٣٥﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعدٍّ: من زلَل القدم. و﴿أَزَالَهُمَا﴾ بالألف: من الزوال[1].

﴿عَنْهَا﴾ الضمير عائد علىٰ الجنة، أو علىٰ الشجرة؛ فتكون «عن» -علىٰ هذا- سببية.

فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة:

فالأظهر: أنه كان علىٰ وجه النِّسيان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. وقيل: سَكِر من خمر الجنة، وحينئذٍ أكل منها؛ وهذا باطل؛ لأن خمر الجنة لا تُسكِر. وقيل: أكلَها عمدًا، وهي معصية صغرىٰ؛ وهذا عند من أجاز علىٰ الأنبياء الصغائر. وقيل: تأوَّل آدم أن النهي عن شجرة معينة، فأكل من غيرها من جنسها. وقيل: لما حلف له إبليس صدَّقه؛ لأنه ظنَّ أنه لا يحلف أحدٌ كاذبًا.

﴿اهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس؛ بدليل: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضعُ استقرار؛ وهو في مدَّة الحياة، وقيل: في بطن الأرض بعد الموت.

﴿وَمَتَاعٌ﴾ ما يتمتَّع به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلىٰ الموت.

﴿٣٦﴾ ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ أي: أخذ وقَبِلَ علىٰ قراءة الجماعة. وقرأ ابن كثير بنصب «آدمَ» ورفع الكلمات؛ فـ﴿تَلَقَّىٰ﴾ -علىٰ هذا-: من اللِّقاء.

﴿كَلِمَاتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ بدليل ورودها في «الأعراف». وقيل غير ذلك.

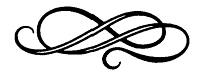
---

(١) قرأ حمزة ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ بألف وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بتشديدها من غير ألف.

﴿٣٨﴾ ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ كُرِّر؛ ليُناط به ما بعده. ويَحتمل: أن يكون أحدُ الهبوطين من السماء، والآخر من الجنة. وأن يكون هذا الثاني: لذرِّية آدم؛ لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾، والأول: لآدم وزوجه وإبليس. وروي[1] أن آدم نزل بسَرنديب من أرض الهند، ونزلت حواء بجدَّة، وإبليس بالأُبُلَّةِ[2].

﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ «إنْ»: شرطية، و«ما» زائدة؛ للتأكيد. والهدىٰ هنا يراد به: كتاب[3] الله ورسالاته.

﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرطٌ، وهو جواب الشرط الأوَّل. وقيل: ﴿فَلَا خَوۡفٌ﴾ جواب الشرطين.



(١) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٢٢) عن بعض السلف، ثم تعقَّبه بقوله: «وهذا مما لا يوصل إلىٰ علم صحته إلا بخبر يجيء مجيءَ الحجة، ولا يُعلم خبرٌ في ذلك ورَد كذلك، غيرَ ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند فإن ذلك مما لا يدفع صحَّتَه علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء»، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٨٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٤/ ٧٦) عن الحسن قال: «أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدست ميسان من البصرة علىٰ أميال، وأهبطت الحية بأصبهان»، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن علي مرفوعًا، قال في الدر المنثور (١/ ٣٢٢): «بسند واهٍ».

(٢) الأُبلَّة: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/ ٧٦).

(٣) في ب: «كتب».

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ
فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ
بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ *وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ
وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٤٠﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لـمَّا قدَّم دعوة الناس عمومًا، وذكر مبدأهم: دعا بني إسرائيل خصوصًا، وهم اليهود. وجرىٰ الكلام معهم من هنا إلىٰ حزب: ﴿*سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ . فتارةً دعاهم بالملاطفة وذكْر الإنعام عليهم وعلىٰ آبائهم. وتارة بالتخويف. وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم علىٰ سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم.

فذكَر من النِّعم عليهم عشرةَ أشياء، وهي:

[١] ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٨] .

[٢] و﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البقرة: ٤٩] .

[٣] و﴿بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٥].

[٤] و﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٦].

[٥] و﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾[البقرة: ٥٦].

[٦] و﴿عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥١].

[٧] و﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ٥٣].

[٨] و﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾[البقرة: ٥٧].

[٩] و﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٢].

[١٠] و﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾[البقرة: ٥٩].

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشيـاء:

[١] قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٢].

[٢] و﴿إِتَّخَذتُّمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩١].

[٣] وقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٢].

[٤] و﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٨].

[٥] و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦٠].

[٦] و﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٤].

[٧] و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[البقرة: ٦٣].

[٨] و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٣].

[٩] و﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٤].

[١٠] و﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٤].

وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء:

[١-٢-٣]﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٦٠].

[٤] و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

[٥] و﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٣].

[٦] و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٤].

[٧] و﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٨].

[٨] و﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٩] و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[المائدة: ١٤].

[١٠] و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ احِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٩].

وهذا كلُّه جرَىٰ لآبائهم المتقدمين، وخوطب به المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متَّبعون لهم راضون بأحوالهم.

وقد وبَّخ المعاصرين(١) لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر، وهي عشرة:

[١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع(٢) معرفتهم به.

[٢] و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٥].

[٣] و﴿يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٨].

[٤-٥] و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٤].

[٦] وحرصهم علىٰ الحياة.

[٧] وعداوتهم لجبريل.

[٨] واتِّباعهم للسحر.

[٩] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢٠].

[١٠] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنىٰ الجمع، ومعناها عام في جميع النِّعم التي علىٰ بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصُّوا هم به، كالمن والسلوىٰ. وللمفسرين فيه أقوال؛ تُحمل علىٰ أنها أمثلةٌ، واللفظ يعمُّ جميعَها.

﴿بِعَهْدِيٓ﴾ مطلقٌ في كل ما أُخذ عليهم من العهود. وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قويٌّ؛ لأنه مقصود الكلام. ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَإِيَّٰيَ﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخَّر(٣)؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسِّره: ﴿فَارْهَبُونِۖ﴾، ولا يصحُّ أن يعمل فيه ﴿فَارْهَبُونِۖ﴾؛ لأنه قد أَخذ معمولَه(٤). وكذلك: ﴿وَإِيَّٰيَ فَاتَّقُونِۖ﴾ .

(٤٠) ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني: القرآنَ. ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدِّقًا للتوراة.

---

(١) في ب، د، هـ: «وُبِّخ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

(٣) تقديره: «وإياي ارهبوا فارهبونِ»، وامتنع أن يُقدَّر مقدَّمًا؛ لأن الفعل إذا تقدَّم لم يحسن أن يتصلَ به إلا ضمير خفيف، فكان يجيء: «وارهبونِ». المحرر الوجيز (١/ ١٩٥).

(٤) في د: «مفعوله».

وتصديقُ القرآن للتوراة وغيرِها، وتصديقُ محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معانٍ:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتبيَّن صدقهم في الإخبار به.

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدِّقٌ لهم؛ أي: شاهدٌ بصدقهم.

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾ الضمير عائد على القرآن. وهذا نهيٌ عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حالٍ؛ لأن هذا مفهوم معطَّل، بل يقتضي الأمرَ بمبادرتهم إلى الإيمان به؛ لِمَا يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ **الاشتراء هنا**: استعارة في الاستبدال؛ كقوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ . **والآيات هنا**: هي الإيمان بمحمد ﷺ. **والثمن القليل**: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم، وأخذهم الرُّشَا على تغيير أمر محمد ﷺ، وغير ذلك.

وقيل: كانوا يعلِّمون دينهم بالأجرة فنُهوا عن ذلك. واحتجَّ الحنفية بهذه الآية على منع الأُجرة[1] على تعليم القرآن.

(٤٢) ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ **الحق هنا يراد به**: نبوة محمد ﷺ، **والباطل**: الكفر به. **وقيل**: الحق: التوراة، والباطل: ما زادوا فيها.

﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ معطوف على النهي. أو منصوب بإضمار «أنْ» في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع. **والأوَّل أرجح**؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين، لا النهيَ عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق.

(١) في ج، هـ: «الإجارة».

٤٢ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **يراد بهما**: صلاة المسلمين وزكاتهم؛ **فهو يقتضي الأمرَ** بالدخول في الإسلام. ﴿وَٱرْكَعُواْ﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ **لأنَّ** صلاة اليهود بلا ركوع، فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع. **وقيل**: الركوع: الخضوع والانقياد.

﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دينهم. **وقيل**: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

٤٣ ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريرٌ وتوبيخ لليهود. ﴿بِٱلْبِرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له. **وقيل**: كان الأَحبار يأمرون مَن نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتَّبعونه. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: كانوا يأمرون باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفةَ محمد ﷺ[١].

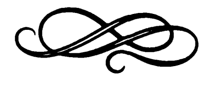
﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تقريع. ﴿تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حجة عليهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

٤٤ ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ **قيل**: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ: كان إذا حزَبه[٢] أمر فزِع إلى الصلاة[٣]، ونُعي إلى ابن عباس أخوه قُثَم رضي الله عنهما فصلَّى ركعتين وقرأ الآية[٤]. **وقيل**: استعينوا بهما على طلب الآخرة. **وقيل**: الصبر هنا الصوم. **وقيل**: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَإِنَّهَا﴾ **الضمير عائد** على العبادة التي تضمَّنها الصبر والصلاة، أو على الاستعانة، أو على الصلاة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقَّةٌ صعبة.

٤٥ ﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا: يتيقَّنون.



---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦١٣-٦١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٠١).

(٢) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه، وحسَّن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/ ١٧٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٠)، وحسَّن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/ ١٧٢).

يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اَ۟ذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَاتَّقُواْ
يَوْماً لاَّ تَجْزِے نَفْسٌ عَن نَّفْسٖ شَيْـٔاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٞ وَلاَ يُوخَذُ مِنْهَا عَدْلٞ وَلاَ هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِے ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٞ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ إِتَّخَذتُّمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ
بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَ ـاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ *وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمُۥٓ
أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِيِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ عِندَ
بَارِيِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّىٰ
نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا اَ۟دْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ
مِنْهَا حَيْثُ شِيْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٞ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٨﴾

﴿٤٦﴾ ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم. وقيل: تفضيلٌ من وجهٍ مَا، وهو كثرة الأنبياء و[1] غير ذلك.

﴿٤٧﴾ ﴿لاَّ تَجْزِے﴾ لا تغني، و﴿شَيْـٔاً﴾: مفعولٌ به، أو صفةٌ لمصدر محذوف[2]. والجملة في موضع الصفة، وحُذِف الضمير؛ أي: فيه[3].

---

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

(٢) أي: جزاءً شيئًا، وعبارة الزمخشري في الكشاف (٢/ ٤٧٢): «ويجوز أن يكون في موضع المصدر، أي: قليلًا من الجزاء» وعبارة أبي حيان في البحر المحيط (٢/ ١٥): «ويجوز أن يكون انتصابه على المصدر، أي: ولا تَجزي شيئًا من الجزاء، قاله الأخفش، وفيه إشارة إلى القلة».

(٣) الجملة في موضع الصفة لـ﴿يَوْمًا﴾، وحُذف منها الضمير الرابط العائد إلى الموصوف، وتقديره: لا تَجزي فيه. الكشاف (٢/ ٤٧٢).

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ليس نفيُ الشفاعة مطلقًا؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوتُ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٤]، ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»(١).

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقًا يحمل علىٰ هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل علىٰ المقيَّد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة علىٰ نفي الشفاعة.

﴿عَدْلٌ﴾ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمَع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم. وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذرِّيتُهم وعلىٰ دينهم ومتَّبعون لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا: مِن تَعداد النعم؛ لأن الإنعام علىٰ الآباء إنعامٌ علىٰ الأبناء. ومِن ذكر مساوئهم؛ لأنَّ ذرِّيتهم راضون بها.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله؛ وحذف لدلالة المعنىٰ. وآل فرعون: هم جنوده وأشياعه وأهل دينه، لا قرابتُه خاصة. ويقال: إنَّ اسمه: الوليد بن مصعب، وهو من ذرِّية عِمليق. ويقال: «فرعون»: لكلِّ مَن ولي مصر. وأصل «آل»: أهل، ثم أُبدل من الهاء همزةٌ، وأُبدل من الهمزة ألفٌ.

فائدة: كلُّ ما ذُكر في هذه السورة من الأَخبار معجزاتٌ للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلُّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجاه أيضًا -البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)- من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: يُلزِمونه لكم، وهو استعارة من السَّوم في البيع[(١)]. وفَسَّر سوءَ العذاب بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفْه هنا. وأما حيث عطَفه في سورة «إبراهيم» فيحتمل: أن يراد بـ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ غير ذلك؛ فيكون عطفَ مغايرةٍ. أو أراد به ذلك؛ وعطَفه لاختلاف اللفظ.

وكان سبب قتلِ فرعون لأبناء بني إسرائيل: أنه أخبره الكهان والمنجِّمون أنَّ هلاكه على يدي مولود ذكرٍ من بني إسرائيل. وقيل: إنَّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذرِّيته ملوكًا وأنبياء فحسدَهم[(٢)] على ذلك. وروي: أنه وكَّل بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهنَّ[(٣)].

وقيل: بل وكَّل على ذلك القوابل[(٤)]؛ ولأجل هذا قيل: معنى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يَفْتِشون الحيا مِن كل امرأة، وهو فرجُها، وهذا بعيد. والأظهر: أنه من الحياة ضدِّ الموت.

(٤٩) ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: فصَلناه، وجعلناه فِرَقًا، اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط. والباء: سببية، أو للمصاحبة[(٥)]. والبحر المذكور هنا: هو بحر القُلْزُوم.

(٥١) ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي قَعدة وعشر ذي الحجة. وإنما خصَّ الليالي بالذكر لأنَّ التاريخ بها، والأيام تابعة لها، والمراد: أربعين ليلة بأيامها.

﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: اتخذتموه إلـهًا؛ فحذف لدلالة المعنى[(٦)].

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي:[(٧)] بعد غَيبته في الطُّور.

---

(١) في الكشاف (٢/ ٤٨٠): «وأصله من سام السلعةَ: إذا طلبها، كأنه بمعنى: يَبغونكم سوءَ العذاب، ويريدونكم عليه».
(٢) في ب، د: «فحسدوهم».
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٤٦-٦٤٧) عن ابن عباس ﷺ.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٠٥) عن أبي العالية.
(٥) فتكون في موضع الحال، بمعنى: فرَقناه ملتبسًا بكم. الكشاف (٢/ ٤٨٢).
(٦) أي: حُذف المفعول الثاني، وهو «إلهًا»؛ لدلالة المعنى عليه.
(٧) في ب، ج، د زيادة: «من».

(٥٢) ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: التوراة.

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ أي: المفرِّق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ. وقيل: الفرقان هنا: فَرق البحر. وقيل: المعنىٰ: آتينا موسىٰ الكتاب، وآتينا محمدًا الفرقان؛ وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا؛ كقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٥٩]. وروي: أن من لم يعبد العجل قَتل من عبده[١]. وروي: أنَّ الظلام أُلقِي عليهم فقتل بعضهم بعضًا، حتىٰ بلغ القتلىٰ سبعين ألفًا، فعفا الله عنهم[٢].

وإنما خصَّ هنا اسم البارئ؛ لأن فيه توبيخًا للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برَأكم. ومعنىٰ البارئ: الخالق.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وهو فحوىٰ الخطاب[٣]، أي: ففعلتم ما أُمرتم به من القتل فتاب عليكم.

(٥٤) ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدَّىٰ باللام؛ لأنه تضمَّن معنىٰ الانقياد. ﴿جَهْرَةً﴾ عِيانًا. ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الموت. وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسىٰ وحملهم إلىٰ الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم علىٰ الله.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠) عن ابن عباس ﵄.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠) عن ابن عباس ﵄، وعن سعيد بن جبير ومجاهد (١/ ٦٧٩، ٦٨٢)، وأخرجه عنهما -أيضًا- ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٠)، وأخرجه كذلك عن قتادة والحسن.

(٣) كذا ورد، وصواب العبارة: «وهو لحن الخطاب»، وابن جزيٍّ ﵀ يَقصد دلالة الاقتضاء، وهي دلالة اللفظ المنطوق به علىٰ مضمرٍ هو من ضرورة اللفظ؛ لتوقُّف صدق الكلام أو صحَّته عقلًا أو شرعًا عليه. (انظر: المستصفىٰ ٢/ ٨٢٤، وشرح المحلي علىٰ جمع الجوامع ١/ ١٨٥)، فدلالة الاقتضاء هذه يسميها ابن جزيٍّ لحنَ الخطاب، قال في تقريب الوصول (ص: ٦٤-٦٥): «الباب السابع: في لحن الخطاب وفحواه ودليله، أما لحن الخطاب: فهو ما حُذف من الكلام، ولا يستقلُّ المعنىٰ إلا به.. وأما فحوىٰ الخطاب: فيسمىٰ تنبيه الخطاب ومفهوم الموافقة.. أما دليل الخطاب: فهو مفهوم المخالفة..»، وقد تبع في هذا الاصطلاح القرافيَّ في شرح تنقيح الفصول (ص: ٤٩)، ومن الأصوليين من يُطلق فحوىٰ الخطاب علىٰ مفهوم الموافقة الأولوي، ولحنَ الخطاب علىٰ مفهوم الموافقة المساوي -وليس علىٰ دلالة الاقتضاء-، كما هو صنيع صاحب «جمع الجوامع».

٥٧ ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظُّلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في التِّيه. وكذلك أنزل عليهم فيه المنَّ والسلوىٰ لما عَدِموا الطعام. وقد فسَّرنا ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ في «**اللغات**»[(١)]. ﴿كُلُوا۟﴾ معمولٌ لقول محذوف.

٥٨ ﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وهي قريبٌ من بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا۟﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول. وجاء في «**الأعراف**» بالواو بعد قوله: ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾ ؛ لأن الأكل مقارن للسكنىٰ.

﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه رُكَّعًا؛ لأنَّ الدخول لا يتأتَّىٰ معه السجود، وقيل: متواضعين.

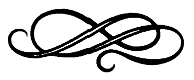
﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «**اللغات**»[(٢)].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلىٰ المغفرة.

٥٩ ﴿فَبَدَّلَ﴾ روي أنه قالوا: حنطة[(٣)]، وروي: حبة في شعرة[(٤)].

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمِّهم بالظلم. وكرَّره زيادة في تقبيح أمرهم.

﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا[(٥)].



---

(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٥-٧٢٦)، والحاكم في المستدرك (٣٠٥٨)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وروي أنهم قالوا: «حنطة في شَعِيرة»، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٤-٧٢٥) عن أبي هريرة وابن عباس، وأخرجه أحمد في المسند (٨١١٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) «حبة في شعرة» أخرجه البخاري (٣٤٠٣)، (٤٤٧٩)، (٤٦٤١)، ومسلم (٣٠١٥) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٥) تفسير الرجز بأنه الطاعون روي عن عبد الرحمن بن زيد، كما أخرجه الطبري (١/ ٧٣٠)، وتحديد عدد من مات منه أنهم سبعون ألفًا ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ١١٠)، وقال الطبري (١/ ٧٣١): «وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل علىٰ الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائزٌ أن يكون ذلك طاعونًا، وجائز أن يكون غيرَه، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابتٍ أيُّ أصناف كان ذلك».

*وَإِذِ اِسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اَضْرِب بِّعَصَاكَ اَلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اِللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي اِلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ اُلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ اَلذِے هُوَ أَدْنَىٰ بِالذِے هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اُلذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اَللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اِللَّهِ وَيَقْتُلُونَ اَلنَّبِيٓـِٔينَ بِغَيْرِ اِلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٩﴾ ﴿اِسْتَسْقَىٰ﴾ طلَبَ السُّقيا لـمَّا عطشوا في التيه. ﴿اَلْحَجَرَ﴾ كان مربَّعًا؛ ذراعًا في ذراع، تنفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي: أنَّ آدم كان أهبطه من الجنة[1]. **وقيل**: هو جنس غير معيَّن؛ وذلك أبلغ في الإعجاز. ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت.

﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾أي: موضعَ شربهم ، وكانوا اثني عشر سِبْطًا؛ لكل سبط عينٌ.

﴿كُلُواْ﴾ أي: من المنِّ والسلوىٰ. ﴿وَاشْرَبُواْ﴾ من الماء المذكور.

﴿٦٠﴾ ﴿وَفُومِهَا﴾ يعني: الثوم. **وقيل**: الحنطة. ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير. **وقيل**: أصله «أدون»، ثم قُلب بتأخير عينه وتقديم لامه. ﴿مِصْراً﴾ **قيل**: البلد المعروف؛ وصُرِف لسكون وسطه. **وقيل**: هو غير معين فهو نكرة؛ لِمَا روي أنهم نزلوا الشام[2]، **والأول أرجح**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني: مصر. ﴿وَضُرِبَتْ﴾ أي قُضِي عليهم بها، وأُلزِموها. وجعله الزمخشري استعارةً؛ مِن ضرْب القُبَّة؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به[3]. ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، **وقيل**: الجزية.

(١) ذكر هذا الزمخشري في الكشاف (٢/ ٥٠١)، قال: «وقيل: أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتىٰ وقع إلىٰ شعيب فدفعه اليه مع العصا»، ولم أقف علىٰ إسناد له.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٨)، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٠٤-٤٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥١) عن الحسن وقتادة.

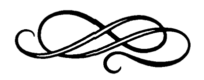
(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٥٠٧).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ **الإشارة إلىٰ**: ضرب الذِّلة، والمسكنة، والغضب، **والباء للتعليل**.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيات المتلوة، أو العلامات. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبيٌّ إلَّا بغير حق، وإنما نصَّ عليه تشنيعًا لقبح فعلهم، ولأنهم اجترؤوا علىٰ قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق؛ وذلك أقبح.

فـائدة: قال هنا: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالتعريف، فاللام للعهد؛ لأنه قد تقرَّرت الموجبات لقتل النفس(١). وقال في الموضع الأخير من «**آل عمران**»: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[آل عمران: ١١٢] بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ(٢).

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ **يَحتمل** أن يكون تأكيدًا للأول. أو تكون الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ الكفر والقتل، والباء لتعليل ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اجترؤوا علىٰ الكفر وقتل الأنبياء لـمَّا انهمكوا في العصيان والعدوان.



---

(١) أي: أنه قد تقرَّر في شريعتهم مُسوِّغات قتل النفس، ومنها قتل نفسٍ بغير حقٍّ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقد علموا أن الأنبياء مبرؤون من ذلك، فقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بغير وجه الحق المبيحِ للقتل، فالألف واللام للعهد في المسوِّغ المتقرِّر في شريعتهم. انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢١٥-٢١٧).

(٢) وقال في الموضع الآخِير من «آل عمران» أي: الموضع الثاني منها، في آية رقم (١١٢)، وأما الموضع الأول منها فهو آية رقم (٢١)، فجاء ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في هذا الموضع الثاني بالتنكير؛ لاستغراق النفي أي: لتأكيد العموم، كأنه قيل: بغير سبب ولا شبهة، وهي نزلت فيمن عاصر منهم محمدًا ﷺ، فذلك التنكير أوغلُ في ذمِّهم وسوء حالهم؛ لأنهم لا يمكنهم فيما ارتكبوه تعلُّقٌ بشيء البتة ولا أدنىٰ شبهة. انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢١٥-٢١٧)، والبحر المحيط (٢/ ١٣٩).

إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرِيٰ وَالصَّٰبِينَ مَنَ ـامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً
فَلَهُمُۥٓ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَۖ ﴿٦١﴾ وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ الطُّورَۖ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَۖ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ الْخَٰسِرِينَۖ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الذِينَ
اِعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَۖ ﴿٦٤﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَۖ ﴿٦٥﴾ *وَإِذْ قَالَ مُوسَيٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ يَامُرُكُمُۥٓ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ
قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤاًۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنَ اَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَۖ ﴿٦٦﴾ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا
مَا هِيَۖ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَافْعَلُواْ مَا تُومَرُونَۖ ﴿٦٧﴾
قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۖ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَاۖ تَسُرُّ
النَّٰظِرِينَۖ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ اللَّهُ
لَمُهْتَدُونَۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الْاَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَۖ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ
فِيهَاۖ قَالُواْ الْٰنَ جِئْتَ بِالْحَقِّۖ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَۖ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّٰرَأْتُمْ فِيهَاۖ
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَۖ ﴿٧١﴾ فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۖ كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَيٰ
وَيُرِيكُمُۥٓ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَۖ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوَ
اَشَدُّ قَسْوَةًۖ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهَٰرُۖ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُۖ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِۖ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَۖ ﴿٧٣﴾

﴿٦١﴾ ﴿إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَادُواْ﴾ الآيَةَ: **قال ابن عباس** ﵄: **نسخَها:** ﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِيناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُۖ﴾ [آل عمران : ٨٤][1]. **وقيل: معناها: إنَّ هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانًا صحيحًا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلىٰ الموت، وفي حق غيرهم: الدخول في الإسلام؛ فلا نسخ.**

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٥-٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٢٦).

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾. أو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل، و﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

٦٣ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ لما جاء موسىٰ بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرُفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ جدٌّ في تعلم التوراة، أو العمل بها.

٦٤ ﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرَّمًا عليهم. ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ عبارةٌ عن مسخهم[1]. و﴿خَاسِئِينَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبعَدِين كما يُخسأ الكلب.

٦٥ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفِعلة؛ وهي المسخ. ﴿نَكَالًا﴾ أي: عقوبةً لما تقدَّم من ذنوبهم وما تأخَّر. وقيل: عبرةً لمن تقدَّم ومن تأخَّر.

٦٦ ﴿أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قصَّتها: أن رجلًا من بني إسرائيل قَتل قريبه ليرثه، وادَّعىٰ علىٰ قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتًا[2]. ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاءٌ وقلَّة أدب، أو تكذيبٌ.

٦٧ ﴿فَارِضٌ﴾ مسنَّةٌ. ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة. ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين ما ذُكِر؛ ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مع أن الإشارة إلىٰ شيئين[3].

٦٨ ﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة. وقيل: سوداء؛ وهو بعيد. والظاهر: صفراء كلُّها، وقيل: القرن والظِّلف فقط؛ وهو بعيد.

﴿فَاقِعٌ﴾ شديد الصفرة. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لحسن لونها، وقيل: لسِمَنِها ومنظرِها كلِّه.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٦)، والبيهقي في السنن (١٢٢٤٨) عن عَبِيدة السلماني، وهو من الإسرائيليات، وأخرجه الطبري أيضًا (٢/ ٧٧) عن أبي العالية.

(٣) أي: أن «بين» في الأصل لا تدخل إلا علىٰ اثنين، وقد دخلت هنا علىٰ اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهو مفرد! وجوابه: أن اسم الإشارة مفرد في اللفظ والصورة، وهو في المعنىٰ مُثنًّى؛ لأنه إشارة إلىٰ ما ذُكر، والمذكور اثنان. المحرر الوجيز (١/ ٢٤٧-٢٤٨)، والكشاف (٢/ ٥٢٠)، والبحر المحيط (١/ ٢٩٧).

(٧٠) ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ أي: غير مذلَّلَةٍ للعمل.

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح.

﴿وَلَا تَسْقِى﴾ لا يسقىٰ عليها. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل، أو من العيوب.

﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا لُـمْعة غير الصفرة؛ وهو مِن «وشَىٰ»؛ ففاؤه واو محذوفة، كعِدَةٍ.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ العامل في الظرف: ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ . وقيل: العامل فيه مضمر تقديره: الآن نذبحُها، والأول أظهر. فإن كان قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ تكذيبًا: فهذا تصديق. وإن كان غير ذلك فالمعنىٰ: بالحق البيِّن.

﴿وَمَا كَادُوا﴾؛ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها، أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم[(١)]، وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا[(٢)]، أو لقلَّة وجود تلك الصفات؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنىٰ بقرة لأجزأت عنهم، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم[(٣)].

(٧١) ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أوَّل قصة البقرة؛ فرتْبتُه التقديم قبلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾! قال الزمخشري: إنما أُخِّر لتعدُّد توبيخهم بقصتين؛ وهما: ترك المسارعة إلىٰ الأمر، وقتل النفس؛ ولو قدِّم لكان قصةً واحدة بتوبيخ واحد[(٤)].

﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ أي اختلفتم؛ وهو من المدارأة؛ أي: المدافعة.

﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أمرَ القتيل، ومَن قتله.

---

(١) كونها ليتيم ذكره ابن جرير في تفسير (٢/ ٧٨)، قال: «فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامىٰ»، ولم يورد سنده.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٧٦)، وابن جرير في تفسيره (٢/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٣٦) عن عَبيدة السلماني، وهو من نقل بني إسرائيل، كما قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٠١).

(٣) أخرجه البزار في مسنده عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنىٰ بقرة لأجزأتهم، أو لأجزأت عنهم»، وإسناده ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٣٤٢).
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، أخرجه ابن جرير (٢/ ٩٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٧)، قال ابن كثير (١/ ٢٩٨): «إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا قال عبيدة، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية وغير واحد».

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٥٣٨).

(٧٣) ﴿ٱضۡرِبُوهُ﴾ القتيلَ، أو قبرَه. ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ مطلقٌ. **وقيل**: الفَخِذ. **وقيل**: اللسان. **وقيل**: الذنَب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلىٰ حياة القتيل، واستدلالٌ بها علىٰ الإحياء للبعث. وقبله محذوف لا بدَّ منه؛ وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

فائدة: استدلَّ المالكية بهذه القصة علىٰ قبول قول المقتول: «فلان قتلني»؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصَّته معجزة لنبيٍّ، فلا يتأتَّىٰ أن يكذب المقتول، بخلاف غيره. واستدلوا -أيضًا- بها علىٰ أن القاتل لا يرث؛ ولا دليل فيها علىٰ ذلك.

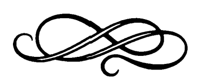
(٧٤) ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل، وما جرىٰ في القصة من العجائب. وذلك بيانٌ لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات.

﴿أَوۡ أَشَدُّ﴾ عطف علىٰ موضع الكاف، **أو**: خبر ابتداء؛ أي: هي أشدُّ.

و﴿أَوۡ﴾ هنا إمَّا للإبهام، أو للتخيير؛ كأنَّ من علم حالها مخيَّرٌ بين أن يشبِّهها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة، كالحديد، أو للتفصيل؛ أي: فيهم كالحجارة، وفيهم أشدُّ.

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ ولم يقل «أقسىٰ» مع أن فعل القسوة يبنىٰ منه «أفعل»: لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلَّ علىٰ فرط القسوة.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾ الآيةَ: تفضيلٌ للحجارة علىٰ قلوبهم. ﴿يَهۡبِطُ﴾ أي: يتردَّىٰ من عُلْو إلىٰ سُفْل[1]. **والخشية**: عبارة عن انقيادها، **وقيل**: حقيقة؛ وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.



---

(١) في أ: «أسفل».

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنْ
بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ *وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٧٥﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٧﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم
مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذتُّمْ عِندَ اللَّهِ عَهْداً فَلَن
يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ
بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٤﴾ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. و﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾ يعني: اليهودَ، وتعدَّىٰ باللام؛ لـمَّا تضمن معنىٰ الانقياد. ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله علىٰ الطور، ثم حرفوه. وقيل: بنو إسرائيل، حرفوا التوراة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيانٌ لقبح فعلهم(١).

﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ قالها من ادَّعىٰ الإسلام من اليهود. وقيل: قالوها ليدخلوا إلىٰ المؤمنين ويسمعوا أخبارهم. ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخٌ. ﴿بِمَا فَتَحَ﴾ **فيه ثلاثة أوجه:**

- بما حكم عليهم من العقوبات.
- وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ.
- وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام.

وكلُّ وجه حجةٌ عليهم؛ ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾.

---

(١) في هامش أ: «خ: حالهم».

﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ قيل: في الآخرة. وقيل: أي: في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ فعنده بمعنىٰ: حكمه. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم؛ توبيخًا لقومهم.

٧٦ ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ﴾ الآيةَ: من كلام الله؛ ردًّا عليهم، وفضيحةً لهم.

٧٧ ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾ أي: لا يقرؤون ولا يكتبون؛ فهم ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ .

والمراد: قوم من اليهود. وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كلَّه مع اليهود. ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ تلاوةً بغير فهم، أو أكاذيبَ، أو ما تتمناه النفس.

٧٨ ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ تحقيق لافترائهم. ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ عرَض الدنيا؛ من الرئاسة، أو[1] الرشوة، وشبه ذلك. ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو من الذنوب.

٧٩ ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ أربعين يومًا عددَ عبادتهم العجل. وقيل: سبعة أيام. ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ الآيةَ: تقريرٌ يقتضي إبطال قولهم.

٨٠ ﴿بَلَىٰ﴾ تحقيقٌ لطول مكثهم في النار، أو لقولهم ما لا يعلمون. ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ الآيةُ في الكفار؛ لأنها ردٌّ علىٰ اليهود، ولقوله بعدها:

٨١ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.



(١) في ب، ج، د: «و».

وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اَ۬للَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناٗ وَذِے اِ۬لْقُرْبِيٰ وَالْيَتَٰمِيٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناٗ وَأَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ اُ۬لزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُۥ إِلَّا قَلِيلاٗ مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاٗ مِّنكُم مِّن دِيٰرِهِمْ تَظَّٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالِاثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ *وَإِنْ يَّاتُوكُمُۥ أُسْرِيٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمُۥ إِخْرَاجُهُمُۥٓ أَفَتُومِنُونَ بِبَعْضِ اِ۬لْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٖ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمُۥٓ إِلَّا خِزْيٞ فِے اِ۬لْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْي۪اۖ وَيَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيٰٓ أَشَدِّ اِ۬لْعَذَابِۖ وَمَا اَ۬للَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ اَ۬لذِينَ اَ۪شْتَرَوُاْ اُ۬لْحَيَوٰةَ اَ۬لدُّنْي۪ا بِالَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اُ۬لْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿٨٢﴾ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اَ۬للَّهَ﴾ جوابٌ لقسمٍ[1]؛ يدلُّ عليه: الميثاق[2]. وقيل: خبر بمعنىٰ النهي؛ ويرجحه قراءة: «لا تعبدوا»[3]. وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أنْ»[4].

﴿وَبِالْوَٰلِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ﴿إِحْسَٰناٗ﴾ . أو: بمحذوف، تقديره: أحسِنوا، ووُكِّد بـ﴿إِحْسَٰناٗ﴾ .

﴿وَذِے اِ۬لْقُرْبِيٰ﴾ القرابة. ﴿وَالْيَتَٰمِيٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ. واليتيم من سائر الحيوان: مَن فقد أمه.

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهمِّ: فقدَّم الوالدين؛ لحقِّهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأن فيهم أجرَ الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامىٰ؛ لقلة حيلتهم، ثم المساكين.

﴿٨٣﴾ ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض. وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لايخرج بعضكم بعضًا.

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

---

(١) في ب، هـ: «القسم».

(٢) والمعنىٰ: وإذ استحلفناكم والله لا تعبدون. المحرر الوجيز (١/ ٢٦٨).

(٣) قرأ أبي بن كعب وابن مسعود ﷺ: «لا تعبدوا» علىٰ النهي. المحرر الوجيز (١/ ٢٦٨).

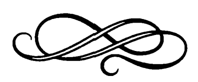
(٤) فارتفع الفعل لزوالها. المحرر الوجيز (١/ ٢٦٨).

(٨٥) ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب -علىٰ التخصيص- بفعل مضمر. **وقال ابن الباذِش**(١): مبتدأ، وخبره ﴿أَنتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حالٌ لازمة تمَّ بها المعنىٰ(٢).

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاءَ الأوس، والنَّضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به. ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون. ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قرئ: بالألف وبحذفها(٣)؛ والمعنىٰ واحد. وكذلك ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ بالألف وحذفها(٤)؛ جمع أسير.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ **الضمير**: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل. أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فداؤهم الأسارىٰ؛ موافقةً لما في كتابهم(٥). ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتلُ والإخراج من الديار؛ مخالفةً لما في كتابهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلقٌ.



(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن البـاذِش الأنصاري الغرناطي، نحويٌّ عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحبِ «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٧٣)، وتتمة النقل: «وهي كانت المقصود، فهي غير مستغنًىٰ عنها، وإنما جاءت بعد أن تم الكلام في المسند والمسند إليه، كما تقول: هذا زيد منطلقًا، وأنت قد قصدت الإخبار بانطلاقه، لا الإخبار بأن هذا هو زيد».

(٣) قرأ نافع وعاصم والكسائي ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ بضم التاء وألف بعد الفاء، وقرأ الباقون بفتح التاء وإسكان الفاء من غير ألف.

(٤) قرأ حمزة ﴿أَسْرَىٰ﴾ بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف، وقرأ الباقون ﴿أُسَارَىٰ﴾ بضم الهمزة وألف بعد السين.

(٥) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ
وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٦﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ
﴿٨٧﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٨﴾ بِئْسَمَا
ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ *وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ
ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ قُلْ إِن كَانَتْ
لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ
عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ
ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

﴿٨٦﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسل؛ وهو مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول. ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المعجزات؛ من إحياء الموتىٰ وغير ذلك.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل. وقيل: الإنجيل. وقيل: الاسم الذي كان يُحيي به الموتىٰ. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل : ١٠٢]، ولقوله ﷺ لحسان: «اللهم أيّده بروح القدس»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣)، ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعًا مبالغةً؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لو لا أن الله عصمه.

﴿٨٧﴾ ﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: عليها غلاف -وهو الغشاء- فلا تَفْقَهُ.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ردٌّ عليهم، وبيانٌ أن عدم فهمهم بسبب كفرهم.

﴿فَقَلِيلًا﴾ أي: إيمانًا قليلًا يؤمنون، و﴿مَّا﴾ زائدة. **ويجوز أن تكون القلة بمعنىٰ العدم، أو علىٰ أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.**

﴿٨٨﴾ ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن. ﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدَّم أن له ثلاثة معانٍ[1].

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي يستنصرون[2] علىٰ المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا: «اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظلَّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرم». وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يعرِّفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين -علىٰ هذا- للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر[3]، وعلىٰ الأول للطلب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ. **قال المبرِّد:** ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب «لـمّا» الأولىٰ والثانية، وأُعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد. **وقال الزَّجَّاج:** ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب «لـمّا» الثانية، وحُذف جواب الأولىٰ؛ للاستغناء عنه بذلك. **وقال الفرَّاء:** جواب «لـمّا» الأولىٰ: ﴿فَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَفَرُواْ﴾.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهودَ، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ ليدلَّ أن اللعنة بسبب كفرهم. **واللام للعهد، أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.**

﴿٨٩﴾ ﴿بِئْسَمَا﴾ فاعلُ «بئس» مضمر، و«ما» مفسِّرة له، و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ هو المذموم. **وقال الفرَّاء:** ﴿بِئْسَمَا﴾ مركب؛ كحبَّذا. **وقال الكسائي:** «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) في ب، د: «ينتصرون».

(٣) في د: «واستخرج».

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ هنا بمعنىٰ: باعوا.

﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في موضع خبر ابتداءٍ. أو: مبتدأٌ؛ كاسم المذموم في «بئس»(١). أو: مفعولٌ من أجله. أو: بدل من الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ .

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها مِن ذكر محمد ﷺ.

﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني: محمدًا ﷺ. والمعنىٰ: أنهم إنما كفروا حسدًا لمحمد ﷺ لـمّا تفضَّل الله عليه بالرسالة.

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ علىٰ غضب لكفرهم بعيسىٰ عليه السلام، أو لعبادتهم العجل، أو لقولهم: عزير ابن الله، ولغير ذلك من قبائحهم.

(٩٠) ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن.

﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ التوراة.

﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما بعده؛ وهو القرآن.

﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ ردٌّ عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيبٌ لهم. وذكَر الماضيَ بلفظ المستقبل إشارةً إلىٰ ثبوته، فكأنه دائم؛ لـمَّا رضي هؤلاء به.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ شرطيةٌ؛ بمعنىٰ القدح في إيمانهم، وجوابُها يدل عليه ما قبل. أو نافيةٌ؛ فيوقَف قبلها، والأوَّل أظهرُ.

(٩١) ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: المعجزات؛ كالعصا، وفلْق البحر، وغير ذلك.

﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ ذُكِر هنا علىٰ وجه الذمِّ لهم، والإبطالِ لقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾. وكذلك رفعُ الطور. وذُكر قبل هذا علىٰ وجه تَعداد النِّعم؛ لقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾

(١) أي: إعرابه كاسم المذموم في «بئس»، فهو إما خبر ابتداء محذوف، تقديره: المذموم كفرهم، أو مبتدأ، والجملة قبلَه خبره. انظر: أوضح المسالك، لابن هشام (٣/ ٢٥١).

[البقرة : ٥١]، و﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [البقرة : ٦٣]. **وعطفه بـ«ثُمَّ» في الموضعين؛ إشارةً إلىٰ قبح ما فعلوه من ذلك.**

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الضمير لموسىٰ ﷺ؛ أي: مِن بعد غَيبته في مناجاة الله علىٰ جبل الطور.

(٩٣) ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك. **ويَحتمل أن**[1] **قالوه**: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ عبارةٌ عن تمكُّن حُب العجل من قلوبهم؛ **فهو مجاز**، تشبيهًا بشرب الماء، أو بشرب الصِّبْغ في الثوب، وفي الكلام محذوف؛ أي: أُشرِبوا حُبَّ العجل. **وقيل**: إن موسىٰ برَد العجل بالـمِبرَد، ورمىٰ بُرَادته في الماء فشربوه؛ فالشُّرب علىٰ هذا **حقيقة**. ويردُّ هذا قولُه: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ .

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ **الباء**: سببيةٌ للتعليل، أو بمعنىٰ المصاحبة.

﴿يَأْمُرُكُم﴾ إسنادُ الأمر إلىٰ إيمانهم مجازٌ؛ علىٰ وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود : ٨٧]. وكذلك إضافة الإيمان إليهم . و﴿إِن كُنتُم﴾: شرطٌ، أو نفيٌ.

(٩٤) ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصةً. وذلك أمرٌ علىٰ وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنَّه مَن علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها. وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين[2]. **وقيل**: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طولَ حياته.

(٩٥) ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ **إن قيل**: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ ، وفي سورة «**الجمعة**»: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾ فنفىٰ هنا بـ«لن» وفي «**الجمعة**» بـ«لا»؟

فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير: **الجواب**: أنه لما كان الشرط في «**البقرة**» مستقبلًا وهو قوله: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾= جاءَ جوابه بـ«لن» التي

---

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٩٩٥)، والبزار في مسنده (٤٨١٤)، وابن جرير (٢/ ٢٦٨) عن ابن عباس ﷺ في ضمن حديث، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦): «ورجاله رجال الصحيح»، وصححه -أيضًا- ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٣١)، وأصله في البخاري (٤٩٥٨) من غير ذكر موضع الشاهد.

تخلِّص الفعلَ للاستقبال، ولما كان الشرط في «الجمعة» حالًا وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾= جاءَ جوابه بـ«لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل(١).

﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.

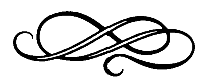
﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.

٩٥ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيوصل به. والمعنى: أن اليهودَ أحرصُ على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحُمِل على المعنى(٢)؛ كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا. وخصَّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فأَفْرطَ حبُّهم للحياة الدنيا .

والآخر: أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ ابتداءَ كلامٍ؛ فيوقف على ما قبله. والمعنى: من الذين أشركوا قومٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فحُذِف الموصوف. وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم: «عِشْ ألف سنة».

والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني يَخرُج الكلام عنهم.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ الآيةَ؛ فيها وجهان: أحدهما: أن يكون ﴿هُوَ﴾ عائدًا على ﴿أَحَدُهُمْ﴾، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل بـ﴿مُزَحْزِحِهِۦ﴾. والآخر: أن يكون ﴿هُوَ﴾ للتعمير، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل.



(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢٢٧).

(٢) أي: حُمل ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ على المعنى، فمعناه: «أحرصَ من الناس» كما تقول: زيدٌ أفضلُ من القوم، ثم تحذف «مِن» وتضيفه، والمعنى على إثبات «مِن».

قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٦﴾ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
﴿٩٨﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ *وَلَمَّا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ
هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ
وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ
اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿٩٦﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ﴾ الآيةَ سببُها: أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدوُّنا؛ لأنه ملَك الشدائد والعذاب؛ فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك؛ لأنه ملَك الأمطار والرحمة[1].

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فيه وجهان: **الأول**: فإن الله نزَّل جبريلَ. **والآخر**: فإن جبريل نزَّل القرآنَ، **وهذا أظهر**؛ لأنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن.

والمعنىٰ: الردُّ علىٰ اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوًّا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديَه؛ لأنه نزَّله علىٰ قلبك؛ فهو مستحق للمحبة، ويؤكِّد هذا قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ .

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣)، (٢٥١٤)، والنسائي في الكبرىٰ (٩٠٢٤)، وابن جرير (٢/ ٢٨٣-٢٨٤)، وابن أبي حاتم (١/ ١٧٩-١٨٠) عن ابن عباس ﷺ في ضمن حديث طويل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٣٨): «ورجاله ثقات».

والثاني: من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزَّله على قلبك، فكأنَّ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل.

(٩٧) ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ ذُكرَا بعد الملائكة تجريدًا؛ للتشريف والتعظيم.

(٩٩) ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ **الواو**: للعطف[١]، **وقال الأخفش**: زائدة.

﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي، وكان قد قال: والله ما أُخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد[٢].

(١٠٠) ﴿رَسُولٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، أو التوراة؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

(١٠١) ﴿وَاتَّبَعُواْ﴾ أي: اليهود الذين في زمان محمد ﷺ، أو المتقدِّمون.

﴿مَا تَتْلُواْ﴾ هو مِن: القراءة، أو الاتِّباع.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ أي: في ملكِ، أو على عهدِ ملك سليمان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ تبرئةٌ له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليُذهِبَه، فأَخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنما كان سليمان ساحرًا. **وقيل**: إنَّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنَه، فلما مات قالوا: ذلك علم سليمان.

﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعليم[٣] السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام.

﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفيٌ، **أو عطفٌ على**: ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ ، **أو**: على: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾.

﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ **إن كانت «ما» نافيةً**: فذلك تبرئةٌ لهما من إنزال السحر عليهما. إلَّا أن ذلك يردُّه آخر الآية. **وإن كانت معطوفةً بمعنى «الذي» فالمعنى**: أنهما أُنزِل عليهما ضربٌ من

---

(١) الواو للعطف على محذوف، تقديره: أكفروا بالآيات البيِّنات وكلَّما عاهدوا..؟ الكشاف (٣/ ١١).
(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٠٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) في أ، ب، ج، هـ: «بتعلُّم»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/ ٢٩٩).

السحر؛ ابتلاءً من الله لعباده، أو ليُعرف فيُحذر منه. وقرئ: «المَلِكَيْنِ» بكسر اللام[١]؛ وقال الحسن: هما عِلْجان[٢]، فعلىٰ هذا: يتعيَّن أن تكون «ما» غيرَ نافية.

﴿بِبَابِلَ﴾ موضعٌ معروف.

﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان علَمان، وهما بدل من ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، أو عطفُ بيان.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنةٌ؛ وذلك تحذيرٌ من السحر. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلُّم السحر. ومن هنا أَخذ مالكٌ أن الساحر يقتل كفرًا.

﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

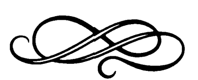
﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُواْ﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي: اشتغل به، وذَكر الشراء؛ لأنهم كانوا يُعطَون الأجرةَ عليه. ﴿شَرَوْاْ﴾ هنا بمعنىٰ: باعوا.

١٠٣ ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ مِن الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ . وإنما جاء جوابُها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدَّلالة علىٰ إثبات الثواب واستقرارِه. وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثيبوا.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفيٌ لعِلْمهم. فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾؟ فالجواب: أنهم لم ينفعْهم علمُهم؛ فكأنهم لم يعلموا[٣].



(١) هذه القراءة خارجة عن القراءات العشر، قرأ بها الضحاك بن مزاحم، فيما أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٩)، وذكر ابن عطية في تفسيره (١/ ٣٠٠) أنه قرأ بها -أيضًا- ابن عباس والحسن وابن أبزَىٰ.

(٢) عزاه إليه -أيضًا- الثعلبي في تفسيره (٣/ ٤٨١)، ولم أقف عليه من قول الحسن مسندًا، ووقفت عليه من قول الضحاك بن مزاحم، أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٢٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٣ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٤ ۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٥ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٦ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٧ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٨ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٠٩ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١٠ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١١﴾

۝١٠٣ ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرُّعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ[1]، وربما كانوا ينوِّنونَها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سدًّا[2] للذريعة. وأُمروا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوِّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛ وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نُهي المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلَّة التوقير.

﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾ عطف على ﴿وَقُولُواْ﴾، لا على معمولها، والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧٥-٣٧٦) عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) في ب، ج، هـ: «سدٌّ».

١٠٥ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعمُّ نوعين: أهلَ الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسَّره بهما. ومعنىٰ الآية: أنهم لا يحبُّون أن ينزِّل الله خيرًا علىٰ المسلمين.

﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ «من»: للتبعيض. وقيل: زائدة؛ لتقدُّم النفي في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾.

﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولىٰ. ومعنىٰ الآية: الردُّ علىٰ من كره الخيرَ للمسلمين.

١٠٦ ﴿مَا نَنسَخْ﴾ أي: نُزِيل حكمه ولفظه، أو أحدَهما. وقرئ: بضم النون[1]؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذُّكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله؛ كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلىٰ: ٦ - ٧]. أو بمعنىٰ الترك؛ أي: نتركها غيرَ مُنزلةٍ، أو غير منسوخة. وقرئ بالهمز[2]: بمعنىٰ التأخير؛ أي: نؤخِّر إنزالها، أو نسخها.

﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفَّة العمل، أو في الثواب، أو أعمُّ.

﴿قَدِيرٌ﴾ استدلالٌ علىٰ جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافًا لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه علىٰ الله. وهو جائز عقلًا، وواقع شرعًا؛ فكما نسختْ شريعتُهم ما قبلها، نسخَها ما بعدها.

١٠٨ ﴿تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات. ويَحتمل السؤالَ عن العلم، والأوَّل أرجح؛ لما بعده، فإنه شبَّهه بسؤالهم لموسىٰ عليه السلام، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

١٠٩ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: تمنَّوا. ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباهِهما من اليهود، الذين كانوا يحرصون علىٰ فتنة المسلمين، ويَطمعون أن يردُّوهم عن الإسلام[3].

(١) قرأ ابن عامر ﴿نُنسِخْ﴾ بضم النون الأولىٰ وكسر السين، وقرأ الباقون بفتحهما.
(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿نَنسَأها﴾ بالهمز، وقرأ الباقون ﴿نُنسِهَا﴾.
(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿حَسَداً﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه. وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدًا؛ فعلىٰ هذا يوقف علىٰ ما قبله، والأوَّل أظهر وأرجح.

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلَّق بـ﴿حَسَداً﴾ . وقيل: بـ﴿وَدَّ﴾.

﴿فَاعْفُواْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: إباحةَ قتالهم، أو وصولَ آجالهم.

﴿١١٠﴾ ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآيةَ: أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلَّا من كان يهوديًّا، وقالت النصارىٰ: لن يدخلها إلَّا من كان نصرانيًّا.

﴿هُوداً﴾ يعني: اليهود، وهذه الكلمة: جمع هائد، أو مصدر وصف به. وقال الفرَّاء: حذفت منه ياءُ «يهودٍ» علىٰ غير قياس.

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم، أو ما يتمنَّونه.

﴿هَاتُواْ﴾ أمرٌ علىٰ وجه التعجيز، والردِّ عليهم؛ وهو من: هاتَىٰ يُهاتِي، ولم يُنطَق به. وقيل: أصله: آتُـوا، وأُبدل من الهمزة هاء.

﴿١١١﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نَفَوا؛ أي: يدخلها من ليس يهوديًّا، ولا نصرانيًّا.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: دخل في الإسلام، أو أخلص. وذَكَر الوجه لشرفه، والمراد: جملة الإنسان.



وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٢﴾ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ
وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمُۥٓ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ
﴿١١٥﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تَسْـَٔلُ عَنْ
أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٨﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢٠﴾

(١١٢) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآيَةَ: سببها: اجتماع نصارىٰ نجران مع يهود المدينة؛ فذمَّت كل طائفة الأخرىٰ[١].

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيحٌ لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتابَ لهم.

(١١٣) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه[٢]: لا أحد أظلم منه -**حيث وقع**-.

﴿مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قريشٌ منعت الكعبة ، أو النصارىٰ منعوا بيت المقدس، أو علىٰ العموم.

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٣٤-٤٣٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٠٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) في ب، ج، هـ: «لفظها.. ومعناها».

﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش: قولُه ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»[١]. وفي حق النصارىٰ: ضَرْبُهم عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش: غلَبَتُهم وفتح مكة. وفي حق النصارىٰ: فتح بيت المقدس، أو الجزية[٢].

١١٤ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلَّوا ليلةً في سفر إلىٰ غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت[٣]. وقيل: هي في تنفُّل المسافر حيثما توجَّهت به دابته[٤]. وقيل: هي راجعة إلىٰ ما قبلها؛ أي: إن مُنعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم. وقيل: إنها احتجاجٌ علىٰ من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤١] الآيةَ. والقول الأوَّل هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك[٥].

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧١] أي: رضاه. وقيل: معناه الجهة التي وَجَّهَنا إليها. وأما قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٥]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويُردُّ علمه إلىٰ الله. وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود. وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، وضعفه الترمذي وغيره، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٣): «وقد روي من طرق أخرىٰ..» فأوردها، ثم قال: «وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشدُّ بعضها بعضا».

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) وهو مذهب أحمد أيضًا أن من اجتهد في السفر -لا في الحضر- فصلىٰ، ثم علم أنه أخطأ القبلة فلا إعادة عليه. انظر: المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٣٥٤-٣٥٥)، وقال المؤلف في القوانين الفقهية (ص: ١٠٨): «من صلىٰ ثم تبيَّن له الخطأ في القبلة أعاد في الوقت علىٰ المشهور، وقال سحنون: في الوقت وبعده، وفاقًا لهما [أي: لأبي حنيفة والشافعي]».

(٦) [التعليق ٢٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، المرادُ به هنا: كقولِه: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؛ أي: رضاه ...»، إلخ: أقولُ: ذكَرَ في هذا السياق ثلاثَ آيات ورَدَ فيها ذكرُ الوجهِ؛ =

(١١٦) ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له عن قولهم.

﴿بَل لَّهُۥ﴾ الآيةَ: ردٌّ عليهم؛ لأن الكلَّ مُلكه، والعبودية تنافي البنوَّة.

﴿قَٰنِتُونَ﴾ أي: طائعون منقادون.

(١١٧) ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أي: قدَّره، أو أمضاه. قال ابن عطية: «يتَّجه في الآية المعنيان؛ فعلىٰ مذهب أهل السنة: قدَّر في الأزل وأمضىٰ فيه، وعلىٰ مذهب المعتزلة: أمضىٰ عند الخلق

= فذكَرَ في الآيةِ الأولىٰ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، قولَيْن:

الأوَّل: أنَّ المرادَ بالوجهِ في الآية كقولِهِ تعالىٰ: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾، وفسَّره بالرضا.

الثاني: أنَّ المرادَ: الجهةُ التي وجَّهَنا الله إليها؛ يريد: القبلةَ.

وذكَرَ في الآيةِ الثانيةِ والثالثةِ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ثلاثةَ أقوالٍ في تفسيرِ الوجه:

أحدُها: قولُ أهلِ التأويل؛ وهو أنَّ المرادَ بالوجهِ: الذاتُ، أو الوجودُ.

الثاني: قولُ أهلِ التفويض؛ وهو أنَّ ذكرَ الوجهِ مِن المتشابهِ الذي يجب التسليمُ له، ورَدُّ علمِهِ إلىٰ الله.

الثالث: قولُ بعضهم؛ وهو أنَّ الوجهَ صفةٌ ثابتةٌ بالسمعِ.

أقولُ: وفيما ذكَرَهُ حقٌّ وباطلٌ:

- فتفسيرُهُ الوجهَ في الآيةِ الأولىٰ: بالجهةِ، حقٌّ؛ وبه قال كثيرٌ مِن السلف.

- وتفسيرُهُ الوجهَ في الآيةِ الأولىٰ: بالرضا، وجعلُهُ المرادَ به كالمرادِ في قولِهِ: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] -: خطأٌ؛ فالوجهُ لا يُعرَفُ في اللغةِ بمعنىٰ الرضا؛ لكنَّ سياق الآية يتضمَّنُ هذا المعنىٰ، والممنوعُ أن يكونَ المرادُ بالوجهِ الرضا.

- وتفسيرُ الوجهِ في الآيةِ الثانيةِ والثالثةِ: بالذاتِ والوجودِ، خطأٌ؛ وهو تفسيرُ أهلِ التأويلِ مِن نفاةِ الصفات.

وأمَّا تفسيرُهُ الوجهَ في الآيةِ الثانيةِ والثالثةِ: بأنَّه مِن المتشابهِ، والمتشابهُ فالمتشابهُ عندهم: ما لا يَعلَمُ معناه إلا اللهُ؛ وهذا مذهبُ أهلِ التفويضِ، وهم مِن النفاة، ويقابِلون أهلَ التأويل.

وما ذكَرَه عن بعضِهم: أنَّ الوجهَ صفةٌ ثابتةٌ بالسمع، فهو حقٌّ، لا يجوزُ نفيُهُ ولا تأويلُه، بل يجبُ إثباتُهُ علىٰ ما يليقُ به سبحانه، وأنه لا يماثِلُ وجوهَ العباد، وليس هو مِن المتشابهِ؛ لأنَّ معناه معقول، والكيفَ مجهول، والله أعلم.

والإيجاد»[(١)]. قلت: لا يكون ﴿قَضَىٰٓ﴾ هنا بمعنىٰ قدَّر؛ لأن القدَر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القِدَم. وإنما ﴿قَضَىٰٓ﴾ هنا بمعنىٰ: أمضىٰ أو فعل أو أوجد؛ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١١][(٢)].

وقد قيل: إنه بمعنىٰ حتَم الأمرَ، أو بمعنىٰ حكم. والأمر هنا: بمعنىٰ الشيء[(٣)]، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

﴿وَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالىٰ، وليس بقولٍ حقيقي؛ لأنه إن كان قول: ﴿كُن﴾ خطابًا للشيء في حال عدمه لم يصحَّ؛ لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان خطابًا للشيء في حال وجوده لم يصحَّ؛ لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب.

---

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

(٢) [التعليق ٢٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: أقولُ: القضاءُ مِن اللهِ في القرآن يأتي لمعانٍ:

١- «قَضَىٰ الخَلْقَ»؛ بمعنىٰ: فرَغَ مِن خلقِهِ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

٢- «قَضَىٰ»؛ بمعنىٰ: حكَمَ؛ وهو نوعان:

الأول: شرعيٌّ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومعناه: أمَرَ ووصَّىٰ.

والثاني: كونيٌّ؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ومعناه: أراد كَوْنَهُ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وعلىٰ هذا: فتفسيرُ «قضىٰ» بـ«أَمْضَىٰ»، في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] -: أظهَرُ؛ لأن المعنىٰ: إذا أرادَ اللهُ كَوْنَ ما سبَقَ في علمِهِ وإرادتِهِ وكتابِهِ، قال له: «كُنْ»، فيكُونُ؛ وهذا هو معنىٰ الإمضاء؛ أي: إتمامِ الأمرِ الذي قدَّره اللهُ في علمِهِ وإرادتِهِ وكتابه.

ولهذا أقولُ: ما وجَّه به المؤلِّفُ ابنُ جُزَيٍّ اختيارَهُ، وهو أنَّ معنىٰ «قَضَىٰ»: أَمْضَىٰ -: وجيهٌ.

ويأتي «قضىٰ» في القرآنِ مضمَّنًا معنىٰ «أَوْحَىٰ» أو «أوصَلَ»؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤].

كما يأتي «القضاءُ» بمعنىٰ: الحُكْمِ، شاملًا للمعنيَيْنِ: الكونيِّ والشرعيِّ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠].

كما يأتي «القضاء» بمعنىٰ: الفصلِ بين المختلِفِينَ؛ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

(٣) في أ: «الشأن»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

وحملهُ المفسِّرون علىٰ حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه:

أحدها: أن الشيءَ الذي يقول الله له: ﴿كُن﴾ هو موجودٌ في علم الله؛ وإنما يقول له: ﴿كُن﴾ ليخرجه إلىٰ العِيان لنا.

والثاني: أن قول: ﴿كُن﴾ لا يتقدَّم علىٰ وجود الشيء ولا يتأخر عنه. **قاله الطبري**(١).

والثالث: أن ذلك خطابٌ لمن كان موجودًا علىٰ حالة، فيؤمر بأن يكون علىٰ حالة أخرىٰ، كإحياء الموتىٰ، ومسخ الكفار. وهذا ضعيف؛ لأنه تخصيص من غير مخصِّص.

والرابع: أن معنىٰ: ﴿يَقُولُ لَهُۥ﴾: يقول من أجله؛ فلا يلزم خطابه. **والأوَّل أحسن هذه الأجوبة.**

وقال ابن عطية: «تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله ﷻ لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال: فهو بحسب المأمورات؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»(٢)(٣).

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢).

(٣) [**التعليق ٢٤**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قولُهُ: «وأجابوا عن ذلك بأربعةِ أوجُهٍ ...»، إلخ: أقولُ: كلُّ هذه الأقوالِ الأربعةِ ليس فيها انفصالٌ عن الإشكالِ الذي ذكَرُوه.

والراجحُ منها: القولُ الأوَّلُ؛ كما اختاره المؤلِّف.

وأرجَحُ منه: القولُ الثالثُ؛ ويَشهَدُ له قولُهُ تعالىٰ في خلقِ آدَمَ وعيسىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ولعلَّ الجواب الذي يَرفَعُ الإشكالَ الذي ذكَرُوهُ: أنَّ الأمرَ الواردَ في الآياتِ ليس أمرَ تكليفٍ للمخاطَبِ بفعلِ شيءٍ في نَفْسِهِ أو في غيرِه، بل هو أمرُ تكوينٍ يُوجِبُ كونَ الشيءِ الذي أرادَهُ اللهُ كما أراد؛ فيكونُ المُوجِبُ لكونِهِ - أي: وجودِهِ - إرادتَهُ تعالىٰ وقولَهُ؛ كما جمَعَ اللهُ بينهما في الآياتِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وحدوثُ المحدَثاتِ بإرادتِهِ وكلامِهِ سبحانه يستلزِمُ قدرتَهُ علىٰ كلِّ شيءٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وأمَّا قولُ ابن عطيَّةَ ﵀، فليس فيه جوابٌ، بل يزيدُ الإشكالَ؛ لقولِهِ: «لم يَزَلْ آمِرًا للمعدوماتِ، بشرطِ وجودِها»؛ فمضمونُ قولِهِ: أنه تعالىٰ لم يَزَلْ آمِرًا للمعدوماتِ الموجوداتِ؛ وهذا ممتنِعٌ.

وسبَبُ الإشكالِ عندهم: اعتقادُ أنَّ الأمْرَ أمرُ تكليفٍ؛ الذي يُطلَبُ به مِن المأمورِ فعلٌ يَفعَلُهُ بعلمٍ وإرادة، والصوابُ: أنَّ الأمرَ أمرُ تكوينٍ؛ كما تقدَّم. وانظر كلامَ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ١٨١-١٨٦)، وانظر كذلك: تعليقَنا علىٰ الموضع السابق.

﴿فَيَكُونُ﴾ رَفْعٌ علىٰ الاستئناف. قال سيبويه: معناه: فهو يكونُ. وقال غيره: ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿يَقُولُ﴾، واختاره الطبري[1]. قال ابن عطية: «وهو فاسدٌ من جهة المعنىٰ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود»[2]، وفي هذا نظر.

﴿١١٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب علىٰ الأصحِّ. وقيل: هنا هم اليهود والنصارىٰ.

﴿قَالَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني: اليهودَ والنصارىٰ علىٰ القول بأن ﴿ٱلذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كفارُ العرب. وأما علىٰ القول بأن ﴿ٱلذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اليهودُ والنصارىٰ: فالذين مِن قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرْض، والمعنىٰ: أنهم قالوا: لن نؤمن حتىٰ يكلِّمَنا الله، أو تأتينا آيةٌ؛ أي: دلالةٌ من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير لـ ﴿ٱلذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولـ ﴿ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ وتشابُه قلوبِهم:هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصحُّ أن يُطلَب؛ وهو قولُهم[3]: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أخبر تعالىٰ أنَّه قد بيَّن الآياتِ الدالةَ علىٰ وَحدانيته، وعلىٰ صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطلَب الآيات بعد بيانها؟ ولكن إنما فهمَها الذين يوقنون؛ فلذلك خصَّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعُهم الآيات؛ لعنادهم.

﴿١١٨﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ. والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

(٣) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ أي: تبشِّرُ المؤمنين بالجنة، وتنذرُ الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.

﴿وَلاَ تَسْـَٔلْ﴾ بالجزم: نهيٌ.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت[1].

وقيل: إن ذلك علىٰ معنىٰ التهويل؛ كقولك: «لا تسألْ عن[2] فلان»؛ لشدَّة حاله.

وقرأ غيرُ نافعٍ: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿لَا تُسْـَٔلُ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

(١١٩) ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذُكرت مفردةً وإن كانت ملَّتين؛ لأنهما متَّفقتان في الكفر، فكأنَّهما ملةٌ واحدة.

﴿قُلِ اِنَّ هُدَى اَللَّهِ هُوَ اَلْهُدىٰ﴾ ردٌّ علىٰ اليهود والنصارىٰ، والمعنىٰ: أنَّ الذي أنت عليه يا محمد هو الهدىٰ الحقيقيُّ؛ لأنه هدًىٰ من عند الله، بخلاف ما يدَّعيه اليهود والنصارىٰ.

﴿وَلَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ جمع هوًىٰ، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلَّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوىٰ النفوس.

والضمير: لليهود والنصارىٰ.

والخطاب: لمحمد ﷺ، وقد علِم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك علىٰ وجه التهديد لو وقع ذلك؛ فهو علىٰ معنىٰ الفرض والتقدير.

ويَحتمل أن يكون خطابًا له ﷺ، والمراد غيرُه.

(١٢٠) ﴿اَلذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ اُلْكِتَٰبَ﴾ يعني: المسلمين؛ و﴿اُلْكِتَٰبَ﴾ -علىٰ هذا-: القرآن. وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل؛ و﴿اُلْكِتَٰبَ﴾ -علىٰ هذا-: التوراة.

ويَحتمل العمومَ؛ ويكون ﴿اُلْكِتَٰبَ﴾: اسمَ جنس.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٩٢)، وابن جرير الطبري (٢/ ٤٨١) عن محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ، قال السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٧٤): «هذا مرسل ضعيف الإسناد»، وأخرجه ابن جرير أيضًا عن داود بن أبي عاصم، عن النبي ﷺ، قال السيوطي: «معضل الإسناد ضعيف».

(٢) في د زيادة: «حال».

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبُّر له، والعمل به. **وقيل**: معناه يتَّبعونه حق اتباعه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والأوَّل أظهر؛ فإن التلاوةَ، وإن كانت تقال بمعنى القراءة، وبمعنى الاتِّباع؛ فإنها أظهر في معنى القراءة[1]، لا سيما إذا كانت تلاوةً للكتاب.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ فيتمُّ الكلام، ويوقَف عليها.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع الحال، ويكون الخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، **وهذا أرجح**؛ لأنَّ مقصودَ الكلام الثناءُ عليهم بالإيمان، أو إقامةُ الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.



(١) في ب، ج، هـ: «التلاوة».

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ
﴿١٢٢﴾ *وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن
ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن
مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ
وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ
ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٨﴾

﴿١٢١﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآيةَ: تقدَّم الكلام على نظيرتها[1].

﴿١٢٣﴾ ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ﴾ أي: اختبرَ، **والعامل في «إذ»**: فعلٌ مضمر تقديره: اذكرْ، أو قولُه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظفار، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء. وقيل: هي ثلاثون خَصلةً؛ عشرٌ ذُكِرت في «براءة» من قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، وعشرٌ في «**الأحزاب**» من قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾، وعشرٌ في «**المعارج**» من قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عَمِلَ بهنَّ.

---

(١) انظر تفسير الآية (٣٩).

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ استفهامٌ، أو رغبة.

﴿عَهْدِى﴾ **الإمامة**[١].

(١٢٤) ﴿الْبَيْتَ﴾ الكعبةَ.

﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًا بعد عام.

﴿وَاتَّخَذُواْ﴾ **بالفتح**[٢]: إخبارٌ عن المتَّبعين لإبراهيم عليه السلام. **وبالكسر**: أمرٌ لهذه الأمَّة، وافقَ قولَ عمر رضي الله عنه: «لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلًّى»[٣]. **وقيل**: أمرٌ لإبراهيم وشيعتِه. **وقيل**: لبني إسرائيل؛ فهو -على هذا- عطفٌ على قوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾؛ **وهذا بعيد**.

﴿مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجَر الذي صعِد به[٤] حين بنى الكعبةَ. **وقيل**: المسجد الحرام.

﴿وَعَهِدْنَا﴾ عبارةٌ عن الأمر والوصية.

﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارةٌ عن بُنيانِه بنيَّةٍ خالصةٍ؛ كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [التوبة: ١٠٩]. **وقيل**: المعنى طهِّراه من عبادة الأصنام.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة. **وقيل**: الغرباء القادمون على مكة. **والأوَّل أظهر**.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ هم المعتكفون[٥]. **وقيل**: المصلُّون. **وقيل**: المجاورون بمكة من الغرباء. **وقيل**: أهل مكة. **والعكوف في اللغة**: اللُّزوم.

(١٢٥) ﴿بَلَداً﴾ يعني: مكةَ.

﴿آمِناً﴾ أي: مما يصيب غيرَه من الخسف والعذاب. **وقيل**: آمنًا من إغارة الناس على أهله؛ لأنَّ العرب كان يُغِير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرَّضون لأهل مكة، **وهذا أرجح**؛ لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

---

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢).

(٤) في د: «عليه».

(٥) في د زيادة: «في المسجد».

فإن قيل: لم قال في «البقرة»: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وفي «إبراهيم»: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، فعرَّف البلد في «إبراهيم» ونكَّره في «البقرة»؟

فعن ذلك ثلاثةُ أجوبة:

الجواب الأول: **قاله أستاذُنا الشيخ أبو جعفر ابنُ الزبير**، وهو أنه تقدَّم في «البقرة» ذِكْرُ البيت في قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وذِكْر البيت يقتضي بالملازمة ذكرَ البلد الذي هو فيه، فلم يحتجْ إلىٰ تعريفه، بخلاف آية «إبراهيم»؛ فإنه لم يتقدَّمْ قبلَها ما يقتضي ذكرَ البلد، ولا المعرفةَ به، فذكَره بلام التعريف.

الجواب الثاني: **قاله السهيليُّ**، وهو أن النبيَّ ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم»؛ لأنها مكيةٌ، فلذلك قال فيه: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ بلام التعريف التي للحضور؛ كقولك: «هذا الرجل» وهو حاضرٌ، بخلاف آية «البقرة»؛ فإنها مدنيةٌ، ولم تكن مكةُ حاضرةً حين نزولها، فلم يعرِّفْها بلام الحضور.

وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: **قاله بعض المشارقة**[2]، أنه قال: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ قبل أن يكون بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ بعد ما صار بلدًا.

وهذا يقتضي أن إبراهيم عليه السلام دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة، حُكي لفظه فيها علىٰ وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمنَ والكافر.

---

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلَّم عنها، فكأنه سبق قلم من ابن جزيٍّ رحمه الله، والمراد آية: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة..﴾؛ فهي المتقدمة عليها، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/ ٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزي هذا الجواب.

(٢) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، قال ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٢٨٢).

﴿١٢٦﴾ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علِّمْنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿١٢٨﴾ ﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذرِّيتنا.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»[(١)]. والضمير المجرور: لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من نسل عدنان. وأما الذين من نسل قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهِّرهم من الكفر والذنوب.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦١٣)، وأحمد في مسنده (١٧١٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٠٤)، والحاكم (٣٥٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وأخرجه الطبري -أيضًا- (٢/ ٥٧٢)، والحاكم (٤١٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن خالد بن معدان، عن نفر أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٦١) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

وَمَنْ يَّرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۖ وَلَقَدِ اِصْطَفَيْنَٰهُ فِي اِ۬لدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي اِ۬لْأٓخِرَةِ
لَمِنَ اَ۬لصَّٰلِحِينَۖ ﴿١٢٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَۖ ﴿١٣٠﴾ وَأَوْصَىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ
بَنِيهِۖ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ اَ۬للَّهَ اَ۪صْطَفَىٰ لَكُمُ اُ۬لدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَۖ ﴿١٣١﴾ *أَمْ
كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اَ۬لْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِيۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ
وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهاً وَٰحِداً وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَۖ ﴿١٣٢﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْۖ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَۖ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُواْ
كُونُواْ هُوداً اَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۖ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاًۖ وَمَا كَانَ مِنَ اَ۬لْمُشْرِكِينَۖ ﴿١٣٤﴾
قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْاَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ اَ۬لنَّبِيٓـُٔونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَۖ ﴿١٣٥﴾ فَإِنَ ـ امَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ اِهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اُ۬للَّهُۖ وَهُوَ اَ۬لسَّمِيعُ اُ۬لْعَلِيمُۖ ﴿١٣٦﴾ صِبْغَةَ اَ۬للَّهِۖ وَمَنَ اَحْسَنُ مِنَ اَ۬للَّهِ صِبْغَةًۖ
وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَۖ ﴿١٣٧﴾ قُلَ اَتُحَآجُّونَنَا فِي اِ۬للَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمُۥ
أَعْمَٰلُكُمْۖ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَۖ ﴿١٣٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْاَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً اَوْ نَصَٰرَىٰۖ قُلَ ـ آنتُمُۥ أَعْلَمُ أَمِ اِ۬للَّهُۖ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً
عِندَهُۥ مِنَ اَ۬للَّهِۖ وَمَا اَ۬للَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَۖ ﴿١٣٩﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْۖ وَلَكُم
مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَۖ ﴿١٤٠﴾

﴿١٢٩﴾ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به(١)، **وقيل:** الأصل: «في نفسِه»؛ ثم حذف الجارُّ فانتصب، **وقيل:** تمييز.

﴿١٣١﴾ ﴿وَأَوْصَىٰ بِهَآ﴾ أي: بالكلمة والملَّة(٢).

---

(١) أي: أنه ضُمِّن معنى «جهل» أو «أهلكَ» وعُدِّي بتعديته. المحرر الوجيز (١/ ٣٥٣).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «والملة» بالواو، وفي المحرر الوجيز (١/ ٣٥٥): «والضمير في ﴿بها﴾ عائد على كلمته التي هي ﴿أسلمت لرب العالمين﴾، وقيل: على الملة المتقدمة، والأول أصوب؛ لأنه أقرب مذكور»، فلعلَّ الأصوب في عبارة ابن جزي أن تكون: «أو الملة»؛ ليفيد حكاية القولين، والله أعلم..

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ؛ فهو مُوصٍ. وقرئ بالنصب[1]: عطفًا على ﴿بَنِيهِ﴾؛ فهو مُوصًى.

(١٣٣) ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ كان عمَّه؛ والعمُّ يسمى أبًا.

(١٣٥) ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى.

﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل[2].

(١٣٦) ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي: لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهانٌ؛ لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبيٌّ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

(١٣٧) ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وعدٌ ظهر مِصداقُه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النَّضير، وغير ذلك.

(١٣٨) ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دينَه، وهو استعارةٌ من صبغ الثوب وغيره. ونصبه على الإغراء، أو على المصدر من المعاني المتقدمة، أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ .

(١٤٠) ﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلق بـ﴿كَتَمَ﴾، أو بـ﴿عِندَهُۥ﴾؛ كأنَّ المعنى: شهادة تخلَّصت[3] له من الله.



(١) القراءة بالنصب خارجة عن القراءات العشر، قرأ بها عمرو بن فائد الأسواري. المحرر الوجيز (١/ ٣٥٥).
(٢) أي: بل نتَّبع ملةَ. المحرر الوجيز (١/ ٣٥٩).
(٣) في أ: «تحصَّلت».

*سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا
لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٢﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ
قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٥﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٦﴾

﴿١٤١﴾ ﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهرُه: الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلَّا أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بعد قولهم[1].

﴿السُّفَهَاءُ﴾ هنا: اليهود، أو المشركون، أو المنافقون.

﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي: ما ولَّىٰ المسلمين عن قبلتِهم الأولىٰ -وهي بيتُ المقدس- إلىٰ الكعبةِ؟
﴿لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ الآيَةَ: ردٌّ عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولِّي عبادَه حيث شاء؛ لأن الجهاتِ كلَّها له.

﴿١٤٢﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما هديناكم جعلناكم وسَطًا؛ أي: خِيارًا[2].

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسل إلىٰ قومهم.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٦١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٧).
(٢) في أ، ج، هـ: «أخيارًا».

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ أي: بأعمالكم، قال ﷺ: «**أقول كما قال أخي عيسىٰ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]» الآية(١). **فإن قيل**: لم قدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ وأخَّره في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟

فالجواب: أنَّ تقديم المعمولات يفيد الحصرَ، فقدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدِّمْه في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنه لم يقصد الحصر(٢).

﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ **فيها قولان: أحدهما**: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس ﵄(٣). **والآخر**: أنها بيت المقدس، وهو قول قتادة(٤) وعطاء والسُّدِّي(٥). وهذا مع ظاهر قوله: ﴿كُنتَ عَلَيْهَآ﴾؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يصلي إلىٰ بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلىٰ الكعبة. **وأما قول ابن عباس** ﵄: **فتأويله بوجهين: الأول**: أنَّ «كنت» بمعنىٰ «أنت». **والثاني**: قيل: إن النبي ﷺ صلىٰ إلىٰ الكعبة قبل بيت المقدس(٦). **وإعراب** ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾: مفعولٌ بـ﴿جَعَلْنَا﴾، أو صفة لـ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾.

ومعنىٰ الآية علىٰ القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة. **فأما علىٰ قول قتادة**: فإن الصلاة إلىٰ بيت المقدس: فتنةٌ للعرب؛ لأنهم كانوا يعظِّمون الكعبة. أو فتنةٌ لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره علىٰ هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها؛ **وهذا أظهر**؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس ﵄.

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ١٣٤).

(٣) عزاه إليه -أيضًا- ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٣٦٩)، ولم أقف عليه مسندًا، بل أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٧): عن ابن عباس ﵄ في قوله: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ «يعنون: بيت المقدس».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٨).

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢/ ٦٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٥٠).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٦٢٣-٦٢٤) والحاكم في المستدرك (٣٠٦٠) والبيهقي في سننه (٢٢٤٥)، (٢٢٤٦) عن ابن عباس ﵄، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبري أيضًا عن ابن جريج.

وأما على قول ابن عباس ﷺ: فإن الصلاة إلى الكعبة: فتنةٌ لليهود؛ لأنهم يعظِّمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة. أو فتنةٌ لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرِفت القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في الوجود ما علِمه الله. ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارةٌ عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيهٌ بمن رجع يمشي إلى وراءَ.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ «إنْ» مخففةٌ من الثقيلة. واسم «كان»: ضمير الفِعْلة؛ وهي التحوُّل عن القبلة.

﴿إِيمَٰنَكُمْ﴾ هنا: قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ واستدلَّ به من قال: إنَّ الأعمال من الإيمان. وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿١٤٣﴾ ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء؛ رجاءَ أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة[1]. ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ جهتَه.

﴿١٤٤﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبرٌ يتضمن النهي. ووُحِّدت ﴿قِبْلَتَهُمْ﴾ وإن كانت جهتين؛ لاستوائهما في البطلان.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأنَّ اليهود يستقبلون المغرب، والنصارى المشرق.

﴿١٤٥﴾ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: يعرفون القرآنَ، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغةٌ في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلَام: «معرفتي بالنبي ﷺ أشدُّ من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشكُّ»[2].



(١) تقدم تخريجه في الأثر قبله.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسير الكشف والبيان (٤/ ١٩٣)، بإسناده من طريق السدي الصغير -محمد بن مروان صاحب الكلبي- عن الكلبي عن ابن عباس ﷺ، وإسناده واهٍ، السدي الصغير والكلبي متروكان.

*﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٧﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٤٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٠﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥١﴾﴾

﴿١٤٧﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: لكلِّ أحد، أو لكلِّ طائفة.

﴿وِجْهَةٌ﴾ أي: جهةٌ، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان[1]. وقيل: إنه مصدر ثبتت فيه الواو علىٰ غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: مولِّيها وجهَه. وقرئ: ﴿مُوَلَّاهَا﴾[2] أي: ولَّاه الله إليها[3]. والمعنىٰ: أن الله تعالىٰ جعل لكل أمة قبلةً.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلىٰ الأعمال الصالحة.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كُرِّر تأكيدًا، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الصلاة إلىٰ الكعبة ترفع حجة المعترضين من الناس.

---

(١) أي: سلمت الواو في ﴿وِجْهَةٌ﴾ من الحذف، ولم تحذف كما حُذفت في «عِدَةٍ» و«زِنَةٍ»؛ لأنه «وجهة» ظرفٌ، وتلك مصادر، فسلمت للفرق بينهما. المحرر الوجيز (١/ ٣٨٠).

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ بفتح اللام وألف بعدها، وقرأ الباقون بكسر اللام وياء بعدها.

(٣) في د: «إياها».

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتهم أنهم يجدون في كتبهم أنَّ النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صلَّىٰ إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين. **وإن أريد**[1] قريش: فحجَّتهم أنهم قالوا: قبلة آبائه أولىٰ به.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوُّلَ إلى الكعبة. **والاستثناء متصل**؛ لأنه استثناءٌ من عموم الناس. **ويحتمل الانقطاع**؛ على أن يكون استثناءً ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة.

﴿وَلِأُتِمَّ﴾ **متعلق** بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأتمَّ، أو: معطوفٌ على: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾.

(١٥٠) ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ **متعلق** بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾[2]، أو بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾[3]، **والأوَّل أظهر**.

(١٥١) ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ **قال سعيد بن المسيب**: معناه: اذكروني بالطاعة أذكرْكم بالثواب[4]. **وقيل**: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك. وقد أكثر المفسِّرون -لا سيما المتصوِّفة- في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانٍ مخصوصةٌ؛ ولا دليل على التَّخصيص.

وبالجملة: هذه الآية بيان لشرف الذِّكر، وبيَّنها قولُ رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم»[5]. **والذكر ثلاثة أنواع**: ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معًا.

واعلم أن الذكر أفضلُ الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالىٰ.

---

(١) في د زيادة: «بهم».

(٢) فيتعلَّق بما قبله، ويكون التقدير: ولأتمَّ نعمتي عليكم إتمامًا كما أتممتها عليكم بإرسال الرسول.

(٣) فيتعلَّق بما بعده، ويكون التقدير: كما ذَكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني.. المحرر الوجيز (١/ ٣٨٣)، والكشاف (٣/ ١٦٢).

(٤) الصواب: عن سعيد بن جبير، كما في المحرر الوجيز (١/ ٣٨٤)، أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٦٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»(١).

وسئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل: الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضَرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دمًا: لكان الذاكرُ لله أفضلَ منه»(٢).

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرةَ؛ فقال: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَالذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزيَّةً هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العليَّة، والوصول إلى القرب الذي عَبَّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعيَّة؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»(٣)، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»(٤).

وللناس في المقصِد بالذكر مقامان: فمقصد(٥) العامة: اكتساب الأجور. ومقصد(٦) الخاصة: القرب والحضور.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١٨٢٥) وصححه، من حديث أبي الدرداء ﷺ، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦)، وقال: «حديث غريب»، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وإسناده ضعيف، «نتائج الأفكار» لابن حجر (١/ ٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٣١)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٧١) عن كعب الأحبار، وهو من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) في د: «فمقام».

(٦) في د: «ومقام».

وما بين المقامين بَوْن بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حِجاب، وبين من يُقرَّب حتىٰ يكون من خواص الأحباب![1]

واعلمْ أن الذكرَ علىٰ أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلَة، والحسْبلة، وذكرُ كلِّ اسم من أسماء الله تعالىٰ، والصلاةُ علىٰ النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكرٍ خاصِّيةٌ وثمرة:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن والرحيم والكريم والغفَّار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاثة مقامات؛ وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإنَّ المحسنَ محبوبٌ لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل علىٰ الله، والتفويض إلىٰ الله، والثقة بالله.

---

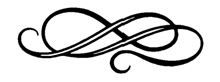
(١) [**التعليق ٢٥**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُهُ: «وللناسِ في المَقصِدِ بالذِّكرِ مقامان ...»، إلخ: أقولُ: تضمَّن كلامُهُ هذا ﷺ: أنَّ الذاكِرِينَ نوعان؛ عامَّةٌ وخاصَّةٌ، وأنَّ مقصود العامَّةِ بالذكرِ: اكتسابُ الأَجْر، وأنَّ مقصودَ الخاصَّةِ القربُ مِن الله، ويدخُلُ في الخاصَّةِ الأنبياءُ والصِّدِّيقون.
وهذا التقسيمُ والتفاضُلُ بين الذاكِرِينَ صحيح، وهو يجري في كلِّ الطاعات؛ فالمؤمِنون، منهم: الأبرارُ أصحابُ اليمين، ومنهم: المقرَّبون السابِقون، كما جاء هذا التقسيمُ في سورةِ الواقِعةِ والإنسانِ والمطفِّفين، ومنه ما ذُكِرَ في سورةِ فاطِر.
ولكن يُستدرَكُ علىٰ الشيخِ ابنِ جُزَيٍّ ﷺ: ما يُوهِمُهُ كلامُهُ مِن أنَّ الخاصَّةَ لا طمَعَ لهم في الأجور، وهذا يُخالِفُ ما وصَفَ اللهُ به أنبياءَهُ وأولياءَهُ؛ مِن رجاءِ رحمتِهِ وخوفِ عذابِه، مع طلبِ القُرْبِ لديه في قولِهِ تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ فهم يَعبُدون اللهَ في ثلاثةِ مَقامَات: مقامِ الحُبِّ، ومقامِ الخوفِ، ومقامِ الرجاء.
وكلامُهُ ﷺ يُوهِمُ ما تقولُهُ جَهَلَةُ الصوفيَّةِ مِن أنَّ العارفَ لا يعبُدُ اللهَ طمعًا في جَنَّتِه، ولا خوفًا مِن نارِه؛ ويَرُدُّ هذا الزعمَ آياتٌ كثيرةٌ مِن كتاب الله ﷻ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأما الأسماء التي معانيها الاطِّلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والرقيب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدَّة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرْد[1]؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى[2].



---

(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) [**التعليق ٢٦**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُهُ: «ثُمَّ إنَّ ثَمَراتِ الذِّكرِ بجميعِ الأسماءِ والصفاتِ ...»، إلخ:

أقولُ: يتضمَّن هذا أمرَيْنِ؛ **حقًّا وباطِلًا**:

الأوَّل: أنَّ جميعَ معاني أسماءِ الله الحسنى يتضمَّنُها الاسمُ الشريفُ: «اللهُ»؛ وهذا حقٌّ.

الثاني: أنَّ أفضلَ الذِّكرِ هو ذكرُ اللهِ بالاسمِ المفرَدِ: «اللهُ، اللهُ»؛ وهذا باطل؛ وذلك لأمور:

١. أنَّ الذكرَ بالاسمِ المفردِ مِن بِدَعِ الصوفيَّة، ولا أصلَ له في كتابٍ ولا سُنَّة؛ فاختيار المؤلِّف لذلك زَلَّةٌ منه؛ عفا الله عنه.

٢. أنَّ كلَّ ما ورَدَ مِن ألفاظِ الذكرِ في الكتابِ والسُّنَّةِ هو مِن الكلامِ المركَّب؛ كـ«سُبْحَانَ اللهِ»، و«الحمدُ للهِ»، و«لا إله إلا اللهُ»، و«اللهُ أَكْبَرَ».

٣. أنَّ الاسمَ المفرَدَ لا يفيدُ فائدةً تامَّة؛ كما هو مقرَّرٌ في علمِ النحو.

٤. لذلك لا يحصُلُ بالاسمِ المفرَدِ إيمانٌ ولا كُفر؛ فلا يدخُلُ الكافرُ في الإسلامِ بذكرِهِ الاسمَ المفرَدَ: «اللهُ»، ولا يكفُرُ مَن قال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، وامتنَعَ عن ذكر الاسمِ المفرَدِ؛ لذلك: لا يُجزِئُ الإتيانُ بالاسمِ المفرَدِ في المواضعِ التي يُستحَبُّ أو يجبُ فيها نوعٌ مِن الأذكارِ الشرعيَّة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِۖ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَۖ ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُّقْتَلُ
فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلَ اَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَےْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَٰتِۖ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٤﴾ ٱلذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم
مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ *إِنَّ ٱلصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ إِعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۖ وَمَن تَطَّوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌۖ ﴿١٥٧﴾ اِنَّ ٱلذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَالْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِے ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ
يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٨﴾ إِلَّا ٱلذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُۖ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ اُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ
وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَۖ ﴿١٦١﴾
وَإِلَٰهُكُمُۥ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُۖ ﴿١٦٢﴾

﴿١٥٢﴾ ﴿إِسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ **قد ذُكر**(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ **أي: بمعونته.**

﴿١٥٣﴾ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُّقْتَلُ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾ **قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلًا، لـمَّا قتلوا حزن عليهم أقاربهم، فنزلت الآية مبيِّنةً لمنزلة الشهداء عند الله، ومسلِّية لأقاربهم**(٢)**. ولا يخصِّصها نزولها فيهم؛ بل حكمها علىٰ العموم في الشهداء.**

﴿١٥٤﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ **أي: نختبركم. وحيثما جاء الاختبار في حق الله فمعناه: أن يَظهر في الوجود ما عَلِمَه؛ لتقوم الحجة علىٰ العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضًا؛ لأن الله**

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٤).

(٢) ذكره مقاتل ابن سليمان في تفسيره (١/ ١٥٠)، وأخرجه ابن منده في المعرفة -كما في الدر المنثور (٢/ ٦٩)- من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحمام ببدر وفيه وفي غيره نزلت ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾ الآية، وإسناده واهٍ كما تقدَّم.

يعلم ما كان وما يكون. **والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل:** لكفار قريش، **والأول أظهر**؛ لقوله بعدها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ يعني: من الأعداء.

﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجدب.

﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ بالخسارة.

﴿وَالۡأَنفُسِ﴾ بالقتل.

﴿وَالثَّمَرَٰتِۗ﴾ بالجوائح. **وقيل:** ذلك كلُّه بسبب الجهاد .

(١٥٦) ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك؛ والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء.

﴿رَٰجِعُونَ﴾ تذكَّروا الآخرة؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أَجِرني في[1] مصيبتي[2] واخلف لي خيرًا منها: أَخلف الله له خيرًا مما أصابه». قالت أمُّ سلمة: «فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسولَ الله ﷺ»[3].

فائـدة: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظَمة موقعه في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرةِ أمثالها إلىٰ سبع مئة، إلَّا الصبر؛ فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١١].

وذكَر الله للصابرين ثمانية أنواعٍ من الكرامة:

- **أولها:** المحبة، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].
- **والثاني:** النصرة، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

(١) في ب، د: «علىٰ».
(٢) في أ، د: «هذه».
(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

◄ **والثالث**: غُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

◄ **والرابع**: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١].

والأربعة الأُخَرُ: المذكورة في هذه الآية:

◄ فمنها البِشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

◄ والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾. **والصبر على أربعة أوجه:**

[١] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخُّط والهلع والجزع.

[٢] وصبر على النعم؛ وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبُّر بها.

[٣] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.

[٤] وصبر عن المعاصي؛ بكفِّ النفس عنها.

وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخُّط ظاهرًا، وترك الكراهة باطنًا.

وفوق التسليم: الرِّضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكلُّ ما يفعل المحبوب محبوب.

(١٥٧) ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: معالمِ دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحةٌ للسعي بين الصفا والمروة. والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي(١). وإنما جاء بلفظٍ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنم يقال

---

(١) يعني: أنه من الوجبات التي هي ركن في الحج لا يجبرها الدم، كما بيَّن ذلك في القوانين الفقهية (ص: ٢٣٤)، وهو رواية عن أحمد، هي المذهب عند الأصحاب، وعن أحمد راوية أخرى: أنه واجب ليس بركن، فيجبر بدمٍ، اختارها القاضي أبو يعلى وابن قدامة، وعنه رواية ثالثة: أنه سنة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٢٩٠-٢٩٢).

له: نائلة، فخافوا أن يكون السعيُ بينهما تعظيمًا للصَّنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك(١).

ثم إنَّ السعي بينهما واجب(٢) بالسنّة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سنَّ رسول الله ﷺ السعيَ بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»(٣). وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبةٌ، ومنها مندوبة. وقد قيل: إنَّ السعي مندوبٌ.

﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتطوَّف؛ ثم أدغمت التاء في الطاء. وهذا الطواف يراد به: السعيُ سبعةَ أشواط.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عامٌّ في أفعال البر. أو خاصٌّ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة. أو معنىٰ ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿١٥٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة هنا.

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون. وقيل: المخلوقات إلَّا الثقَلين. وقيل: البهائم؛ لما يصيبهم من الجدْب بذنوب الكاتمين للحقِّ.

﴿١٥٩﴾ ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ إنَّما شرَط في توبتهم أن يبيِّنوا؛ لأنهم كتموا.

﴿١٦٠﴾ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ هم المؤمنون؛ فهو عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بلعنهم للكفار. وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة.

﴿١٦١﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. وقيل: في النار.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ مِن أَنظر: إذا أخَّر؛ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب ولا يُمهَلون. أو مِن نظَر؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٦]؛ إلَّا أنَّ هذا يتعدَّىٰ بـ«إلىٰ».

(١) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في ج، هـ: «وجب».

(٣) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿١٦٣﴾ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ **الواحد له ثلاثة معان، كلُّها صحيحة في حق الله تعالىٰ: أحدها: أنه لا ثانيَ له؛ فهو نفيٌ للعدد. والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير. والثالث: أنه واحدٌ لا يتبعَّض ولا ينقسم**(١).

وقد فُسِّر المراد به هنا بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلمْ أن توحيد الخلق لله تعالىٰ علىٰ ثلاث درجات:

الأولىٰ: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفيُ الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصَّة؛ وهو أن يرىٰ الأفعالَ كلَّها صادرةً من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإنَّ معرفةَ ذلك بطريق الاستدلال حاصلةٌ لكلِّ مؤمن، وإنما مقام الخاصة في التوحيد: يقين في القلب بعلمٍ ضروري لا يحتاج إلىٰ دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلىٰ الله، والتوكل عليه وحده، واطِّراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدًا سواه؛ إذ ليس يرىٰ فاعلًا إلَّا إياه، ويرىٰ جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيءٌ من الأمر، فيطَّرح الأسباب، ويَنبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: أن لا يرىٰ في الوجود إلَّا الله وحده، فيغيب عن النظر إلىٰ المخلوقات، حتىٰ كأنها عنده معدومةٌ.

---

(١) [**التعليق ٢٧**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «الواحدُ له ثلاثةُ معانٍ ...»، إلخ:**

أقولُ: ما ذكَرَهُ في معنىٰ الواحِدِ، وقولُهُ: إنَّ المعانيَ الثلاثةَ المذكورةَ صحيحةٌ في حقِّ الله -: سقيمٌ في الجُمْلة، وقد جرىٰ في ذلك علىٰ طريقةِ المتكلِّمين في تقسيمِ التوحيد؛ ويُؤخَذُ عليه وعليهم أمورٌ:

١. أنَّهم لم يذكُرُوا توحيدَ الإلهيَّةِ المتضمِّنَ توحيدَ العبادة، الذي هو معنىٰ: «لا إله إلا الله».
٢. أنَّ ما ذكَرُوهُ غايتُهُ أنْ يتضمَّنَ توحيدَ الربوبيَّةِ، الذي أقَرَّ به المشركون.
٣. أنَّ بعضَ عباراتِهم في هذا التقسيمِ فيها إجمالٌ؛ كنفيِ النظيرِ والشبيهِ؛ فإنَّ المعطِّلةَ - كالمعتزِلةِ ومَن وافَقَهم - يُدخِلُونَ في ذلك نفيَ الصفاتِ.
٤. قولُهم: «إنه واحِدٌ لا يتبعَّضُ، ولا ينقسِمُ»، هو حقٌّ في ظاهِرِه، لكنَّهم يُدخِلُونَ فيه أيضًا: نفيَ علوِّه تعالىٰ علىٰ خَلْقِه.

وهذا هو الذي تسمِّيه الصوفية: مقامَ الفناء؛ بمعنى الغَيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيبُ عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله(١).

(١) [التعليق ٢٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: وقولُ ابنِ جُزَيٍّ: «واعلَمْ: أنَّ توحيدَ الخَلْقِ للهِ تعالى على ثلاثِ دَرَجاتٍ ...»، إلخ:

أقولُ: هذا التقسيمُ للناسِ في التوحيدِ يُشبِهُ ما ذكَرَهُ مِن تقسيمِهِ للناسِ في مقصودِهم مِن الذِّكر، وقد تقدَّم التنبيهُ إلى ما فيه، وكذلك نقولُ هنا: إنَّ ما ذكَرَهُ مِن تفاضُلِ الناسِ في التوحيدِ صحيحٌ، ولكنَّه سلَكَ في التعبيرِ عن ذلك طريقَ الصوفيَّة؛ إذْ جعَلَهُ ثلاثَ دَرَجاتٍ: توحيدَ العامَّة، وتوحيدَ الخاصَّة، وتوحيدَ خاصَّةِ الخاصَّة. وفسَّر كلَّ درجةٍ مِن هذه الدرجات؛ كما هي عند الصوفيَّة، ولا إشكالَ فيما فسَّر به توحيدَ العامَّةِ، إلا مِن حيثُ تخصيصُهُ بالعامَّة.

ولكنْ يُؤخَذُ على المؤلِّف ما فسَّر به الدرجةَ الثانيةَ والثالثةَ مُقِرًّا لهما، وقد تضمَّن كلامُهُ ﵀ إشكالَيْن:

١- قولُهُ: «فيَطَّرِحُ الأسبابَ»:

أقولُ: هذا قولٌ مجمَلٌ يَحتمِلُ أمورًا؛ فإنَّ اطِّراحَ الأسبابِ:

أ - إنْ كان لاعتقادِ عدَمِ تأثيرِها، فهذا جَحْدٌ لما تضافَرَتِ الأدلَّةُ العقليَّةُ والشرعيَّةُ على إثباتِه؛ وهو تأثيرُ الأسبابِ في مسبَّباتها؛ وهذا مذهبُ الجهميَّةِ ومَن وافَقَهم؛ كالأشاعِرة.

ب - وإنْ كان لاعتقادِ عدَمِ شرعيَّةِ العمَلِ بها، فهذا مخالِفٌ لمُوجَبِ الشرع؛ كقولِهِ ﷺ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ» [أخرجه مسلم (٢٦٦٤)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ]، وقولِهِ للرجلِ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» [أخرجه الترمذي (٢٥١٧)؛ من حديث أنس ﷺ، وابن حِبَّان (٧٣١)؛ من حديث عمرو بن أميَّة ﷺ]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وشواهدُ ذلك كثيرة.

ج - وإنْ كان اطِّراحُ الأسبابِ بتركِ الاعتمادِ عليها، فهذا حقٌّ؛ وهو مِن تحقيقِ التوكُّلِ على الله.

٢- قولُهُ في الدرجةِ الثالثة: «ألَّا يرى في الوجودِ إلَّا اللهَ وحدَه ...»، إلخ:

أقولُ: لفظُهُ هذا يَحتمِلُ أن يَعتقِدَ أنْ لا موجودَ إلا الله؛ وهذا هو القولُ بوَحْدةِ الوجود؛ وهو قولُ ملاحِدةِ الصوفيَّةِ الاتحاديَّة، والمؤلِّفُ لا يريدُ هذا المعنى قطعًا؛ لأنه فسَّره بقولِه: «حتى كأنَّها عنده معدومةٌ؛ وهذا هو الفناءُ عند الصوفيَّة، وهو الغَيْبةُ عن الخَلْق؛ حتى إنَّه يَفنَىٰ عن نفسِهِ، وعن توحيدِه».

وقد جعَلَ المؤلِّف هذه الدرجةَ بهذا التفسير أعلى درجاتِ التوحيد، وهي الفناءُ عن شهودِ ما سوى الله؛ أي: عدَمِ الشعورِ بما سوى الله مِن المخلوقات، وقد غَلِطَ في هذا - عفا الله عنه - فإنَّ الفناءَ والغَيْبةَ نقصٌ، ليس بكمالٍ، فضلًا عن أن يكونَ مِن الدِّين، فضلًا عن أن يكونَ أعلى مقاماتِ الدِّين.

قال شيخُ الإسلام في «العقيدة التدمريَّة»: «الفناءُ الثاني: وهو الذي يذكُرُهُ بعضُ الصوفيَّة، وهو أنْ يَفنَىٰ عن شهودِ ما سوى اللهِ تعالى ... بحيثُ قد يَغيبُ عن شعوره بنَفْسِهِ وبما سِوَى اللهِ تعالى؛ فهذا حالٌ ناقصٌ ... ومَن جعَلَ هذا نهايةَ السالِكِين، فهو ضالٌّ ضلالًا مُبِينًا، وكذلك مَن جعَلَهُ مِن لوازمِ طريقِ الله، فهو مُخطِئ، بل هو مِن عوارضِ طريقِ اللهِ التي تَعرِضُ لبعضِ الناسِ دون بعض».

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٤﴾ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٦﴾

﴿١٦٣﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيةَ؛ ذكر فيها ثمانية أصنافٍ من المخلوقات؛ تنبيهًا على ما فيها من العبر، واستدلالًا على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفِهما من الضِّياء والظَّلام، والطول والقِصَر. وقيل: المعنى: أنَّ أحدَهما يخلفُ(١) الآخر.

﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ إرسالها من جهاتٍ مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفاتٍ مختلفة؛ فمنها مُلْقِحةٌ للشجر، وعَقيمٌ، وصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿١٦٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ اعلمْ أنَّ محبة العبد لربه على درجتين: أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبةٌ. والأخرى: المحبة الخاصَّة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء. وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنيَّةٌ على حظوظ النفوس، ألَا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجيَ إنما يرجو منفعةَ

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

نفسه؟ بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات(١).

واعلم أن سببَ محبة الله: معرفتُه؛ فتقوى المحبةُ على قدر قوَّة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ **فإن الموجِب للمحبة أحدُ أمرين**، أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شكَّ أنهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال: **فالموجِب الأوَّل**: الحسن والجمال. **والآخر**: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإنَّ الإنسان بالضرورة يحبُّ كلَّ ما يستحسن. **والإجمال** مثل: جمال الله في حكمته البالغة، وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تَرُوقُ العقولَ وتُبهِج القلوبَ. وإنما يُدرَك جمالُه تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جُبِلت القلوبُ على حبِّ من أحسن إليها. وإحسانُ الله إلى عباده متواتر، وإنعامُه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، وإلى المؤمن والكافر، وكلُّ إحسان يُنسب إلى غيره فهو -في الحقيقة- منه وحده، فهو المستحقُّ للمحبة وحده.

---

(١) [**التعليق ٢٩**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه**: «اعلَمْ: أنَّ محبَّةَ العبدِ لربِّهِ على درجتَيْن ...»، إلخ: **أقولُ**: تضمَّن كلامُهُ تعظيمَ مقامِ المحبَّة، وأنَّ العبادَ فيها متفاضِلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوَّن مِن مقاماتِ الخوفِ والرجاءِ والتوكُّل، وقال: إنَّ غايتَها حظُّ النفس، بينما غايةُ المحبَّةِ المحبوبُ. وهذا لا يُسلَّمُ له في الجانبَيْن؛ فمقاماتُ الخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ غايتُها إجلالُ اللهِ وتعظيمُه، والخضوعُ له والإقرارُ بربوبيَّتِهِ وكمالِ غناه؛ كيف وقد أثنى اللهُ على ملائكتِهِ بمقامِ الخوفِ؛ فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأثنى اللهُ على أنبيائِهِ وأوليائِهِ بمقامِ الخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن رسلِهِ عليهم السلام: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وأمَّا مقامُ المحبَّةِ - مع علوِّ قدرِهِ - فلا يُستغنَى به عن مقامِ الخوفِ والرجاءِ، كما تزعُمُ الصوفيَّة، ومع ذلك: فللنفسِ حظٌّ في مقامِ الحُبِّ، وهو ما تَجِدُهُ مِن اللذَّةِ في مشاهَدةِ جمالِ المحبوبِ وكمالِه؛ فلا بُدَّ مِن التعبُّدِ للهِ بكلِّ هذه المقامات؛ حبًّا ورجاءً وخوفًا وتوكُّلًا.

قال بعضُ السلف: «مَن عبَدَ اللهَ تعالى بالحبِّ وحدَه، فهو زِنْدِيق، ومَن عبَدَهُ بالخوفِ وحدَه، فهو حَرُورِيٌّ، ومَن عبَدَهُ بالرجاء وحدَهُ، فهو مُرجِئٌ، ومَن عبَدَهُ بالحُبِّ والخوفِ والرجاءِ، فهو مُؤمِنٌ موحِّد».

واعلمْ أن محبة الله إذا تمكَّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجدِّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذُّذِ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوقِ إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كلِّ ما يحبه اللهُ، (وكلِّ من يحب الله)[1]، وإيثارِ الله على كل من سواه.

قال الحارث المحاسبيُّ: المحبة مَيلُك إلى المحبوب بكليَّتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرًّا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه[2].

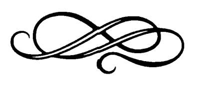
﴿وَلَوْ تَرَى﴾ مِن رؤية العين، و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مفعولٌ، وجواب «لو» محذوف؛ وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾. **والتقدير**: لو ترى الذين ظلموا لعلمتَ أنَّ القوة لله، أو لعلموا أنَّ القوة لله. **وقرئ** ﴿يَرَى﴾ **بالياء**[3]: وهو -على هذه القراءة- من رؤية القلب، و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ فاعل، و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ مفعولُ ﴿يَرَى﴾، وجواب «لو» محذوف. **والتقدير**: لو يرى الذين ظلموا أنَّ القوة لله لندموا، أو لاستعظموا ما حلَّ بهم.

﴿١٦٥﴾ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدلٌ من: ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾. أو استئنافٌ؛ والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم: الآلهة، أو الشياطين، أو الرؤساء من الكفَّار. **والعموم أولى**.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ هنا: الوُصلات من الأرحام والمودَّات.

﴿١٦٦﴾ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: سيِّئاتِهم. **وقيل**: حسناتهم إذ لم تقبل منهم. **أو**: ما عملوه لآلهتهم.



(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٢/ ٤٩٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر: ﴿ولَوْ ترَى﴾ بالخطاب، وقرأ الباقون ﴿يَرَى﴾ بالغيب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ
مُّبِينٌ ﴿١٦٧﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ
شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٦٩﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ
صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧١﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٢﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٤﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴿١٧٥﴾

﴿١٦٧﴾ ﴿كُلُواْ﴾ أمرٌ محمول على الإباحة.

﴿حَلَٰلٗا﴾ حالٌ مِن: ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، أو مفعولٌ بـ﴿كُلُواْ﴾، أو صفة لمفعول محذوف؛ أي: شيئًا حلالًا.

﴿طَيِّبٗا﴾ **يَحتمل أن يريد:** الحلالَ، أو اللذيذ.

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ما يأمر به؛ وأصله من: خُطوة المشي. **وقال المنذر بن سعيد:** يَحتمل أن يكون من الخطيئة، ثم سهِّلت همزته. وقرئ: بضم الطاء وإسكانِها[1]؛ وهما لغتان.

﴿١٦٨﴾ ﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ المعاصي.

﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراكِ، وتحريمِ الحلال؛ كالبَحِيرة وغير ذلك.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة وشعبة عن عاصم والبزي عن ابن كثير بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بضمها.

(١٧٠) ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾. والآيةُ في كفَّار العرب. **وقيل**: في اليهود. **والمعنى**: أتتبعونهم(١) ولو كانوا لا يعقلون؟ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

(١٧١) ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ **في معناها قولان: الأول**: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلَّة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم.

ولا بد في هذا من محذوف؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أوَّلَ الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ ولا تعقل معناه.

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مَدْعُوِّ الذي ينعق. ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على الوجهين: مفعولًا بـ﴿يَسْمَعُ﴾. والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها.

فعلى هذا القول: شبَّه الكفار: بالغنم، وشبه داعِيهم: بالذي يزجرها ويصيح عليها.

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا. ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على هذا منقطعًا؛ أي: أن الداعيَ يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة. **فعلى هذا**: شبه الكفار: بالناعق.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ **وذلك يقوِّي التأويل الأول**. ورفعه: على إضمار مبتدإٍ.

(١٧٢) ﴿وَاشْكُرُواْ﴾ الآيةَ؛ دليلٌ على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

(١٧٣) ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد. وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت(٢)، ومنعه أبو حنيفة. ومنع مالكٌ أَكْلَ(٣) الجراد حتى يُسبِّب

---

(١) في ج، هـ: «أيتبعونهم».

(٢) وبه قال الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٧٩-٢٨١).

(٣) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

موتَها[١] بقطع عضوٍ منها، أو وضعِها في الماء، أو غير ذلك[٢]، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك[٣].

﴿وَالدَّمَ﴾ يريد: المسفوحَ؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام». ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ هو حرامٌ؛ سواء ذُكِّي أو لم يذكَّ. وكذلك شحمُه بإجماع، وإنما خصَّ اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابعٌ له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنِث، بخلاف العكس.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ أي: صِيحَ؛ لأنهم كانوا يَصيحون باسم من ذُبِح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿ٱضْطُرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه. وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افتُعِل، وأبدل من التاء طاءٌ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغٍ على المسلمين، وعادٍ عليهم؛ ولذلك لم يرخِّصْ مالك -في رواية عنه- للعاصي بسفره أن يأكل الميتة[٤]، والمشهور عنه: الترخيص له[٥]. وقيل: باغٍ باستعمالها من غير اضطرار. وقيل: باغٍ أي: متزيِّد على إمساك رمَقِه؛ ولهذا لم يُجِز الشافعيُّ للمضطرِّ أن يشبع من الميتة[٦]، وقال مالك: بل يشبع ويتزوَّد[٧].

---

(١) في ب: «في موتها».

(٢) وهو رواية عن أحمد.

(٣) وهو الرواية الأخرى عن أحمد، وهي المذهب، وهو قول جماهير أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٤) وهو مذهب الشافعية (المجموع للنووي ١/ ٤٨٥) والحنابلة (المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٢٧/ ٢٤١-٢٤٢).

(٥) وهو مذهب الحنفية. الاختيار لتعليل المختار، للموصلي (١/ ٢٧٠).

(٦) وبه قال أبو حنيفة، وهو رواية عن أحمد، وظاهر كلام الخرقي، وهي المذهب عند الأصحاب.

(٧) وهو رواية أخرى عن أحمد، اختارها أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٣٧-٢٤٠).

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ رفعٌ للحرج. ويجب على المضطرِّ أكلُ الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها. وقد اختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟ واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك[1]، وأجازه الشافعي[2]؛ لعموم الآية.

(١٧٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛ فوضع السبب موضع المسبَّب[3]. وقيل: يأكلون النار حقيقةً في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارةٌ عن غضبه عليهم وقيل: لا يكلِّمهم بما يحبونه[4].

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يثني عليهم.

(١٧٥) ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ تعجُّبٌ من جُرْأتهم على ما يقودهم إلى النار، أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة. وقيل: إنه استفهام؛ و﴿أَصۡبَرَهُمۡ﴾ بمعنى: صَبَّرهم، وهذا بعيد؛ وإنما حمل قائلَه عليه اعتقادُه أن التعجُّبَ مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظامٌ خفِيَ سببُه. وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غيرُ خفيِّ السبب.

---

(١) وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد، اختاره أكثر الأصحاب.

(٢) وهو الوجه الثاني في مذهب أحمد، قال المرداوي: «وهو المذهب على ما اصطلحناه». المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٥٢).

(٣) كذا وردت العبارة في النسخ الخطية! وهو سبق قلم، والصَّواب: «فوضع المسبَّب موضِع السبب»، فالمأكول هو الرُّشا والأموال التي تكون عقوبتها النار، فهو السَّبب في دخولهم النار، فكان أصل الكلام: «ما يأكلون في بطونهم إلا ما يكون سببًا في دخولهم النار»، فوضع المسبَّب -وهو النار- موضع هذا السبب، فصار: ﴿ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾، فجعل ما هو سببٌ للنار نارًا، وهو مجازٌ. انظر: الكشاف (٣/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٩)، والدر المصون (٢/ ٢٤٢).

(٤) [التعليق ٣٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: «عبارةٌ عن غضَبِهِ عليهم ...»، إلخ:
أقولُ: فسَّر نفيَ الكلام بأحد وجهَيْن:
- بالغضَبِ اللازمِ مِن تركِ الكلامِ؛ وهو مِن التفسيرِ باللازم.
- أو بتركِ كلامٍ مخصوصٍ، وهو ما يُحِبُّونَهُ ويَسُرُّهم.
والثاني هو المناسِبُ؛ لظاهِرِ اللفظ، والله أعلم.

﴿١٧٥﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ العذاب، ورفْعُه: بالابتداء[١]، أو بفعل مضمر[٢].

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الباء سببية.

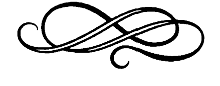
﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن هنا.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار الحقِّ[٣]؛ أي: الصادق. والباء فيه: سببية، أو للمصاحبة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارىٰ؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ علىٰ هذا: التوراة والإنجيل.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: العرب؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ علىٰ هذا: القرآن. ويَحتمل جنس الكتاب[٤] في الموضعين.

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيدٍ من الحق والاستقامة.



(١) وخبره: ﴿بأن الله نزل..﴾،أي: ذلك الأمر -أي: العذاب- بأن الله...

(٢) تقديره: وجب ذلك لهم. المحرر الوجيز (١/ ٤١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٦).

(٣) في د: «بالحق».

(٤) في ج، د: «الكتب».

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

﴿١٧٧﴾ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ **الآيةَ**؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلةُ اليهود، والمشرق قبلة النصارىٰ، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلىٰ الكعبة. **وقيل**: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاةَ خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبرًا عن ﴿ٱلْبِرَّ﴾ ؛ **فتأويله**: لكنَّ صاحب البر مَن آمن، أو لكن البرَّ برُّ من آمن، أو يكون البر مصدرًا وُصِف به.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ صدقةَ التطوُّع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ **الضمير عائد علىٰ** ﴿ٱلْمَالَ﴾ ؛ كقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآيةَ؛ وهو الراجح من طريق المعنىٰ، وعَودِ الضمير علىٰ الأقرب. وهو علىٰ هذا تتميمٌ؛ وهو من أدوات البيان. **وقيل**: يعود علىٰ مصدر ﴿وَءَاتَى﴾ ، **وقيل**: علىٰ الله.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده: مرتَّبٌ بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة علىٰ القرابة صدقةٌ وصِلةٌ، بخلاف مَن بعدهم، ثم اليتامىٰ؛ لصِغَرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الغريب، **وقيل**: الضَّيف[١].

﴿وَالسَّآئِلِينَ﴾ وإن كانوا غيرَ محتاجين.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نَصْبٌ بإضمار فعل[٢].

﴿فِي الْبَأْسَآءِ﴾ الفقر.

﴿وَالضَّرَّآءِ﴾ المرض.

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ القتال.

﴿صَدَقُوا﴾ في القول، والفعل، والعزيمة.

(١٧٨) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: شُرِع لكم. وليس بمعنىٰ: فُرِض؛ لأن وليَّ المقتول مخيَّرٌ بين القصاص والدية والعفو. **وقيل**: بمعنىٰ فرض؛ أي: فُرِض علىٰ القاتل: الانقيادُ للقصاص، وعلىٰ وليِّ المقتول: أن لا يتعداه إلىٰ قتل غيره؛ كفعل الجاهلية، وعلىٰ الحكَّام: التمكينُ من القصاص.

﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ﴾ ظاهره: اعتبار التَّساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حرٌّ بعبد، ولا ذكر بأنثىٰ. **إلَّا أن العلماء أجمعوا علىٰ قتل الذكر بالأنثىٰ**. ورأىٰ قوم: أن يُعطِي أولياؤُها حينئذٍ نصفَ الدية لأولياء الرجل المقتصِّ منه[٣]؛ خلافًا لمالك والشافعي وأبي حنيفة[٤].

---

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسره به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

(٢) علىٰ المدح والاختصاص. المحرر الوجيز (١/ ٤٢١)، والكشاف (٣/ ٢٠٩).

(٣) روي ذلك عن علي ﷺ، وحكي عن الحسن وعطاء، وروي عنهما -أيضًا- القول الآخر، وهو رواية عن أحمد.

(٤) وأحمد في الصحيح عنه، وهو المذهب عن الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٥/ ٩٦-٩٧).

وأما قتل الحرِّ بالعبد: فهو مذهب أبي حنيفة، خلافًا لمالك والشافعي[1].

فعلىٰ هذا: لم يأخذ أبو حنيفة بشيءٍ من ظاهر الآية؛ لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة. وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، **وتأويلها عنده**: أن قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثىٰ بالأنثىٰ، والأنثىٰ بالذكر، والذكر بالأنثىٰ، ثم كرَّر قوله: ﴿وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ﴾ تجريدًا؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثىٰ قتلوا بها ذكرًا؛ تكبُّرًا وعدوانًا.

وقد يتَّجه قول مالك علىٰ نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرِّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «**لا يقتل حرٌّ بعبد**»[2].

والناسخ لها علىٰ القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٧]، **علىٰ أن هذا ضعيف**؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ الآيةَ؛ **فيها تأويلان: أحدهما**: أن المعنىٰ: من قَتل فعُفي عنه فعليه أداءُ الدية بإحسان، وعلىٰ أولياء المقتول اتِّباعه بها بمعروف. **فعلىٰ هذا**: «مَن»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليُّه، و﴿عُفِيَ﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدىٰ بـ«عن»، وإنما تعدَّىٰ هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنىٰ: مَن أعطَيتَه الدية فعليه اتِّباع بمعروف، وعلىٰ القاتل أداءٌ بإحسان. **فعلىٰ هذا**: «مَن»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل أو عاقلته[3]، و﴿عُفِيَ﴾ بمعنىٰ: يُسِّرَ؛ كقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسَّر، ولا إشكال في تعدِّي ﴿عُفِيَ﴾ باللام علىٰ هذا المعنىٰ.

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٥/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البيهقي (١٥٩٣٩)، والدارقطني (٣٢٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعَّف إسناده البيهقي وابن الملقِّن وابن حجر.

(٣) في أ، د: «أو علىٰ عاقلته».

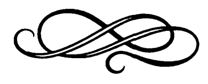
﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ﴾ إشارةٌ إلىٰ جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ أي: قتل قاتل وليِّه بعد أن أَخذ منه الدية.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ بمعنىٰ قولهم: «القتل أَنفىٰ للقتل»[1]؛ أي: أن القصاص يردعُ الناس عن القتل. وقيل: المعنىٰ: أن القصاص أقلُّ قتلًا؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتَي القاتل والمقتول، حتىٰ يُقتَل بسبب ذلك جماعةٌ.

﴿١٧٩﴾ ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ كانت فرضًا قبل الميراث، ثم نسخَها آيةُ المواريث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[2]، وبقيت الوصية مندوبةً لمن لا يرث من الأقربين. وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين علىٰ حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين المواريث، ولا نسخ، والأول أشهر.



(١) بل بين العبارتين تفاوت في البلاغة، يَبعد معه تقاربهما في المعنىٰ فضلًا عن تماثلهما، وقد تكلَّم البلاغيُّون عن أوجه التفاوت بينهما، انظرها في: البحر المحيط (٣/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٢) روي من حديث أبي أمامة الباهلي ﵁، أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (٢٢٢٩٤)، وحسَّنه الترمذي، وروي من حديث عمرو بن خارجة ﵁، أخرجه الترمذي (٢١٢١)، والنسائي (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٧١٢)، وأحمد (١٧٦٦٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اُ۬لصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٖۖ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً اَوْ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنَ اَيَّامٍ اُخَرَۖ وَعَلَى
اَ۬لذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَٰكِينَۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٞ لَّهُۥۖ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٞ لَّكُمُۥٓ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَۖ ﴿١٨٣﴾ *شَهْرُ رَمَضَانَ اَ۬لذِےٓ أُنزِلَ فِيهِ اِ۬لْقُرْءَانُ هُدىٗ لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ
اَ۬لْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِۖ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ اُ۬لشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضاً اَوْ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنَ
اَيَّامٍ اُخَرَۖ يُرِيدُ اُ۬للَّهُ بِكُمُ اُ۬لْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ اُ۬لْعُسْرَۖ وَلِتُكْمِلُواْ اُ۬لْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اُ۬للَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَيٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَۖ ﴿١٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِے عَنِّے فَإِنِّے قَرِيبٌۖ اُجِيبُ دَعْوَةَ اَ۬لدَّاعِ
إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِے وَلْيُومِنُواْ بِے لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَۖ ﴿١٨٥﴾ اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ اَ۬لصِّيَامِ اِ۬لرَّفَثُ
إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۖ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٞ لَّهُنَّۖ عَلِمَ اَ۬للَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَالَٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اَ۬للَّهُ لَكُمْۖ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ اُ۬لْخَيْطُ اُ۬لَابْيَضُ مِنَ اَ۬لْخَيْطِ اِ۬لَاسْوَدِ مِنَ اَ۬لْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ اُ۬لصِّيَامَ إِلَى اَ۬ليْلِۖ
وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِے اِ۬لْمَسَٰجِدِۖ تِلْكَ حُدُودُ اُ۬للَّهِۖ فَلَا تَقْرَبُوهَاۖ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اُ۬للَّهُ
ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَۖ ﴿١٨٦﴾ وَلَا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى
اَ۬لْحُكَّامِ لِتَاكُلُواْ فَرِيقاً مِّنَ اَمْوَٰلِ اِ۬لنَّاسِ بِالِاثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَۖ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٢﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ اُ۬لصِّيَامُ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٖ﴾: تسهيلُ الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذارٌ عن كتْبِه عليهم، ومُلاطفةٌ جميلة(١).

(١) [التعليق ٣١] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قول ابن جزيٍّ: «وكأنه اعتذارٌ عن كتْبِه عليهم»، أقول: فيه نسبة الاعتذار إلى الله، ومعنى كلامه: أن الله أخبر المؤمنين أنه كتب الصيام على من قبلهم اعتذارًا منه إلى المؤمنين عن كتْب الصيام عليهم، وفي نسبة الاعتذار إلى الله نظر؛ فإنه لم يرد نسبة الاعتذار إلى الله في شيء من نصوص الكتاب والسنة، وإنما الذي ورد الإعذار، أي: إزالة العذر، وذلك بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، كما قال ﷺ: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين» [أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) عن المغيرة ﷺ] وبإمهال العبد في عمره إلى أمد يمكنه فيه التدارك، =

والذي كُتِب على الذين من قبلنا الصيام مطلقًا، وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدَّلوه.

﴿١٨٣﴾ ﴿أَيَّامًا﴾ منصوبٌ: بـ﴿الصِّيَامُ﴾(١)، أو بمحذوف(٢)، ويبعد انتصابُه بـ﴿تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيَةَ؛ إباحةٌ للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك. وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى: فحوى الخطاب(٣)؛ وتقديره: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر: فعليه عدَّةٌ من أيام أخر.

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف؛ فرأوا أنَّ صيام المريض والمسافر لا يصحُّ، وأوجبوا عليه عدَّةً من أيام أخر، وإن صام في رمضان. وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب. وليس في الآية ما يقتضي تحديدَ السفر، وبذلك قال الظاهرية. وحدُّه في مشهور مذهب مالك: أربعة بُرُدٍ(٤).

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة؛ فيفطرون ويكفِّرون، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وقيل: يطيقونه بمشقَّة؛ كالشيخ الهرِم، فيجوز له الفطر، ويكفِّر بالإطعام، فلا نسخ على هذا.

= كما في الحديث: «أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله، حتى بلغه ستين سنة» [أخرجه البخاري (٦٤١٩) عن أبي هريرة ﷺ]، فلا حجة للعباد على الله، وقد أقام الحجة عليهم بإرسال الرسل وبالإمهال، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾، فلا عذر لمن كفر بالله وعصى رسله بعد إعذار الله إليهم.

والاعتذار إنما يكون من الأدنى إلى الأعلى، فالواجب على العباد أن يعتذروا إلى ربهم بالاعتراف والتوبة من ذنوبهم، لا أن يعتذر الله إليهم بما فعله بهم؛ إذ لم يفعل بهم إلا ما له فعله؛ لأنهم عبيده، كما قال عيسى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، وهو سبحانه بصير بهم، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾، وليس لأحد أن يقول: لـمَ فعلتَ كذا يا ربَّنا، ولم شرعتَ كذا، على وجه الاعتراض، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

(١) نحو قولك: نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة. الكشاف (٣/ ٢٢٩).

(٢) أي: بإضمار فعل يدلُّ عليه ما قبله، تقديره: صوموا. البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٣) سبق التعليق عليه عند تفسير الآية رقم (٥٤) من هذه السورة، وأن الصواب: «لحن الخطاب». والله أعلم.

(٤) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٣٦-٣٧).

﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة؛ وذلك على القول بالنسخ. وقيل: تطوَّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿١٨٥﴾ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر[1]، أو بدلٌ من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾.

﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة[2]. وقيل: المعنى: أُنزِل في شأنه القرآن؛ كقولك: «أنزل القرآن في فلان». وقيل: المعنى: ابتُدِئ فيه إنزال القرآن.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: أن القرآن هدى، ثم هو -مع ذلك- من مبيِّنات[3] الهدى؛ وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق، وموصوف بالبيان. فالهدى الأوَّل -هنا-: على الإطلاق. وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: وهو من الهدى المبيَّن؛ فهو من عطف الصفات؛ كقولك: «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء».

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: كان حاضرًا غير مسافر، و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ : منصوبٌ على الظرفية.

﴿ٱلْيُسْرَ﴾ و﴿ٱلْعُسْرَ﴾: على الإطلاق، وقيل: اليسرُ: الفطرُ في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ متعلِّقٌ بمحذوف تقديره: شُرع، أو عطفٌ على: ﴿ٱلْيُسْرَ﴾.

﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ الأيامَ التي أفطر فيها.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلقٌ.

﴿١٨٦﴾ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئةِ الله، وموافقةِ القدر. وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟[4]

---

(١) أي: ذلكم شهر رمضان. المحرر الوجيز (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١١٥)، والنسائي في الكبرى (١١٣٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢٨٧٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه -أيضًا- ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص: ٣٦).

(٣) في د: «بينات».

(٤) [التعليق ٣٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه: «مقيَّدٌ بمشيئةِ الله ...»، إلخ: أقولُ: تضمَّنَ كلامُهُ هذا: أنَّ وعدَ اللهِ باستجابةِ دعاءِ الداعي: مشروطٌ بأمرين:
=

﴿وَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿١٨٧﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآيةَ؛ كان الأكل والجماع محرَّمًا بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب(١) ولصِرْمة بن مالك ﵄(٢)؛ فأحلَّهما الله؛ تخفيفًا على عباده.

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ هنا: الجماع، وإنما تعدَّىٰ بـ﴿إِلَىٰ﴾؛ لأنه في معنى الإفضاء.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيهٌ بالثياب؛ لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليلٌ للإباحة.

﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان.

﴿فَتَابَ﴾ ﴿وَعَفَا﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك. وقيل: رَفع عنكم ذلك الحكم.

﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ إباحةٌ.

= أوَّلًا: بمشيئةِ الله؛ وهذا حقٌّ؛ فإنَّ فعلَهُ تعالىٰ إنما يكونُ بمشيئةٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلَّةُ ذلك كثيرةٌ في القرآن.

ثانيًا: بموافَقةِ القَدَر؛ أي: أن يكونَ المطلوبُ قد سبَقَ القَدَرُ بكَوْنِه، وفي هذا إجمالٌ:

فإنْ أراد: أنه مقدَّرٌ بدون هذا الدعاء، فهذا يَؤُولُ إلىٰ أن يكونَ الدعاءُ لا أثَرَ له في حصولِ المطلوب؛ وهذا هو الظاهِرُ مِن مرادِه؛ فإنَّ هذا يَجري علىٰ مذهبِ نفاةِ تأثيرِ الأسباب، والدعاءُ مِن الأسباب، وهو مذهبُ الأشاعِرة، والظاهِرُ: أنَّ المؤلِّفَ ممَّن يذهَبُ هذا المذهَب.

وإنْ أراد: أنه مقدَّرُ الحصولِ بذلك الدعاءِ، فهو حقٌّ؛ لكن يصيرُ التقييدُ بذلك كالتقييدِ بالمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبَقَ به القَدَر، كما لا يكونُ إلا ما شاءَهُ اللهُ تعالىٰ؛ فتخلُّفُ المطلوبِ يَرجِعُ إلىٰ أنَّ اللهَ لم يقدِّرْ حصولَهُ في سابقِ علمِهِ وكتابِه، وما كان كذلك، فإنه لا يشاؤُهُ سبحانه.

فالمشيئةُ والقَدَرُ متلازِمان؛ فما شاءَهُ سبحانه، فقد سبَقَ به علمُهُ وكتابُه، وما عَلِمَهُ وكتَبَهُ فإنه تعالىٰ يشاؤُه؛ فلا يكونُ إلا ما يشاء، ولا يكونُ إلا ما سبَقَ به علمُهُ وكتابُه، والله أعلم.

(١) أخرجها أحمد في المسند (١٥٧٩٥)، والطبري في تفسيره (٣/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٦)، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٣).

(٢) أخرجها البخاري (١٩١٥) من حديث البراء ﵁، ووقع في اسمه اختلاف كثير، ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ٢٤٨)، فقيل: صرمة بن مالك كما أورده المؤلف، وقيل: قيس بن صرمة كما في رواية البخاري، وقيل غير ذلك.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يبتغىٰ بالجماع. وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه.

﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيط الأبيض، لا للأسود؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد. والخيط -هنا- استعارةٌ؛ يراد بالخيط الأبيض: بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك[١]؛ بيانًا لهذا المعنىٰ؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطًا أبيض وخيطًا أسود عند وِسادِه، وأكل حتىٰ تبيَّن له، فقال له النبي ﷺ: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»[٢].

﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلىٰ أوَّل الليل، وهو غروب الشمس؛ فمن أفطر قبل ذلك: فعليه القضاء والكفارة[٣]. ومن شك هل غربت أم لا فأفطر: فعليه -أيضًا- القضاء والكفارة. وقيل: القضاء فقط. وقالت عائشة ﵂: ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: يقتضي المنع من الوصال[٤]، وقد جاء ذلك في الحديث[٥].

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف. قال الجمهور: المباشرة -هنا-: الجماع وما دونه، وقيل: الجماع فقط.

﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ دليلٌ علىٰ جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد؛ خلافًا لمن قال: لا اعتكاف إلَّا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس. وفيه -أيضًا- دليلٌ علىٰ أن الاعتكاف لا يكون إلَّا في المساجد، لا في غيرها، خلافًا لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١) من حديث سهل بن سعد ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) عن عدي بن حاتم ﵁.

(٣) إيجاب الكفارة بإفساد الصوم بغير الجماع هو مذهب مالك وأبي حنيفة، خلافًا للشافعي وأحمد في أنه الكفارة لا تجب إلا بإفساد الصوم بالجماع فقط. القوانين الفقهية (ص:٢٢٤)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧/ ٤٦٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩٦٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أَمر بالوقوف عندها.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تُقارِبوا[1] مخالفتَها. واستدلَّ بعضهم به علىٰ سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهىٰ -هنا- عن مقاربة المخالفة؛ سدًّا للذريعة.

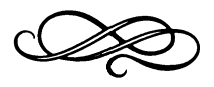
١٨٧ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ أي: لا يأكلْ بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتُدْلُواْ﴾ عطف علىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾، أو: نصب بإضمار «أنْ». وهو مِن أَدلىٰ الرجل بحجَّته: إذا قام بها.

والمعنىٰ: نهيٌ عن أن يَحتجَّ بحجة باطلة؛ ليَصِل بها إلىٰ أكل مال الناس. وقيل: نهيٌ عن رشوة الحكَّام بالأموال للوصول إلىٰ أكل أموال الناس. فالباء علىٰ الأوَّل: سببية، وعلىٰ الثاني: للإلصاق.

﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة. والإثم علىٰ القول الأوَّل في ﴿وَتُدْلُواْ﴾: إقامة الحجة الباطلة؛ كشهادة الزور، والأيمان الكاذبة، وعلىٰ القول الثاني: الرشوة.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم علىٰ الباطل؛ وذلك مبالغةٌ في المعصية والجرْأَة.



(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

*يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَاتُواْ الْبُيُوتَ مِن
ظُهُورِهَا وَلَٰكِنِ الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰ وَاتُواْ الْبُيُوتَ مِنَ ابْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٨
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٨٩ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ
عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ
الْكَٰفِرِينَ ۝١٩٠ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩١ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى الظَّٰلِمِينَ ۝١٩٢ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ
اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝١٩٣ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمُۥٓ إِلَى
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٤ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنُ احْصِرْتُمْ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضاً اَوْ بِهِۦٓ أَذىً مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ *فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنَ اَهْلُهُۥ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٩٥

۝١٨٨ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ **سببُها**: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة مِحَاقِه وكمالِه ومخالفته لحال الشمس(١). **والهلال**: ليلتان من أوَّل الشهر، **وقيل**: ثلاثٌ، ثم يقال له: قمر.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٥) من حديث السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس ﷺ، قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما رجلان من الأنصار، قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتىٰ يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتىٰ يعود كما كان لا يكون علىٰ حال واحد؟ فنزلت ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس﴾، وإسناده ضعيف واهٍ كما في الدر المنثور (٢/ ٣٠٥)، وأخرجه الطبري (٣/ ٢٨٢) وابن أبي حاتم (١/ ٣٢٢) من حديث العوفي عن ابن عباس ﷺ، قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية.

﴿مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات؛ لمحلِّ الديون، والأَكْرية، وانقضاء العِدد، وغير ذلك. ثم ذكَر الحجَّ؛ اهتمامًا بذكره، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآيَةَ؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلامًا أنَّ ذلك ليس من البر(١). وإنما ذَكَر ذلك بعد ذِكْر الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج.

وقيل: إن المعنىٰ: ليس البر أن تسألوا عن الأهلَّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور علىٰ غير ما يجب.

فعلىٰ هذا: ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَٰبِهَا﴾ و﴿ظُهُورِهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها(٢): السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ تأويلُه مثل: ﴿ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾(٣).

(١٨٩) ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غيرَ مباح في أوَّل الإسلام، ثم أُمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضىٰ هذه الآية، ثم أُمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة ٣٦] و﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٨]؛ **فهذه الآية منسوخة**.

وقيل: **إنها مُحْكمة**؛ وإنَّ المعنىٰ: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم(٤)، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم، **والأوَّل أرجح وأشهر**.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي: بقتال من لم يقاتلْكم؛ **علىٰ القول الأول**، وبقتال النساء والصبيان؛ **علىٰ القول الثاني**.

(١٩٠) ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشًا أخرجوا منها المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٣) ومسلم (٣٠٢٦) من حديث البراء ﷺ.

(٢) في ب، ج، هـ: «فظهورها».

(٣) انظر تفسير الآية (١٧٦).

(٤) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: فتنةُ المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله. وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين[1] لهم في الجهاد.

﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[النساء: ٨٨]، وذلك يقوِّي نسخ: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ .

﴿١٩١﴾ ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿١٩٢﴾ ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: لا يبقىٰ دينُ كفرٍ.

﴿١٩٣﴾ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآيةَ؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبيَّ ﷺ والمسلمين[2] عن دخول مكة للعمرة عامَ الحديبيَة في شهر ذي قَعدة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي قعدة[3]. أي: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتم فيه عن دخولها.

﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حرمةُ الشهر والبلد حين دخلتموها: قصاصٌ بحرمة الشهر والبلد حين صُدِدتم عنها.

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ أي: قاتلوا مَن قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة.

﴿١٩٤﴾ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري: المعنىٰ: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد[4]. وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد؛ خوف العَيلة. وقيل: لا تقنطوا من التوبة. وقيل: لا تقتحموا المهالك. والباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: زائدة، وقيل: التقدير: لا تلقوا أنفسَكم بأيديكم.

---

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٣٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٩٦٢)، والترمذي (٢٩٧٢) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وابن حبان (٤٧١١)، والحاكم (٢٤٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

١٩٥ ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما[١]. **ابنُ عباس** ﭭ: **إتمامهما**[٢]: إكمال المناسك[٣]. **عليٌّ** ﭬ: **إتمامهما**[٤]: **أن تحرم بهما من داركَ**[٥].

ولا حجَّة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام، لا بالابتداء.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ **المشهور في اللغة**: أَحصره المرض -بالألف-، وحصَره العدوُّ.

وقيل: بالعكس. **وقيل**: هما بمعنًىٰ واحدٍ. **فقال مالك**: ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض علىٰ مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهديَ، ولم يوجبْه علىٰ من حصَره العدوُّ.

وقال الشافعي وأشهب[٦]: يجب الهدْيُ علىٰ من حصَره العدو، وحمَلَا الآيةَ علىٰ ذلك، واستدلَّا بنحر النبي ﷺ الهدْيَ بالحديبية[٧].

وقال أبو حنيفة: يجب الهديُ علىٰ المحصر بعدوٍّ وبمرض.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي؛ وذلك شاةٌ.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾ خطابٌ للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلَّل بالحلق حتىٰ يبلغ الهديُ محلَّه أي: موضع نحره؛ وهو: مكة أو منىٰ **عند مالك**[٨]. **وقال الشافعي**[٩]: محِلُّه: حيث أُحصر. **وقيل**: هو[١٠] خطابٌ للمُحصَر وغيره.

(١) في ج، هـ: «أكملوها إذا ابتدأتم عملها».
(٢) في ب، ج، هـ: «إتمامها».
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٣٢٨).
(٤) في ب، ج، هـ: «إتمامها».
(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٣٤)، والحاكم (٣٠٩٠) وصححه ووافقه الذهبي.
(٦) وأحمد، وهو قول الجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٣١٢).
(٧) أخرجه البخاري عن ابن عباس (١٨٠٩) وابن عمر (٢٧٠١) ﭬ.
(٨) وهو رواية عن أحمد في المحصَر بعدوٍّ.
(٩) وأحمد في الرواية المشهورة، نصَّ عليه، وهو المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٤٤٣).
(١٠) في ب، ج، هـ «هي».

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيةَ؛ نزلت في كعب بن عُجْرة حين رآه النبيُّ ﷺ فقال له: «لعلَّك تؤذيك هوامُّ رأسك؟» فقال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «احلقْ رأسك، وصمْ ثلاثة أيام، أو أَطعِم ستة مساكين، أو انسُكْ بشاة»[(١)].

(فمعنى الآية: أنَّ من كان في الحج واضطرَّهُ مرضٌ[(٢)] أو قَمْلٌ إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)[(٣)] حسَبما تفسَّر في الحديث.

وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائرَ الأشياء التي يُمنَع الحاج منها، إلَّا الصيدَ، ووطء النساء.

وقصَر الظاهريةُ ذلك الحكمَ على حلق الرأس.

ولا بدَّ في الآية من مضمر لا يستقلُّ الكلام دونَه، وهو المسمى: فحوى الخطاب[(٤)]؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فحلق رأسَه فعليه فديةٌ.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك. ومن العدوِّ؛ على قول غيره. والمعنى: إذا كنتم بحال أَمْن؛ سواءٌ تقدَّم مرض أو خوف عدوٍّ، أو لم يتقدَّمْ.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتُّع عند مالك وغيره[(٥)]: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحجَّ من عامِه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة. وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحصَر عن الحج بعدوٍّ حتى يفوتَه الحج، فيعتمر عمرةً يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاءً لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل[(٦)]. وقيل: التمتع: هو قِرَان الحج والعمرة.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة.

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطرَّ لمرضٍ».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

(٤) سبق التعليق عليه عند تفسير الآية رقم (٥٤) من هذه السورة، وأن الصواب: «لحن الخطاب». والله أعلم.

(٥) هذا معنى التمتع عند عامة أهل العلم. الاستذكار، لابن عبد البر (١١/ ٢٠٨).

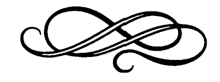
(٦) أخرجه الطبري (٣/ ٤١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٧٣٩)، وابن عبد البر في الاستذكار (١١/ ٢١١).

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي اِ۬لْحَجِّ﴾ **وقتُها**: من إحرامه إلىٰ يوم عرفة، **فإن فاته**: صامَ أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ **أي**: إلىٰ بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ **فائدته**: بيان أن السبعةَ تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفْعٌ لتوهُّمِ أنَّ السبعة بدلٌ من الثلاثة. **وقيل**: هو مثل الفَذْلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا». **وقيل**: كاملةٌ في الثواب.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنَ اَهْلُهُۥ حَاضِرِے اِ۬لْمَسْجِدِ اِ۬لْحَرَامِ﴾ **يعني**: غير أهل مكة وذي طُوىٰ بإجماع. **وقيل**: أهل الحرم كلِّه. **وقيل**: من كان دون المواقيت. **وقوله**: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلىٰ الهدي أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدي -أو الصيام بدلًا منه- علىٰ الغرباء، لا علىٰ أهل مكة. **وقيل**: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلىٰ التمتع.



اَلْحَجُّ أَشْهُرٞ مَّعْلُومَٰتٞۖ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي اِ۬لْحَجِّۖ وَمَا
تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ يَعْلَمْهُ اُ۬للَّهُۖ وَتَزَوَّدُواْۖ فَإِنَّ خَيْرَ اَ۬لزَّادِ اِ۬لتَّقْوَيٰۖ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِے اِ۬لْأَلْبَٰبِۖ ﴿١٩٦﴾ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَبْتَغُواْ فَضْلٗا مِّن رَّبِّكُمْۖ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٖ فَاذْكُرُواْ اُ۬للَّهَ عِندَ
اَلْمَشْعَرِ اِ۬لْحَرَامِۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَد۪يٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ اَ۬لضَّآلِّينَۖ ﴿١٩٧﴾ ثُمَّ
أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ اَ۬لنَّاسُۖ وَاسْتَغْفِرُواْ اُ۬للَّهَۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞۖ ﴿١٩٨﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم
مَّنَٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اُ۬للَّهَ كَذِكْرِكُمُۥٓ ءَابَآءَكُمُۥٓ أَوَ اَشَدَّ ذِكْراٗۖ فَمِنَ اَ۬لنَّاسِ مَن يَّقُولُ
رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي اِ۬لدُّنْي۪ا وَمَا لَهُۥ فِے اِ۬لْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖۖ وَمِنْهُم مَّن يَّقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي اِ۬لدُّنْي۪ا حَسَنَةٗ
وَفِے اِ۬لْأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ اَ۬لنّ۪ارِۖ ﴿١٩٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ
اُ۬لْحِسَابِۖ ﴿٢٠٠﴾ *وَاذْكُرُواْ اُ۬للَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۖ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ وَمَن
تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اِ۪تَّق۪يٰۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَۖ ﴿٢٠١﴾ وَمِنَ اَ۬لنَّاسِ
مَن يُّعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي اِ۬لْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْي۪ا وَيُشْهِدُ اُ۬للَّهَ عَلَيٰ مَا فِے قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ اُ۬لْخِصَامِۖ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا
تَوَلّ۪يٰ سَع۪يٰ فِے اِ۬لْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ اَ۬لْحَرْثَ وَالنَّسْلَۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ اُ۬لْفَسَادَۖ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُ اُ۪تَّقِ اِ۬للَّهَ أَخَذَتْهُ اُ۬لْعِزَّةُ بِالْإِثْمِۖ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِيسَ اَ۬لْمِهَادُۖ ﴿٢٠٤﴾ وَمِنَ اَ۬لنَّاسِ مَن
يَّشْرِے نَفْسَهُ اُ۪بْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اِ۬للَّهِۖ وَاللَّهُ رَءُوفُۢ بِالْعِبَادِۖ ﴿٢٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ اُ۟دْخُلُواْ فِے
اِ۬لسَّلْمِ كَآفَّةٗۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ اِ۬لشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞۖ ﴿٢٠٦﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْكُمُ اُ۬لْبَيِّنَٰتُ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اَ۬للَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌۖ ﴿٢٠٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَّاتِيَهُمُ اُ۬للَّهُ فِے
ظُلَلٖ مِّنَ اَ۬لْغَمَامِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ اَ۬لْأَمْرُۖ وَإِلَى اَ۬للَّهِ تُرْجَعُ اُ۬لْأُمُورُۖ ﴿٢٠٨﴾

﴿١٩٦﴾ **﴿اَلْحَجُّ أَشْهُرٞ﴾ التقدير:** أشهرُ الحج أشهرٌ[1]، أو الحجُّ في أشهر[2]. **وهي:** شوَّال، وذو القَعدة، وذو الحِجة، وقيل: العَشر الأوَّل منه. **وينبني علىٰ ذلك:** من أخر طواف الإفاضة إلىٰ آخر ذي حِجةٍ: فعليه دمٌ علىٰ القول بالعَشر الأول. ولا دمَ عليه علىٰ القول بجميع الشهر.

(١) إنما احتيج إلىٰ التقدير هنا؛ لأن الحج ليس هو الأشهُر. المحرر الوجيز (١/ ٤٨١).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٤٨١): «ومَن قدَّر الكلام: (الحجُّ في أشهر)، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحد».

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر: فأجازه مالكٌ علىٰ كراهة[١]. ولـم يُجزْه الشافعيُّ وداود؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة[٢].

﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: ألزم الحجَّ نفسَه.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ **الرفث**: الجماع. **وقيل**: الفحش من الكلام. **والفسوق**: المعاصي. **والجدال**: المراء مطلقًا. **وقيل**: المجادلة في مواقف الحج. **وقيل**: النسيءُ الذي كانت العرب تفعله.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ **قيل**: احملوا زادًا في السفر. **وقيل**: تزوَّدوا للآخرة بالتقوىٰ، **وهو الأرجح**؛ لما بعده.

(١٩٧) ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالىٰ. **وقرأ ابن عباس** رضي الله عنهما: «فضلًا من ربكم في مواسم الحج»[٣].

﴿أَفَضْتُم﴾ اندفعتم جملةً واحدة.

﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ اسمُ علَمٍ للموقف. والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرْفٍ؛ فإن فيه التعريفَ والتأنيث.

﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة. والوقوف بها سُنَّة.

﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَإِن كُنتُم﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل الـهُدىٰ.

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٤٨١): «ومَن قدَّر الكلام: (الحجُّ في أشهر)، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحد».

(٢) وهي رواية عن أحمد، اختارها ابن حامد وغيره، فعليه: يجعل إحرامه عمرةً. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في مواضع منها (١٧٧٠).

﴿١٩٨﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ **فيه قولان: أحدهما: أنه أمر للحُمْسِ**[(١)]؛ وهم قريشٌ ومَن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرمٌ، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حِلٌّ، ويقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلَّا بالحرم، فأمرهم الله تعالىٰ أن يقفوا بعرفة مع الناس ويُفِيضوا منها.

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة؛ توفيقًا من الله تعالىٰ له[(٢)].

والقول الثاني: أنها خطابٌ لجميع الناس؛ ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلىٰ منىٰ.

فـ﴿ثُمَّ﴾ **علىٰ هذا القول**: علىٰ بابِها من الترتيب. **وأما علىٰ القول الأوَّل**: فليست للترتيب، بل للعطف خاصة. **قال الزمخشري**: هي كقولك: «أحسن إلىٰ الناس، ثم لا تحسن إلَّا إلىٰ كريم»؛ فإنَّ معناها: التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها آكدُ[(٣)].

﴿١٩٩﴾ ﴿قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ فرَغتم من أعمال الحج.

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيرًا ما يذكر آباءه[(٤)]. **وقيل**: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة، فأُمروا بذكر الله عوضًا من ذلك.

﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصةً؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ **قيل**: العمل الصالح. **وقيل**: المال. **وقيل**: المرأة الصالحة.

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿٢٠٠﴾ ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ **يَحتمل أن تكون** «مِن»: **سببيةً**؛ أي: لهم نصيب عند الله؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات. **وأن تكون لبيان الجنس**؛ أي: لهم نصيب من الحسنات التي

---

(١) الحُمْس: لقب قريشٍ، ومن ولَدت قريشٌ وكنانةُ وجَديلةُ قيسٍ، وهم: فَهْمٌ وعَدوانُ ابنا عمرِو بن قيسِ عَيلان، وبنو عامر بن صعصعة، سُمُّوا حُمْسًا؛ لتحمُّسهم في دينهم، أي: تشدُّدهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجائهم بالحَمْساء، وهي الكعبةُ؛ لأن حجَرها أبيضُ إلىٰ السَّواد. انظر: تاج العروس (١٥/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٥٧) وابن خزيمة (٣٠٥٧) والحاكم (١٧٧٢) -وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»- عن جبير بن مطعم ﷺ.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٠٣).

(٤) في ب، ج، هـ: «أباه».

اكتسبوها، والنصيب -على هذا-: الثواب(١).

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: أن يراد به: سرعةُ مجيءِ يوم القيامة. **والآخر**: أن يراد به: سرعةُ وقوعِ الحساب يوم القيامة؛ لأنَّ الله لا يحتاج إلى عِدَّةٍ(٢) ولا فكرة.

وقيل لعليٍّ رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: «كما يرزقهم على كثرتهم»(٣).

(٢٠٣) ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ ثلاثةٍ بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق. **والذكر فيها**: التكبير في أدبار الصلوات، وعند رمي الجمار، وغير ذلك.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي: إلى اليوم الثالث فرمَى فيه بقيةَ الجمار. **وأما المتعجل: فقيل**: يترك رمي جمار اليوم الثالث. **وقيل**: يقدِّمها في اليوم الثاني.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ **في الموضعين**: **قيل**: إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر. **وقيل**: إنه إخبارٌ عن غفران الإثم -وهو الذنب- للحاجِّ؛ سواءٌ تعجل أو تأخر.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ **أمَّا على القول** بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ إباحةٌ؛ **فالمعنى**: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما؛ فقد أبيح له ذلك من غير إثم.

وأمَّا على القول: بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ إخبار بغفران الذنوب؛ **فالمعنى**: أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيومَ ولَدته أمه»(٤).

فاللام متعلِّقة: إمَّا بالغفران، أو الإباحة(٥) المفهومَين من الآية.

---

(١) عبارة الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣١٠): «أي: نصيبٌ من جنس ما كَسَبوا من الأعمال الحسنة، وهو الثوابُ الذي هو المنافعُ الحسنة».

(٢) العِدَّةُ: العَدُّ والإحصاء. تاج العروس (٨/ ٣٥٣).

(٣) لم أقف عليه مسندًا.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في د: «بالإباحة».

(٢٠٤) ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في الأخنس بن شَريق؛ فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دوابَّ المسلمين وأحرق لهم زرعًا[١]. وقيل: في المنافقين[٢]. وقيل: عامة في كل من كان علىٰ هذه الصفة.

﴿فِي الْحَيَوٰةِ﴾ متعلِّق بـ﴿قَوْلُهُۥ﴾؛ أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا. ويحتمل أن يتعلَّق بـ﴿يُعْجِبُكَ﴾[٣]. ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي: يقول: الله يعلم إنِّي لصادق.

﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة.

(٢٠٥) ﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده، أو أعرض بقلبه. وقيل: صار واليًا.

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ علىٰ القول بأنها في الأخنس: فإهلاك الحرث: حرقه للزرع، وإهلاك النسل: قتله للدواب. وعلىٰ القول بالعموم: فالمعنىٰ: مبالغةٌ في الفساد، وعبَّر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قِوامُ معيشة بني آدم، فإن الحرث: هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل: هو الإبل والبقر والغنم، وغير ذلك مما يَتناسل.

(٢٠٦) ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنىٰ: أنه لا يطيع مَن أمره بالتقوىٰ؛ تكبُّرًا وطغيانًا. والباء يَحتمل أن تكون: سببيةً، أو بمعنىٰ «مع». وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناسَ بكذا أي: ألزمَهم إيَّاه؛ فالمعنىٰ: حملتْه العزة علىٰ الإثم[٤].

(٢٠٧) ﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها. قيل: نزلت في صهيب ﷺ[٥]. وقيل: علىٰ العموم. وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد. وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غُيِّر عليه فلم ينزجر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٤) عن السُّدي.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٢) عن ابن عباس ﷺ.
(٣) أي: قوله حلوٌ فصيح في الدنيا، فهو يعجبك حينئذ، ولا يعجبك في الآخرة. الكشاف (٣/ ٣١٦).
(٤) الكشاف (٣/ ٣١٨).
(٥) أخرجه الحاكم (٥٧٠٠) عن أنس ﷺ، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٨) عن سعيد بن المسيب.

(٢٠٦) ﴿السَّلْمِ﴾ بفتح السين(١): المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية، فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخوطبوا بـ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظِّموا السبت كما كانوا(٢)؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه(٣).

ويَحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو(٤) الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

﴿كَآفَّةً﴾ عموم في: المخاطبين، أو في شرائع الإسلام.

(٢٠٧) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ لمن زلَّ بعد البيان.

(٢٠٨) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأوِّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف. ويَحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأنَّ قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى: يطلبون ذلك بجهلهم؛ كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظُلَّة؛ وهو: ما علاك من فوق. فإن كان ذلك لأمرِ الله: فلا إشكال. وإن كان لله: فهو من المتشابه(٥).

---

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥٩٩) عن عكرمة، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).

(٣) في د: «ما سواه».

(٤) في أ، ب: «و».

(٥) [التعليق ٣٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه: «﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، تأويلُهُ عند المتأوِّلين: يَأْتِيَهم عذابُ اللهِ في الآخِرة، أو أمرُهُ في الدنيا ...»، إلخ: أقولُ: ذكَرَ في معنى قولِهِ تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ قولَيْن:
الأوَّل: تفسيرُ أهل التأويل؛ بما ذكَرَهُ مِن عذابِ اللهِ في الآخِرة، أو أمرِهِ في الدنيا؛ وهذه طريقةُ أهلِ التأويلِ مِن نفاةِ الصفات.
=

﴿ٱلْغَمَامِ﴾ السحابِ.

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ فُرِغ منه؛ وذلك كنايةٌ عن وقوع العذاب.



= الثاني: تفسيرُ أهل التفويض: أنَّ الآيةَ مِن المتشابِه، والمتشابِهُ عند المؤلِّفِ وأمثالِهِ: ما لا يَعْلَمُ معناه إلا اللهُ، وزَعْمُ ابنِ جُزَيٍّ: أنَّ هذا هو مذهبُ السلفِ ومَن تَبِعَهم، ونسبةُ هذا إلى السلفِ باطلةٌ؛ فهذه الآيةُ وأمثالُها مِن نصوصِ الصفاتِ عند السلفِ مفهومةُ المعنى، وهم يُثبِتون ما دلَّت عليه مِن الصفاتِ والأفعال.

ولكنَّ قولَ المؤلِّف: «فيجبُ الإيمانُ بها مِن غيرِ تكييفٍ»، كلامٌ حقٌّ يُشبِهُ ما جاء عن السلفِ في نصوصِ الصفات: «أَمِرُّوها كما جاءَتْ مِن غيرِ كَيْفٍ»، لكنْ يكون في كلامِ المؤلِّفِ نوعُ تناقُض: فجَعْلُها مِن المتشابِهِ يقتضي عدَمَ الفهمِ لمعناها، وقولُهُ: «يجبُ الإيمانُ بها مِن غيرِ تكييف» يقتضي فهمَها وإثباتَ معناها، ففي تقريرِه لما زعَمَ أنه مذهَبُ السلفِ اضطرابٌ.

وفي كلامِهِ ﷺ عن الآيةِ اضطرابٌ آخَر؛ فبينما يتعلَّقُ الكلامُ في: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يَنتقِلُ إلى أن يكونَ متعلِّقًا بقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ وذلك في قولِه: «ويَحتمِلُ ألَّا تكونَ مِن المتشابِه»، ثم يفسِّر: ﴿يَنظُرُونَ﴾ بـ: «يَطْلُبون».

والمعروفُ في اللغةِ والتفسيرِ: أنَّ «يَنْظُرُونَ» المتعدِّيَ، معناه: يَنتظِرون؛ كقولِه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وفي هذا تهديدٌ للمكذِّبين.

والصوابُ: أنَّ الآية تَدُلُّ على أنَّ اللهَ يأتي يومَ القيامةِ كيف شاء؛ كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقولُ المؤلِّف: «فإنْ كان ذلك لأمرِ اللهِ، فلا إشكال، وإنْ كان لله، فهو مِن المتشابِه»؛ يريدُ به:

- إنْ كان معنى ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يَأْتِيَهُمْ أمرُ الله، فلا إشكالَ في إتيانِ أمرِ اللهِ في الظُّلَلِ.

- وإنْ كان معنى ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يَأْتِيَهُمُ اللهُ نفسُهُ، فهو مِن المتشابِه؛ لأنَّ اللهَ نفسَهُ لا يأتي في الظُّلَلِ مِن الغمامِ؛ لأن الظُّلَلَ مخلوقةٌ؛ واللهُ سبحانه لا يحيطُ به المخلوق.

لعل هذا مرادُهُ ﷺ؛ والصوابُ: أنَّ الآية تَدُلُّ على أنَّ اللهَ يأتي يومَ القيامةِ كيف شاء؛ كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ويكونُ معنى قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾؛ أي: مع ظُلَلٍ؛ فـ«في» - على هذا - بمعنى: «مَعَ»، لا بمعنى «في» التي للظرفيَّة؛ كما يقتضيه كلام المؤلِّف؛ وهذا مِن أحسَنِ ما عُبِّر به عن معنى «في» في قولِه: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾؛ وبذلك يَتَّجِهُ معنى الآية، ويزولُ ما يُتوهَّمُ فيها مِن إشكالٍ أو تشابُه.

سَلْ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠٩﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٠﴾ *كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم
مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَآ
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٢﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٣﴾ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا
شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٤﴾

﴿٢٠٩﴾ ﴿سَلْ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ﴾ على وجه التَّوبيخ لهم، وإقامةِ الحجة عليهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ معجزات موسى عليه السلام، أو الدلالات[1] على نبوَّة محمد ﷺ.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيدٌ.

﴿٢١٠﴾ ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفارُ قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلالٍ وصهيب.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخِر الكفارُ منهم.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسنُ حالًا منهم. ويحتمل فوقيَّة المكان؛ لأنَّ الجنة في السماء.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ إن أراد في الآخرة: فـ﴿مَن﴾ كنايةٌ عن المؤمنين. والمعنى: ردٌّ على الكفار؛ أي: إنْ رزَقَ اللهُ الكفارَ في الدنيا؛ فإن المؤمنين يُرزقون في الآخرة. وإن أراد في الدنيا: فيحتمل: أن تكون ﴿مَن﴾ كنايةً عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعدٌ لهم. وأن

---

(١) في ب، د: «الدلالة».

تكون كنايةً عن الكافرين؛ أي: أنَّ رِزْقَهم في الدنيا بمشيئة الله، لا على وجه الكرامة لهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد: بغير تضييقٍ، أو من حيث لا يحتسبون، أو لا يحاسَبون عليه. وإن كان للكفار: فمِن غير تضييق.

(٢١١) ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متَّفقين في الدين: قيل: كفارٌ؛ في زمان نوح عليه السلام. وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو مَن كان مع نوح في السفينة. وعلى ذلك يقدَّر: فاختلفوا بعد اتفاقهم؛ ويدلُّ عليه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩].

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبيٍّ كتابه[(١)].

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، أو على الضمير المجرور المتقدم[(٢)]، وقال الزمخشري: يعود على «الحق»[(٣)]. وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. والمعنى: تقبيحُ الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، أو عدوانًا. وهو: مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أمَّةَ محمد ﷺ.

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: للحقِّ فيما اختلفوا فيه. فـ«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف. والضمير في ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: لجميع الناس. يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق. وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق. و«مِن» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ أي[(٤)]: جنسِ ما وقع فيه الخلاف[(٥)].

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

---

(١) في ج، هـ: «كتابٌ».

(٢) الضمير المجرور المتقدم هو الهاء في قوله ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ وهي عائدة على «ما» الموصولة، والمراد بها: الدين أو الإسلام، أي: ليحكم بين الناس في الدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق. البحر المحيط (٤/ ٨١).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٣٩).

(٤) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٥) كذا في د، وهامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنسَ المختلَف فيه».

(٢١٤) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين علىٰ وجه التشجيع لهم، والأمرِ بالصبر علىٰ الشدائد.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتىٰ يصيبَكم مثلُ ما أصاب مَن كان قبلكم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبَّر عنه بالمثَل؛ لأنه في شدَّته يُضرَب به المثل.

﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ بالتخويف والشدائد.

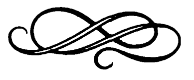
﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ **يحتمل** أن يكون جوابًا للذين قالوا: متىٰ نصر الله؟ أو أن يكون إخبارًا مستأنفًا. **وقيل**: إن الرسول قال ذلك لـمَّا قال الذين معه: متىٰ نصر الله؟

(٢١٥) ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ **إن أُرِيد بالنفقة الزكاة**: فذلك منسوخ. **والصواب: أن المراد التطوُّع**؛ فلا نسخ. وقدَّم في الترتيب الأهمَّ فالأهم. **وورد السؤال عن المنفَق، والجواب عن مَصرِفه**؛ لأنه كان المقصودَ بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفَق في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾.

(٢١٦) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ **إن كان علىٰ الأعيان**: فنسَخه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، فصار القتال فرض كفاية. **وإن كان علىٰ الكفاية**: فلا نسخ.

﴿كُرْهٌ﴾ مصدرُ: كَرِه[1]؛ للمبالغة، أو اسمُ مفعولٍ[2]؛ كالخبز بمعنىٰ: المخبوز.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ﴾ حضٌّ علىٰ القتال.



(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذُكر»، وفي ج، هـ: «مصدرٌ ذكَرَهُ».
(٢) أي: «فُعْلٌ» بمعنىٰ «مفعول». الكشاف (٣/ ٣٤٦).

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٦﴾ *يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٧﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٨﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿٢١٥﴾ ﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جنسٌ، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوعٌ؛ ثم نسَخه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. **وذلك بعيد؛ فإن** ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ **عمومٌ في الأمكنة، لا في الأزمنة. ويظهر أنَّ ناسخَه:** ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] **بعد ذكْر الأشهر الحرم؛ فإن**[1] **التقدير: قاتلوا فيها؛ ويدلُّ عليه:** ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويَحتمل أن يكون المراد: وقوعَ القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحتَه حسَبما استقرَّ في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخةً، بل ناسخة لما كان في أوَّل الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم.

(١) في د: «فكانَّ».

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ابتداءٌ، وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ خبرُ الجميع. أي: أنَّ هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظمُ عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عَيَّر به الكفارُ المسلمين في سرية عبد الله بن جحش ﷺ حين قاتل في أوَّل يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظنَّه آخرَ يوم من جُمادَىٰ[(١)].

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ﴾ عطفٌ علىٰ: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ﴾ قال الزمخشري: «حتىٰ» هنا: للتعليل[(٢)].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ذهب مالك[(٣)] إلىٰ أن المرتدَّ يحبَط عمله بنفس الارتداد؛ سواءٌ رجع إلىٰ الإسلام، أو مات علىٰ الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه. وذهب الشافعيُّ إلىٰ أنه لا يحبط إلَّا إن مات كافرًا؛ لقوله: ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾. وأجاب المالكية: بأنَّ قولَه: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: جزاءٌ علىٰ الردة، وقولَه: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: جزاءٌ علىٰ الموت علىٰ الكفر. وفي ذلك نظر.

(٢١٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه[(٤)].

(٢١٧) ﴿ٱلۡخَمۡرِ﴾ كلُّ مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقِداح في لحم الجزور[(٥)]. ثم يَدخل في ذلك: النَّرْدُ والشَّطْرنج وغيرهما. وروي: أنَّ السائلَ عنهما كان حمزة بن عبد المطلب ﷺ[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٦٥٥-٦٥٦، ٦٦٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٤، ٣٨٨) والبيهقي في السنن (١٧٧٤٥) عن جندب بن عبد الله ﷺ، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٥٠).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٦٢-٦٣).

(٤) تقدم تخريجه في الأثر السابق.

(٥) انظر المقدمة الثانية في اللغات، مادة (٦٠١).

(٦) لم أقف عليه، وعلىٰ القول بأن الخمر حُرِّمت بهذه الآية ففيه نظر، فإن حمزة ﷺ استشهد في غزوة أحد، وأما تحريم الخمر فقد كان بعد غزوة أحد، في السنة الثالثة كما قال القرطبي في تفسيره (٨/ ١٥٦)، والذي وقفت عليه أن أول من سأل عن الخمر عمر ﷺ، أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٦٥٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٨)، وأحمد (٣٧٨)، أبو داود (٣٦٧٠)، والنسائي (٥٥٥٥)، والترمذي (٣٠٤٩) وصححه، والحاكم (٣١٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نصٌّ في التحريم وأنهما من الكبائر؛ لأن الإثم حرامٌ؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣١]. خلافًا لمن قال: إنما حرَّمتْها آيةُ «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ في الخمر: التلذُّذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به. ولا يدلُّ ذِكْر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده[1].

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾ تغليبٌ[2] للإثم على المنفعة، وذلك -أيضًا- بيانٌ للتحريم.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: السَّهلَ من غير مشقَّة. وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعلٍ؛ مشاكلةً للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مركَّبًا مفعولًا بـ ﴿يُنفِقُونَ﴾. وقرأ أبو عمرٍو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلةً للسؤال؛)[3] على أن يكون «ما» مبتدأً، و«ذا» خبره.

٢٢٠ ﴿تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: في أمرِهما.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ كانوا قد تجنَّبوا اليتامى تورُّعًا؛ فنزلت إباحة[4] مخالطتهم بالإصلاح لهم[5]. فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ بالواو ثلاثَ مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأُوَل وقع في أوقات متفرِّقة؛ فلم تأت[6] بحرف عطف، وجاءت الثلاث الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقةً[7].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذيرٌ من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيَّقَ عليكم بالمنع من مخالطتهم. ابنُ عباس رضي الله عنهما[8]: لأهلككم بما سبق

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٦٧٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٢).
(٢) في ج، هـ: «تغليبًا».
(٣) سقط من ب، ج، هـ.
(٤) في د: «فنزلت الآية بإباحة».
(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٦٩٩)، وأحمد (٣٠٠٠)، وأبو داود (٢٨٧١) والنسائي (٣٦٧١)، والحاكم (٢٤٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٢٦٧١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) في ب، ج، هـ: «يأت».
(٧) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٤).
(٨) أخرجه الطبري (٣/ ٧١٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٦).

من أكلكم لأموال اليتامىٰ(١).

﴿٢٢١﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أي: لا تتزوجوا. والنكاح: مشترك بين الوطء والعقد.

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عُبَّاد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهودَ ولا النصارىٰ المباحَ نكاحُهنَّ في «المائدة»، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ. **خلافًا لمن قال:** آيةُ «**المائدة**» نسخت هذه. **ولمن قال:** هذه نسخت آيةَ «**المائدة**»؛ فمنَع نكاح الكتابيَّات. **ونزلت الآية** بسبب مَرثدٍ الغَنَويِّ، أراد أن يتزوج امرأة مشركة(٢).

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمةٌ لله؛ حرَّةً كانت أو مملوكةً. **وقيل:** أمةٌ مملوكة مؤمنة خيرٌ من حرَّةٍ مشركة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال، والمال، وغير ذلك.

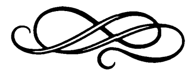
﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تُزوِّجوهم نساءَكم. وانعقد الإجماع أن الكافر لا يتزوَّج مسلمة؛ سواءٌ كان كتابيًّا أو غيرَه. واستدلَّ المالكية علىٰ وجوب الولاية في النكاح بقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه أسند نكاح النساء إلىٰ الرجال.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبدٌ للهِ. **وقيل:** مملوكٌ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المشركات والمشركون.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلىٰ الكفر الموجِب للنار.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بإرادته، أو علمه.



---

(١) من قوله: ﴿لأعنتكم﴾ إلىٰ هذا الموضع سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٨) عن مقاتل بن حيان أنها نزلت في أبي مرثد [كذا!].
وروىٰ الطبري (١٧/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٢٦)، وأبو داود (٢٠٥١)، والنسائي (٣٢٢٨)، والترمذي (٣١٧٧) وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٢٧٠١) وصححه ووافقه الذهبي: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارىٰ بمكة، وكان بمكة بغيٌّ يقال لها عناق، وكانت صديقته، قال: جئت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ فدعاني فقرأها علي وقال: «لا تنكحها». وعليه؛ فالآية التي نزلت في مرثدٍ هي آية النور، وليست آية البقرة، والله أعلم.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذيٗ فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ فِے اِ۬لْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّيٰ
يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اُ۬للَّهُ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ
اُ۬لْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٠﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٞ لَّكُمْ فَاتُواْ حَرْثَكُمُۥٓ أَنَّيٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ
اُ۬للَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ اِ۬لْمُومِنِينَ ﴿٢٢١﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ اُ۬للَّهَ عُرْضَةٗ لِّأَيْمَٰنِكُمُۥٓ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ اَ۬لنَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٢﴾ لَّا يُوَاخِذُكُمُ اُ۬للَّهُ بِاللَّغْوِ فِےٓ أَيْمَٰنِكُمْ
وَلَٰكِن يُّوَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٣﴾ لِّلذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ
تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ اُ۬لطَّلَٰقَ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾ * وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اَ۬للَّهُ
فِےٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُومِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لْأٓخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِے ذَٰلِكَ إِنَ اَرَادُوٓاْ
إِصْلَٰحاٗ وَلَهُنَّ مِثْلُ اُ۬لذِے عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٞ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

﴿٢٢٠﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عبَّاد بن بِشْرٍ وأُسيد بن الحُضير؛ قالا لرسول الله ﷺ: ألَا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟[1] ﴿هُوَ أَذيٗ﴾ مستقذَرٌ، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض.

﴿فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعَهنَّ. وقد فَسَّر ذلك الحديثُ بقوله: «لتشدَّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»[2].

﴿حَتَّيٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطعَ عنهنَّ الدم.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلنَ بالماء. **وتعلَّق الحكمُ:** بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي[3]؛ فلا يجوز عندهما وطءُ الحائض حتىٰ تغتسلَ. وبالغاية الأولىٰ عند أبي حنيفة؛ فأجاز الوطءَ عند انقطاع الدم، وقبل الغُسل. وقرئ: ﴿حَتَّيٰ يَطَّهَّرْنَ﴾:

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢) من حديث أنس ﷺ.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٨) عن زيد بن أسلم مرسلًا.
(٣) وأحمد، وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٣٧٢)، وقال ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٢١٤): إنه «كالإجماع».
(٤) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾: بالتشديد، وقرأ الباقون ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بالتخفيف.

ومعنى **هذه القراءة**: بالماء؛ فتكون الغايتان[١] بمعنًى واحدٍ، وذلك حجة لمالك.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ﴾ قُبُل المرأة.

﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذُّنوب.

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، أو من الذُّنوب.

(٢٢٣) ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضعُ حرثٍ؛ وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث في إلقاء البَذر وانتظار الزرع.

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم من الهيئات، أو متى شئتم. لا: أين شئتم؛ لأنه يُوهِم الإتيانَ في الدبر، وقد افترى مَن نسَب جوازه إلى مالك، وقد تبرَّأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع[٢].

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة[٣].

(٢٢٤) ﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلِفَ بالله فتبتذِلُوا اسمَه. و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علةٌ للنهي؛ فهو مفعولٌ من أجله، أي: نُهيتم[٤] عن كثرة الحلف كي تبرُّوا. **وقيل**: **المعنى**: لا تحلِفوا على أن تبرُّوا وتتقوا، وافعلوا البرَّ والتقوى دون يمين. فـ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: هو المحلوف عليه.

والعُرْضةُ على هذين القولين كقولك: «فلان عرضةٌ لفلان»: إذا أكثرَ التعرُّضَ له. **وقيل**: ﴿عُرْضَةً﴾ مَانع؛ من قولك: «عرض له أمرٌ»: حالَ بينه وبين كذا. أي: لا تمتنعوا بالحلِف بالله من فعل البرِّ والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن لا ينفق على مِسْطَح[٥]. فـ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علَّةٌ لامتناعهم؛ فهو مفعولٌ من أجله، أو مفعولٌ بـ﴿عُرْضَةً﴾؛ لأنها بمعنى مانع.

(١) في ج، هـ: «الغاية».

(٢) انظر: عقد الجواهر الثمينة، لابن شأس (٢/ ٤٦٢).

(٣) في ب، د: «الصالحات».

(٤) في د: «نهيتكم».

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) في ضمن حديث الإفك الطويل الذي روته عائشة رضي الله عنها.

(٢٢٥) ﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط. وهو عند مالك: قولُك[١]: «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصدٍ، وفاقًا للشافعي[٢]. وقيل: أن يحلف على الشيء يظنُّه على ما حلف عليه، ثم يَظهر خلافَه، وفاقًا لأبي حنيفة[٣]. وقال ابن عباس ﷺ: اللغو: الحلِف حين الغضب[٤]. وقيل: اللغو: اليمين على المعصية. والمؤاخذةُ: العقاب، أو وجوب الكفارة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدتْ؛ فهو خلاف اللغو. وقال ابن عباس ﷺ: هو اليمين الغَموس؛ وذلك أن يحلف على الكذب متعمِّدًا[٥]. وهو حرام إجماعًا. وليس فيه كفارةٌ عند مالك[٦]، خلافًا للشافعي[٧].

(٢٢٦) ﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهنَّ. وإنما تعدى بـ﴿مِن﴾؛ لأنه تضمَّن معنى البعد منهن. ويدخل في عموم قوله: ﴿لِّلَّذِينَ﴾: كل حالفٍ؛ حرًّا كان أو عبدًا. إلا أن مالكًا جعل مدة إيلاء العبد شهرين[٨]، خلافًا للشافعي[٩].

ويدخل في إطلاق الإيلاء: اليمينُ بكل ما يَلزم عنه حكمٌ[١٠]، خلافًا للشافعي[١١] في قصرِه الإيلاءَ على الحلِف بالله؛ ووجهُه: أنها اليمين الشرعيَّة. ولا يكون مُؤْلِيًا -عند

---

(١) في ب، د: «كقولك».

(٢) وأحمد، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٨٠).

(٣) هذا القول الآخر لمالك في معنى لغو اليمين، وافقه عليه أبو حنيفة، وأحمد -أيضًا-، فأحمد يرى الوجهين جميعًا من لغو اليمين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٧٥-٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤١٠).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٣٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤١٠).

(٦) وأبي حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٧٠).

(٧) وهي الرواية الأخرى عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٧٠).

(٨) وهو رواية عن أحمد، اختارها أبو بكر عبد العزيز. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٨٨).

(٩) وهي الرواية الأخرى المشهورة عن أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٨٨).

(١٠) فيدخل فيه الحلِف بالنذر والعتق والطلاق، وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي في الجديد وأحمد في إحدى الروايتين. مغني المحتاج (٣/ ٣٤٤)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٤٨).

(١١) في القديم، وأحمد في الرواية المشهورة عنه، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٤٨).

مالك والشافعي[١]- إلَّا إذا حلف علىٰ مدَّةٍ أكثرَ من أربعة أشهر. وعند أبي حنيفة: أربعة أشهر فصاعدًا.

فإذا انقضت الأربعة الأشهر: وُقِف المؤلي[٢] عند مالك والشافعي[٣]، فإمَّا فاءَ، وإلَّا طلَّق. فإن أبَىٰ: طلَّق عليه الحاكم. وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف. ولفظ الآية يَحتمل القولين.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا إلىٰ الوطء، وكفَّروا عن اليمين.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة.

(٢٢٥) ﴿عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ **العزيمة: علىٰ قول مالك**[٤]: التطليق، أو الإبانة؛ فيطلِّقُ عليه الحاكم. وعند أبي حنيفة: ترك الفيءِ حتىٰ تنقضيَ الأربعة الأشهر. **والطلاق في الإيلاء** رجعيٌّ عند مالك[٥]، بائنٌ عند الشافعي[٦] وأبي حنيفة.

(٢٢٦) ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيانٌ للعِدَّة، **وهو عمومٌ مخصوص؛ خرجت منه: الحاملُ بقوله:** ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآيةَ. والتي لم يُدخَل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. فيبقىٰ حكمها: في المدخول بها، وهي في سنٍّ مَن تحيض. وقد خصَّ مالك منها: الأمةَ؛ فجعل عدَّتها قُرْأين[٧]. و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبرٌ بمعنىٰ الأمر.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ علىٰ أنه مفعولٌ به؛ **هكذا قال الزمخشري**[٨].

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٥٣).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٩٠).

(٤) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٩٠).

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢١٦).

(٦) مذهب الشافعي أن هذا الطلاق رجعيٌّ، وليس بائنًا. الحاوي الكبير للماوردي (١٠/ ٣٥٧).

(٧) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم، خلافًا لداود الظاهري. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤١).

(٨) الكشاف (٣/ ٣٩٤).

و﴿قُرُوٓءٍ﴾: جمع قُرْءٍ؛ وهو مشترك -في اللغة- بين الطُّهر والحيض. **فحمله مالك والشافعي**[(١)] **علىٰ الطُّهر**؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ ، فإن الطهرَ مذكَّرٌ، والحيض مؤنث، ولقول عائشة رضي الله عنها: **الأقراء هي الأطهار**[(٢)]. **وحمله أبو حنيفة علىٰ الحيض**[(٣)]؛ لأنه الدليل علىٰ براءة الرحم، وذلك مقصود العدَّة. **فعلىٰ قول مالك**: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلَّقها في طهر لم يمسَّها فيه. **وعند أبي حنيفة**: بالطهر منها.

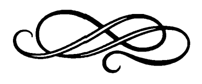
﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحملَ والحيض.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعْلٍ؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمان العدة.

﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.

﴿دَرَجَةٞ﴾ في الكرامةِ. وقيل: الإنفاقُ. وقيل: كونُ الطلاق بيده.



(١) وأحمد في إحدىٰ الروايتين، وصرَّح برجوعه عنها. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٠٦٥).

(٣) وهي الرواية الأخرىٰ عن أحمد، وهي أصح الروايتين عنه، وهي المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٣).

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿٢٢٩﴾ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ بيانٌ لعدد الطلاق الذي يُرتَجع منه دون زوجٍ آخر. وقيل: بيانٌ لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنَّة.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ ارتجاعٌ. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر[1]. ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ حُسْنِ المعاشرة، وتوفيةِ الحقوق. ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ هو تركُها حتىٰ تنقضيَ العدة، فتَبِينَ منه. ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف[2]. وهو بعيد؛ لأنَّ قوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلىٰ ذلك يكون

(١) علىٰ الرفع بالابتداء يكون الخبر: أمثلُ أو أحسنُ، وعلىٰ الرفع بالخبر يكون تقدير المبتدأ: فالواجب إمساكٌ. المحرر الوجيز (٢/ ٥٦٢).

(٢) أخرج الطبري (٤/ ١٣٠-١٣١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٥٦١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٠٩١) عن أبي رزين الأسدي، قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أرأيت قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ فأين الثالثة؟ قال رسول الله ﷺ: «إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان؛ هي الثالثة»، وهذا الحديث مرسل، وروي موصولًا عن أنس ﷺ، رواه الدارقطني (٣٨٨٩) والبيهقي (١٤٩٩١)، وصوَّبا إرساله.

تكرارًا، أو طلقةً رابعة لا معنىٰ لها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلىٰ رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فدعاه فطلَّقها علىٰ ذلك[1].

وحكمها علىٰ العموم. وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع. وظاهرها أنه: لا يجوز الخلع إلَّا إذا خاف الزوجان ألَّا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقبُحت معاشرتهما. ثم إن المخالعةَ علىٰ أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة: فأجازها مالك وغيره[2]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الآيةَ [النساء: ٤].

ومنعها قومٌ[3]؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعًا: فمنعه مالك في المشهور[4]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]. وأجازه الشافعي[5]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصةً: فأجازه الجمهور؛ لظاهر هذه الآية. والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة: فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ [النساء: ٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٩) عن ابن جريج، وقصة ثابت من دون ذكر سبب النزول أخرجها البخاري في صحيحه (٥٢٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٩).

(٣) وهو قول داود الظاهري، ورواية عن أحمد، اختارها ابن بطة وابن قدامة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٩-١١).

(٤) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٩).

(٥) وهو قول داود الظاهري، وهو رواية عن أحمد، اختارها ابن بطة وابن قدامة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٩-١١).

وقد منع بعضهم الخلع مطلقًا[١]؛ لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ. وأجازه أبو حنيفة مطلقًا، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكّام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿٢٣٠﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ أجمعت الأُمّة علىٰ أن النكاح هنا هو العقد، مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلَّقة ثلاثًا حين أرادت الرجوع إلىٰ مطلِّقها قبل أن يمسَّها الزوج الآخر: «لا؛ حتىٰ تذوقي عُسيلَته ويذوقَ عسيلتكِ»[٢].

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحِلُّها دون وطءٍ[٣]، وهو قول مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع. وإنما يُحِلُّ[٤] عند مالك إذا كان النكاحُ صحيحًا لا شبهة فيه[٥]، والوطءُ مباحًا في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام[٦]، خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح[٧].

---

(١) شذَّ بهذا القول بكر بن عبد الله المزني، وادَّعىٰ كون الآية منسوخة. الاستذكار، لابن عبد البر (١٧/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) عن عائشة ﵂.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (١٦/ ١٥٦)، قال ابن كثير (١/ ٦٢٢): «واشتهر بين كثير من الفقهاء عن سعيد بن المسيب ﵀ أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للأول بمجرد العقد علىٰ الثاني، وفي صحته عنه نظر، علىٰ أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار، فالله أعلم»، وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ٤٦٧): «قال ابن المنذر: أجمع العلماء علىٰ اشتراط الجماع لتحل للأول إلا سعيد بن المسيب، ثم ساق بسنده الصحيح عنه قال: يقول الناس: لا تحل للأول حتىٰ يجامعها الثاني وأنا أقول: إذا تزوجها تزويجا صحيحا لا يريد بذلك إحلالها للأول فلا بأس أن يتزوجها الأول، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور، وفيه تعقُّبٌ علىٰ من استبعد صحته عن سعيد..» وانظر تتمة كلامه.

(٤) في د: «تحلُّ».

(٥) وهو قول أبي حنيفة وأحمد والشافعي في الجديد، خلافًا لقوله في القديم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٢٢).

(٦) وهو مذهب الحنابلة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٢٨).

(٧) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي، واختاره ابن قدامة من الحنابلة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ١٢٨).

وأما نكاح المحلِّل: فحرام، ولا يُحِلُّ الزوجةَ لزوجها عند مالك[1]، خلافًا لأبي حنيفة. والمعتبَر في ذلك: نية المحلِّل، لا نية المرأة، ولا المحلَّل له. **وقال قوم**: من نوى التحليل منهم أفسد.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني: هذا الزوجَ الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: أوامرَه فيما يجب من حقوق الزوجيَّة.

(٢٣١) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للأزواج. وهو نهيٌ عن أن يطوِّل الرجل العدَّةَ على المرأة؛ مضارَّةً منه لها، بأن يرتجعَ قرب انقضاء العدَّة، ثم يطلِّقَ بعد ذلك. ومعنى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدَّة، وليس المراد: انقضاؤها؛ لأنه ليس بيده إمساكٌ حينئذٍ. ومعنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهنَّ. و﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ هنا: **قيل**: هو الإشهاد. **وقيل**: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء. **وبلوغ الأجل هنا**: انقضاءُ العدة. و﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعوهنَّ.

(٢٣٢) ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهنَّ. **قال السهيلي**: نزلت في مَعقِل بن يسار[2]، كان له أخت، فطلَّقها زوجُها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها[3]. **وقيل**: نزلت في جابر بن عبد الله؛ وذلك أنَّ رجلًا طلق أخته وتركها حتى تمَّتْ عدتُها، ثم أراد ارتجاعها، فمنعها جابر وقال: تركتَها وأنت أملكُ بها، لا زَوَّجْتُكها أبدًا، فنزلت الآية[4].

و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هنا: الصداق. **وقيل**: الإشهاد. وهذه الآية تقتضي ثبوتَ حقِّ الولي في إنكاح وليته، خلافًا لأبي حنيفة.

---

(١) وهو قول عامة أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢٩) عنه ﷺ.

(٣) انظر: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلي، تحقيق: النقراط، ص: ٦٩.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٩١) عن السُّدي، قال ابن كثير (١/ ٦٣٢): «والصحيح الأول» أي: نزولها في معقل.

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، أو لكلِّ أحد على حِدَتِه؛ ولذلك وحَّد ضمير الخطاب.

﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ﴾ خطابٌ للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العَضْل. ومعنى ﴿أَزۡكَىٰ﴾: أطيبُ للنفس. ومعنى ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾: للدين والعِرض.



*وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣١﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٢﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا *وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٣﴾

﴿٢٣١﴾ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر. وتقتضي الآية حكمين:

الأول: مَن يُرضِع الولد: مذهبُ[١] **مالك:** أن المرأة يجب عليها رضاعُ ولدها ما دامت في عصمة والده، إلَّا أن تكون شريفةً لا يُرضِع مثلُها، فلا يلزمها ذلك. وإن كان والدهُ قد مات وليس للولد[٢] مال لزمَها إرضاعُه في المشهور، وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال. وإن كانت مطلقةً بائنًا[٣]: لم يلزمْها إرضاعُه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، إلَّا أن تشاء هي؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل. وإن[٤] لم يقبلْ غيرَها: وجب[٥] عليها إرضاعُه.

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة[٦]: أنها لا يلزمُها إرضاعه أصلًا، والأمر في هذه الآية

---

(١) في د: «فمذهب».

(٢) في د: «للابن» وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

(٣) في د: «طلقةً بائنة».

(٤) في ب، ج، هـ: «فإن».

(٥) في ب، ج، هـ: «فيجب».

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٢٩).

عندهما على الندب. وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق؛ لظاهر الآية، فحمَلها على الوجوب. وأما مالك: فحمَلها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التَّخيير، حسَبما ذكَرنا[1] من التقسيم في المذهب.

الحكم الثاني: مدَّةُ الرَّضاع: وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضٍ آخر: حولان، فرَفع ذلك الاحتمال. وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآيةَ.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما. ومن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له. وأما بعد الحولين: فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يَرضعُ حولين مَن مكَث في البطن ستةَ أشهر، فإن مكث سبعةً فرَضاعه: ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن مكث تسعةً فرضاعه: أحَدٌ وعشرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٤][2].

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان: أحدهما: أنها أُجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأمِّ على الوالد، وهو قول الزمخشريِّ[3] وابنِ العربي[4]. والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال منذرُ بن سعيد البلُّوطيُّ: هذه الآية نصٌّ في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك حملها ابن الفَرَس[5].

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: على قدْر حال الزوج في ماله، والزوجةِ في منصبها، وقد بيَّن ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

---

(١) في ب، ج، هـ: «ذكروا».

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٠١-٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٤)، والبيهقي في السنن (١٥٥٤٨)، والحاكم (٣١٠٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٤١٦).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٢٠٣).

(٥) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (١/ ٣٤٠).

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ[1]: بفتح الراء -لالتقاء الساكنين-؛ علىٰ النهي، وبرفعها؛ علىٰ الخبر، ومعناه النهي.

ويَحتمل علىٰ كل واحد من الوجهين: أن يكون الفعل مسندًا إلىٰ الفاعل؛ فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام. أو يكون مسندًا إلىٰ المفعول، فيكون مفتوحًا.

والمعنىٰ علىٰ الوجهين: النهيُ عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد. ويدخل في عموم النهي: وجوهُ الضرر كلُّها. والباء في قوله ﴿بِوَلَدِهَا﴾ و﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: سببية. والمراد بقوله: ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: الوالد، وإنما ذكَره بهذا اللفظ؛ إعلامًا بأنَّ الولد يُنسَب له، لا للأم.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ اختلف في الوارث: فقيل: وارث المولود له. وقيل: وارث الصبي لو مات. وقيل: هو الصبيُّ نفسه. وقيل: مَن بَقِي مِن أبويه. واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: فقال مالك وأصحابه: عدم المضارَّة، وذلك يجري مع كلِّ قولٍ في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجبٌ علىٰ كل أحد.

وقيل: المراد: أجرة الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث: فأما علىٰ القول بأن الوارث هو الصبيُّ: فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله. وأما علىٰ سائر الأقوال: فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجرة الرضاع علىٰ أحدٍ غير الوالد[2]. وقيل: إنها مُحْكَمة؛ فتجب أجرة الرضاع علىٰ وارث الصبي لو مات، أو علىٰ وارث الوالد[3]، وهو قول قتادة[4] والحسن البصري[5].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ إباحةٌ لاتخاذ الظِّئْر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: دفعتم أجرةَ الرضاع .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع الراء، وقرأ الباقون بنصبها.
(٢) وهو قول مالك والشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٣٩٥).
(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٣٩٣).
(٤) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٣٥٠)، والطبري (٤/ ٢٢١).
(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٢٢-٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٣٣).

٢٣٤ ﴿وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراًۖ﴾ **الآيةَ**؛ عمومٌ في كل متوفًّىٰ عنها؛ سواءٌ توفي زوجُها قبل الدخول أو بعده. **إلَّا الحاملَ؛ فعِدَّتها** وضعُ حملِها؛ سواءٌ وضعتْه قبل الأربعة الأشهر والعشرِ أو بعدَها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء[1]. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: عدَّتها أبعدُ الأجلَين[2]. وخصَّ مالكٌ من ذلك: الأمةَ؛ فعدَّتها في الوفاة: شهران وخمسُ ليالٍ[3].

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه: عن التزوُّج. **وقيل**: وعن[4] الزِّينة؛ فيكون أمرًا بالإحداد. **وإعراب** ﴿وَالذِينَ﴾: مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ علىٰ تقدير: أزواجُهم يتربصْنَ. **وقيل: التقدير**: وأزواجُ الذين يتوفون منكم يتربصن. **وقال الكوفيون**: الخبرُ عن ﴿وَالذِينَ﴾ متروكٌ، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِۖ﴾[5] هنا: إذا كان غير منكر. **وقيل**: معناه الإشهاد.

٢٣٥ ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾ **الآيَةَ**؛ إباحةٌ للتعريض بخِطبة المرأة المعتدَّة. ويقتضي ذلك: النهيَ عن التَّصريح. ثم أباح ما يُضمَر في النفس بقوله: ﴿أَوَ اَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۖ﴾.

﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: تذكرونهنَّ[6] في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يَخِفُّ عليكم. **وقيل**: أي ستخطبونهنَّ إن لم تُنهَوا[7] عن ذلك.

---

(١) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ١١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٣٨١)، (١٧٣٨٥)، (١٧٣٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٧١٤)، والبيهقي في السنن (١٥٤٧٤).

(٣) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وعليه عامة أهل العلم إلا ابن سيرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٢٩).

(٤) في د: «عن» بلا واو.

(٥) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٦) في ب، ج، هـ: «تذكروهنَّ».

(٧) في ج، د: «تنتهوا».

﴿لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾ أي: لا تواعدوهنَّ في العِدَّة خُفيةً بأن تتزوجوهنَّ بعد العدة. وقال مالك فيمن يَعِدُ[1] في العِدَّة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إليَّ، ثم يكون خاطبًا من الخُطَّاب. وقال ابن القاسم: يجب فراقها.

﴿إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً﴾ استثناءٌ منقطع. والقول المعروف: هو ما أُبيح من التَّعريض؛ كقوله: «إنكم لأكْفَاءٌ كرام»، وقوله: «إن الله سيفعل معكِ خيرًا»، وشبه ذلك.

﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الآيةَ؛ نهيٌ عن عَقد النكاح قبل تمام العدَّة. و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا: القدْر الذي شُرِع من المدَّة. ومَن تزوَّج امرأةً في عدَّتها فرِّق بينهما اتفاقًا. فإن دخل بها حرُمت عليه على التَّأبيد عند مالك[2]، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة[3].

واختُلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، أو إذا دخل بها ولم يطأْها.



---

(١) في د: «يواعد».

(٢) وأحمد في إحدى الروايتين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ١١٩).

(٣) وأحمد في الرواية الأخرى، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ١١٩).

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: إنها إباحةٌ للطلاق قبل الدخول. لـمَّا نُهي عن التزوُّج بمعنىٰ الذَّوق، وأُمر بالتزوُّج طلبَ العصمة ودوامَ الصحبة: ظنَّ قومٌ أن من طلَّق قبل البناء وقع في المنهيِّ عنه، فنزلت الآية رافعةً للجُناح في ذلك[1]. **وقيل**: إنها في بيان ما يَلزم من الصَّداق والـمُتعة في الطلاق قبل الدخول.

وذلك أن مَن طلَّق قبل الدخول: فإن كان لم يَفرض لها صداقًا -وذلك في نكاح التَّفويض-: فلا شيءَ عليه من الصداق؛ لقوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ، فالمعنىٰ: لا طلبَ عليكم بشيءٍ من الصداق. ويؤمر بالمتعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾. **وإن كان قد فرَض لها**: فعليه نصف الصداق؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾. ولا مُتعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذُكِرت لمن لم يُفرَض لها؛ فقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ «أو» فيه بمعنىٰ الواو.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهنَّ، وأعطوهنَّ شيئًا عند الطلاق. والأمر بالمتعة مندوبٌ عند

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٥٨٩) ولم أقف على إسناد له.

مالك، واجبٌ عند الشافعي[١].

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدْرُهُۥ﴾ أي: يُمتِّعُ كلُّ أحد على قَدْر ما يجد. و﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني، و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضَّيق الحال. وقرئ بإسكان دال ﴿قَدْرُهُۥ﴾ وفتحها[٢]؛ وهما بمعنًى. و﴿بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ هنا: أي: لا حَمْل فيه، ولا تكلُّف على أحد الجانبين.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعلَّق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: ﴿حَقًّا﴾. وتعلق مالك في الندب بقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنَّ الإحسان تطوُّعٌ بما لا يَلزم.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ بيانٌ أن المطلَّقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فُرض لها صداقٌ مسمًّى، بخلاف نكاح التفويض.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه: نون جماعة النسوة؛ يريد: المطلَّقاتِ. والعفو هنا: بمعنى الإسقاط. أي: للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق، إلَّا أن يُسقِطْنَه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكةً أمر نفسِها.

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس ﷺ[٣] ومالك وغيرهما[٤]: هو الوليُّ الذي تكون المرأة في حَجره، كالأب في ابنته المحجورة، والسيد في أَمَته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجبِ له بالطلاق قبل الدخول.

وأجاز شُريحٌ إسقاطَ غير الأب من الأولياء[٥]. وقال علي بن أبي طالب ﷺ[٦] والشافعي[٧]: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوج.

---

(١) وأبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٢٦٩).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر وحفص عن عاصم بفتح الدال، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٢٨٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٨٥٢)، والبيهقي في السنن (١٤٤٥٦).

(٤) وهو رواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٢٠٢).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٣١٩)، والبيهقي في السنن (١٤٤٥١)، ثم رجع شريحٌ بعد عن قوله هذا، وقال إنه الزوج.

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٣٢٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٢٦٦)، والدارقطني (٣٧١٣)، (٣٧١٧)، والبيهقي في السنن (١٤٤٤٥).

(٧) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٢٠١).

وعفْوه: أن يعطيَ النصف الذي سقط عنه من الصداق. ولا يجوز عندهم أن يُسقِط الأبُ النصف الواجب لبنته. **وحجة مالك**: أن قوله: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ في الحال؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدةُ نكاحٍ.

وحجة الشافعي: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ فإنَّ الزوج إذا تطوَّع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضْلٌ، وأما إسقاط الأب لحقِّ ابنته فليس فيه تقوىٰ؛ لأنه إسقاطُ[1] حقِّ الغير.

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ **قيل**: إنه يعني إسقاطَ المرأة نصفَ صداقها، أو دفعَ الرجل النصف الساقط عنه. **واللفظ أعمُّ من ذلك.**

﴿٢٣٦﴾ ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ جرَّد ذكرها بعد دخولها في ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾؛ اعتناءً بها. **وهي الصبح** عند مالك وأهل المدينة[2]، **والعصر**[3] عند عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه[4]؛ لقوله ﷺ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر**»[5]. **وقيل**: هي الظهر، **وقيل**: المغرب، **وقيل**: العشاء الآخرة، **وقيل**: الجمعة.

وسُمِّيت وسطىٰ: لتوسُّطها في عدد الركعات، علىٰ القول بأنها المغرب؛ لأنها بين الركعتين والأربع. أو لتوسُّط وقتِها علىٰ القول بأنها الصبح؛ لأنها متوسطةٌ بين الليل والنهار، وعلىٰ القول بأنها الظهر أو الجمعة؛ لأنها في وسَط النهار. أو لفضلِها؛ من الوسط؛ وهو الخيار، وعلىٰ هذا يجري اختلاف الأقوال فيها.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ معناه: في صلاتكم.

---

(١) في ج، د: «أسقط».

(٢) والشافعي. مغني المحتاج للشربيني (١/ ١٢٤).

(٣) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ١٤١).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٣٤٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٨)، وابن أبي شيبة (٨٦٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢١٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (٦٢٨).

﴿قَٰنِتِينَ﴾ هنا: ساكتين؛ وكانوا يتكلَّمون في الصلاة حتىٰ نزلت. قاله ابن مسعود[١]، وزيد بن أرقم[٢] ﷺ. وقيل: خاشعين. وقيل هنا: طول القيام.

٢٣٩ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من عدوٍّ، أو سَبُعٍ، أو غير ذلك مما يخاف منه علىٰ النفس.

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجلٍ؛ أي: علىٰ رجليه.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكبٍ. أي: صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره، وذلك في صلاة الـمُسايَفة. ولا يُنقَص فيها من ركعتين في السفر، وأربع في الحضر عند مالك[٣].

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾ الآيةَ؛ قيل: المعنىٰ: إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عَلِمْتموها؛ وهي التامَّة. وقيل: إذا أمنتم فاذكروا الله كما علَّمكم هذه الصلاة التي تُجزِئكم في حال الخوف. فالذكر علىٰ القول الأوَّل: بمعنىٰ الصلاة، وعلىٰ الثاني: بمعنىٰ الشكر.

٢٤٠ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ هذه الآية منسوخة. ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنةً، ويُنفَق عليها من ماله، وذلك وصيةٌ لها. ثم نُسِخ إقامتُها سنةً: بالأربعة الأشهر والعشر. ونُسِخت النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسَبما ذُكِر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةٌ﴾: مبتدأٌ، و خبره: ﴿لِّأَزْوَاجِهِم﴾ ، أومضمرٌ تقديره: فعليهم وصيةٌ. وقرئت بالنصب[٤]: علىٰ المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصيةً. و﴿مَّتَاعًا﴾: نَصْبٌ علىٰ المصدر.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراجُ المرأة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قِبَل المرأة فلا جناح علىٰ أحد فيما فعلت في نفسها من تزوُّجٍ وزينة.

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٣٧٩، ٣٨٠)، والنسائي (١٢١٩).

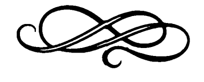
(٢) أخرجه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩).

(٣) وهو قول أكثر أهل العلم، منهم الأئمة الأربعة، خلافًا لمن أجاز قصرها ركعةً في شدَّة الخوف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٤٠-١٤١).

(٤) قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٢٤١) ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ عامٌّ في إمتاع كلِّ مطلَّقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور. واستثنىٰ الجمهور: المطلقةَ قبل الدخول، وقد فُرِض لها؛ بالآية المتقدمة. واستثنىٰ مالك: المختلِعة والملاعِنة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ علىٰ وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوىٰ واجبةٌ؛ ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكِّدةً للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].



(١) أخرجه الطبري (٤/ ٤١١-٤١٢) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ۞وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿٢٤٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ وهم قومٌ من بني إسرائيل، أُمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم الله؛ ليُعرِّفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيءٌ. وقيل: بل فرُّوا من الطاعون.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألفٍ؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل: ثمانية آلاف. وقيل: هو مِن الأُلْفة؛ وهذا ضعيف.

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارةٌ عن إماتتهم، وقيل: إن ملكين صاحا بهم: «موتوا!»، فماتوا(١). ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

---

(١) [التعليق ٣٤] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «عبارة عن إماتتهم» يريد أن القول عبارةٌ عن إماتتهم أو صيحة الملكين، وظاهره نفي حقيقة القول من الله، وتأويله بأحد الأمرين، فجعل القول المضاف إلى الله مجازًا، عبَّر به عن فعل الإماتة، أو عن قول الملكين، وكلٌّ من التأويلين لا دليل عليه، =

(٢٤٢) ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ خطابٌ لهذه الأمة. وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

(٢٤٣) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ استفهامٌ يراد به: الطلب، والحضُّ على الإنفاق. وذكَر لفظ القَرْض؛ تقريبًا للأفهام؛ لأن المنفِق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلِف ردَّ ما أسلف. وروي: أن الآية نزلت في أبي الدَّحداح حين تصدَّق بحائطٍ لم يكن له غيره[١].

﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ أي: خالصًا طيِّبًا من حلال، مِن غير مَنٍّ ولا أذى.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف[٢]، وبالرفع[٣]: على الاستئناف، أو عطفًا على ﴿يُقۡرِضُ﴾، وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ عشرةً فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ إخبارٌ يراد به: الترغيب في الإنفاق[٤].

= وهما صرفٌ للكلام عن ظاهره بغير حجة، فتكون حقيقتهما تحريفًا للكلم عن مواضعه، والحق أن القول من الله حقيقة، وأنه تعالى تكلَّم بهذا الأمر الكوني: «موتوا»، ثم أحياهم، ولا أدري ما الذي ألجأ المؤلف إلى هذا التأويل؟ ولعله المذهب المشهور عند الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسيٌّ، وما كان كذلك لا يكون قولًا، وإن كان الأمر كذلك لزم أن يُتَأول كل قول جاء في القرآن، ولا يخفى أنه لا يحصى، فكم في القرآن من إضافة القول إلى الله، ماضيا ومضارعا وأمرا وخبرا، وهذا أمر عظيم، أعني نفي حقيقة القول عن الله، وصرف هذه الآيات عن ظاهرها، وقد تبيَّن أن هذا منهج ابن جزي -عفا الله عنه- في كل قول من الله تضمَّن أمرًا كونيًا، فانظر كلامه على قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ في سورة البقرة، وعلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ في سورة براءة، فقد جعل القول في سورة البقرة عبارة عن المسخ، وفي سورة براءة جعله عبارة عن القضاء عليهم بالقعود. فسبحان الله العظيم عمَّا يقول الجاهلون والغالطون علوًّا كبيرًا.

(١) لم تنزل الآية بسبب تصدُّق أبي الدحداح رضي الله عنه، وإنما لما نزلت تصدَّق أبو الدحداح، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أوَ إن الله يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: يدَك، قال: فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي؛ حائطًا فيه ست مئة نخلةٍ.. الحديث. أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٠) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨)، والبزار في مسنده (٢٠٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩٨٦)، وضعفه ابن حجر في المطالب العالية (١٦/ ٤٢١)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٧/ ١١٢).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين مع حذف الألف، وقرأ الباقون بالتخفيف والألف.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) [التعليق ٣٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: ليس في العبارةِ إشكال، ووجهُ ما ذكَرَهُ المؤلِّفُ: أنَّ الإنفاقَ سببٌ لبسطِ الرزقِ، والإقتارَ سببٌ لتضييقِه.

(٢٤٦) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ رؤيةُ قلبٍ، وكانوا قومًا نالتهم الذِّلة من أعدائهم، فطلَبوا الإذن في القتال، فلما أُمروا به كَرهوه.

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قيل: اسمه شَمْوِيل[١]. وقيل: شَمْعون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبيُّ المذكور أن يتوثَّق منهم. ويجوز في السين من ﴿عَسِيتُمْ﴾: الكسرُ، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافعٌ بالكسر. وأمَّا إذا لم يتصل بـ«عسىٰ» ضمير: فلا يجوز فيها إلَّا الفتح.

(٢٤٧) ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن مُنَبِّه: أوحىٰ الله إلىٰ نبيهم إذا دخل عليك رجل فنشَّ الدُّهنُ[٢] الذي في القَرْن[٣]: فهو مَلِكُهم[٤]. وقال السُّدِّيُّ: أرسل الله إلىٰ نبيهم عصًا، وقال له: إذا دخل عليك رجلٌ علىٰ طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك طالوت[٥].

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دبَّاغًا، ولم يكن من بيت الـمُلْك[٦]. والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واوُ الحال. والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾: لعطف الجملة علىٰ الأخرىٰ.

﴿بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالـمًا بالعلوم، وقيل: بالحروب. وكان أطولُ رجلٍ[٧] يصل إلىٰ مَنكِبَيه.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ردٌّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يُستحَقُّ بالبيت أو المال.

---

(١) في أ، ب، د: «سمويل».
(٢) نشَّ الماءُ والدهن وغيرهما يَنِشُّ نَشًّا ونَشِيشًا: صوَّتَ عند الغليان. انظر: لسان العرب (٨/ ٢٤٤).
(٣) قال الشيخ أحمد شاكر ﷺ في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (٥/ ٣٠٧): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها«قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنىٰ في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».
(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٤٤٨) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني بعض أهل العلم عن وهب بن منبه.
(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٦).
(٦) أخرجه الطبري في ضمن أثر وهب بن منبه المتقدم قريبًا.
(٧) في د: «الناس».

(٢٤٨) ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوتُ قد تركه موسىٰ عليه السلام عند يُوشَع، فجعله يوشع في البرِّية، فبعث الله ملائكةً حملته حتىٰ جعلته[1] في دار طالوت. وفيه قَصصٌ كثيرٌ غير ثابت.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: ريحٌ لها رأسٌ ووجه كوجه الإنسان. وقيل: طَسْتٌ مِن ذهب تُغسَل فيه قلوبُ الأنبياء. وقيل: رحمةٌ، وقيل: وقارٌ.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ ابنُ عباس رضي الله عنهما: هي عصا موسىٰ ورُضَاض[2] الألواح[3]. وقيل: العصا والنَّعلان، وقيل: ألواحٌ من التوراة.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ يعني: أقاربَهما. وقال الزمخشري: يعني الأنبياءَ من بني إسرائيل[4]. ويَحتمل أن يريد موسىٰ وهارون عليهما السلام، وأَقحم الآل.



(١) في ج، د، هـ: «جعلوه».

(٢) رُضاضُ الشي: كُسارُه أي: ما تكسَّر منه، وقِطَعه، وفُتاتُه، ورضَّ الشيءَ رَضًّا: كسَره فصار قِطعًا. انظر: لسان العرب (٩/ ١٤).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٧٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٤٦٤).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيَ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا
اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿٢٤٨﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ
﴿٢٤٩﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٠﴾ *تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ
اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥١﴾

﴿٢٤٧﴾ ﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلىٰ الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ **قيل**: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآيةَ؛ اختبرَ طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخَّص لهم في الغَرفة باليد. وقرئ: بفتح الغين[1]؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **قيل**: كانوا ثمانين ألفًا، فشربوا منه كلُّهم إلَّا ثلاثَ مئةٍ وبِضعةَ عشر، عددَ أصحاب بدر، فأمَّا من شرب فاشتدَّ عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطَشْ.

﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافرًا عدوًّا لهم، وهو ملك العمالقة. ويقال: إن البربر من ذرِّيته.

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين، والباقون بضمها.

(٢٤٩) ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوتَ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل. وفي ذلك قَصصٌ كثير غير صحيح.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: النبوة، أو الزَّبور.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ صنعةَ الدروع، ومنطق الطَّير، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ منَّةٌ علىٰ العباد بدفع بعضهم ببعض. وقرئ: ﴿دِفَٰعُ﴾ بالألف، و﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف[1]؛ والمعنىٰ متَّفقٌ.

(٢٥١) ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارةُ إلىٰ جماعتهم.

﴿فَضَّلْنَا﴾ نصٌّ في التفضيل في الجملة، من غير تعيينِ مفضولٍ؛ كقوله ﷺ: «لا تُخَيِّروا بين الأنبياء»[2]، و«لا تفضلوني علىٰ يونس بن متَّىٰ»[3]، فإنَّ معناه: النهيُ عن تعيين المفضول؛ لأنه تنقيصٌ له، وذلك غِيبةٌ ممنوعة. وقد صرَّح ﷺ بفضله علىٰ جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولدِ آدم»[4] لا بفضله علىٰ واحدٍ بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ هو موسىٰ عليه السلام.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله علىٰ الأنبياء بأشياءَ كثيرةٍ. وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرِّفعة علىٰ هذا: في المسافة. وقيل: هو مطلقٌ في كل من فضَّله الله منهم.

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: مِن بعد الأنبياء، والمعنىٰ: بعدَ كلِّ نبيٍّ، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّره تأكيدًا، و[5]لِيبنيَ عليه ما بعده.

---

(١) قرأ نافع ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقلٌ باطل»، انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٢٤). والثابت قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متَّىٰ» أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في ب، د: «أو».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

﴿٢٥٤﴾ ﴿أَنفِقُواْ﴾ يعمُّ الزكاة والتطوُّع.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرَّف أحدٌ في ماله، والمراد[1]: لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا. ويدخل فيه: نفيُ الفدية؛ لأنها شراءُ الإنسان نفسَه.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودَّةٌ نافعة؛ لأن كل أحد يومئذٍ مشغولٌ بنفسه.

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلَّا بإذن الله؛ فهي في الحقيقة رحمةٌ من الله للمشفوع فيه، وكرامةٌ للشافع، ليس فيها تحكُّمٌ على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إلَّا بإذن الله؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها. وحيثما كان سياقُ الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: **نُفِيت الشفاعة على الإطلاق؛ مبالغةً في التهويل. وحيثما كان سياقُ الكلام تعظيمَ الله: نُفِيت الشفاعة إلَّا بإذنه.**

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ **قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»**[2].

---

(١) في ب، د: «والمعنى».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٢٦).

(٢٥٣) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ **هذه آية الكرسيِّ، وهي أعظم آية في القرآن حسَبما ورد في الحديث**[(١)]**، وجاء فيها فضلٌ كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.**

(٢٥٤) ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ **تنزيهٌ لله تعالىٰ عن الآفَات البشرية. والفرق بين السِّنَة والنوم: أن السنةَ هي ابتداءُ النوم، لا نفسُه؛ كقول القائل:**

في عينِـــه سِـــنَةٌ ولـــيس بنـــائمِ[(٢)]

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **استفهامٌ يراد به نفيُ الشفاعة إلَّا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعةٌ إليه.**

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **الضميران عائدان علىٰ مَن يعقل؛ ممَّن تضمَّنه قولُه: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾. والمعنىٰ: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم. وقال مجاهد: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: الآخرة**[(٣)]**.**

﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ **من معلوماته؛ أي: لا يعلم عبادُه من معلوماته إلَّا ما شاء هو أن يَعلموه**[(٤)]**.**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هذا عجُز بيت لعَديِّ بن الرِّقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدُره: «وَسْنانُ أَقْصَدهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٩).

(٤) **[التعليق ٣٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قوله: ﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ مِن معلوماتِه إلخ؛ أقول: اقتصر المؤلفُ ﷺ علىٰ أحد القولين، وهو أنّ المراد بـ(علمِهِ): معلوماتُه سبحانه، وجَعَلَ المنفيَّ عن العباد هو علمهم بمعلومات الربِّ، والمنفيُّ في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾، والإحاطة أخصُّ من مطلق العلم، ولكن كلٌّ منهما منتفٍ عن العباد، فلا يَعْلم العبادُ إلا ما علَّمَهُم اللهُ، ولا يحيطون بشيءٍ علمًا إلا بما شاء سبحانه.

وفي الآية قولٌ آخَر: وهو أن المراد بـ(العِلمِ) هو المتعلِّقُ بذاتِه - سبحانه- وأسمائِه وصفاتِه، فعلىٰ هذا يكون المرادُ من العِلمِ: العلمَ الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:

١. لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت علىٰ جماع أسماء الله وصفاته.

٢. أن لهذا القول شاهدًا من القرآن، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠].

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ **الكرسيُّ**: مخلوقٌ عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، وهو بالنسبة إلىٰ العرش كأصغر شيء. وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه. وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يُثقِلُه، ولا يَشقُّ عليه.

(٢٥٦) ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ **المعنىٰ**: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين علىٰ صحَّته، بحيث لا يُحتاج أن يُكرَه أحدٌ علىٰ الدخول فيه، بل يدخل فيه كلُّ ذي عقلٍ سليم من تلقاء نفسه، دون إكراهٍ؛ ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي: قد تبيَّن أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلىٰ إكراه. وقيل: معناها الموادَعة، وأن لا يُكرَه أحدٌ بقتالٍ علىٰ الدخول في الإسلام؛ ثم نُسِخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ العروة في الأَجْرام هي: موضع الإمساك وشدِّ الأيدي. وهي هنا تشبيهٌ واستعارة في الإيمان.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسارَ لها، ولا انفصال.

(٢٥٧) ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ جُمِع الطاغوت هنا، وأُفرِد في غير هذا الموضع؛ فكأنه اسم جنس لما عُبِد من دون الله، ولمن يُضِلُّ الناس من الشياطين وبني آدم[1].



(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلىٰ ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وهو ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ مع أن لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ مفرد؛ فكان مقتضىٰ ذلك أن يقول: «وليُّهم»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فرُوعي فيه معنىٰ الجمع، وقوله: «وأُفرِد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٥/ ٤٥)، (٩/ ٧٢٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٧﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿٢٥٧﴾ ﴿ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هو نُمرُوذُ[1] الملك. وكان يدَّعي الربوبية؛ فقال لإبراهيم ﷺ: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾. فقال نُمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾، وأحضر رجلين فقتل أحدَهما وترك الآخر، فقال: قد أحييتُ هذا وأمتُّ هذا.

فقال له إبراهيم ﷺ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، ﴿فَبُهِتَ﴾ أي: انقطعَ، وقامت عليه الحجة. فإن قيل: لم انتقلَ إبراهيم ﷺ عن دليله الأوَّلِ إلىٰ هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟

فالجواب: أنه لم ينقطعْ، ولكنه لـمَّا ذكر الدليلَ الأوَّل وهو الإحياءُ والإماتة: كان له حقيقةٌ -وهو فعل الله-، ومجازٌ -وهو فعل غيره-، فتعلَّق نمروذُ بالمجاز؛ غلَطًا منه أو مغالطةً، فحينئذ انتقل إبراهيم إلىٰ الدليل الثاني؛ لأنه لا مجازَ له، ولا يمكن الكافرَ عدولٌ عنه[2].

---

(١) هذه الكلمة هنا وفي الموضعين الآتيين وردت في ب، ج، د كذا: «نمرود» بالدال المهملة، وهما وجهان في الكلمة، بالذال المعجمة والمهملة، قال الإمام ثعلب: «ونمروذ بالذال، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالدال» مجالس ثعلب (١/ ١٨١)، وبعض اللغويين يرىٰ أنه بالمعجمة لا غير. وانظر: تاج العروس (٩/ ٢٤٠).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٥٠٠).

(٢٥٩) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ **تقديره**: «أو رأيتَ مثل الذي»، **فحُذِف**؛ لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأنَّ كلتيهما كلمةُ تعجيبٍ. ويجوز أن يُحمَل على المعنىٰ؛ كأنه قيل: أرأيتَ كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قرية.

وهذا المارُّ: **قيل**: إنه عُزير. **وقيل**: الخَضِر[١]؛ فقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكارًا للبعث، ولا استبعادًا، ولكنه استعظامٌ لقدرة الذي يحيي الموتىٰ، أو سؤالٌ عن كيفية الإحياء وصورتِه، لا شكٌّ في وقوعه؛ وذلك مقتضىٰ كلمة ﴿أَنَّىٰ﴾، فأراه الله ذلك عِيانًا؛ ليزداد بصيرة. **وقيل**: بل كان كافرًا، وقالها إنكارًا للبعث، واستبعادًا، فأراه الله الحياةَ بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس. **وقال السُّدِّي**: سقطت سُقُفُها -وهي العروش-، ثم سقطت الحيطان على السُّقف[٢].

﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ **ظاهر هذا اللفظ**: إحياءُ هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنىٰ: إحياءُ أهلِها بعد موتهم؛ لأنَّ ذلك هو الذي يمكن فيه الشكُّ أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياةَ بعد موته. **والقرية** كانت بيت المقدس، لما خرَّبه بُخْتُ نَصَّرَ[٣]. **وقيل**: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ.

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤالٌ على جهة التَّقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلَّ مدَّة موته، قيل: أماته الله غُدْوةَ يومٍ، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخَر بعد مئة عام، فظنَّ أنه يومٌ واحد، ثم رأىٰ بقيَّةً من الشمس فخاف أن يَكذِب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

---

(١) نقل ابن جرير في تفسيره (٤/ ٥٨٠) عن بعض المفسِّرين أن اسم المارِّ هو إرْمِيَا بن حَلْقِيَّا، ثم قال: «وزعم محمد بن إسحاق أن إرميا هو الخضر»، قال ابن كثير في تاريخه (٢/ ٣٦٠): «وهو غريب، وليس بصحيح»، وقال ابن عطية (٢/ ٣٩): «وهذا كما تراه، إلا أن يكون اسمًا وافق اسمًا؛ لأن الخضر معاصر لموسىٰ، وهذا الذي مر علىٰ القرية هو بعده بزمانٍ، من سِبط هارون فيما رَوىٰ وهب بن منبِّه».

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٥٨٦).

(٣) في لسان العرب (٧/ ٦٨): «قال الأصمعيُّ: إنما هو بُوخَتُنَصَّر، فأُعرب، وبُوخَتُ: ابنٌ، ونَصَّرُ: صنمٌ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أبٌ، فقيل هو ابن الصنم».

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ **قيل**: إنَّ طعامه كان تينًا وعنبًا، وإنَّ شرابه كان عصيرًا، أو[1] لبنًا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ **معناه**: لم يتغيَّرْ، بل بقي على حاله طولَ مئة عام، وذلك أُعجوبة إلهية. **واللفظ يَحتمل أن يكون مشتقًّا من السَّنة**؛ لأن لامَها هاءٌ. فتكون الهاء في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أصليةً؛ أي: لم تغيِّرْه السُّنون.

ويَحتمل أن يكون مشتقًّا من قولك: تسنَّنَ الشيءُ: إذا فسَد؛ ومنه: «الحمأ المسنون»، ثم قلبت النون حرفَ علَّةٍ؛ كقولهم: «قَصَّيتُ أظفاري»، ثم حذف حرف العلة؛ للجزم. والهاء على هذا: هاء السَّكت.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ **قيل**: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علَفٍ ولا ماء. **وقيل**: مات، ثم أحياه الله وهو ينظر إليه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ **التقدير**: فَعلْنا بك هذا؛ لتكون آية للناس. **وروي**: أنه قام شابًّا على حالته يوم مات، فوجد أولادَه وأولادَهم شيوخًا[2].

﴿وَانظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسِه. **وقيل**: عظام الحمار؛ على القول بأنه مات.

﴿نُنشِرُهَا﴾ -بالراء-: نُحييها. **وقرئ بالزاي**[3]؛ ومعناه: نرفعُها للإحياء.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضمِّ الميم[4]؛ أي: قال الرجل ذلك اعترافًا. **وقرئ**: بألف وصل، والجزمِ؛ على الأمر؛ أي: قال له الملَك ذلك .

(٢٦٠) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ الآيةَ؛ **قال الجمهور**: لم يشكَّ إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتىٰ، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأىٰ دابةً قد أكلتها السِّباع والحِيتان، فسأل ذلك السؤال؛ ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿كَيْفَ﴾ ؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورتِه، لا عن وقوعه.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٣/ ٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٥) عن الأعمش، وأخرجه ابن أبي حاتم -أيضًا- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن عكرمة.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالزاي، وقرأ الباقون بالراء.

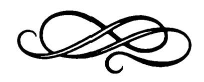
(٤) قرأ حمزة والكسائي بوصل الهمزة وجزم الميم، والابتداء بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بالقطع والرفع.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: بالمعاينة.

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك والطاووس والحمام والغراب، فقطَّعها، وخلَط أجزاءها، ثم جعل من المجموع جزءًا على كل جبل، وأمسك رؤوسَها بيده، ثم قال: تعالَيْنَ بإذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى الْتَأَمتْ، وبقيت بلا رؤوس، ثم كرَّر النداء، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها، وطارت بإذن الله.

﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي: ضُمَّهنَّ. وقيل: قطِّعهن.

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل: أربعة جبال. وقيل: سبعة. وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ.



مَّثَلُ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّاً وَلَآ أَذىً لَّهُمُۥٓ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦١﴾ *قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ كَالذِے يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْداً لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِے ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٣﴾ وَمَثَلُ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنَ اَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرُبْوَةٍ اَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتُ اُكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٤﴾ اَيَوَدُّ أَحَدُكُمُۥٓ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٥﴾

﴿٢٦٠﴾ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهرُه: الجهاد، وقد يُحمَل على جميع وجوه البرِّ.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كلُّ ما يُزْدَرعُ[1] ويُقتات، وأشهرُه: القمح. **وفي الكلام حذفٌ**؛ تقديره: مثل نفقةِ الذين ينفقون كمثل حبة، أو يقدَّر في آخِر[2] الكلام: كمثَلِ صاحب حبة.

﴿اَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ بيانٌ أن الحسنة بسبع مئة؛ كما جاء في الحديث: أن رجلًا جاء بناقةٍ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: **«لك بها يوم القيامة سبعُ مئة ناقةٍ»**[3].

﴿وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يزيده على سبع مئة. **وقيل**: هو تأكيد وبيان للسبع مئة. **والأول أرجح**؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه[4].

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنًى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٢) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: =

(٢٦٢) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في عثمان رضي الله عنه. وقيل: في عليٍّ رضي الله عنه. وقيل: في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه(١).

﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ المنُّ: ذكر النعمة علىٰ معنىٰ التَّعديد لها والتقريع بها. والأذىٰ: السبُّ.

(٢٦٣) ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو ردُّ السائل بجميلٍ من القول؛ كالدعاء له، والتَّأنيس.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفوٌ عن السائل إذا وُجِد منه جفاءٌ. وقيل: مغفرة من الله بسبب الردِّ الجميل. والمعنىٰ: تفضيلُ عدمِ العطاء إذا كان بقولٍ معروف ومغفرة: علىٰ العطاء الذي يتبعه أذًىٰ.

(٢٦٤) ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تُبطِل الحسنات؛ فقالوا في هذه الآية: إنَّ الصدقة التي يَعلم الله مِن صاحبها أنه يمُنُّ أو يؤذي لا تقبل منه(٢).

= «.. فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلىٰ سبع مئة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ..».

(١) نقل الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٧/ ٢٢٥-٢٢٦) عن الكلبي أن الآية نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف جميعًا رضي الله عنهما، ولم أقف علىٰ إسناد له، وأخرج ابن المنذر في تفسيره (١/ ٤٩) بإسناده إلىٰ ابن المسيِّب أن الآية التي نزلت فيهما هي: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية..﴾.

وأما نزولها في علي رضي الله عنه فقد نقله ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٥٩) عن النقاش، ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) [التعليق ٣٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «السيئات لا تُبطِل الحسنات» فيه نظر؛ فنقول: دل القرآن علىٰ أن من السيئات ما يُحبط الحسنات، أي: يُبطلها، فلا تقبل ولا يثاب عليها، وأعظم ذلك الردة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، وقال ﷻ في مخاطبة المؤمنين للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وتأويل المؤلف قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ بأن من علم الله أنه يمُنُّ بصدقته أو يؤذي فإنه لا يقبل صدقته من أول الأمر= لا يخلِّص مما فرَّ منه، بل يتضمَّن معاني فاسدة؛ منها: تقدم الأثر علىٰ المؤثِّر، والمسبَّب علىٰ السبب، ومنها: أن الله لا يقبل عمل العبد قبل أن يكون منه السبب المانع من قَبول عمله.

وعليه: فمن علم الله أنه يرتدُّ فإن الله لا يقبل عمله قبل أن تقع منه الردة. ومن علم الله أنه يمُن أو يؤذي في صدقته فإن الله لا يقبل صدقته من أول الأمر قبل أن يمُن أو يؤذي، وهذا خلاف ما فهمه السلف، وهو أن الله يقبل صدقة العبد المتصدق، فيستحق عليها الثواب، فإذا منَّ وآذىٰ بطل عمله، وفات ثوابه،

وقد ضُرب لذلك المثل الثالث في الآيات في قوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، وبهذا يتبيَّن خطأ المؤلف في تأويله. =

وقيل: إنَّ المنَّ والأذىٰ دليلٌ علىٰ أن نيَّتَه لم تكن خالصةً؛ فلذلك بطَلت صدقتُه.

﴿كَالَّذِي يُنفِقُ﴾ تمثيلٌ لمن يمُنُّ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته: كحجَرٍ عليه تراب، فيظنُّه من يراه أرضًا مُنبِتةً طيبةً، فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب، فبقِيَ الحجر لا منفعةَ فيه. فكذلك المرائي؛ يظنُّ أن له أجرًا، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعْه نفقتُه.

﴿صَفْوَانٍ﴾ حجرٌ كبير.

﴿وَابِلٌ﴾ مطرٌ كثير.

﴿صَلْدًا﴾ أملسَ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: لا يقدرون علىٰ الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم؛ وهو كسبُهم.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تيقُّنًا وتحقيقًا للثواب؛ لأن أنفسهم لها بصائرُ تحملهم علىٰ الإنفاق. ويَحتمل أن يكون معنىٰ التثبيت: أنهم يثبِّتون أنفسَهم علىٰ الإيمان؛ باحتمال المشقَّة في بذل المال. وانتصابُ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: علىٰ المصدر في موضع الحال، وعطف عليه ﴿وَتَثْبِيتًا﴾. ولا يصحُّ في ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أن يكون مفعولًا من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت؛ فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنَّةٍ. أو يقدر أوَّلًا: مثل نفقةِ الذين ينفقون.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ لأنَّ ارتفاع موضع الجنة أطيبُ؛ لتُربتِها وهوائها.

﴿فَطَلٌّ﴾ المطرُ الرَّقيق الخفيف؛ والمعنىٰ: أنه يكفي هذه الجنةَ؛ لكرم أرضها.

= ويظهر لي أن ما ذكره من التأويل مبنيٌّ علىٰ القول بأن أفعاله تعالىٰ قديمة، فمن علم الله أنه يؤمن ويموت علىٰ الإيمان لم يزل الله راضيًا عنه حتىٰ في حال كفره، ومن علم أنه يكفر ويموت علىٰ الكفر لم يزل الله ساخطًا عليه حتىٰ في حال إيمانه، كما هو مذهب الكُلَّابية والأشاعرة، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، وهو أن أفعاله تعالىٰ تابعة لمشيئته، والرضا والغضب من أفعاله، فيرضىٰ إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ولرضاه وغضبه أسباب، هي بمشيئته تعالىٰ، فمن قام به سبب الرضا رضي الله عنه، ومن قام به سبب الغضب غضب الله عليه، ومعنىٰ هذا أنه تعالىٰ قد يرضىٰ عن العبد ثم يسخط، وقد يسخط عن العبد ثم يرضىٰ، بحسب ما يقوم به من أسباب ذلك، وأدلة هذا الأصل مبيَّنة في كتب العقائد.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآيةَ؛ مثلٌ ضرب للإنسان يعمل عملًا صالحًا، حتىٰ إذا كان عند آخِر عُمرِه خُتِم له بعمل السُّوء.

أو مثلٌ للكافر، أو المنافق، أو المرائي المتقدِّم ذكرُه آنفًا، أو ذي المنِّ والأذىٰ؛ فإنَّ كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان وقتُ حاجته إليه لم يجد شيئًا.

فشبَّههم الله بمن كانت له جنة، ثم أصابتْها الجائحة المهلكة أحوجَ ما كان إليها؛ لشيخوخته، وضعف ذُرِّيته.

فالواوُ في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: للحال.

﴿إِعْصَارٌ﴾ أي: ريحٌ فيها سَمُومٌ محرقةٌ.



*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ
تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٦﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٦٨﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنصَارٍ ﴿٢٦٩﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَنُكَفِّرْ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٠﴾ *لَّيْسَ عَلَيْكَ
هُدَيٰهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴿٢٧١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٢﴾

﴿٢٦٦﴾ ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ **الطيبات هنا عند الجمهور**: الجيِّد غير الرديء. **فقيل**: إنَّ ذلك في الزكاة؛ فيكون واجبًا. **وقيل**: في التطوُّع؛ فيكون مندوبًا، لا واجبًا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي: لا تَقصِدوا الرديءَ.

﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ الواو للحال. **والمعنى**: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلَّا بأن تتسامحوا في أخذه(١). و﴿تُغْمِضُوا﴾ من قولك: أَغمض فلانٌ عن بعض حقِّه: إذا لم يستوفِه، أو إذا غضَّ بصرَه.

(١) في ب، ج، هـ: «تتسامحوا فيه».

٢٦٨ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ الآيَةَ؛ دفعٌ لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حضٌّ على الإنفاق. ثم بيَّن عداوة الشيطان بأمره **بالفحشاء**؛ وهي: المعاصي. **وقيل**: الفحشاء: البخل؛ والفاحش عند العرب: البخيل. **قال ابن عباس** ﵄: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله[1]. **والفضل**: هو الرزق والتوسعة.

٢٦٩ ﴿يُؤتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ **قيل**:هي المعرفة بالقرآن. **وقيل**:النبوة. **وقيل**:الإصابة في القول والعمل.

٢٧٠ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآيَةَ؛ ذكر نوعين وهما: ما يفعله الإنسان تبرُّعًا. وما يفعله بعد إلزامِه نفسَه بالنذر. وفي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ وعدٌ بالثواب. وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنَ أَنصَارٍ﴾ وعيدٌ لمن يمنع الزكاة، أو ينفق[2] لغير الله.

٢٧١ ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ هي التطوع **عند الجمهور**؛ لأنها يحسُن إخفاؤها، وإبداءُ الواجبة؛ كالصَّلوات.

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناءٌ على الإظهار، ثم حكَم أنَّ الإخفاء خيرٌ من ذلك الإبداء. و«ما» من «نِعِمَّا»: في موضع نصب، تفسير للمضمر؛ والتقدير: فنعم شيئًا إبداؤها.

٢٧٢ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ **قيل**: إنَّ المسلمين كانوا لا يتصدَّقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحةً للصدقة على من ليس على دين الإسلام[3]، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلًا. **فالضمير** في ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ على هذا القول: للكافر. **وقيل**: ليس عليك أن تهديَهم لـمَا أُمِروا به من الإنفاق، وتركِ المنِّ والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلِّغَهم، والهدى بيد الله. **فالضمير** على هذا: للمسلمين.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٠).

(٢) في د زيادة: «مالَه».

(٣) لم أقف عليه هذا، وإنما الذي وقفت عليه هذا اللفظ: عن ابن عباس ﵄، قال: كانوا يكرهون أن يرضَخوا لأنسبائهم من المشركين فسألوا، فرضخ لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء..﴾، أخرجه الطبري (٥/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٦)، والبيهقي (٧٨٤٢)، والحاكم (٣١٢٨) وصححه. والرَّضْخ: العطيَّة القليلة.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: إنَّ منفعته لكم كقوله(١): ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٥].

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ اَبْتِغَآءَ وَجْهِ اِ۬للَّهِ﴾ **قيل**: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكيةٌ لهم، وشهادةٌ بفضلهم. **وقيل**: ما تنفقون نفقةً تُقبَل منكم، إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حضٌّ على الإخلاص(٢).

(٢٧٣) ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ **متعلق بمحذوف**؛ تقديره: الإنفاقُ للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿اُحْصِرُواْ﴾ حُبِسوا بالعدو، أو بالمرض.

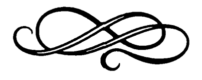
﴿فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ﴾ **يَحتمل**: الجهادَ، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْباً فِے اِ۬لاَرْضِ﴾ هو التصرُّف في التجارة وغيرها.

﴿يَحْسِبُهُمُ اُ۬لْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهلُ بحالهم أنهم أغنياءُ؛ لقلة سؤالهم. و﴿اِ۬لتَّعَفُّفِ﴾ هنا: هو عن الطلب. و﴿مِنَ﴾: سببية. **وقال ابن عطية**: لبيان الجنس(٣).

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمٰهُمْ﴾ علامةِ وجوههم؛ وهي ظُهور الجَهْد والفاقة، وقلَّةُ النعمة. **وقيل**: الخشوع، **وقيل**: السجود.

﴿لاَ يَسْـَٔلُونَ اَ۬لنَّاسَ إِلْحَافاًۖ﴾ **الإلحاف**: هو الإلحاح في السؤال. **والمعنى**: أنهم إذا سألوا يتلطَّفون ولا يُلِحُّون، **وقيل**: هو نفيٌ للسؤال والإلحاف معًا. وباقي الآية وعدٌ.



(١) في د: «لقوله».

(٢) فهذا خبرٌ شُرِطَ فيه قيدٌ محذوف، وهو «تقبل منكم»، فإذا عريتْ عن قصد الإخلاص لم تقبل. البحر المحيط (٥/ ٣٩).

(٣) ذكر ابن عطية أولًا أنها لابتداء الغاية، ونسبه إلى جمهور المفسرين، فيكون المعنى: أن محسبته -أي: الجاهل- أغنياء ابتدأت من تعفُّفهم؛ لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غنى تعفُّف، وإنما يحسبهم أغنياء غنى مال، فحسبته من التعفف ناشئة؛ لتعفُّفهم عفةً تامة عن المسألة، ثم ذكر احتمالًا أن تكون لبيان الجنس، أي: جنس الغنى، أهو غنى عفة أم غنى مال، فالجاهل بهم مع علمه بفقرهم يحسبهم أغنياء عفةً. وأما معنى السببية الذي ذكره ابن جزي أولًا؛ فمعناه: سبب حسبانهم أغنياءَ تعفُّفهم، فهو مفعول من أجله. المحرر الوجيز (٢/ ٨٩-٩١)، البحر المحيط (٥/ ٤٣)، الدر المصون (٢/ ٦١٩).

ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِاليْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلَٰنِيَةً فَلَهُمُۥٓ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٣ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلذِے يَتَخَبَّطُهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ
فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٤ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كَفَّارٍ اَثِيمٍ ۝٢٧٥ اِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمُۥٓ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ۝٢٧٧ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٨ *وَإِن كَانَ ذُو
عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلَىٰ مَيْسُرَةٍ وَأَن تَصَّدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧٩ وَاتَّقُواْ يَوْماً
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨٠

۝٢٧٣ ﴿بِاليْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلَٰنِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته. ابنُ عباس رضي الله عنهما: نزلت في عليٍّ رضي الله عنه؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانيةً(١).

أبو هريرة رضي الله عنه: نزلت في علْف الخيل(٢).

۝٢٧٤ ﴿ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: ينتفعون به، وعبَّر عن ذلك بالأكل؛ لأنه أغلب المنافع. وسواءٌ من أعطاه أو من أخَذه. والرِّبا في اللغة: الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٧١)، عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريقه ابن المنذر في تفسيره (١/ ٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٣) عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه من قوله، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبد الوهاب بن مجاهد، قاله ابن كثير (١/ ٧٠٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٤).
ورواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٧٢-٣٧٣) بإسناده من طريق أيوب السختياني عن مجاهد عن ابن عباس.

(٢) كذا نسبه إلى أبي هريرة، ولم أقف عليه، والصواب: «عن ابن عباس»، أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٤٨)، والثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٨٥-٣٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٧٠٨).
وقال الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٨٧): «وكان أبو هريرة إذا مرَّ بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مرَّ بفرس أعجف سكت»، ولم يسنده، ولم أقف على إسناد له.

ممنوعة، أكثرُها راجعٌ إلىٰ الزيادة؛ فإنَّ غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم: **أتَقضي أم تُرْبِي؟** فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطَّالب عليه. **ثم إن الربا علىٰ نوعين**: ربا النسيئة، وربا التفاضل. وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة؛ فتَحرُم في بيع الذهب بالذهب، وفي بيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصَّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقًا.

وأما التفاضل؛ فإنما يَحرُم في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النَّقدين، ومن الطعام. **ومذهب مالك**: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدَّخَر من الطعام. **ومذهب الشافعي**: أنه يحرم في كل طعام[1]. **ومذهب أبي حنيفة**: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره[2].

﴿لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ اُلذِے يَتَخَبَّطُهُ اُلشَّيْطَٰنُ مِنَ اَلْمَسِّۖ﴾ **أجمع المفسرون أنَّ المعنىٰ**: لا يقومون من قبورهم في البعث إلَّا كالمجنون. و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعَّلُه؛ من قولك: خبَط يخبِط. و﴿اُلْمَسِّۖ﴾: الجنون. و﴿مِنَ﴾ تتعلَّق بـ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليلٌ للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا اَلْبَيْعُ مِثْلُ اُلرِّبَوٰاْ﴾: ردٌّ علىٰ الشريعة وتكذيبٌ لها، ثم قد يأخذ العُصاة بحظٍّ من هذا الوعيد. **فإن قيل**: فهلَّا قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا علىٰ البيع في الجواز؟ **فالجواب**: أن هذا مبالغةٌ؛ فإنهم جعلوا الربا أصلًا حتىٰ شبَّهوا به البيع[3].

﴿وَأَحَلَّ اَللَّهُ اُلْبَيْعَ﴾ عمومٌ يَخرج منه: البيوع الممنوعة شرعًا، وقد عدَدْناها في الفقه ثمانين نوعًا[4].

(١) سواء كان الطعام يكال ويوزن أو لا، وهو إحدىٰ الروايات الثلاث في مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/ ١٢).

(٢) وهذه أشهر الروايات عن أحمد، وهي المذهب. والرواية الثالثة: أن العلة فيما عدا الذهب والفضة كونه طعامًا يكال ويوزن، فلا يجري الربا في مطعوم لا يكال ولا يوزن، اختارها ابن قدامة وابن تيمية. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/ ١٠-١٦).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٥٤٤).

(٤) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي، ط. دار ابن حزم (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ردٌّ علىٰ الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا. وفي ذلك دليل علىٰ أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليلَ علىٰ بطلان قياسهم: تحليلَ الله وتحريمَه.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أَخذ من الربا؛ (أي: لا يؤاخذُ بما فعل منه)[1] قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير عائد علىٰ صاحب الربا. والمعنىٰ: أن الله يحكم فيه يومَ القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا. وقيل: الضمير عائد علىٰ الربا. والمعنىٰ: أمرُ الربا إلىٰ الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآيةَ؛ يعني: مَن عاد إلىٰ فعل الربا، وإلىٰ القول: «إنما البيع مثل ٱلرِّبَا». ولذلك حكَم عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القولَ لا يصدر إلَّا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

٢٧٦ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يَنقُصه ويُذهِبه.

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يُنميها؛ في الدنيا: بالبركة، وفي الآخرة: بمضاعفة الثواب.

﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: مَن يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل علىٰ أن الآية في الكفَّار.

٢٧٨ ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثَقيف ربًا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربًا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفًا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم علىٰ قريش، فأبَوا مِن دفعه وقالوا: قد وُضِع الربا، فتحاكموا إلىٰ عتَّاب بن أَسِيد أمير مكة، فكتب بذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فنزلت الآية[2].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٠) عن ابن جريج، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٨) عن السدي ومقاتل بن حيان.

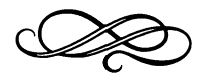
(٢٧٩) ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتم. ومعنىٰ ﴿فَأۡذَنُواْ﴾: اعلَموا. **وقرئ بالمدِّ**[١]؛ أي: أَعلِموا غيرَكم. ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله[٢].

﴿لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا تَظلِمون بأخذِ زيادةٍ علىٰ رؤوس أموالكم، ولا تُظلَمون بالنقص منها.

(٢٨٠) ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾ «**كان**» تامة؛ بمعنىٰ: حضَر، أو وقَع. وقرئ ﴿ذَا عُسۡرَةٖ﴾[٣]؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة.

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ حَكم الله للمُعسِر بالإنظار إلىٰ أن يُوسِرَ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه. و ﴿نَظِرَةٌ﴾: مصدرٌ؛ معناه: التأخير. وهو مرفوع علىٰ أنه خبر ابتداء؛ تقديره: فالواجبُ نظرةٌ، أو مبتدأ. و ﴿مَيۡسَرَةٖ﴾ أيضًا مصدر. وقرئ بضم السين، وفتحها[٤].

﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ ندَب الله إلىٰ الصدقة علىٰ المعسر بإسقاط الدَّين عنه، فذلك أفضل من إنظاره. وباقي الآية وعظٌ. **وقيل**: إنَّ آخِرَ آية نزلت آيةُ الربا. **وقيل**: بل قوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيةَ. **وقيل**: آية الدَّين المذكورة بعدُ.



---

(١) قرأ حمزة وشعبة عن عاصم بالمد وكسر الذال، وقرأ الباقون بإسكان الهمزة وفتح الذال.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٣٢)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤٨)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) هذه قراءة خارجة عن القراءات العشر، ذكر الطبري (٥/ ٥٦) أنها قراءة أبي بن كعب ﷺ.

(٤) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ اِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُۖ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِالْعَدْلِۖ وَلاَ يَابَ كَاتِبٌ اَن يَّكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اُللَّهُۖ فَلْيَكْتُبْۖ وَلْيُمْلِلِ اِلذِے عَلَيْهِ اِلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اِللَّهَ رَبَّهُۥ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاًۖ فَإِن كَانَ اَلذِے عَلَيْهِ اِلْحَقُّ سَفِيهاً اَوْ ضَعِيفاً اَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُّمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِالْعَدْلِۖ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ اَلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَيٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَيٰهُمَا اَلاُخْرَىٰۖ وَلاَ يَابَ اَلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۖ وَلاَ تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً اَوْ كَبِيراً اِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۖ ذَٰلِكُمُۥٓ أَقْسَطُ عِندَ اَللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلاَّ تَرْتَابُوٓاْ إِلآَّ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ حَاضِرَةٌ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَلاَّ تَكْتُبُوهَاۖ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۖ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌۖ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۖ وَاتَّقُواْ اُللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اُللَّهُۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌۖ ﴿٢٨١﴾ *وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنَ اَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُوَدِّ اِلذِے اُوتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اِللَّهَ رَبَّهُۥۖ وَلاَ تَكْتُمُواْ اُلشَّهَٰدَةَۖ وَمَن يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌۖ ﴿٢٨٢﴾

﴿٢٨١﴾ ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ أي: إذا عامل بعضكم بعضًا بدَين. وإنما ذَكر الدين وإن كان مذكورًا في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ ليعود عليه الضمير في ﴿فَاكْتُبُوهُۖ﴾، وليزول الاشتراك الذي في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ إذ قد يقال بمعنىٰ: الجزاء.

﴿اِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً﴾ دليلٌ علىٰ أنه لا يجوز إلىٰ أجلٍ مجهول. وأجاز مالك البيعَ إلىٰ الجداد والحصاد؛ لأنه معروف عند الناس[(١)]. ومنعه الشافعي وأبو حنيفة[(٢)].

قال ابن عباس ﷺ: نزلت الآية في السَّلَم خاصة[(٣)]؛ يعني: أن سَلَم أهل المدينة كان سبب نزولها.

(١) وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد.

(٢) وهو الرواية الأخرىٰ في مذهب أحمد، وهي المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/ ٢٦٤-٢٦٧).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٧٠-٧١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٧٥٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٤٠٦٤)، والبيهقي (١١٠٨١)، والحاكم (٣١٣٠) وصححه.

قال مالك: وهذا يجمع الدَّين كلَّه؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلَم والسلَف[(١)] وغيرهما.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ **ذهب قومٌ** إلىٰ أن كتابة الدين واجبةٌ بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾. **وقال قوم**: إنها علىٰ الندب.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ **قال قومٌ**: يجب علىٰ الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نُسِخ ذلك بقوله: ﴿وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إنَّ الأمر بذلك علىٰ الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأُجرة علىٰ كَتْب الوثائق.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ **يتعلّق عند ابن عطية بقوله**: ﴿وَلْيَكْتُب﴾[(٢)].

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾[(٣)].

فعلىٰ الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غيرَ مرْضيٍّ.

وعلىٰ الثاني: يجب أن يكون الكاتب مَرضيًّا في نفسه.

قال مالك: لا يكتب الوثائق إلَّا عارفٌ بها ، عدلٌ في نفسه، مأمونٌ.

﴿وَلاَ يَابَ كَاتِبٌ اَنْ يَّكْتُبَ﴾ نهيٌ عن الإبابة، وهو يقوِّي الوجوب.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اُللَّهُ﴾ **يتعلَّق بقوله**: ﴿اَنْ يَّكْتُبَ﴾ ، **والكاف**: للتَّشبيه؛ أي: يكتب مثلَ ما علَّمه الله. أو للتَّعليل؛ أي: ينفع الناسَ بالكتابة كما علَّمه الله؛ كقوله : ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اَللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص : ٧٧] .

وقيل: يتعلَّق بقوله بعدها: ﴿ فَلْيَكْتُبْ ﴾.

---

(١) السلَف بمعنىٰ القرض، وليس بمعنىٰ السَّلَم حسَب ما هو مشهور في إطلاق الفقهاء. انظر: القوانين الفقهية (ص: ٤٨١).
(٢) المحرر الوجيز (٢/ ١١٢).
(٣) الكشاف (٣/ ٥٥٤).

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال: أَملَلْتُ الكتاب، وأَمليْتُه؛ فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] على الأُخرىٰ.

﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾؛ لأنَّ الشهادة إنما هي باعترافه.

فإنْ كُتِبتْ الوثيقة دون إملاله، ثم أقرَّ بها جاز.

﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ أمرَه الله بالتقوىٰ فيما يُمِلُّ، ونهاه عن البَخْس؛ وهو نقص الحق.

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ السَّفيه: الذي لا يُحسِن النظرَ في ماله.

والضعيف: الصغير وشبهه. والذي لا يستطيع أن يُمِلَّ: الأخرس وشبهه.

﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه، أو وصيه.

والضمير عائد علىٰ: ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزةٌ في كل شيءٍ، إلَّا في الزنا؛ فلا بد من أربعة.

﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نصٌّ في رفض شهادة الكفار، والصِّبيان، والنساء.

وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتَهم[1].

ومنعها مالك والشافعي؛ لنقص الرِّقِّ.

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قومٌ: لا تجوز شهادة المرأتين إلَّا مع عدم الرجال؛ وقالوا: معنىٰ الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾: إن لم يوجَدَا.

وأجازه الجمهور؛ لأن المعنىٰ: إن لم يشهد[2] رجلان فرجلٌ وامرأتان.

وإنما يجوز -عند مالك- شهادة الرجل والمرأتين في الأموال، لا في غيرها.

وتجوز عنده شهادةُ المرأتين دون رجلٍ فيما لا يطَّلع عليه الرجال، كالوِلادة، والاستهلال، وعيوب النساء.

---

(١) مذهب الإمام أحمد أن شهادتهم مقبولة فيما عدا الحدودَ والقصاص. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/ ٣٩٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «يستشهد».

وارتفع[١] ﴿وَرَجُلٌ﴾: بفعل مضمر؛ تقديره: فليكن رجلٌ؛ فهو فاعل، أو تقديره: فليُستشهَد رجلٌ؛ فهو مفعول لم يُسمَّ فاعلُه. أو بالابتداء؛ تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون.

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين.

وهو مشترَطٌ -أيضًا- في الرجلين الشاهدين؛ لأنَّ الرِّضا مشترط في الجميع.

وهو العدالة؛ ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقِّي الصغائر، مع المحافظة علىٰ المروءة.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: هو المقدَّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾.

والضَّلال في الشهادة: هو نسيانُها، أو نسيان بعضها.

وإنما جُعِل ضلالُ إحدىٰ المرأتين مفعولًا من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرىٰ لها، وهو المراد؛ فأُقيم السببُ مقام المسبَّب.

وقرئ: ﴿إِن تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة: علىٰ الشرط، وجوابه: الفاء في ﴿فَتُذَكِّرَ﴾[٢].

ولذلك رفَعه مَن كسَر الهمزة، ونصبَه من فتحها علىٰ العطف.

وقرئ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف[٣]؛ والمعنىٰ واحد.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلىٰ أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ[٤]، واتَّفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها.

وقيل: إذا دُعوا[٥] إلىٰ تحصيلِ الشهادة وكَتْبها.

وقيل: إلىٰ الأمرين.

(١) في ج، هـ: «وارتفاع».
(٢) قرأ حمزة بكسر الهمزة، وضم الراء في ﴿فَتُذَكِّرُ﴾، وقرأ الباقون بفتح الهمزة ونصب الراء.
(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَتُذْكِرَ﴾ بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بالتشديد.
(٤) لم أقف علىٰ تخريجه، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٢٠): «وأسند النقَّاش إلىٰ النبي ﷺ أنه فسر الآية بهذا».
(٥) في ب، ج، د، هـ: «دعي».

﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي: لا تملُّوا من الكتابة إذا تردَّدتْ وكثُرت؛ سواءٌ كان الحق صغيرًا أو كبيرًا. ونَصْبُ ﴿صَغِيرًا﴾ علىٰ الحال.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلىٰ الكتابة.

﴿أَقۡسَطُ﴾ من القسط؛ وهو العدل.

﴿وَأَقۡوَمُ﴾ بمعنىٰ: وأشدُّ إقامةً. وبُنِي أفعل فيهما من الرباعي؛ وهو قليل.

﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: أقرب إلىٰ عدم الشك في الشهادة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ﴾ «أن» في موضع نصب علىٰ الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدِّم في الدين المؤجَّل. والمعنىٰ: إباحةُ تركِ الكتابة في التجارة الحاضرة؛ وهي ما يباع بالنقد. وقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ يقتضي: القبضَ، والبينونة[1].

﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾ ذهب قومٌ إلىٰ وجوب الإشهاد علىٰ كلِّ بيعٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، وهم الظاهرية، خلافًا للجمهور. وذهب قوم إلىٰ أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾. وذهب قوم إلىٰ أنه علىٰ الندب.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ يَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٞ﴾ فاعلًا؛ علىٰ تقدير كسر الرَّاء المدغمة من ﴿يُضَآرَّ﴾.

والمعنىٰ علىٰ هذا: نهيٌ للكاتب والشهيد[2] أن يضرَّا صاحبَ الحقِّ أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة.

ويَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٞ﴾ مفعولًا لم يسمَّ فاعلُه؛ علىٰ تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوِّي ذلك قراءة عمر بن الخطاب ﷺ: «لا يُضارَرْ» بالتَّفكيك وفتح الراء[3].

والمعنىٰ: النهيُ عن الإضرار بالكاتب والشهيد؛ بإذايتهما بالقول أو بالفعل.

---

(١) أي: البينونة بالمقبوض والذهاب به. البحر المحيط (٥/ ١١٠).

(٢) في د: «والشاهد».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٧٦)، ومن طريقه الطبري (٥/ ١١٤).

﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ أي: إن وقعْتم في الإضرار فإنَّه فُسوقٌ حالٌّ بكم.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ إخبارٌ علىٰ وجه الامتنان. **وقيل**: معناه الوعد بأنَّ من اتقىٰ علَّمه الله وألهمَه.

وهذا المعنىٰ صحيح، ولكن لفظ الآية لا يُعطِيه؛ لأنه لو كان كذلك لجزم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ في جواب ﴿وَاتَّقُواْ﴾ .

﴿٢٨٣﴾ ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ الآيةَ؛ لما أمر الله تعالىٰ بكتابة الديون: جعَل الرَّهن توثيقًا للحق، عوضًا من الكتابة حيث تتعذَّر الكتابة في السفر.

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلَّا في السفر؛ لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره في الحضَر؛ لأن النبي ﷺ رهن دِرعَه بالمدينة(١).

﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ يقتضي بينونة المرتهِن بالرَّهن. وأجمع العلماء علىٰ صحةِ قبضِ المرتهن، وقبضِ وكيلِه. وأجاز مالك والجمهور وضعَه علىٰ يدي عدْلٍ.

والقبض للرهن شرطٌ في الصحة عند الشافعي وغيره(٢)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾. وهو عند مالك شرط كمال.

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ الآيةَ؛ أي: إن أمن صاحبُ الحق الـمِدْيَانَ(٣) لحسن ظنه به: فليستغْنِ عن الكتابة وعن الرهن. فأَمر أولًا بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ **فللدَّين ثلاثة أحوال**. ثم أمر المديانَ بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.

﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ محمولٌ علىٰ الوجوب.

---

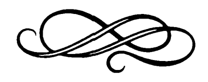
(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩) عن أنس ﷺ.

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/ ٣٩١).

(٣) المِدْيَان: مِفْعَالٌ من الدَّين للمبالغة، وهو الذي عليه الديون. تاج العروس (د ي ن).

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ **معناه**: قد تعلَّق به الإثمُ اللاحقُ عن المعصية في كِتمان الشهادة.
وارتفع ﴿ءَاثِمٌ﴾ بأنه خبر «إنَّ»، و ﴿قَلْبُهُۥ﴾ فاعلٌ به. ويجوز أن يكون ﴿قَلْبُهُۥ﴾ مبتدأ، و﴿ءَاثِمٌ﴾ خبره.

وإنما أسند الإثم إلىٰ القلب وإن كانت جملةُ الكاتم هي الآثمة: لأنَّ الكِتمان مِن فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرها، ولئلا يُظَنَّ أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.



﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٣﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٤﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٥﴾﴾

﴿٢٨٣﴾ **﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآيَةَ؛ مقتضاها: المحاسَبة** على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواءٌ أبدَوْه أو أخفَوْه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكالٌ؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها»**(١). ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شقَّ ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: **«قولوا: سمعنا وأطعنا»**، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة(٢)، ونسَخ بذلك هذه الآيةَ(٣).

وقيل: هي في معنى كَتْم الشهادة وإبدائها؛ وذلك محاسَبٌ به. **وقيل**: يحاسب الله خلْقَه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذِّب الكافرين والمنافقين. **والصحيح: التأويل الأوَّل**؛ لوروده في الصحيح، وقد ورد -أيضًا- عن ابن عباس رضي الله عنهما(٤) وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٢-١٣٢)، وأحمد في مسنده (٣٠٧٠)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٧٧)، والحاكم (٣١٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه -أيضًا- ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٣٠).

فإن قيل: إنَّ الآية خبرٌ، والأخبار لا يدخلها النسخ؟ **فالجواب**: أنَّ النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة؛ وذلك حكمٌ يصحُّ دخول النسخ فيه. فلفظ الآية: خبر، ومعناها: حكم[١].

﴿فَيَغْفِرْ﴾ و﴿يُعَذِّبْ﴾ قرئ[٢] بجزمهما: عطفًا على ﴿يُحَاسِبْكُم﴾، وبرفعهما: على تقدير: فهو يغفرُ.

(٢٨٥) **﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيَةَ؛ سببها**: ما تقدَّم في حديث أبي هريرة؛ لما قالوا: سمعنا وأطعنا: مدَحهم الله بهذه الآية، وقدَّم ذلك قبل كشف ما شقَّ عليهم.

﴿وَالْمُومِنُونَ﴾ عطفٌ على **﴿ٱلرَّسُولُ﴾**، أو مبتدأٌ: **فعلى الأوَّل**: يُوقَف **﴿وَالْمُومِنُونَ﴾**. **وعلى الثاني**: يوقف **﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾**، **والأوَّل أحسن.**

﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ إن كان ﴿وَالْمُومِنُونَ﴾ معطوفًا: فـ**﴿كُلٌّ﴾** عمومٌ في الرسول والمؤمنين.

وإن كان مبتدأً: فـ**﴿كُلٌّ﴾** عموم في المؤمنين. ووحَّد الضمير في **﴿ءَامَنَ﴾** على معنى: كلُّ واحدٍ منهم آمن.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئ بالجمع؛ أي كل كتاب أنزله الله، **وقرئ بالتوحيد**[٣]؛ يريد: القرآن، أو الجنس.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ التقدير: يقولون: لا نفرِّق. **والمعنى**: لا نفرِّق بين أحدٍ من الرسل وبين غيره في الإيمان، بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكايةُ قولِ المؤمنين؛ على وجه المدح لهم.

﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه مضمر. **ونصْبُه على المصدرية**؛ تقديره: اغفرْ غفرانك، **وقيل**: على المفعولية؛ تقديره: نطلب غفرانك.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٣٣).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم برفعهما، وقرأ الباقون بجزمهما.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالبعث، مع تذلُّلٍ وانقياد. وهنا تـمَّت حكاية كلام المؤمنين.

﴿٢٨٦﴾ ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إخبارٌ من الله تعالىٰ برفع تكليف ما لا يطاق. وهو جائزٌ عقلًا عند الأشعريَّة، ومحالٌ عقلًا عند المعتزلة. واتَّفقوا علىٰ أنه لم يقعْ في الشريعة.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اَكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات. وجاءت العبارة بـ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما يَنتفع العبدُ به، وجاءت في السيئات بـ﴿عَلَيْهَا﴾ ؛ لأنها مما يَضرُّ بالعبد. وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ[(١)] ﴿اَكْتَسَبَتْ﴾:

لأنَّ في الاكتساب ضربًا من الاعْتمال والمعالجة، حسَبما تقتضيه صيغة: «افتعل»؛ فالسيئات فاعلُها يتكلَّف مخالفةَ أمر الله، ويتعدَّاه، بخلاف الحسنات؛ فإنه فيها علىٰ الجادَّة من غير تكلُّفٍ. أو لأنَّ السيئات يجِدُّ في فعلها؛ لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مُكتسَبة، ولـمَّا لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك: وُصِفت بما لا دلالةَ فيه علىٰ الاعتمال.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوَ اَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم[(٢)].

ويَحتمل أن يكون مِن بقيَّةِ حكاية قولهم؛ كما حكىٰ عنهم قولَـهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ .
والنِّسيان هنا: هو الذُّهولُ الغالبُ علىٰ الإنسان.

والخطأ: غير العمد؛ فذلك معنىٰ قوله ﷺ: «**رُفِع عن أمَّتي الخطأ والنسيان**»[(٣)].
وقد كان يجوز أن يُؤاخَذَ به لو لا أنَّ الله رفَعه.

---

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

(٣) هذا الحديث لا يوجد بهذا اللفظ -كما قال الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٦٤)- وإن كان مشتهرًا بهذا اللفظ في كتب الفقهاء والأصوليين، واللفظ الوارد هو: «إن الله وَضع عن أمتي الخطأَ والنسيانَ وما استكرهوا عليه»، أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) وابن حبان في صحيحه (٧٢١٩)، والحاكم (٢٨٠١)، والدارقطني (٤٣٥١)، والبيهقي (١٥٠٩٤) عن ابن عباس ﷺ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه البيهقي، وأعله أحمد وأبو حاتم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٦١) وما بعدها، وتلخيص الحبير (١/ ٥٠٩) وما بعدها.

﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً﴾ التكاليفَ الصعبة؛ كانت قد كُلِّفتْ لمن تقدَّم من الأمم؛ كقتل أنفسهم، وقَرْض أبدانهم، ورُفِعت عن هذه الأمة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. **وقيل**: **الإصرُ**: المسخُ قردةً وخنازيرَ.

﴿وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ هذا الدعاء دليلٌ علىٰ جواز تكليف ما لا يطاق؛ لأنه لا يدعىٰ برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه.

وتحقيقُ ذلك: أنَّ ما لا يطاق أربعةُ أنواع: الأوَّل: عقليٌّ محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن: فهذا جائزٌ، وواقعٌ باتِّفاق. **والثاني**: عاديٌّ؛ كالطَّيران في الهواء.

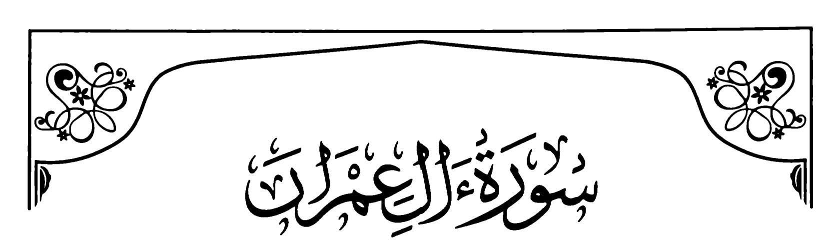
والثالث: عقليٌّ وعادي؛ كالجمع بين الضِّدَّين. فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق علىٰ عدم وقوعِه. **والرابع**: تكليف ما يَشقُّ ويَصعُب: فهذا جائز اتفاقًا، وقد كلَّفه الله من تقدَّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)[1].

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظٌ متقاربةُ المعنىٰ، **وبينَها من الفرق: أنَّ العفو**: تركُ المؤاخذة بالذنب. **والمغفرة**: تقتضي -مع ذلك- السَّترَ. **والرحمة**: تجمع ذلك، مع التفضُّل بالإنعام.

﴿مَوْلَىٰنَا﴾ وليُّنا وسيدُنا.



(١) سقط من ب، ج، هـ.



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

نـزل صـدرُها إلـىٰ نيِّـفٍ وثمـانين آيـةً لمـا قـدِم نصـارىٰ نجـران المدينـة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسىٰ بن مريم[1] عليه السلام.

أَلَٓمِّٓ ١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٩

١ ﴿أَلَٓمِّٓ﴾ تقدَّم الكلام علىٰ حروف الهجاء[2]. وقرأ **الجمهور**: بفتح الميم هنا في الوصل؛ لالتقاء الساكنين؛ نحو: «مِنَ الناس». وقال **الزمخشريُّ**: هي حركة الهمزة نُقِلت إلىٰ الميم[3]. وهذا ضعيف؛ لأنها ألفُ وَصْلٍ تَسقط في الدَّرْجِ.

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٧٢-١٧٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٠٩) عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير.

(٢) في أول سورة البقرة.

(٣) الكشاف (٤/ ٥).

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ردٌّ على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلِب؛ فليس بحيٍّ، وليس بقيُّومٍ.

﴿٢﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: تَضمَّن الحقَّ؛ مِن الأخبار والأحكام وغيرها، أو بالاستحقاق[1].

﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠][2].

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدِّمة.

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكرَه النُّحاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿٣﴾ ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرَّر ذكْرَه؛ ليصفه بأنه المفرِّق بين الحق والباطل. ويَحتمل: أن يكون ذكَرَه أوَّلًا على وجه الإثبات لإنزاله بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثم ذكره ثانيًا على وجه الامتنان بالهدى به؛ كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ فكأنه قال: «وأنزل الفرقان هدًى للناس»، ثم حَذف ذلك؛ لدلالة الهدى الأوَّل عليه.

فلما اختلف قصْدُ الكلام في الموضعين: لم يكن ذلك تَكرارًا. وقيل: الفرقان هنا: كلُّ ما فرَّق بين الحق والباطل؛ من كتابٍ وغيره. وقيل: هو الزَّبور؛ وهذا بعيد.

﴿٥﴾ ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ خبرٌ عن إحاطة عِلْم الله بجميع الأشياء على التَّفصيل.

وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى، ولا لغيره؛ ففي ذلك ردٌّ على النصارى.

﴿٦﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهانٌ على إثبات علم الله المذكورِ قبلُ. وفيه ردٌّ على النصارى؛ لأن عيسى لا يَقدِر على التَّصوير، بل كان مصوَّرًا؛ كسائر بني آدم.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِن طولٍ، وقِصَرٍ، وحُسْن، وقبح، ولَوْن، وغيرِ ذلك.

﴿٧﴾ ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المُحْكَم من القرآن: هو البيِّنُ المعنى، الثابت الحكم. والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى تأويل، أو يكون مُستغلِقَ المعنى؛ كحروف الهجاء.

---

(١) أي: باستحقاق أن ينزلَ؛ لما فيه من المصلحة الشاملة. المحرر الوجيز (٢/ ١٥٠).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٩) من سورة البقرة.

قال ابن عباس ﵄: **المحكمات:** النَّاسخاتُ والحلال والحرام، **والمتشابهات:** المنسوخات، والمقدَّم، والمؤخَّر[١]. وهذا تمثيلٌ لما قلنا.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: عُمدةُ ما فيه، ومُعْظَمه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ **نزلت في نصارىٰ نجران؛** فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسىٰ كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسْبُنا إذن[٢].

فهذا من المتشابه الذي اتَّبعوه. **وقيل:** نزلت في أبي ياسر ابن أخطبَ اليهودي وأخيه حُيَيٍّ[٣]. ثم يَدخل في ذلك: كلُّ كافر، أو مبتدع ، أو جاهل يتَّبع المتشابهَ من القرآن.

﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناسَ.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: يبتغون أن يتأوَّلوه علىٰ ما تقتضي مذاهبُهم. أو: يبتغون أن يصِلوا من معرفة تأويله إلىٰ ما لا يَصل إليه مخلوقٌ.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إخبارٌ عن انفراد الله بعلمِ تأويل المتشابه من القرآن، وذمٌّ لمن طلَب عِلمَ ذلك من الناس.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأٌ مقطوع مما قبله، **والمعنىٰ:** أن الرَّاسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «آمنا به»؛ علىٰ وجه التَّسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته. **وقيل:** إنه معطوفٌ علىٰ ما قبله، **وإن المعنىٰ:** أنهم يعلمون تأويلَه. وكلا القولين مرويٌّ عن ابن عباس ﵄[٤]. والأوَّل قول أبي بكر الصديق ﵁[٥]، وعائشة ﵂،

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠٥-٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٦) عن الربيع بن أنس.

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه في أول سورة البقرة، في الكلام عن الحروف المقطعة.

(٤) القول بالوقف علىٰ اسم الله رواه عنه طاوس، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٣٨٤)، والطبري (٥/ ٢١٨)، والحاكم (٣١٤٣) وصححه ووافقه الذهبي.
والقول بأن ﴿الراسخون﴾ معطوف علىٰ ما قبله رواه عنه مجاهد، أخرجه الطبري (٥/ ٢٢٠).

(٥) لم أقف علىٰ كلام له في هذه الآية، ولعله يعني الأثر الذي أورده في كلامه عن الحروف المقطعة أولَ سورة البقرة

وعروة بن الزبير[١]؛ **وهو أرجحُ.**

وقال ابن عطية : المتشابه نوعان: نوعٌ انفرد الله بعلْمه. ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه. فيكون ﴿وَالرَّٰسِخُونَ﴾ ابتداءً بالنظر إلىٰ الأول، وعطفًا بالنظر إلىٰ الثاني[٢].

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

(٨) ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكايةٌ عن الراسخين. ويَحتمل أن يكون مُنقطِعًا؛ علىٰ وجه التَّعليم. **والأوَّل أرجح؛** لاتِّصال الكلام. وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ اْلاَلْبَٰبِ﴾: فهو من كلام الله تعالىٰ، لا حكايةُ قولِ الراسخين.

(٩) ﴿إِنَّ اَللَّهَ لاَ يُخْلِفُ اُلْمِيعَادَ﴾ استدلالٌ علىٰ البعث، **ويَحتمل أن يكون** من تمام كلام الراسخين، أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالىٰ.



(١) أثر عائشة ﵂ وعروة أخرجهما الطبري (٥/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٩).
(٢) المحرر الوجيز (٢/ ١٦١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿١١﴾ ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفعٍ[١]؛ أي: دأبُ هؤلاء ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديدٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قومَ نوحٍ وعادًا وثمودَ وغيرهم. والضمير عائد على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ البراهين، أو الكتب.

﴿١٢﴾ ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ **قرئ بتاء الخطاب**[٢] ليهود المدينة، وقيل: لكفَّار قريش. **وقرئ بالياء**: إخباراً عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش. **وهو صادقٌ على كل قول، أما اليهود**

(١) على أنه خبر مبتدأ محذوف. البحر المحيط (٥/ ٢٠١).
(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، وقرأ الباقون بتاء الخطاب.

فغُلبوا يوم قريظةَ والنَّضير وقَينُقاع، وأما قريش ففي بدرٍ وغيرها.

والأشهرُ أنَّها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلىٰ الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له: لا يغرَّنَّك أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال، فلو قاتلْتنا لعرفتَ أنَّا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة(١).

﴿١٣﴾ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ قيل: خطابٌ للمؤمنين. وقيل: لليهود. وقيل: لقريش. والأرجح(٢) أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ ففيه تهديدٌ لهم وعبرةٌ بما(٣) جرىٰ لغيرهم.

﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر.

﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ: ﴿تَرَوْنَهُم﴾ بالتاء(٤): خطابًا لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾. والمعنىٰ: ترون الكفارَ مِثْلَي المسلمين؛ ولكن الله أيَّد المسلمين بنصره علىٰ قلَّة عَددهم.

وقُرئ: بالياء؛ والفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: هم المؤمنون، والمفعول به: هم المشركون، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: للمؤمنين. والمعنىٰ: علىٰ حسَب ما تقدَّم. فإن قيل: إنَّ الكفار كانوا يوم بدر أكثرَ مِن مِثْلَي المسلمين؟ فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريبًا من ألف، والمؤمنين ثلاث مئة وثلاثة عشر، ثم إنَّ الله تعالىٰ قلَّل عدد الكافرين في أعين المؤمنين؛ حتىٰ حسِبوا أنهم مثلَهم مرَّتين؛ ليتجاسروا علىٰ قتالهم، إذ ظهر لهم أنهم علىٰ ما أُمِروا به من قتال الواحد للاثنين في قوله: ﴿فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. وهذا المعنىٰ

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٣٩)، وأبو داود (٣٠٠١)، والبيهقي في سننه (١٨٦٢٩) عن ابن عباس ﵄، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٣٢)، وأخرجه الطبري أيضًا- (٥/ ٢٣٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٤) عن قتادة من قوله.

(٢) في د: «والأول أرجح».

(٣) في د: «لما».

(٤) قرأ نافع بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

موافقٌ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٥].

والآخر: أنه رجع قومٌ من الكفار حتىٰ بقي منهم ستُّ مئة وستةٌ وعشرون رجلًا؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين. وقيل: إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: ضمير المشركين، والمفعول: ضمير المؤمنين، وإن الضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ يَحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين.

والمعنىٰ علىٰ هذا: أنَّ الله كثَّر عدد المسلمين في أعين المشركين؛ حتىٰ حسِب الكفارُ المؤمنين مثلَي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقلُّ من ذلك، وإنما كثَّرهم الله في أعينهم ليَرهَبُوهم. ويردُّ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٥].

﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ نَصْبٌ علىٰ المصدرية. ومعناه: معاينةً ظاهرةً لا شكَّ فيها.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾ أي: أنَّ النصر بمشيئة الله، لا بالقِلَّة، ولا بالكثرة؛ فإن فئةَ المسلمين غَلبت فئةَ الكافرين؛ مع أنهم كانوا أكثرَ منهم.

(١٤) ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزيِّن هو الله، وقيل: الشيطان. ولا تعارض بينهما؛ فتَزيين الله: بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاءِ الجِبِلَّة علىٰ الميل إلىٰ الدنيا. وتزيين الشيطان: بالوسوسة والخديعة.

﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومئتا أوقية. وقيل: ألف ومئتا مثقال، وكلاهما مرويٌّ عن النبي ﷺ[(١)].

﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنيَّةٌ من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألفٌ مؤلفة. وقيل: المضروبةُ دنانيرَ أو دراهمَ.

---

(١) تقديره بأنه ألف ومئتا أوقية أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٥) عن أبي بن كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «القنطار ألف أوقية ومئتا أوقية»، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠): «وهذا حديث منكر، والأقرب أن يكون موقوفًا علىٰ أبي بن كعب»، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٧٥٨) وابن ماجه (٣٦٦٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وروي موقوفًا، قال ابن كثير (٢/ ٢٠): «وهذا أصح».
وتقديره بأنه ألف ومئتا مثقال أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٥) عن الحسن مرسلًا، ورواه -أيضًا- موقوفًا عليه.

﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح. وقيل: المُعْلَمة في وجوهها شِياتٌ[1]؛ فهي من السِّيما بمعنىٰ العلَامة. وقيل: المعَدَّة للجهاد.

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تحقيرٌ لها؛ ليَزهد فيها الناس.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيلٌ للآخرة علىٰ الدنيا؛ ليُرغَب فيها. وتمَّ الكلامُ في قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾؛ تفسيرًا لذلك. فـ﴿جَنَّٰتٌ﴾ علىٰ هذا: مبتدأٌ، وخبره: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ . وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ متعلِّق بما قبله، ويتمُّ الكلام في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ . فـ﴿جَنَّٰتٌ﴾ علىٰ هذا: خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ زيادةٌ إلىٰ نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسَبما ورد في الحديث[2].

﴿١٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعتٌ ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ ، أو رَفْعٌ بالابتداء[3]، أو نَصْبٌ بإضمار فعل.

﴿١٧﴾ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ العابدين، أو المطيعين.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ **الاستغفار**: هو طلب المغفرة. قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: «**قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم**»[4].

---

(١) الشِّياتُ: جمع شِيَةٍ، وهي كل لونٍ يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَيَ، ففاؤه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٠/ ٢٧١).

(٢) عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا» أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) أي: رفعٌ علىٰ إضمار الابتداء، فيكون خبر مبتدأ محذوف. المحرر الوجيز (٢/ ١٧٧).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٢٢٢) من حديث مسلم بن السائب، عن خباب بن الأرت ﷺ، قال ابن حجر في المطالب العالية (١٣/ ٨٥٠): «وسنده ضعيف»، ورواه النسائي أيضًا عن مسلم بن السائب بن خباب مرسلًا (١٠٢٢٣) (١٠٢٢٤)، قال المزي في تحفة الأشراف (٣/ ١١٨): «وهذا هو الصواب».

﴿بِالأَسْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ؛ وهو آخر الليل؛ يقال: إنه الثلث الآخِر؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذٍ: «من يستغفرني فأغفرَ له»(١).

(١٨) ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآيَةَ؛ شهادةٌ من الله سبحانه لنفسه بالوَحدانية. وقيل: معناها: إعلامُه لعباده بذلك.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: هم شهداءُ بالوَحدانية. ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهينَ على وَحدانيته(٢).

﴿قَائِمًا﴾ منصوبٌ على الحال من: اسم ﴿اللَّهُ﴾، أو من: ﴿هُوَ﴾. أو منصوبٌ على المدح.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرَّر التَّهليل لوجهين: أحدهما: أنه ذكَر أوَّلًا الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانيًا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة(٣). والآخر: أن ذلك تعليمٌ لعباده؛ ليُكثِروا من قولها.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) [التعليق ٣٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «العارفين بالله» فسَّر ﴿أُولُوا الْعِلْمِ﴾ بالعارفين، ومعلوم أن أول من يدخل في أولي العلم الأنبياء والرسل، ولم يذكرهم الله باسم العارفين، وإنما يوصفون بصفة النبوة والرسالة، ولم يأت ذكر المعرفة في القرآن إلا في معرفة الأعيان بعد طول العهد، كقوله تعالى في يوسف: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾، وفي الإقرار في مقابل الجحد والإنكار، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، وما أثنى الله على أحد بإيتاء المعرفة، بل بإيتاء العلم، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾، وأثنى تعالى على المتفكرين في الآيات بالعلم دون المعرفة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾، وأثنى الله على نفسه بالعلم دون المعرفة، وهو العليم، وعالم الغيب، ويعلم ما في السماوات والأرض، فمن أسمائه العليم، دون العارف. قيل من الفرق بين العلم والمعرفة: إن المعرفة لا تكون إلا بعد جهل. هذا، والعارف مصطلح صوفي لا يعرف في كلام السلف في الثناء به على الراسخين في العلم، ومعناه عند أرباب التصوف من بلغ الغاية في معرفة الله حتى شهد اللهَ في كل شيء، وهذه حقيقة وحدة الوجود، ولا ريب أن ابن جزي ﷺ لا يريد بالعارف هذا المعنى، بل قد فسَّره، وأبان مراده بقوله: «القادر على إقامة البراهين على وَحدانية الله»، وهذا معنى حسن، وهو يؤول إلى التمكُّن في العلم بالحجج الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، وصار المأخذ على المفسِّر هو العدول عن المعنى الواضح إلى لفظ مشتبه، لا أثر له في تفسير الآية، فكان الأولى أن يقول: أولو العلم هم العلماء بما بعث الله به رسله الذين يخشونه ولا يخشون أحدا إلى الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

(٣) في د: «ثم ذكر ثانيًا ثبوتَها بالشهادة المتقدمة».

١٩ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ **بكسر الهمزة**[١]: ابتداءٌ. **وبفتحها**: بدلٌ مِن ﴿أَنَّهُۥ﴾، وهو بدل شيءٍ من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ﴾ **الآيةَ**؛ إخبارٌ أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد. **والآية في اليهود**، **وقيل**: في النصارىٰ، **وقيل**: فيهما.

﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ قد تقدَّم معناه في «**البقرة**»[٢]. وهو هنا تهديدٌ؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ﴾.

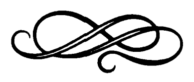
٢٠ ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين. **والضمير**: لليهود، ونصارىٰ نجران.

﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ﴾ أي: أخلصتُ نفسي وجُملتي لله؛ وعبَّر بالوجه عن الجملة. **ومعنىٰ الآية**: إقامة الحجة عليهم؛ لأنَّ مَن أسلم وجهه لله فهو علىٰ الحق بلا شكٍّ، فسقطت حجَّةُ مَن خالفه.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ عطفٌ علىٰ التاء في ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾، ويجوز أن يكون مفعولًا معه.

﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ تقريرٌ بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تُسلِموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ أي: إنما عليك أن تبلِّغَ رسالة ربك، فإذا بلَّغتها فقد فعلتَ ما عليك. **وقيل**: إن فيها موادَعةً نسختها آية السيف.



(١) قرأ الكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.
(٢) انظر تفسير الآية (٢٠٠).

إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيٓـِٔينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلذِينَ يَامُرُونَ
بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ﴿٢١﴾ اُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ حَبِطَتَ اَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيا
وَالَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ *أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ اُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ
كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن
تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ
ٱلْمُلْكِ تُوتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ
بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا
يَتَّخِذِ ٱلْمُومِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُومِنِينَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي
شَےْءٍ اِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقِيَةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ اِن تُخْفُواْ مَا
فِي صُدُورِكُمُۥٓ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلَارْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَےْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوَ
اَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلِ اِن كُنتُمْ
تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلَ اَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآيةَ؛ نزلت في اليهود والنصارىٰ؛ توبيخًا لهم، ووعيدًا علىٰ قبيح[1] أفعالهم، وأفعال أسلافهم[2].

---

(١) في ب، د: «قُبح».

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٩١) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٠-٦٢١) والبزار في مسنده (١٢٨٥) عن أبي عبيدة بن الجراح، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجل قَتل نبيًّا، أو رجلٌ أمر بالمنكر ونهىٰ عن المعروف»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قَتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة رجل واثنا عشر رجلًا من عباد بني إسرائيل، فأمروا مَن قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقُتلوا جميعًا من آخر النهار في ذلك اليوم، =

﴿٢٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم اليهود. **والكتاب هنا**: التوراة، أو جنس.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ **ابنُ عباس** ﷺ: دخل رسول الله ﷺ على جماعةٍ من اليهود، فيهم النعمان بن عمرٍو، والحارث بن زيد، فقالوا له: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: «**على دين إبراهيم**»، فقالوا: فإنَّ إبراهيم كان يهوديًّا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فهلمُّوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم**»، فأبوا عليه فنزلت الآية[1]. فـ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ على هذا: التوراة. **وقيل**: هو القرآن؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيُعرِضون عنه.

﴿٢٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى إعراضهم عن كتاب الله. **والباء سببية، والمعنى**: أنَّ كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم. والأيام المعدودات قد ذُكِرت[2] في «**البقرة**»[3].

﴿٢٥﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة؟ **والمعنى**: تهويلٌ واستعظام لما أُعِدَّ لهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض مِن حرف النداء **عند البصريين**؛ ولذلك لا يجتمعان. **وقال الكوفيون**: أصله: «يا أللهُ أُمَّنَا بخيرٍ» فالميم عندهم من: «**أُمَّنا**»[4].

﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ منادى عند سيبويه. **وأجاز الزَّجَّاج** أن يكون صفةً لاسم الله. **وقيل**: إنَّ الآية نزلت ردًّا على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى[5]. **وقيل**: لما أَخبر النبيُّ ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعدَ ذلك

= وهم الذين ذكر الله ﷺ»، وإسناده ضعيف؛ لجهالة بعض رواة إسناده، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧٢): «وفيه ممن لم أعرفه اثنان».

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٩٣) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٢).

(٢) في ب، ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر تفسير الآية (٧٩).

(٤) قال ابن عطية (٢/ ١٨٧): «ومذهب الفراء والكوفيين: أن أصل «اللَّهُمَّ»: «يا اللهُ أُمَّ»: أي: أُمَّ بخير [أي: اقصدنا بخير]، وأن ضمة الهاء هي ضمة الهمزة التي كانت في «أُمَّ» نُقِلت».

(٥) لم أقف على أثر يدلُّ على أنه هذا هو سبب نزول الآية، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٨٧): «قال بعض العلماء: إن هذه الآية دافعةٌ لباطل نصارى نجران في قولهم: إن عيسى هو الله، وذلك أن هذه الأوصاف تبيِّن لكل صحيح الفطرة أن عيسى ﷺ ليس في شيء منها»، فلعلَّ ابن جزيٍّ أراد هذا المعنى الذي نقله ابن عطية، لا أن هذا هو سبب نزول الآية.

المنافقون، فنزلت الآية(١).

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ **قيل**: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. **وقيل**: إنما خصَّ الخير بالذكر ؛ لأنَّ الآية في معنىٰ دعاءٍ ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأَجزِل حظِّيَ منه.

(٢٧) ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ **عبد الله بن مسعود** ﷺ: هي النُّطفة؛ تَخرج من الرجل ميِّتة وهو حيٌّ، ويَخرج الرجل منها حيًّا وهي ميِّتةٌ(٢). **وقال عكرمة**: هو إخراج الدَّجاجة من البَيضة، والبيضة من الدَّجاجة(٣). **وقيل**: تُخرِج(٤) المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن، فالحياة والموت علىٰ هذا: استعارة. **وفي ذِكْر الحيِّ مع الميت**: المطابقة؛ وهي من أدوات البيان. وفيه -أيضًا- القلب؛ لأنه قدَّم الحيَّ علىٰ الميت، ثم عكس.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق. **وقيل**: بغير محاسبة.

(٢٨) ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ؛ عامة في جميع الأعصار. وسببها: مَيْلُ بعض الأنصار إلىٰ بعض اليهود(٥). **وقيل**: كتاب حاطب إلىٰ مشركي قريش(٦).

﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ تبرُّؤٌ ممن فعل ذلك، ووعيدٌ علىٰ موالاة الكفار. **وفي الكلام حذف**؛ تقديره: ليس من التقرُّب إلىٰ الله في شيءٍ. وموضع ﴿فِى شَىْءٍ﴾: نصبٌ علىٰ الحال من الضمير في ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾. **قاله ابن عطية**(٧).

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٩١) عن ابن عباس وأنس بن مالك ﷺ دون إسناد، قال ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٥): «ولم أجد له إسنادًا»، وأخرجه الثعلبي -أيضًا- بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وكثير هذا ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧).

(٤) في ب، د: «يخرج».

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٩) عن ابن عباس ﷺ.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٢١) عن مقاتل بن سليمان، ولم يُسنده، وانظره في تفسيره مقاتل بن سليمان (١/ ٢٧٠).

(٧) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢)، ونقل أبو حيان كلام ابن عطيَّة هذا، وعلَّق عليه بقوله: «وهو كلام مضطرب؛ لأن تقديرَه: «فليس من التقرُّب إلىٰ الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبرًا لـ«ليس»؛ إذ لا يستقلُّ، =

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ﴾ إباحةٌ لموالاتهم إن خافوا منهم. والمراد: موالاةٌ بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُقَىٰةً﴾ وزنه: فُعَلَة -بضم الفاء وفتح العين-، وفاؤه واوٌ، أُبدِل منها تاءٌ، ولامه ياء أبدل منها ألف. وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَتَّقُواْ﴾(١).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ تخويفٌ.

٣٠ ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا، وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾، وقيل: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، وقيل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأٌ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾، أو معطوف.

﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافةً.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذُكر بعد التَّحذير تأنيسًا؛ لئلا يُفرِطَ الخوفُ، أو لأن التحذيرَ والتنبيه رأفةٌ.

٣١ ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ جَعل اتِّباع النبي ﷺ علامةً على محبة العبد لله تعالى، وشرطًا في محبة الله للعبد ومغفرتِه له. وقيل: إنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران. ومعناها على العموم في جميع الناس.



= وقوله: «(في شيء) هو في موضع نصب على الحال» يقتضي أن لا يكون خبرًا؛ فيبقى «ليس» -على قوله- لا يكون لها خبر، وذلك لا يجوز»، وأعرَبها أبو حيان بقوله: «وخبر «ليس» هو ما استقلَّت به الفائدة، وهي (في شيء)، و(من الله) في موضع نصب على الحال؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً لشيء، والتقدير: فليس في شيء من ولاية الله». البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

(١) فيكون ﴿تُقَىٰةً﴾ جمعَ فاعلٍ -كرُماة- وإن كان لم يستعمل منه فاعل. المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢).

*﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ الآيةَ؛ لما مضىٰ صدرٌ من محاجَّة نصارىٰ نجران: أخذ يبيِّن لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسىٰ عليه السلام، وكيفية وِلادته. وبدأ بذِكر آدم ونوحٍ عليهما السلام؛ تكميلًا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء. ثم ذكَر إبراهيم؛ تدريجًا إلىٰ ذكر عمران والدِ مريم أمِّ عيسىٰ عليه السلام.

وقيل: إنَّ عمران هنا هو والد موسىٰ، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.

والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصَّتِها بعد ذلك.

﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ **يحتمل أن يريد بالآل**: القرابةَ، أو الأتباعَ. وعلىٰ الوجهين يدخل نبيُّنا محمد ﷺ في آل إبراهيم.

﴿٣٤﴾ ﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدلٌ مما تقدَّم، أو حال. ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلىٰ الذَّرِّ؛ لأن الله تعالىٰ أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغُيِّر أوَّلُه في النَّسَب. وقيل: أصل ذُرِّيَّةٍ: ذُرُّورَةٌ؛ وزنها: فُعُّولَةٌ، ثم أُبدِل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُّويَة، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت

الراء فصار: ذُرِّيَّة.

٣٥ ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف؛ تقديره: اذكر. وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ . وقال **الزَّجَّاج** : العامل فيه: معنى الاصطفاء[1].

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها: حَنَّةُ -بالنون-، وهي أم مريم، وعمران هنا: هو والد مريم.

﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذرًا عليَّ أن يكون هذا الولد الذي في بطني حَبِيسًا على خدمة بيتك؛ وهو بيت المقدس.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عَتِيقًا من كل شُغلٍ إلَّا خدمة المسجد.

٣٦ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآيَةَ؛ كانوا لا يُحرِّرون الإناثَ لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾؛ تحسُّرًا وتلهُّفًا على ما فاتها من النَّذر الذي نذَرتْ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ **قرئ** ﴿وَضَعَتْ﴾[2]: بإسكان التاء، وهو من كلام الله؛ تعظيمًا لموضوعها. **وقرئ**: بضم التاء وسكون العين؛ وهو -على هذا- من كلامها.

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ **يَحتمل** أن يكون من كلام الله، **فالمعنى**: ليس الذكرُ الذي طلَبتِ كالأنثى التي وُهِبتْ لكِ. وأن يكون من كلامها، **فالمعنى**: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يَخدمونها دون الإناث.

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى: العابدة، فأرادت بذلك التقرُّبَ إلى الله. **ويؤخذ من هذا**: تسميةُ المولود يوم ولادته. وامتنع ﴿مَرْيَمَ﴾ من الصَّرف؛ للتعريف والتأنيث، وفيه -أيضًا- العُجْمة.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ ورد في الحديث: «**ما من مولود إلَّا نخَسه الشيطان حين يُولَد فيَستهلُّ صارخًا، إلَّا مريم وابنها؛ لقولها**: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾..» الآيَةَ[3].

---

(١) والتقدير: واصطفى آلَ عمرانَ إذْ. المحرر الوجيز (٢/ ٢٠٠).

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم: ﴿وضعْتُ﴾ بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء.

(٣) تقدم تخريجه.

٣٧ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رَضِيَها للمسجد مكانَ الذَّكَر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون مصدرًا على غير الصَّدْر[1]. والآخر: أن يكون اسمًا لما يُقبَل به، كالسَّعوط: اسم[2] لما يُسعَط به.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارةٌ عن حسن النشأة.

﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّآءُ﴾ أي: ضمَّها إلى إنفاقه وحَضانته، والكافل: هو الحاضن. وكان زكرياءُ زوجَ خالتها، وقيل: زوج أختها. وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكَرِيَّآءَ﴾[3]، أي: جعَله الله كافلَها.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ في اللغة: أشرفُ المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام. ويقال: إن زكرياءَ بنى لها غرفةً في المسجد؛ وهي المحراب هنا. وقيل: المحراب: موضع العبادة.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصَّيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء. ويقال: إنها لم تَرضَعْ ثديًا قطُّ، وكان الله يرزقها.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

٣٨ ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى مكان. وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياءُ كرامةَ الله تعالى لمريم: سأل مِن اللهِ الولد.

---

(١) في أ، د: «المصدر»، والمثبت هو الصواب، والصَّدْر: هو الفعل في اصطلاح الكوفيين، وهذا التعبير «مصدر على غير الصَّدر» مألوف الاستعمال عند العلماء، كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمحرر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل، بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تقبَّل»، ومصدرُ هذا الفعل: «تقبُّلًا»، ولكنه جاء هنا «قبولًا» مصدرًا للفعل «قَبِلَ». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة (تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ﴾ بالتخفيف والرفع، وقرأ شعبة عن عاصم: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءَ﴾ بالتشديد والنصب، وقرأ الباقون: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بالتشديد وبالقصر من غير همز.

(٣٩) ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أُنِّث رَعْيًا للجماعة، وقرئ بالألف على التذكير[١]. وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يَركب الخيلَ؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿بِيَحْيَىٰ﴾ اسمٌ سمَّاه الله تعالىٰ به قبل أن يولد، وهو اسم بالعِبرانية صادف اشتقاقًا وبناءً في العربية. وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًّا: ففيه التعريف والعُجْمة، وإن كان عربيًّا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مصدِّقًا بعيسىٰ ﷺ، مؤمنًا به. وسُمِّي عيسىٰ كلمةَ الله؛ لأنه لم يوجد إلَّا بكلمة الله وحدَها؛ وهي قوله: ﴿كُن﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدًا﴾ السَّيِّد: هو الذي يسود قومَه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضْل.

﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلَقه الله كذلك، وقيل: كان يُمسِك نفسَه. وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذُّنوب.

(٤٠) ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوختِه، وعُقْم امرأته، ويقال: إنه كان له تسعٌ وتسعون سنةً، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستَبعدَ ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالىٰ علىٰ ذلك. فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة. وقيل: سأله وهو شابٌّ، وأُجِيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ أي: مثلَ هذه الفِعْلة العجيبة: يَفعلُ الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفِعلة. والإشارة بـ«ذلك»: إلىٰ هبة الولد لزكرياءَ.

واسم ﴿ٱللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه[٢].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿فناداه﴾ بالألف، وقرأ الباقون: ﴿فَنَادَتْهُ﴾.

(٢) ويكون في الكلام حذف مضاف، أي: كهذه القدرة المستغرَبة هي قدرة الله، و﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ بيان وشرح للإبهام الذي في اسم الإشارة «ذلك». المحرر الوجيز (٢/ ٢١٣)، والبحر المحيط (٥/ ٣٥٤).

وقيل: إن الخبر: ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ، ويَحتمل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ -علىٰ هذا- وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَفۡعَلُ﴾[1]. والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدإٍ محذوف؛ تقديره: «الأمر كذلك»، أو «أنتما كذلك».

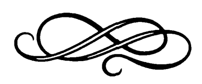
وعلىٰ هذا يوقف علىٰ ﴿كَذَٰلِكَ﴾. والأوَّل أرجح؛ لاتِّصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مع ما قبله، ولأنَّ له نظائرَ كثيرةً في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢].

٤١ ﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي: علامةً علىٰ حَمل المرأة.

﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر علىٰ كلام الناس ثلاثةَ أيامٍ، يُمنَع لسانه[2] عن ذلك، مع إبقاء قدرته علىٰ التكلُّم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ . وإنما حُبِس لسانُه عن الكلام تلك المدَّة؛ لِيَخْلُصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا علىٰ استجابة دعائه، ولا يُشغِلَ لسانَه بغير الشُّكر والذِّكر.

﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إشارةً باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: من زوال الشمس إلىٰ غروبها، ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر إلىٰ وقت الضحىٰ.



(١) لم يتبيَّن لي المعنىٰ علىٰ هذا الوجه! والإعراب الذي ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٥٤) علىٰ هذا الوجه: أن يكون في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من «يفعلُ»، أي: يفعل الله فعلًا مُستغربًا حال كونه مثلَ ذلك الفعل، وهو تكوُّن الولد بين الفاني والعاقر. فيظهر أن إعراب ابن جزي تجوُّزٌ واختصار لإعراب أبي حيان.

(٢) في ج: «لسانك».

*وَإِذْ قَالَتِ اِ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اَ۬للَّهَ اَ۪صْطَف۪يٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَف۪يٰكِ عَلَيٰ نِسَآءِ اِ۬لْعَٰلَمِينَ
(٤٢) يَٰمَرْيَمُ اُ۪قْنُتِے لِرَبِّكِ وَاسْجُدِے وَارْكَعِے مَعَ اَ۬لرَّٰكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنَ اَنۢبَآءِ اِ۬لْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمُۥٓ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمُۥٓ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمُۥٓ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ اِ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اُ۪سْمُهُ اُ۬لْمَسِيحُ عِيسَى
اَ۪بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِ وَمِنَ اَ۬لْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ اُ۬لنَّاسَ فِے اِ۬لْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ
اَ۬لصَّٰلِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّيٰ يَكُونُ لِے وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِے بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اِ۬للَّهُ يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ إِذَا قَضَيٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ اُ۬لْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْر۪يٰةَ
وَالِانجِيلَ وَرَسُولاً اِلَيٰ بَنِے إِسْرَآءِيلَ أَنِّے قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمُۥٓ إِنِّيَ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ
اَ۬لطِّينِ كَهَيْـَٔةِ اِ۬لطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَٰٓئِراً بِإِذْنِ اِ۬للَّهِ وَأُبْرِئُ اُ۬لَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ وَأُحْيِ
اِ۬لْمَوْتَيٰ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِے بُيُوتِكُمُۥٓ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمُۥٓ
إِن كُنتُم مُّومِنِينَ (٤٨) وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ اَ۬لتَّوْر۪يٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ اَ۬لذِے حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ وَأَطِيعُونِ (٤٩) إِنَّ اَ۬للَّهَ رَبِّے وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥٠) *فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَيٰ مِنْهُمُ اُ۬لْكُفْرَ قَالَ مَنَ اَنصَارِيَ إِلَى اَ۬للَّهِ قَالَ
اَ۬لْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اُ۬للَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥١) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا
اَ۬لرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ اَ۬لشَّٰهِدِينَ (٥٢) وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اَ۬للَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ اُ۬لْمَٰكِرِينَ (٥٣)

(٤٢) **﴿وَإِذْ قَالَتِ اِ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ﴾** اختُلف هل المراد جبريل أو جمعٌ من الملائكة؟ والعامل في «**إذ**» مضمر.

﴿اِ۪صْطَف۪يٰكِ﴾ أوّلًا حين تقبّلك من أمِّكِ. **﴿وَطَهَّرَكِ﴾** من كل عيب في خَلْق أو خُلُق أو دين.

﴿وَاصْطَف۪يٰكِ عَلَيٰ نِسَآءِ اِ۬لْعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل: أن يكون هذا الاصطفاءُ مخصوصًا بأن وهب لها عيسىٰ من غير أب، فيكون **﴿عَلَيٰ نِسَآءِ اِ۬لْعَٰلَمِينَ﴾** عامًّا. **وأن يكون الاصطفاء عامًّا، فيُخصَّصُ**[1] مِن **﴿نِسَآءِ اِ۬لْعَٰلَمِينَ﴾**: خديجة وفاطمة ﵄، **أو يكون المعنىٰ**: علىٰ نساء زمانِها. وقد قيل بتفضيلها علىٰ الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيَّةً؛ لتكليم الملائكة لها.

(١) في ج، د، هـ: «فيخص».

(٤٣) ﴿ٱقْنُتِي﴾ **القنوت هنا**: بمعنىٰ الطاعة والعبادة. **وقيل**: طول القيام في الصلاة؛ **وهو قول الأكثرين**.

﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ **أُمِرت بالصلاة؛ فذَكر القنوت والسجود؛ لكونهما[١] من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنىٰ: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة. فلا يقتضي الكلامُ -علىٰ هذا- تقديمَ السجود علىٰ الركوع؛ لأنه لم يُرِد الركوع والسجود المنتظِمَيْنِ في ركعةٍ واحدة. **وقيل**: أراد ذلك، وقدَّم السجود؛ لأن الواو لا تُرتِّبُ. **ويَحتمل** أن تكون الصلاةُ في ملَّتِهم بتقديم السجود علىٰ الركوع.

(٤٤) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما تقدم من القَصَص، وهو خطابٌ للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجٌ علىٰ نبوته ﷺ؛ لكونه أَخبر بهذه الأَخبار وهو لم يحضر معهم.

﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أزْلامَهم[٢]؛ وهي قِدَاحُهم. **وقيل**: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها علىٰ كفالة مريم؛ حرصًا عليها وتنافُسًا في كَفالتها. وتدلُّ الآية علىٰ جواز القرعة، وقد ثبتت -أيضًا- من السنة.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، في موضع نصبٍ بفعل تقديره: يَنظرون أَيُّهم.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يَكفُلها منهم.

(٤٥) ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «إذ» بدلٌ من ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾ ، أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ، أو العامل فيه مضمر[٣].

﴿ٱسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكَّر علىٰ «الكلمة»؛ لأن المسمَّىٰ بها ذَكَرٌ.

﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ **قيل**: هو مشتقٌّ من: ساحَ في الأرض؛ فوزنه: مَفْعِل. **وقال الأكثرون**: مِن مَسَح؛ لأنه مُسِح بالبركة؛ فوزنه: فَعِيل. وإنما قيل[٤]: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم؛ لِيَنسِبَه إليها؛ إعلامًا بأنه يولد من غير والد.

(١) ب: «لأنهما».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) تقديره: اذكر. المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٠).

(٤) في د: «قال».

﴿وَجِيهاً﴾ نَصْبٌ على الحال. ووجاهتُه في الدنيا: النبوة، والتقدُّم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعةُ، وعُلوُّ الدرجة في الجنة.

٤٦ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، ﴿وَكَهْلًا﴾ عطفٌ عليه. والمعنى: أنه يكلِّم الناس صغيرًا؛ آيةً تدلُّ على براءة أمِّه مما قذفَها به اليهود، وتدلُّ على نبوته. ويكلِّمهم -أيضًا- كبيرًا؛ ففيه إعلامٌ بعَيشِه إلى أن يبلغ سنَّ الكهولة؛ وأوله: ثلاث[1] وثلاثون سنةً. وقيل: أربعون.

٤٨ ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطفٌ على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾، أو على ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: جنسٌ. وقيل: الخط باليد.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: العلوم الدِّينية، أو الإصابة في القول والفعل.

﴿وَرَسُولًا﴾ حالٌ معطوفة على ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إذ التقدير: ومعلِّمًا الكتابَ. أو يُضمَر له فعل تقديره: أُرسِل رسولًا، أو جاء رسولًا.

﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ أُرسِل إليهم عيسى عليه السلام مبيِّنًا لحكم التوراة.

﴿أَنِّي﴾ تقديره: بأني.

﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة[2]: بدلٌ من ﴿أَنِّي﴾ الأول، أو من ﴿بِـَٔايَةٍ﴾. وبكسرها: ابتداءُ كلام.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكَّر هنا الضمير؛ لأنه يعود على الطِّين[3]، أو على الكاف من ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾. وأنَّث في «المائدة»؛ لأنه يعود على الهيئة.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخُفَّاش. وقرئ ﴿طَيْرًا﴾ بياءٍ ساكنة: على الجمع، وبألف وهمزة: على الإفراد[4]. وكرَّر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفعًا لوَهْمِ من توهَّم في عيسى الربوبيةَ.

﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعةٌ من العُميان والبُرْصِ[5] فيدعو لهم فيَبرَؤون[6].

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «ثلاثة».

(٢) قرأ نافع بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) في ب، د: «الطير»، وماأثبتُّه موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٨).

(٤) قرأ نافع ﴿طَائِرًا﴾ بألف وهمزة على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿طَيْرًا﴾ بياءٍ ساكنة على الجمع.

(٥) في أ، ب، د، هـ: «والبرصى»، والذي في لسان العرب (٨/ ٢٧٠): «وجمع الأبرص بُرْصٌ».

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٤٢٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٣٩٠-٣٩١) عن وهب بن منبه.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ روي أنه كان يَضرب بعصاه الميتَ أو القبر، فيقوم الميت ويكلِّمه[١].
وروي أنه أحيا سامَ بن نوح[٢].

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلتَ كذا، وادَّخرت في بيتك كذا.

(٤٩) ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ على ﴿وَرَسُولًا﴾، أو على موضع: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم[٣] بآية، وجئتكم مصدِّقًا.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطفٌ على ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحمُ، ولحمُ الإبل، وأشياءُ من الحيتان والطيرِ، فأحلَّ لهم عيسى بعضَ ذلك.

(٥١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي﴾ ردٌّ على مَن نسَب الربوبيةَ لعيسى. وانتهى كلام عيسى ﵇ إلى قوله: ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وابتداؤه من قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾.

وكلُّ ذلك يَحتمل: أن يكون مما ذكَرت الملائكةُ لمريم حكايةً عن عيسى ﵇ أنه سيقولُه. ويَحتمل أن يكون خطابُ مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام مِن قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولًا بأني قد جئتكم بآية[٤]، ثم استمرَّ كلامُه إلى آخره.

(٥٢) ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: عَلِم علمًا ظاهرًا، كعلم ما يُدرَك بالحواسِّ.

﴿مَنْ أَنصَارِيٓ﴾ طلَبَ النُّصرةَ[٥]. والأنصار: جمع ناصرٍ.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تقديره: مَن يضيفُ أنفسَهم -في نصرتي- إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع». أو: يتعلَّق بمحذوف[٦] تقديره: ذاهبًا إلى الله، أو ملتجِئًا إلى الله.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٢٩) ولم أقف على إسناد له.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناده عن معاوية بن قرة، في كتاب «من عاش بعد الموت». (موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٩).
(٣) في د زيادة: «من ربكم».
(٤) في د زيادة: «من ربكم».
(٥) في ب، ج: «طلبٌ للنصرة».
(٦) يكون حالًا من الياء في ﴿أَنصَارِيٓ﴾. الكشاف (٤/ ١١٧).

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حواريُّ الرجلِ: صِفْوَتُه وخالِصته؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حواريٌّ، وإن حواريَّ الزبير»(١). وقيل: إنَّ الحواريين كانوا قَصَّارين(٢) يُحَوِّرُون الثيابَ - أي: يبيِّضونها(٣)-؛ وبذلك سمَّاهم الحَوَاريين.

(٥٢) ﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يريدون: الإنجيلَ، و﴿ٱلرَّسُولَ﴾ هنا: عيسىٰ عليه السلام.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحقِّ من الأمم. وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون علىٰ الناس.

(٥٣) ﴿وَمَكَرُواْ﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكرُهم: أنهم وكَّلوا بعيسىٰ مَن يقتله غِيلةً.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي: رفَع عيسىٰ إلىٰ السماء، وألقَىٰ شَبَهَهُ علىٰ من أراد اغتياله حتىٰ قُتِل عِوَضًا منه. وعبَّر عن فِعْل الله بالمكر مشاكلةً لقوله: ﴿وَمَكَرُواْ﴾(٤).

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعلٌ ذلك بحقٍّ، والماكر من البشر فاعلٌ بباطل.



---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) قَصَر الثوبَ قِصارةً وقَصَّرَه: حوَّره ودقَّه، والقصَّار والمُقَصِّرُ: المحوِّر للثياب؛ لأنه يدَقُّها بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب، وتسمىٰ أيضًا المِقصَرة، وحرفته: القِصَارة. انظر: لسان العرب (٦/ ٤١٥).

(٣) في هامش أ: «يُقصِّرونها».

(٤) [التعليق ٣٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه: «عبَّر عن فعلِ اللهِ بالمَكرِ ...»، إلخ:

أقولُ: معناه: أنَّ اللهَ سمَّىٰ ما يفعَلُهُ بالكافِرينَ مِن العقوبةِ: مَكْرًا؛ مشاكَلةً لفظيَّةً؛ ليوافِقَ مكرَ الكافِرينَ بالرسولِ ﷺ والمؤمِنِينَ في الاسمِ؛ فيكونُ الجزاءُ مِن جنسِ العمَلِ لفظًا.

وهذا خطأٌ، والحامِلُ عليه عند المؤلِّفِ وغيرِهِ: استقباحُ إضافةِ المكرِ إلىٰ اللهِ حقيقةً؛ بناءً علىٰ اعتقادِ أنَّ المكرَ كلَّه مذمومٌ، وليس كذلك؛ بل مِن المكرِ ما هو محمودٌ، وهو ما كان علىٰ وجهِ المجازاةِ عَدْلًا، ومِن هذا مَكْرُ اللهِ بأعدائِهِ وأعداءِ رسلِهِ، جزاءً وِفَاقًا، وسُنَّةُ اللهِ أن يكونَ الجزاءُ مِن جنسِ العمَلِ.

ومِن مكرِ اللهِ بالكافرينَ: الإملاءُ لهم واستدراجُهُم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣].

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٤﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ العامل فيه: فعلٌ مضمر، أو ﴿وَمَكَرَ﴾[1].

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء. وقيل: رُفِع حيًّا، ووفاةُ الموت: بعد أن ينزلَ إلىٰ الأرض فيقتلَ الدَّجَّالَ. وقيل: يعني: وفاةَ نومٍ. وقيل: المعنىٰ: قابضك من الأرض إلىٰ السماء. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلىٰ سمائي[2].

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: من سوءِ جِوَارهم.

---

(١) في جميع النسخ الخطية كذا: «أو يمكر»! والمثبت هو لفظ الآية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٧)، والكشاف (٤/ ١١٩).

(٢) [التعليق ٤٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ ابن جزي في قوله تعالىٰ في شأن عيسىٰ ﷺ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: أي: «إلىٰ سمائي»، أقول: هذا عدولٌ باللفظ عن ظاهره، بتفسيره بلازمِهِ؛ فإنَّ رفعَ عيسىٰ ﷺ إلىٰ الله - الذي هو مدلولُ اللفظ- يستلزمُ رفعَه إلىٰ السّماء، والذي حمل ابنَ جزي وأمثالَه علىٰ هذا التأويل مذهبُهم في علوِّ الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاتِه فوقَ سماواته، بل هو في كُلِّ مكان، كما تقدم في عددٍ من المواضِع التي جَرَىٰ التعليقُ عليها، وهذا خلافُ ما دلَّتْ عليه النصوصُ، وأجمَعَ عليه أهلُ السُّنة.
ورفعُ عيسىٰ ﷺ إلىٰ السّماءِ التي وجَدَهُ النَّبيُّ ﷺ فيها ليلةَ الإسراء = يتضمَّن تكريمًا وتقريبا، فمَن كان مِن العباد أعْلىٰ مكانًا كان أقربَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فإبراهيم وموسىٰ ﷺ أقربُ إلىٰ الله مِن المسيح، فإنَّ إبراهيم في السماء السابعة، وموسىٰ في السادسة، وعيسىٰ في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم (رقم ١٦٢). والله أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعُلوُّهم على الكفار: بالحجة، وبالسيف في غالب الأمر. وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾[1]: النصارىٰ، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: اليهود؛ فالآية مخبِرةٌ عن عزَّة النصارىٰ علىٰ اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿٥٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما تقدَّم من الأخبار. ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ المتلوَّة، أو المعجزات.

﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ القرآنِ. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الناطقِ بالحكمة.

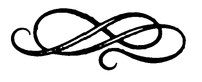
﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآيةَ؛ حجةٌ علىٰ النصارىٰ في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟ فمثَّله الله بآدم الذي خلَقه دون أمٍّ ولا أبٍ، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطعُ لقولهم.

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ تفسيرٌ لحال آدم. ﴿فَيَكُونُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية، والأصل لو قال: «خلقه من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضَع المضارعَ موضع الماضي؛ ليصوِّر في نفوس المخاطَبين أن الأمر كأنه حاضرٌ دائم.

﴿٥٩﴾ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر.

﴿٦٠﴾ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسىٰ، وكان الذي حاجَّه فيه وفدُ نجران من النصارىٰ، وكان لهم سيِّدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقِب.

﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبَهْلةُ: اللَّعنة؛ أي: نقول: «لعنةُ الله علىٰ الكاذب منَّا ومنكم»، هذا أصل الابتهال. ثم استعمل في كل دعاءٍ يُجتهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنةً. ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلىٰ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارىٰ نجران إلىٰ الملاعنة فخافوا أن يُهلِكَهم الله أو يَمسَخهم الله قردةً وخنازير، فأبَوا من الملاعنة، وأعطوا الجزية[2].



(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٤٧٣) عن علباء بن أحمر اليشكري، وأخرجه ابن مردويه -كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤-٥٥)- والحاكم في المستدرك (٤١٥٧) كلاهما عن الشعبي عن جابر ﷺ، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي، قال ابن كثير: «وقد رواه أبو داود الطيالسي.. الشعبي مرسلًا، وهذا أصح»، وأصل قصة المباهلة في البخاري (٤٣٨٠) من حديث حذيفة ﷺ.

*﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ
شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٣﴾
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ
عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا
مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ
﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٣﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطابٌ لنصارىٰ نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَاءٍ﴾ أي عدلٍ ونَصَفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾، أو رَفْعٌ علىٰ تقدير: هي. ودعاهم ﷺ إلىٰ توحيد الله، وتركِ ما عبدوا من دونه، كالمسيح والأحبار والرُّهبان.

﴿٦٤﴾ ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًّا، وقال النصارىٰ: كان نصرانيًّا، فنزلت الآية ردًّا عليهم؛ لأن ملَّة اليهود والنصارىٰ إنما وُجِدت بعد موت إبراهيم بمدَّةٍ طويلة(١).

﴿٦٥﴾ ﴿هَا أَنتُمْ﴾ «ها» تنبيهٌ، وقيل: بدلٌ من همزة الاستفهام، و«أنتم» مبتدأ و﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ خبره، و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ استئناف. أو: ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ منصوب علىٰ التَّخصيص، و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ الخبر.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطَقتْ به التوراةُ والإنجيل.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدَّم علىٰ ذلك من حال إبراهيم.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٤٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦٦) ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفيٌ للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراكُ الذي يتضمَّنه دينُ اليهود والنصارى.

(٦٧) ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمدٌ ﷺ أولى الناس بإبراهيم؛ لأنه على دينه.

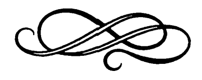
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

(٦٨) ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعَوا حذيفةَ وعمارًا ومعاذًا إلى اليهوديَّة[1].

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلَّا عليهم.

(٦٩) ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبيٌّ.

(٧٠) ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أي: تَخلِطون. **والحق**: نبوة محمد ﷺ، **والباطل**: الكفر به.



(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢٧) (٨/ ٤٠٨)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ١٣٩)، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٧٩): «غريب، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند ولا راوٍ».

وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنَ اَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِالذِےٓ أُنزِلَ عَلَى اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ اَ۬لنَّهَارِ وَاكْفُرُوٓاْ
ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧١﴾ وَلَا تُومِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلِ اِنَّ اَ۬لْهُد۪يٰ هُدَى اُ۬للَّهِ أَن
يُّوت۪يٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمُۥٓ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلِ اِنَّ اَ۬لْفَضْلَ بِيَدِ اِ۬للَّهِ يُوتِيهِ مَن
يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٢﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَّشَآءُ وَاللَّهُ ذُو اُ۬لْفَضْلِ اِ۬لْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ *وَمِنَ
اَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ مَنِ اِن تَامَنْهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنِ اِن تَامَنْهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ
إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماٗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِے اِ۬لْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى اَ۬للَّهِ
اِ۬لْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ بَل۪يٰ مَنَ اَوْف۪يٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّق۪يٰ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ
اَ۬لذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اِ۬للَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَناٗ قَلِيلاً اُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِے اِ۬لْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اُ۬للَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاٗ يَلْوُۥنَ
أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ اَ۬لْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ اَ۬لْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اِ۬للَّهِ
وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اِ۬للَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اَ۬للَّهِ اِ۬لْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَن يُّوتِيَهُ
اُ۬للَّهُ اُ۬لْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوٓءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداٗ لِّے مِن دُونِ اِ۬للَّهِ وَلَٰكِن
كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اَ۬لْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَا يَامُرَكُمُۥٓ أَن
تَتَّخِذُواْ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيٓـِٕينَ أَرْبَاباً اَيَامُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ اَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿٧١﴾ ﴿ءَامِنُواْ بِالذِےٓ أُنزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أولَ النهار، ثم كفروا آخِرَه؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلَّا عن علم. **وقال السهيلي**: إنّ هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيْف، وعَديُّ بن زيد، والحارث بن عوف[1].

﴿٧٢﴾ ﴿أَن يُّوت۪يٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمُۥٓ﴾ **يحتمل**: أن يكون من تمام الكلام الذي أُمِر النبي ﷺ أن يقوله؛ فيكون متَّصلًا بقوله: ﴿اِنَّ اَ۬لْهُد۪يٰ هُدَى اَ۬للَّهِ﴾ . وأن يكون من كلام أهل الكتاب؛ فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿وَلَا تُومِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ويكون ﴿اِنَّ اَ۬لْهُد۪يٰ﴾ اعتراضًا بين الكلامين.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥- ٧٦.

فعلىٰ الأوَّل: يكون المعنىٰ: كراهةَ أن يؤتىٰ أحدٌ مثلَ ما أوتيتم: قُلْتم ما قلتم، ودبَّرتم ما دبَّرتم من الخداع. فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: مفعولٌ من أجله. أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة.

وعلىٰ الثاني: يكون المعنىٰ: لا تؤمنوا أي: لا تُقِرُّوا بأن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، واكتموا ذلك عمَّن لم يتبع دينكم؛ لئلا يدعوَهم إلىٰ الإسلام. فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: مفعولٌ بـ ﴿تُؤْمِنُوٓاْ﴾ المضمَّنِ معنىٰ: تُقِرُّوا. ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله؛ أي: لا تؤمنوا إلَّا لمن تبع دينكم؛ كراهةَ أن يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ علىٰ اليهود في قولهم: لم يؤتِ الله أحدًا مثلَ ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

٧٤ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن أهل الكتاب علىٰ قسمين: أمين، وخائن. وذَكَر القنطارَ مثالًا[1] للكثير؛ فمن أدَّاه أدَّىٰ ما دونه، وذكَر الدينارَ مثالًا للقليل؛ فمن منَعه منع ما فوقه بطريق الأَولىٰ.

﴿قَآئِمًا﴾ يَحتمل أن يكون من القيام الحقيقيِّ بالجسد، أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلىٰ خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أنَّ أموال الأُمِّيِّين -وهم العرب- حلالٌ لهم.

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ هنا: قولهم: إنَّ الله أحلها لهم في التوراة، أو كَذِبُهم علىٰ الإطلاق.

٧٥ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: عليهم سبيلٌ وتِبَاعةٌ في أموال الأُمِّيين.

﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ الضمير يعود علىٰ: ﴿مَنْ﴾، أو علىٰ ﴿ٱللَّهِ﴾.

(١) في ب، ج، هـ: «وذِكْرُ القنطارِ مثالٌ».

﴿٧٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا(١).

وقيل: نزلت بسبب خصومةٍ بين الأشعث بن قيس وآخَرَ، فأراد خصمُه أن يحلف كاذبًا(٢).

﴿٧٧﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ الضميرُ عائد على أهل الكتاب.

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ أي: يحرِّفون اللفظَ، أو المعنى.

﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلَّ عليه قوله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾، وهو الكلام المحرَّف.

﴿٧٨﴾ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآيةَ؛ هذا النفي يتسلَّطُ(٣) على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، **والمعنى**: لا يدَّعي الربوبيةَ من آتاه الله النبوَّةَ.

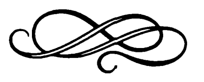
والإشارة: إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ردٌّ على النصارى الذي قالوا: إنه إلهٌ.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «**معاذ الله! ما بذلك أَمرتُ، ولا إليه دعوتُ**»(٤).

﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ جمع ربَّانيٍّ؛ وهو العالِم. وقيل: الرباني: الذي يربِّي الناسَ بصغار العلم قبل كِباره. ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ **الباء**: سببية، و«**ما**»: مصدرية.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ **بالتخفيف**(٥): تَعرِفون، **وقرئ بالتشديد**: من التَّعليم.

﴿٧٩﴾ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ **بالرفع**(٦): استئنافٌ، **والفاعل**: الله، أو البشر المذكور. **وقرئ بالنصب**: عطفًا على ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾، **والفاعل على هذا**: البشر.



(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥١٦) عن عكرمة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في ب، ج، هـ: «متسلِّطٌ».

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٥٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففًا.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بنصب الراء، وقرأ الباقون بالرفع.

وَإِذَ اَخَذَ اَ۬للَّهُ مِيثَٰقَ اَ۬لنَّبِيٓـِٔينَ لَمَآ ءَاتَيْنَٰكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكْمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ
لِّمَا مَعَكُمْ لَتُومِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ *قَالَ ءَآقْرَرْتُمْ وَأَخَذتُّمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمُۥٓ إِصْرِےۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۖ
قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ اَ۬لشَّٰهِدِينَۖ ۝٨٠ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْفَٰسِقُونَۖ ۝٨١
أَفَغَيْرَ دِينِ اِ۬للَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِے اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاٗ وَكَرْهاٗ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَۖ ۝٨٢
قُلَ اٰمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَيٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيٓـُٔونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَۖ
۝٨٣ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ اَ۬لْإِسْلَٰمِ دِيناٗ فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُۖ وَهُوَ فِے اِ۬لْأٓخِرَةِ مِنَ اَ۬لْخَٰسِرِينَۖ ۝٨٤ كَيْفَ يَهْدِے
اِ۬للَّهُ قَوْماٗ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ اَ۬لرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ اُ۬لْبَيِّنَٰتُۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِے اِ۬لْقَوْمَ
اَ۬لظَّٰلِمِينَۖ ۝٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمُۥٓ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اَ۬للَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٦ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اُ۬لْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٧ إِلَّا اَ۬لذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ
فَإِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌۖ ۝٨٨ اِنَّ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ اَ۟زْدَادُواْ كُفْراٗ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لضَّآلُّونَۖ ۝٨٩ إِنَّ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٞ فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنَ اَحَدِهِم مِّلْءُ
اُ۬لْأَرْضِ ذَهَباٗ وَلَوِ اِ۪فْتَدَىٰ بِهِۦٓۖ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٞۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَۖ ۝٩٠

۝٨٠ ﴿وَإِذَ اَخَذَ اَ۬للَّهُ مِيثَٰقَ اَ۬لنَّبِيٓـِٔينَ﴾ **معنى الآية**: أن الله أخذ العهدَ والميثاق على كل نبيٍّ أن يؤمنَ بمحمد ﷺ وينصرَه إن أدركه، وتضمَّن ذلك أخذَ هذا الميثاق على أمم الأنبياء. واللام في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ لامُ التوطِئة؛ لأنَّ أخذَ الميثاق في معنى الاستحلاف. واللام في ﴿لَتُومِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» **يَحتمل**: أن تكون شرطيةً، و﴿لَتُومِنُنَّ﴾ سدَّ مَسدَّ جواب القسَم والشرط[1]. وأن تكون موصولةً[2]؛ بمعنى: الذي آتيناكموه لَتؤمِنُنَّ به. والضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: عائدٌ على الرسول.

(١) فتكون «ما» في موضع نصبٍ على المفعول بالفعل بعدَها، وجواب الشرط محذوف؛ لدلالة جواب القسم عليه. المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٥/ ٥٠٣-٥٠٤). وقول ابن جزي: «و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سدَّ مَسدَّ جواب القسَم والشرط» هي عبارة الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٣)، وناقشه فيها أبو حيان في البحر (٥/ ٥٠٥).

(٢) فتكون في موضع رفع بالابتداء. المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٢).

﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾ اعترفتم. ﴿إِصۡرِي﴾ عهدي.

﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ أي: علىٰ أنفسكم، وعلىٰ أُممكم بالتزام هذا العهد.

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾ تأكيدٌ للعهد بشهادة ربِّ العزة جلَّ جلاله.

(٨١) ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مَن تولَّىٰ عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسقٌ مُتمرِّدٌ[١] في كفره.

(٨٢) ﴿أَفَغَيۡرَ﴾ الهمزة: للإنكار، والفاء: عَطفت جملةً علىٰ جملة[٢]، و«غيرَ»: مفعولٌ؛ قُدِّم: للاهتمام به، أو للحصر. ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ أي: انقادَ واستسلم.

﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ مصدرٌ في موضع الحال. والطَّوع: للمؤمنين. والكَره: للكافر إذا عاين الموتَ، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدِّم، وقيل: إقرارُ كلِّ كافر بالصانع هو إسلامُه كَرهًا.

(٨٣) ﴿قُلۡ ءَامَنَّا﴾ أُمِر النبيُّ ﷺ أن يُخبِرَ عن نفسه وعن أمَّته بالإيمان.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ تعدَّىٰ هنا بـ«علىٰ»؛ مناسبةً لقوله: ﴿قُلۡ﴾. وفي «البقرة» بـ«إلىٰ»؛ لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ لأنَّ «علىٰ» حرف استعلاء يقتضي النزول من علْوٍ، ونزولُه علىٰ هذا المعنىٰ مختصٌّ بالنبي ﷺ، و«إلىٰ» حرف غاية؛ وهو مُوصَلٌ[٣] إلىٰ جميع الأمة.

(٨٤) ﴿وَمَن يَبۡتَغِ﴾ الآيةَ؛ إبطالٌ لجميع الأديان غير الإسلام. وقيل: نَسخت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٦١] الآيةَ.

(٨٥) ﴿كَيۡفَ﴾ سؤالٌ، والمراد به هنا: استبعادُ الهدىٰ.

﴿قَوۡمٗا كَفَرُواْ﴾ نزلت في الحارث بن سُوَيدٍ وغيرِه؛ أسلموا ثم ارتدُّوا ولحِقوا بالكفار، ثم كتبوا إلىٰ أهليهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فرجعوا إلىٰ الإسلام[٤].

---

(١) في ج: «مرتدٌّ»، وفي د: «متردِّ»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٤/ ١٦٧).

(٢) والمعنىٰ: فأولئك هم الفاسقون، فغير دين الله يبغون؟ الكشاف (٤/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٥/ ٥١٥).

(٣) في ب: «موصول».

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٥٥٧) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩) والنسائي (٤٠٧٩) وابن حبان (٤٤٧٧) والحاكم (٢٦٢٨) -وصححه ووافقه الذهبي- والبيهقي (١٦٨٣٠) عن ابن عباس ﷺ قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد...، ولم يسمِّه، ووردت تسميته بالحارث عند الطبري (٥/ ٥٥٨) عن مجاهد.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارىٰ، شهدوا بصفة النبي ﷺ، وآمنوا به، ثم كفروا به لما بُعِث[1].

﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف علىٰ ﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾؛ لأنَّ معناه: بعد أن آمنوا. **وقيل**: الواو للحال. **وقال ابن عطية**: عطفٌ علىٰ ﴿كَفَرُواْ﴾، والواو لا ترتِّب[2].

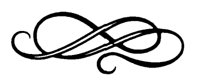
﴿٨٦﴾ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنىٰ الخصوص في المؤمنين. أو علىٰ عمومه؛ وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿٨٧﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ **الضمير عائد**: علىٰ اللَّعْنة. **وقيل**: علىٰ النار وإن لم تُذْكَر؛ لأنَّ المعنىٰ يَقتضيها.

﴿٨٩﴾ ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾ **قيل**: هم اليهود؛ كفروا بعيسىٰ بعد إيمانهم بموسىٰ، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ. **وقيل**: كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مَبعثِه، ثم ازدادوا كفرًا بعداوتهم له وطعْنِهم عليه. **وقيل**: هم الذين ارتدُّوا.

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ **قيل**: ذلك عبارةٌ عن موتهم علىٰ الكفر؛ أي: ليس لهم توبةٌ فتقبلُ، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر. **وقيل**: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم علىٰ الكفر؛ فذلك عامٌّ.

﴿٩٠﴾ ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ جزْمٌ بالعذاب لكلِّ مَن مات علىٰ الكفر. **والواو في قوله**: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾: **قيل**: زائدةٌ، **وقيل**: للعطف علىٰ محذوف؛ كأنه قال: لن يقبل مِن أحدهم لو تصدَّق به، ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾. **وقيل**: نفىٰ أوَّلًا القَبول جملةً علىٰ الوجوه كلِّها، ثم خصَّ الفدية بالنفي؛ كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلًا ولو رَغِبتَ إليَّ.



(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٦٠) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ.
(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٨).

*لَن تَنَالُواْ اْلبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩١﴾ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ اَللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ
اُلطَّعَامِ كَانَ حِلّاٗ لِّبَنِيَ إِسْرَآءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ اَلتَّوْرَيٰةُ
قُلْ فَاتُواْ بِالتَّوْرَيٰةِ فَاتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ اِفْتَرَىٰ عَلَى اَللَّهِ اِلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اَللَّهُۖ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاٗۖ وَمَا كَانَ مِنَ
اَلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَذِے بِبَكَّةَ مُبَٰرَكاٗ وَهُديٗ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِناٗۖ وَلِلهِ عَلَى اَلنَّاسِ حَجُّ اُلْبَيْتِ مَنِ اِسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلاٗۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اَللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ اِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ اَلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ اِللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ اَلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اِللَّهِ
مَنَ ـامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاٗ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۖ وَمَا اَللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن
تُطِيعُواْ فَرِيقاٗ مِّنَ اَلذِينَ أُوتُواْ اُلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمُۥ ءَايَٰتُ اُللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۖ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾

﴿٩١﴾ ﴿لَن تَنَالُواْ اُلْبِرَّ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، و[1] لن تنالوا البرَّ الكامل حتىٰ تنفقوا مما تحبونه من أموالكم. ولما نزلت قال أبو طلحة رضي الله عنه: إنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحَىٰ[2]، وإنها صدقة[3]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتصدَّق بالسُّكر؛ ويقول: إني لأُحبُّه[4].

﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ اُلطَّعَامِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل، إلَّا ما حرَّم أبوهُم علىٰ نفسه؛ وهو لحم الإبل ولبنُها. ثم حُرِّمت عليهم أنواعٌ من الأطعمة كالشُّحوم وغيرها؛ عقوبةً لهم علىٰ معاصيهم.

---

(١) في هـ د: «أو».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٥): «هذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون بيْرحاء، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمِّها، والمد فيهما، وبفتحهما والقصر، وهي اسم مالٍ وموضعٍ بالمدينة»، وقال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٩٣): «كأنها فَيْعَلَىٰ، من البَرَاح، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة».

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن المنذر بإسناده في تفسيره (١/ ٢٨٨).

وفيها ردٌّ عليهم في قولهم: إنهم على ملَّة إبراهيم عليه السلام، وإنَّ الأشياء التي هي محرمةٌ عليهم كانت محرمةً على إبراهيم. وفيها دليلٌ على جواز النسخ ووقوعِه؛ لأنَّ الله حرَّم عليهم تلك الأشياءَ بعد حِلِّها، خلافًا لليهود في قولهم: إنَّ النسخ محالٌ على الله. وفيها معجزةٌ للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلُّمٍ من أحدٍ.

وسبب تحريم إسرائيلَ لحومَ الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذَر إن شفاه الله أن يُحرِّم أحبَّ الطعام إليه؛ شكرًا لله وتقرُّبًا إليه. **ويؤخذ من ذلك**: أنه يجوز للأنبياء أن يحرِّموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ تعجيزٌ لليهود، وإقامةُ حجة عليهم. وروي: أنهم لم يَجسُروا على إخراج التوراة.

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي: مَن زعَم بعد هذا البيان أن الشحم وغيرَه كان محرَّمًا على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظَّالم المكابِر بالباطل.

﴿٩٥﴾ ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: الأمرُ كما وَصف، لا كما تَكذِبون أنتم؛ ففيه تعريضٌ بكَذِبهم.

﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلزامٌ لهم أن يُسْلِموا؛ لما ثبت أنَّ ملَّة الإسلام هي ملةُ إبراهيم التي لم يحرَّم فيها شيءٌ مما هو محرَّمٌ عليهم.

﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُنِي في الأرض. وقد سأل أبو ذرٍّ رضي الله عنه النبيَّ ﷺ: أيُّ مسجد بني أولُ[1]؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»[2]. **وقال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: **المعنى**: أنه أول بيت وُضِع مباركًا وهدًى، وقد كانت قبله بيوتٌ[3].

﴿بِبَكَّةَ﴾ **قيل**: هي مكة؛ والباء بدل من الميم. **وقيل**: **مكةُ**: الحرم كلُّه، **وبكَّةُ**: المسجد وما حوله.

---

(١) في د: «أولًا»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٧- ٧٠٨)، والحاكم (٣١٥٤) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

﴿مُبَارَكًا﴾ نَصْبٌ على الحال، والعامل فيه:

على قول عليٍّ: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأنه حالٌ من الضمير الذي فيه. **وعلى القول الأوَّل:** هو حالٌ من الضمير الذي في المجرور، والعاملُ فيه: العامل في المجرور من معنى الاستقرار[1].

﴿٩٧﴾ **﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ آيات البيت[2] كثيرة:**

منها: الحجَر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رَفع القواعد من البيت، فكان كلَّما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغَرِقت قدمُ إبراهيم في الحجر كأنها في طينٍ، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم.

ومنها: أن الطَّيرَ لا تعلُوه.

ومنها: إهلاكُ أصحاب الفيل، وردُّ الجبابرة عنه. ونَبْعُ زمزم لهاجَرَ أمِّ إسماعيل بهمْز جبريل بعَقِبه، وحفْرُ عبد المطلب لها بعد دُثُورِها، وأنَّ ماءها يَنفع لما شُرِب له، إلى غير ذلك.

﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قيل: إنه بدلٌ من الآيات، أو عطف بيان؛ وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقامَ يحتوي على آياتٍ كثيرة؛ لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك. **وقيل: الآيات:** مقامُ إبراهيم، وأَمْنُ مَن دخَله؛ **فعلى هذا:** يكون قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ عطفًا. **وعلى الأول:** استئنافًا. **وقيل:** التقدير: منهنَّ مقامُ إبراهيم؛ فهو على هذا: مبتدأٌ. **والمقام:** هو الحجَر المذكور. **وقيل:** البيت كله. **وقيل:** مكة كلها.

﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: آمنًا من العقاب؛ فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحدٌ جَرِيرةً[3] ثم لجأ إلى البيت لا يُطلَبُ، ولا يُعاقَب. **فأما في الإسلام:** فإنَّ الحرم لا يَمنع من الحدود، ولا من القِصاص.

---

(١) والتقدير: استقرَّ ببكةَ مباركًا. المحرر الوجيز (٢/ ٢٨٩).

(٢) في ب، ج، هـ، د: «البينات».

(٣) في د: «جريمة».

وقال ابن عباس ﷺ[1] **وأبو حنيفة**: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلَّا أنَّ مَن وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطعَم ولا يُباع منه حتىٰ يَخرج[2]. **وقيل**: آمنًا من النار.

﴿حَجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختُلف هل هو علىٰ الفور أو علىٰ التراخي؟ وفي الآية ردٌّ علىٰ اليهود؛ لـمَّا زعموا أنهم علىٰ ملة إبراهيم قيل لهم: إن كنتم صادقين فحُجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ «مَن»: بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ . **وقيل**: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو ﴿حَجُّ﴾ . **وقيل**: شرطٌ مبتدأٌ؛ أي: من استطاع فعليه الحجُّ.

والاستطاعةُ: عند مالك: هي القدرة علىٰ الوصول إلىٰ مكة بصحَّةِ البدن، إمَّا راجلًا وإما راكبًا، مع الزاد المبلِّغ والطريق الآمن. **وقيل**: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب[3]، وروي في ذلك حديث ضعيف[4].

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ **قيل: المعنىٰ**: من لم يحجَّ؛ وعبَّر عنه بالكفر تغليظًا؛ كقوله ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»[5]. **وقيل**: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجُّون. **وقيل**: مَن زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿٩٨﴾ ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخٌ لليهود.

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٥/ ٦٠٣-٦٠٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧١١) من طُرقٍ عن ابن عباس ﷺ.

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٢٢٢).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٤١).

(٤) وهو حديث: قيل: يا رسول ما السبيل -وفي رواية: ما يوجب الحج-؟ قال: «**الزاد والراحلة**»، أخرجه الترمذي -وحسَّنه- (٨١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٦) من حديث ابن عمر ﷺ، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٩٧) من حديث ابن عباس ﷺ، وللحديث طرق أخرىٰ كثيرة أخرجها الدارقطني وغيره، قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٤٢٣): «وطرقها كلها ضعيفة، وقد قال عبد الحق: إن طرقه كلها ضعيفة، وقال أبو بكر ابن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسندًا، والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة».

(٥) لفظ الحديث: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**» أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وابن حبان (١٤٥٤)، والحاكم (١١) وصححه، ووافقه الذهبي، من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي.

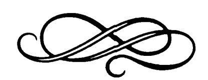
(٩٩) ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخٌ أيضًا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم. و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا: الإسلام.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ الضمير يعود على السبيل؛ أي: تطلبون لها الاعوجاجَ.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حقٌّ.

(١٠٠) ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً﴾ الآيةَ؛ لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج؛ إذ كان اليهود يريدون فتنتَهم.

(١٠١) ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكارٌ واستبعاد.



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ *وَٱعْتَصِمُواْ
بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ
كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ
تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ
ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿١٠٢﴾ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ **قيل**: نسخها: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] . **وقيل**: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمِروا بالتقوىٰ على الكمال فيما استطاعوا؛ تحرُّزًا من الإكراه وشبهه.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا، والحبل هنا: مستعارٌ من الحبل الذي يُشَدُّ عليه اليدُ. **والمراد به هنا**: القرآن، **وقيل**: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ نهيٌ عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس قد همُّوا بالقتال مع الخزرج، لما رام اليهود إيقاعَ الشرِّ بينهم. **ويَحتمل** أن يكون نهيًا عن التفرُّق في أصول الدين، ولا يدخل في النهي: الاختلافُ في الفروع(١).

---

(١) يقصد ابن جزي رحمه الله أن النهي عن الاختلاف والتفرُّق مقتصر على مسائل أصول الدين، أي: مسائل الاعتقاد التي يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط -كما صرَّح به تفسير الآية (٣٢) من سورة يونس-، ولا يدخل في النهي الاختلاف في مسائل فروع الدين، أي: مسائل الفقه التي يُطلب فيها العمل، وهذا التفريق بين أصول الدين وفروعه مُحدثٌ في الإسلام لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا قال به أحد من السلف والأئمة كما حقَّق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإن في مسائل الفروع -بهذا الإطلاق- ما يحرم الاختلاف فيه ويُكفَّر جاحده، مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان، وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش، وفي مسائل أصول الدين -بهذا الإطلاق- ما لا يأثم المتنازعون فيه، كمسألة رؤية النبي ﷺ لربه التي =

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ وحروب عظيمة إلىٰ أن جمعهم الله علىٰ الإسلام.

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي: حَرْفِ حفرةٍ، وذلك تشبيهٌ لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلىٰ النار.

١٠٤ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآيَةَ؛ دليلٌ علىٰ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ. وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ دليلٌ علىٰ أنه فرض كفاية؛ لأن «مِن» للتبعيض. **وقيل:** إنها لبيان الجنس، وأن المعنىٰ: كونوا أمةً. وتغييرُ المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، علىٰ حسَب الأحوال.

١٠٥ ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم اليهود والنصارىٰ، نهىٰ الله المسلمين أن يكونوا مثلهم. ورد في الحديث أنه ﷺ قال: **«افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ ثنتين**[1] **وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلَّا واحدة»** قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: **«مَن كان علىٰ ما أنا وأصحابي عليه»**[2].

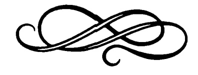
= تنازع فيها الصحابة ﷺ، وعليه؛ فإن الاختلاف المذموم المنهيَّ عنه قد يكون في مسائل الاعتقادات وقد يكون في مسائل العمليَّات، وضابط المسائل التي يحرم الاختلاف فيهما هو ما حقَّقه الشافعي في الرسالة (٥٦٠) إذ يقول: «قال: فما الاختلاف المحرم؟ قلت: كلُّ ما أقام الله به الحجة في كتابه أو علىٰ لسان نبيه منصوصًا بينًا: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه، وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويُدرَك قياسًا، فذهب المتأوِّل أو القايسُ إلىٰ معنىٰ يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره: لم أقل إنه يُضَيَّق عليه ضِيقَ الخلاف في المنصوص». انظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٥/ ٦١-٦٢)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ٨٧) وما بعدها، ومجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٦/ ٥٦، ١٣/ ١٢٥، ١٩/ ٢٠٧-٢٠٨)، وأعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ٢٣٢)، والاعتصام للشاطبي (٣/ ٨٧) وما بعدها، وراجع: الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما، د. سعد الشثري.

(١) في أ، ب، هـ: «اثنين».

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم (٤٤٤) عن عبد الله بن عمرو ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتىٰ إن كان منهم من أتىٰ أُمَّه علانية لكان في أمتي مَن يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»**، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**، قال الترمذي: «هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه»، وروي هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: =

(١٠٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ **العامل فيه**: محذوفٌ. **وقيل**: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ . **والخطاب**: لمن ارتدَّ عن الإسلام. **وقيل**: للخوارج. **وقيل**: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث.



= «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠) -وقال: «حسن صحيح»-، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وابن حبان (٦٢٤٧)، والحاكم (٤٤١) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وقد روي الحديث من وجوه كثيرة، وصحَّح شيخ الإسلام ابن تيمية حديث الافتراق هذا. انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥) وما بعدها، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٣٣) وما بعدها.

كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوَ
ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَّضُرُّوكُمُۥ
إِلَّآ أَذىً وَإِنْ يُّقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا
ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ
ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ
وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ *لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنَ اَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَٓئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمُۥ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا
وَأُوْلَٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَاذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ
رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَاكِنَ اَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا
عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنَ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمُۥ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن
كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنتُمُۥ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُومِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِۦ وَإِذَا
لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمُۥ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن
تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٠﴾ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ﴾ «كان» هنا: هي التي تقتضي الدَّوام، كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ . وقيل: كنتم في علم الله. وقيل: كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدِّمة. وقيل: «كنتم» بمعنىٰ: «أنتم». والخطاب: لجميع المؤمنين. وقيل: للصَّحابة خاصةً.

﴿١١١﴾ ﴿لَن يَّضُرُّوكُمُۥ إِلَّآ أَذىً﴾ أي: بالكلام خاصة، وهو أهون المضرَّة.

﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ إخبارٌ بغيب ظهر في الوجود صِدْقُهُ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ إخبارٌ مستأنَفٌ، غير معطوف علىٰ ﴿يُوَلُّوكُمْ﴾ ، وفائدة ذلك: أنَّ توليتَهم

الأدبارَ مقيَّدةٌ بوقت القتال، وعدمَ النصر على الإطلاق. وعُطِفت الجملة على جملة الشرط والجزاء. و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأَحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من توليتِهم الأدبارَ حين القتال.

﴿١١٢﴾ ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو هنا: العهد والذمة.

﴿١١٣﴾ ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ أي: ليس أهلُ الكتاب مستوِينَ[1] في دينهم.

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي: قائمةٌ بالحقِّ، وذلك فيمن أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلَام، وثعلبة بن سعيةَ وأخيه أسد[2] وغيرهم.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتَهم للكتاب في الصلاة.

﴿١١٥﴾ ﴿فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ أي: لا تُحرَمون ثوابَه.

﴿١١٧﴾ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تشبيهٌ لنفقة الكفَّار بزرعٍ أهلكته ريحٌ باردة، فلم ينتفعْ به أصحابُه، فكذلك لا ينتفعُ الكفار بما ينفقون. وفي الكلام حذف تقديره: مثَل ما ينفقون كمثل مُهلَكِ ريحٍ، أو: مثل إهلاكِ ما ينفقون كمثل إهلاك ريحٍ. وإنما احتيج لهذا؛ لأنَّ ما ينفقون ليس شبيهًا بالريح، إنما هو شبيهٌ بالزرع الذي أهلكته الريح.

﴿صِرٌّ﴾ أي: بَرْدٌ.

﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: عصَوْا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الضمير: للكفار والمنفقين[3]، أو لأصحاب الحرث، والأوَّل أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلُ حالٍ، فدلَّ[4] على أنه للحاضرين.

﴿١١٨﴾ ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياءَ من غيركم؛ فالمعنى: نهيٌ عن استخلاص الكفار وموالاتهم. وقيل لعمر ﷺ: إن هنا رجلًا من النصارى لا أحدَ أحسنُ خطًّا منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذَن أَتَّخذُ بطانةً من دون المؤمنين[5].

---

(١) في أ: «مستويين».

(٢) وقيل في اسمه: أَسِيد -بالفتح-. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ط. دار الجيل (١/ ٩٦)؛ والإصابة لابن حجر، ط. دار هجر (١/ ١٠٨).

(٣) كذا في د، وفي بقية النسخ: "والمنافقين"، والمثبت موافق لما في الكشاف (٤/ ٢٣١)، وهو الأليق بالسياق.

(٤) في ب: «يدلُّ».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٢٨٩).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يُقصِّرون في فسادكم، والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنَّوا مضرَّتكم، و«ما» مصدرية. **وهذه الجملة والتي قبلها**: صفةٌ للبطانة، أو استئنافٌ.

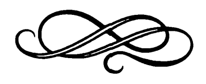
﴿١١٩﴾ ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بكلِّ كتابٍ أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقرآنكم.

﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ عبارةٌ عن شدَّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه. و﴿الْأَنَامِلَ﴾: جمع أَنملة بضم الميم وفتحها.

﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريعٌ وإغاظة، **وقيل**: دعاء.

﴿١٢٠﴾ ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ **الحسنة هنا**: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، **والسيئة**: ضدها.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من الضَّيْر؛ بمعنى الضُّرِّ.



*وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُومِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت
طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُومِنِينَ أَلَن
يَّكْفِيَكُمْ أَن يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِن تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا وَيَاتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ
لَكَ مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ اَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

﴿١٢١﴾ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ اَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد[1]، وكان غُدوُّ رسول الله ﷺ للقتال صبيحةَ يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّئُ الْمُومِنِينَ﴾ تُنزِلهم، وذلك يوم السبت حين حضَر القتال. **وقيل**: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، **وذلك ضعيف**؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلَّا على المجاز. **وقيل**: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، **وذلك ضعيف**؛ لأنه لم يبوِّئْ حينئذٍ مقاعدَ للقتال؛ إلَّا أن يراد أنه بوَّأهم بالتَّدبير حين المشاورة.

﴿مَقَاعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مَقعَدٍ.

﴿١٢٢﴾ ﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما: بنو حارثةَ مِن الأوس، وبنو سَلِمةَ مِن الخزرج، لـمَّا رأَوا كثرة المشركين وقلَّة المسلمين همُّوا بالانصراف؛ فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ.

﴿أَن تَفْشَلَا﴾ **الفشَل في البدن**: هو الإعياء، **والفشل في الرأي**: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ثَبَّتَهما.

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال جابر بن عبد الله ﵄: ما وددنا أنها لم تنزلْ؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[١].

(١٢٣) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكيرٌ بنصر الله لهم يوم بدر؛ لتقوىٰ قلوبُهم.

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذِّلةُ: هي قلة عَددهم وضعف عُددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشر رجلًا، ولم يكن لهم إلَّا فرسٌ واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئةُ فرسٍ، فقُتل من المشركين سبعون، وأُسر منهم سبعون، وانهزم سائرُهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلِّقٌ: بـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ ، أو بـ﴿فَاتَّقُوا﴾، والأوَّل أظهر.

(١٢٤) ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القولُ: يوم بدر. وقيل: يوم أحد. فالعامل في «إذ» علىٰ الأول: محذوف، وعلىٰ الثاني: هي بدلٌ من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقريرٌ، جوابُه: ﴿بَلَىٰ﴾. وإنما جاوب المتكلِّمُ؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾[الرعد: ١٧].

(١٢٥) ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفَوْر: السُّرعة[٢]. أي: من ساعتهم، وقيل: المعنىٰ: من سفرهم هذا.

﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم[٣]؛ ليزيدَ ذلك في قوَّتكم[٤]. فإن كان هذا يومَ بدر: فقد قاتلتْ فيه الملائكة. وإن كان يومَ أحد: فقد شَرط قولَه: ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، فلما خالفوا الشَّرطَ لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوَّمِينَ﴾ -بفتح الواو وكسرها[٥]- أي: مُعْلَمين، أو مُعْلِمين أنفسَهم أو خيلَهم. وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاء، إلَّا جبريل فإنه كانت عِمامتُه صفراءَ. وقيل: كانوا بعمائمَ صفرٍ، وكانت خيلهم مجزوزةَ الأذناب. وقيل: كانوا علىٰ خيل بُلْقٍ.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).
(٢) في هـ ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/ ٢٥٢).
(٣) في ج، د: «يكفيهم».
(٤) في هـ د: «قوتهم».
(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

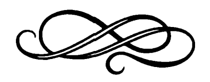
﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على: الإنزال و[١]الإمداد.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر. **وقيل**: يتعلَّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿١٢٧﴾ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أو بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾.

﴿١٢٨﴾ ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملةُ اعتراضٍ بين المعطوفَين. ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياءَ من العرب، فترك الدعاء عليهم[٢].

﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يُسلِمون.



(١) في أ: «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ *سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي
ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ
فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ
مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ
كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٣٠﴾ ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كلما حلَّ، عامًا بعد عام.

﴿١٣٣﴾ ﴿سَارِعُوٓاْ﴾ بغير واو: استئنافٌ، وبالواو: عطف على ما تقدَّم(١).

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقُّون بها المغفرةَ.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابنُ عباس رضي الله عنهما: تُقْرَنُ السماوات والأرض بعضُها إلى بعض كما تُبسَط الثياب، فذلك عَرْض الجنة، ولا يعلم طولَها إلَّا الله(٢). وقيل: ليس العرضُ هنا خلافَ الطول، وإنما المعنى: سعتُها كسعة السماوات والأرض.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقون بالواو.

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٥٣) عن السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦١)، وسعيد ابن منصور في سننه (٥/ ٦١) عن كريب قال: أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية: ﴿جنة عرضها السماوات والأرض﴾ قال: فأخرج أسفار موسى، فجعل ينظر قال: تُلفَّق كما يلفق الثوب، وأما طولها فلا يَقدُر قَدْرَه إلا الله.

(١٣٤) ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في العسر واليسر.

(١٣٥) ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

(١٣٧) ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيسًا لهم، وقيل: للكفَّار؛ تخويفًا لهم.

﴿فَانظُرُواْ﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر.

(١٣٩) ﴿وَلاَ تَهِنُواْ﴾ تقويةٌ لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنتُمُ ٱلاَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلُوِّ كلمة الإسلام.

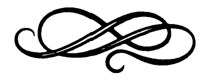
(١٤٠) ﴿إِن يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أُحُد فقد مسَّ الكفارَ مثلُه في بدر. وقيل: قد مسَّ الكفار يومَ أحد مثلُ ما مسكم فيه؛ فإنهم نالُوا منكم ونِلتم منهم. وذلك تسلية[1] للمؤمنين بالتأسِّي. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسليةٌ أيضًا عما جرىٰ يوم أحد.

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصابَ يوم أحد؛ لِيَعلمَ. والمعنىٰ: ليعلمَ ذلك علمًا ظاهرًا لكم تقوم به الحجة. ﴿شُهَدَآءَ﴾ مَن قُتل مِن المسلمين يوم أحد.

(١٤١) ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: يُطهِّر، وقيل: يُميِّز. وهو معطوف علىٰ ما تقدَّم من التعليلات لقصة أحد. والمعنىٰ: أن إِدالة الكفارِ علىٰ المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأنَّ نصْرَ المؤمنين علىٰ الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يُهلِكَهم.

(١٤٢) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، مقدَّرة بـ«بل» والهمزة عند سيبويه. وهذه الآيةُ وما بعدها معاتبةٌ لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياءُ يوم أحد.

(١٤٣) ﴿تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ خوطب به قومٌ فاتتهم غزوة بدر، فتمنَّوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ؛ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلىٰ هذا: إنما تمنَّوا الجهاد، وهو سبب الموت. وقيل: تمنَّوا الشهادة في سبيل الله.



(١) في د: «تأنيس».

*﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اَللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِے اِللَّهُ اُلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اِللَّهِ كِتَٰباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُّرِدْ ثَوَابَ اَلدُّنْيا نُوتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُّرِدْ ثَوَابَ اَلْأخِرَةِ نُوتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِے اِلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِےٓءٍ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِے سَبِيلِ اِللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اَسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ اُلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمُۥٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِے أَمْرِنَا وَثَبِّتَ اَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى اَلْقَوْمِ اِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتِيٰهُمُ اُللَّهُ ثَوَابَ اَلدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوَابِ اِلْأخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ اُلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿١٤٤﴾ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ﴾ **المعنىٰ**: أن محمدًا ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلَّغ الرسالة كما بلَّغوا، فيجب عليكم التمسُّك بدينه في حياته وبعد موته. **وسببها**: أنه صرَخ صارخٌ يوم أحد: إنَّ محمدًا قد مات، فتزلزل بعض الناس(١).

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ علىٰ جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لتربطَ الجملةَ الشرطية بالجملة التي قبلها. **والمعنىٰ**: أنَّ موت رسول الله ﷺ أو قتْله لا يقتضي انقلابَ أصحابه علىٰ أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقرَّرت، وبراهينه قد صحَّت، فعاتبهم علىٰ تقدير أنْ لو صدَر منهم انقلابٌ لو مات ﷺ، أو قُتِل، وقد عَلم أنه لا يُقتَل؛ ولكنه(٢) ذكَر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿اُلشَّٰكِرِينَ﴾ **قال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: الثابتون علىٰ دينهم(٣).

﴿١٤٥﴾ ﴿كِتَٰباً مُّؤَجَّلاً﴾ نَصْبٌ علىٰ المصدر؛ لأنَّ المعنىٰ: كُتِب الموتُ كتابًا. **وقال ابن عطية**: نصبٌ علىٰ التمييز(٤).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٥) عن كعب بن مالك رضي الله عنه، والطبري (٦/ ١٠٣) عن مجاهد والضحاك.
(٢) في ب، ج، هـ: «ولكن»
(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٩٧-٩٨).
(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٤).

﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۖ﴾ في ثواب الدنيا مقيَّدٌ بالمشيئة؛ بدليل قوله: ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

(١٤٦) ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قُتِلَ﴾ **الفعل مسندٌ إلىٰ ضمير النبيِّ**، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ علىٰ هذا في موضع الحال. **وقيل**: إنه مسند إلى الرِّبِّيين، فيكون[1] ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علىٰ هذا مفعولًا لما لم يُسمَّ فاعلُه. **فعلى الأوَّل**: يوقف علىٰ قوله: ﴿قُتِلَ﴾ . **ويترجَّح الأوَّل**: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدًا قد قُتل، فضرب لهم المثل بنبيٍّ قُتل. **ويترجح الثاني**: بأنه لم يُقتَل قطُّ نبيٌّ في محارَبة.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء؛ مثل ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ . **وقيل**: جموعٌ كثيرة.

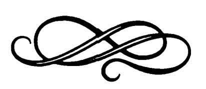
﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ الضمير لـ ﴿رِبِّيُّونَ﴾ ؛ علىٰ إسناد القتل للنبي، وهو لمن بقي منهم؛ علىٰ إسناد القتل إليهم.

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾ أي: لم يذِلُّوا للكفَّار. **قال بعض النحاة**: استكانَ مشتقٌّ من السُّكون، ووزنه افتَعَلُوا؛ مُطِلتْ[2] فتحةُ الكاف فحدَث عن مَطْلِها ألفٌ، وذلك كالإشباع. **وقيل**: أنه مِن: كان يكون، فوزنه استفعلوا[3]. وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

(١٤٧) ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أي: في الحرب.

(١٤٨) ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ الجنة.



---

(١) في أ، د: «ويكون».

(٢) المطْل: المدُّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨١): «أصله: استكْوَنوا، نُقلت حركة الواو إلى الكاف، وقُلبت ألفًا.. والمعنىٰ: إنَّهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبًا من ذلك».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ
أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ
صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ *إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا
تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ
مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً
نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا
لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ
لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ
إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

﴿١٤٩﴾ ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضيَّة[1] أحد ما قالوا. **وقيل:** مشركو قريش، **وقيل:** اليهود.

﴿١٥١﴾ ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ **قيل:** ألقىٰ الله الرعبَ في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلىٰ مكة من غير سبب. **وقيل:** لما كانوا ببعض الطريق همُّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقىٰ الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا. والآية بعدُ تتناول جميع الكفَّار؛ لقوله ﷺ: **«نُصِرتُ بالرُّعب»**[2].

---

(١) في د: «قصة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر ﷺ، وأخرجاه أيضا -البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣)- من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿١٥٢﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أوَّلًا، وانهزم المشركون وقُتِل منهم اثنان وعشرون رجلًا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرُّماة أن يَثبتوا في مكانهم ولا يَبرَحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طَمِعوا في الغنيمة وأَتبَعُوهم، وخالفوا ما أُمِروا به من الثُّبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة علىٰ المسلمين.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلًا ذريعًا؛ يعني: في أوَّل الأمر.

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضُهم كما أُمِروا، ولم يثبت بعضهم.

﴿وَعَصَيْتُم﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت. وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالفُ بعضَهم؛ وعْظًا للجميع، وسترًا علىٰ مَن فعل ذلك. وجواب ﴿إِذَا﴾: محذوفٌ؛ تقديره: انهزمتم.

﴿مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الذين حرَصوا علىٰ الغنيمة.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: ليَنزِل بكم ما نزل من القتل والتَّمحيص.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلامٌ بأن الذنب كان يستحقُّ أكثرَ مما نزل بهم؛ لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقىٰ عليكم. وقيل: هو عفوٌ عن الذنب .

﴿١٥٣﴾ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في «إذ»: ﴿عَفَا﴾ ؛ فيُوصَل ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مع ما قبله. ويَحتمل أن يكون العامل فيه مضمرًا.

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ مبالغةٌ في صفة الانهزام.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول[1]: «إليَّ عبادَ الله»، وهم يفرون[2].

﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ في ساقَتِكم. وفيه مدحٌ للنبي ﷺ؛ فإنَّ الآخِر هو موقفُ الأَبطال[3].

(١) في د: «ينادي».
(٢) أخرجه الطبري (٦/ ١٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) في هـ ج: «فإن الآخر موقوف علىٰ الأبطال».

﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾ أي: جازاكم.

﴿غَمَّاۢ بِغَمٍّ﴾ **قيل**: أثابكم غمًّا بسبب الغمِّ الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم. **وقيل**: أثابكم غمًّا متَّصلًا بغمٍّ؛ وأحد الغمَّين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرجف به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النَّصر والغنيمة.

﴿مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

(١٥٤) ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: نعَسنا يوم أحد، والنُّعاس في الحرب أمنٌ من الله(١).

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غَشِيهم النعاس؛ تأمينًا لهم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: يظنُّون أن الإسلام ليس بحقٍّ، وأن الله لا ينصره.

و﴿ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ بدلٌ؛ وهو على حذف موصوفٍ، تقديره: ظنَّ المدَّةِ الجاهلية، أو الفِرقة الجاهلية.

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سلول، **والمعنى**: ليس لنا رأيٌ، ولا يُسمَع قولنا، أو: لسنا على شيءٍ من الأمر الحقِّ؛ فيكون قولهم هذا كفرًا.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ **يحتمل أن يريد الأقوالَ التي قالوها، أو الكفرَ.**

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ قاله مُعَتِّبُ بن قُشَيرٍ، ويَحتمل من المعنى ما احتَمل قولُ عبد الله بن أبيٍّ.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٥٤) بلفظ: «النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الآية؛ ردٌّ عليهم، وإعلامٌ بأنَّ أجَل كلِّ إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يُقتَل يموتُ لأجَلِه، ولا يؤخَّر، وأنَّ مَن كُتب عليه القتل لا ينجيه منه شيءٌ.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يتعلَّق بفعلٍ، تقديره: ليبتليَ فعَل بكم ذلك.

(١٥٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ﴾ الآية؛ نزلت فيمن فرَّ يومَ أحد[1].

﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: طلب منهم أن يَزِلُّوا. ويَحتمل أن يكون معناه: أزلَّهم؛ أي: أوقعهم في الزَّلَل.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: كانت لهم ذنوبٌ عاقبهم الله عليها؛ بأن مكَّن الشيطانَ[2] من استزلالهم.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفِرار.



(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٧٢) عن عمر ﷺ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٩٠) عن شقيق بن سلمة عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٦٠).

(٢) في ج: «مكنهم الشيطان».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ *إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿١٥٦﴾ ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هم(١) إخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يُقتَل من المهاجرين إلَّا أربعة.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا. وإنما قال: «إذا» التي للاستقبال مع ﴿قَالُواْ﴾؛ لأنه

(١) في هـ ج: «هي».

علىٰ حكاية الحال الماضية[1].

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غازٍ، ووزنه فُعَّل -بضم الفاء وتشديد العين-.

﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقادٌ منهم فاسد؛ لأنَّهم ظنُّوا أن إخوانَهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتَلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدَر والأجل المحتوم. ويَقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين[2].

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرةً في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرةَ؛ لأن الذي يتيقَّنُ بالقدَر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ علىٰ قولهم واعتقادهم.

(١٥٧) ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن مغفرة الله ورحمتَه لهم إذا قُتِلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

(١٥٨) ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلىٰ الله.

(١٥٩) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدةٌ للتأكيد.

﴿لَانفَضُّواْ﴾ أي: تفرَّقوا.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصُّ بك.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحقِّ الله.

﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعًا، وإنما يشاوِر النبي ﷺ الناسَ في الرأي؛ في الحروب

(١) فيُجرَّد عن معنىٰ الاستقبال، ويكون لمطلق الوقت بمعنىٰ «حين»، كأنه قال: حين يضربون في الأرض. الكشاف (٤/ ٣١٦)، والبحر المحيط (٦/ ٣٤٢).

(٢) [التعليق ٤١] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: ذكَرُوا أنَّ المعتزِلةَ يقولون: المقتولُ مقطوعٌ عليه أجَلُهُ الذي قُدِّرَ له، أو إنَّ له أجلَيْنِ:
أحدُهما: ما حصَلَ بسببِ القتل.
والآخر: هو الذي لو عاشَ لَبَلَغَه، وسيأتي لهذا مزيدُ تفصيلٍ عند التَّعليقين (٦٤)، و(٩١).

وغيرها، لا في أحكام الشريعة[1]. وقرأ ابن عباس ﷺ: «وشاوِرهم في بعض الأمر»[2].

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ التوكُّل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرَّات، أو رفعها بعد وقوعها.

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين: أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾. والآخر: الضَّمان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. وقد يكون واجبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، فجعله شرطًا في الإيمان، ولِظاهرِ قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾؛ فإن الأمر محمولٌ على الوجوب.

واعلمْ أن الناس في التوكُّل على ثلاث مراتب: الأولى: أن يعتمد العبد على ربِّه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عندَه الذي لا يشُكُّ في نصيحته له، وقيامه بمصالحه. والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمِّه؛ فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلَّا إليها. والثالثة: أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

(فصاحب الدرجة الأولى: عنده حظٌّ من النظر لنفسه، بخلاف صاحبِ الثانية. وصاحبُ الثانية: له حظٌّ من المراد والاختيار، بخلاف صاحب الثالثة)[3][4]. وهذه

---

(١) في هـ ج: «الأحكام الشرعية».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٣/ ١١٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٧)، وحسَّن إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٠).

(٣) ما بين القوسين سقط في هـ ج.

(٤) [التعليق ٤٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه: «واعلَمْ: أنَّ الناسَ في التوكُّلِ على ثلاثِ مَراتِبَ ...»، إلخ:
أقولُ: التوكُّلُ مِن أعمال القلوب، وهو مِن تحقيقِ توحيدِ الربوبيَّة، ومِن مقاماتِ العبوديَّةِ القلبيَّة، وجَعْلُهُ ثلاثَ درجاتٍ طريقةُ الصوفيَّة، والحقُّ: أنَّه درجتان:
الأولى: توكُّلُ المقتصِدين.
والثانية: توكُّلُ المقرَّبين.
وهذا يوافِقُ معنى ما ذكَرَهُ المؤلِّفُ في الدرجة الأولى والثانية؛ فإنه لا إشكالَ فيهما.
وأمَّا الدرجةُ الثالثةُ، فهي مِن بِدَعِ الصوفيَّةِ التي خالَفُوا فيها الحسَّ والعقلَ والشرعَ؛ فكونُ الإنسانِ يصلُ إلى حالةٍ يكونُ فيها كالمَيِّتِ بين يَدَيِ الغاسلِ، بحيثُ لا تكونُ له إرادةٌ في جلبٍ ولا دفعٍ -: حالةٌ ممتنِعةٌ حسًّا وعقلًا، وغيرُ مطلوبةٍ شرعًا.
=

الدَّرجات مبنيَّةٌ علىٰ التوحيد الخاصِّ الذي تكلَّمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢]، فهي تقْوَىٰ بقوَّته، وتَضعف بضَعْفه. فإن قيل: هل يُشترطُ في التوكل تركُ الأسباب أم لا؟

فالجواب: أنَّ الأسباب علىٰ ثلاثة أقسام: أحدها: سببٌ معلومٌ قطعًا، قد أجراه الله تعالىٰ، فهذا لا يجوز تركه، كالأكل لدفع الجوع، واللِّباس لدفع البرد. والثاني: سبب مظنونٌ، كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدحُ فعلُه في التوكل؛ فإن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي علىٰ ذلك. والثالث: سبب موهومٌ بعيد، فهذا يقدحُ فعلُه في التوكل.

ثم إنَّ فوقَ التوكل التفويضَ؛ وهو الاستسلام لأمر الله تعالىٰ بالكلية، فإن المتوكل له مرادٌ واختيار، وهو يطلب مرادَه باعتماده علىٰ ربه، وأما المفوِّض فليس له مرادٌ ولا اختيار، بل أَسند الاختيارَ إلىٰ الله تعالىٰ، فهو أكملُ أدبًا مع الله تعالىٰ.

(١٦١) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ هو من الغُلول، وهو أخذ الشيءِ في خفْيةٍ من المغانم وغيرها. وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئةٌ للنبي ﷺ من الغلول. وسببها: أنه فُقِدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخَذها(١).

وقرئ بضم الياء وفتح الغين(٢)، أي: ليس لأحد أن يَغُلَّ نبيًّا؛ أي: يخونَه في المغانم، وخصَّ النبي بالذِّكر وإن كان ذلك محظورًا مع الأمراء؛ لشُنْعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصيَ تَعظُم بحضْرته. وقيل: معنىٰ هذه القراءة: أن يوجد غالًّا، كما تقول: أَحمدتُ

= قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ؛ تعليقًا علىٰ هذا القولِ المنسوبِ لبعضِ الصوفيَّة: «إنَّ العارِفَ يصيرُ كالميِّتِ بينَ يَدَيِ الغاسِلِ»؛ أي: في استسلامِهِ للقَدَرِ، قال الشيخ: «فهذا إنما يُمدَحُ منه سقوطُ إرادتِهِ التي لم يُؤمَرْ بها، وعدَمُ حظِّه الذي لم يُؤمَرْ بطَلَبِه، وأنه كالميِّتِ في طلَبِ ما لم يُؤمَرْ بطلَبِه، وتركِ دَفْعِ ما لم يُؤمَرْ بدَفْعِه.
ومَنْ أراد بذلك: أنه تبطُلُ إرادتُهُ بالكليَّةِ، وأنه لا يُحِسُّ باللَّذَّةِ والألَم، والنافعِ والضارِّ -: فهذا مخالِفٌ لضرورةِ الحسِّ والعقل، ومَن مدَحَ هذا، فهو مخالِفٌ لضرورةِ الدِّينِ والعقل». اهـ. مِن «العقيدة التدمريَّة».

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٩٤)، وأبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩) عن مِقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسَّنه الترمذي.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين.

الرجلَ؛ إذا أصبتَه محمودًا، فعلىٰ هذا القول يرجع معنىٰ هذه القراءة إلىٰ معنىٰ فتح الياء.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيدٌ لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة علىٰ رقبته الشيءَ الذي غلَّ. وقد جاء ذلك مفسَّرًا في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا أُلفِينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير، لا ألفين أحدكم علىٰ رقبته فرس، لا ألفين أحدكم علىٰ رقبته رِقاع، لا ألفين أحدكم علىٰ رقبته صامت[1]، لا ألفين أحدكم علىٰ رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلَّغتُك»[2].

(١٦٢) ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾ الآيةَ؛ قيل: إن الذي اتَّبع رضوان الله: من لم يَغلَّ، والذي باء بالسُّخْط: من غلَّ. وقيل: الذي اتبع الرضوان: من استُشهِد بأحد، والذي باء بالسخط: المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

(١٦٣) ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذوو درجات، والمعنىٰ: تفاوتُ ما بين منازل أهل الرِّضوان وأهل السُّخْط. أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضَهم فوقَ بعض، وكذلك[3] درجات أهل السُّخْط.

(١٦٤) ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ بفضل الله علىٰ المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ.

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم: يوجِب الأُنسَ به، وقلَّةَ الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم: يُوجِب حسنَ الفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسَبَه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفقَ عليهم وأرحم بهم من الأَجنبيين.

(١٦٥) ﴿أَوَلَمَّا أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآيةَ؛ عتابٌ للمسلمين علىٰ كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد. ودخلت ألف التوبيخ علىٰ واو العطف. والجملة معطوفة علىٰ ما تقدَّم من قصة أحد، أو علىٰ محذوف[4].

---

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/ ٢٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) في ب، ج، هـ: «فكذلك».

(٤) كأنه قال: أفعلتم كذا، وقلتم حينئذٍ كذا؟ الكشاف (٤/ ٣٣٣).

﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون، وكان قد قُتِل من المشركين يوم بدر سبعون، وأُسِر سبعون.

﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ **قيل:** معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة؛ لمخالفتهم رسولَ الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يَخرجَ إلىٰ المشركين، فأبَوا إلَّا الخروج. **وقيل:** بل ذلك إشارةٌ إلىٰ عصيان الرماة حسَبما تقدَّم.

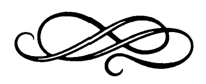
﴿١٦٦﴾ ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: جَمْعُ المسلمين والمشركين يوم أحد.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ الآيةَ؛ كان رأيُ عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول أن لا يخرج المسلمون إلىٰ المشركين، فلما طلَب الخروجَ قومٌ من المسلمين فخرج رسول الله ﷺ غضب عبد الله، وقال: أطاعهم وعصاني! فرجع ورجع معه نحو ثلاث مئة رجلٍ، فمشىٰ في أثَرهم عبد الله بن عَمرِو بن حرامٍ الأنصاري رضي الله عنه، فقال لهم: ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا! فقال له عبد الله بن أبي: ما أرىٰ أن يكون قتالٌ، ولو علمنا أنه يكون قتال لكنَّا معكم[1].

﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ أي: كثِّروا السَّواد وإن لم تقاتلوا.

﴿١٦٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾. و ﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: في النَّسب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج.

﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ﴾ أي: ادفعوا، والمعنىٰ: ردٌّ عليهم.



(١) أخرجه الطبري (٦/ ٢٢٢) عن ابن إسحاق عن ابن شهاب وغيره من أهل العلم.

وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاًۢ بَلَ اَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ
ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمُۥٓ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ *يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُومِنِينَ
﴿١٧١﴾ ٱلذِينَ اَسْتَجَابُواْ لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ اَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ اَلذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمُۥٓ إِيمَٰناً وَقَالُواْ
حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُواْ
رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ اِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يُحْزِنكَ ٱلذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَّضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيْـٔاً يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي ٱلَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ اِنَّ ٱلذِينَ اَشْتَرَوُاْ
ٱلْكُفْرَ بِالِايمَٰنِ لَن يَّضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـٔاً وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا
نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمُۥٓ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَذَرَ ٱلْمُومِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَّشَآءُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن
تُومِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿١٦٩﴾ ﴿بَلَ اَحْيَآءٌ﴾ إعلامٌ بأن حالَ الشهداء حالُ الأحياء؛ من التمتُّع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتَّعون بالأرزاق حتىٰ يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ **المعنىٰ**: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقُوا في الدنيا من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يُستَشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من السَّعادة.

﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ٱلذِينَ﴾(١).

---

(١) فيكون بدل اشتمال، والمعنىٰ: ويستبشرون بما تبيَّن لهم من حال من تَركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم يُبعثون آمنين يومَ القيامة. المحرر الوجيز (٢/ ٤٢١)، والكشاف (٤/ ٣٤٤-٣٤٥).

(١٧١) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كُرِّر ليُذكَر ما تعلَّق به من النعمة والفضل.

(١٧٢) ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صفةٌ لـ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو مبتدأ وخبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ الآيةَ. ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتِّباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلىٰ حمراءِ الأسد، وهي علىٰ ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدُ، فتجلَّدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك[1].

(١٧٣) ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآيةَ؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ حمراء الأسد بعد أحد، بلغ ذلك أبا سفيان، فمرَّ عليه ركْبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالـمِيرة، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زبيب علىٰ أن يثبِّطوا المسلمين عن اتِّباع المشركين، فخوَّفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا[2].

فـ﴿النَّاسُ﴾ الأول: ركْب عبد القيس، و﴿النَّاسَ﴾ الثاني: مشركو قريش. وقيل: نادىٰ أبو سفيان يوم أحد: موعدنا بدرٌ في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العامُ القابل خرج رسول الله ﷺ إلىٰ بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نُعيمَ بن مسعود الأشجعيَّ ليثبِّط المسلمين[3].

فعلىٰ هذا: ﴿النَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبتَ فرسًا.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير الـمَقُول، وهو: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ . والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوَّىٰ يقينَهم وثقتَهم بالله.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨١٦)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٠١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١٦٣٢)، وصحح إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٢٤٦-٢٤٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٨)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٩٧-٥٠٠) عن ابن إسحاق.

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٢٥٠)، وابن المنذر (٢/ ٥٠٢) عن مجاهد، ولم يذكر فيه إرسال نعيم بن مسعود ليثبط المسلمين، لكن قال الطبري (٣/ ٥٣٢): «وهو [أي: الناس المذكور في الآية] فيما تظاهرت به الرواية من أهل السِّيَر نعيم بن مسعود الأشجعي».

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمةٌ يُدفَع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقِي في النار[1]. ومعنىٰ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيرَه. ومعنىٰ: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ثناءٌ علىٰ الله، وأنه خير مَن يَتوكَّل العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿١٧٤﴾ ﴿فَانقَلَبُواْ﴾ أي: رجعوا بنعمة السَّلامة وفضل الأجر.

﴿وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ.

﴿١٧٥﴾ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ **المراد به هنا**: أبو سفيان، أو نعيمٌ الذي أرسله أبو سفيان، أو إبليس. و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ خبره، وما بعده استئنافٌ. أو: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ نعتٌ، وما بعده خبر.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفُكم أيها المؤمنون أولياءَه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قولُه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءةُ ابن عباس وابن مسعود ﷺ: «يخوفكم أولياءَه»[2]. **وقيل**: المعنىٰ: يخوِّفُ المنافقين -وهم أولياؤُه- مِن كفار قريش، فالمفعول الثاني علىٰ هذا محذوف.

﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ. وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعًا[3]، مِن: «حَزَنَ» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة مِن «أَحزن».

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلىٰ أقواله وأفعاله، وهم: المنافقون، أو الكفار.

﴿١٧٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ﴾ الآيةَ؛ هم: المذكورون قبل، أو علىٰ العموم في جميع الكفار.

﴿١٧٨﴾ ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نُمهِلهم. و«أنَّ» مفعول بـ﴿يَحْسِبَنَّ﴾، و«ما» اسم «أنَّ»؛ فحقُّها أن تكتب منفصلةً، و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر.

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافَّة، والمعنىٰ: ردٌّ عليهم؛ أي: أن الإملاءَ لهم ليس خيرًا لهم، إنما هو استدراجٌ؛ ليكتسبوا الآثام.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) قراءة ابن عباس أخرجها ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٠)، وابن أبي داود في المصاحف (١٩١)، وقراءة ابن مسعود هذه ذكرها الثعلبي في تفسيره (٩/ ٤٧١-٤٧٢)، ولم أقف علىٰ إسناد لها.

(٣) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي.

﴿١٧٩﴾ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيةَ؛ خطاب للمؤمنين، **والمعنىٰ**: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلِطين بالمنافقين، ولكنه ميَّز هؤلاء من هؤلاء؛ بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال، التي تدلُّ علىٰ الإيمان أو علىٰ النفاق.

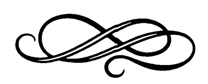
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُطلِعَكم علىٰ ما في القلوب من الإيمان والنفاق، أو ما كان الله ليطلعكم علىٰ أنكم تَغلبون أو تُغلبون.

﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ﴾ أي: يختار مَن شاء مِن رسله، فيطلعه علىٰ ما شاء من غَيبه.

﴿١٨٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاةَ وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرًا﴾: ﴿هُوَ﴾ فصْلٌ، و﴿خَيْرًا﴾ مفعول ثان، والأول محذوف؛ تقديره: لا يَحسبَنَّ[1] البخلَ خيرًا لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يُلزَمون إثمَ ما بخلوا به. وقيل: يُجعَلُ ما بَخِل به حيَّةً يُطوَّقُها في عنقه يوم القيامة.



(١) في أ، د: «تحسبنَّ».

*لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ *لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

﴿١٨١﴾ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال بعض اليهود -وهو فِنْحَاصُ، أو حُيي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يَستقرِضُ الفقيرُ من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية[1]، وكان ذلك القول منهم اعتراضًا على القرآن، أوجبه قلَّةُ فهمهم، أو تحريفُهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقادٍ فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي: قتْلَ آبائِهم للأنبياء، وأُسنِد إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتَّبعون لمن فعَله من آبائهم.

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿١٨٣﴾ ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفةٌ لـ﴿الَّذِينَ﴾، وليس صفةَ ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قَبولَ الله لصدقةٍ أو غيرها جعلوه في مكان، فتنزل نارٌ من السماء فتحرِقُه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامةً على صدق الرُّسل.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقُربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذَّبوهم وقتَلوهم، فذلك يدلُّ على أن كفرَهم عنادٌ، وأنهم كذَبوا في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾.

﴿١٨٤﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ بالتأسِّي بغيره.

﴿١٨٥﴾ ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: نُحِّي[1] وأُبعد.

﴿١٨٦﴾ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآيةَ؛ سببها: قولُ اليهود: «إن الله فقير»، وسبُّهم للنبي ﷺ وللمسلمين[2].

﴿١٨٧﴾ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ابنُ عباس ﵄: هي في اليهود؛ أُخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه[3]. وقيل: هي عامَّةٌ في كل من علَّمه الله علمًا.

﴿١٨٨﴾ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ الآيةَ؛ ابنُ عباس ﵄: نزلت في أهل الكتاب؛ سألهم النبي ﷺ عن شيءٍ فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أرَوه أن قد أخبرُوه بما سألهم عنه، واستَحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أَتوا من كِتْمانهم إياه ما سألهم عنه[4].

(١) في ج، د: «نجا».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) عن كعب بن مالك ﵁، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٤) عن عكرمة عن ابن عباس ﵄.

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٢٩٤) عن عكرمة عن ابن عباس ﵄، وأخرجه أيضا هو وابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ﵄.

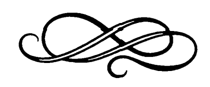
(٤) أخرجه البخاري (٤٥٦٨) ومسلم (٢٧٧٨).

وقال **أبو سعيد الخدري** ﷺ: نزلت في المنافقين؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلىٰ الغزو تخلَّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قَدِم النبي ﷺ اعتذروا إليه، وأحبُّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا[1].

﴿فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم﴾ **بالتاء وفتح الباء**[2]: خطاب للنبي ﷺ. **وبالياء وضم الباء**: أسند الفعل لـ ﴿ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ﴾؛ أي: لا يحسبون أنفسهم[3] بمفازةٍ من العذاب.

ومن قرأ: ﴿لاَ تَحْسِبَنَّ﴾ **بالتاء**: فهو أيضًا خطاب للنبي ﷺ و﴿ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وكرَّر ﴿فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم﴾ للتأكيد.

ومن قرأ: ﴿لاَ يَحْسِبَنَّ﴾ **بالياء من أسفل**: فإنه حذف المفعولين[4]؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم﴾ عليهما.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٧) ومسلم (٢٧٧٧).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿لا يَحْسبَنَّ﴾ بياء الغيب ﴿فَلَا تَحْسبَنَّهُمْ﴾ بتاء الخطاب وفتح الباء.
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لا يَحْسِبَنَّ﴾ بياء الغيب ﴿فَلَا يَحْسِبُنَّهُمْ﴾ بياء الغيب وضم الباء.
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿لا تَحْسبَنَّ﴾ بتاء الخطاب ﴿فَلَا تَحْسبَنَّهُمْ﴾ بتاء الخطاب وفتح الباء.
وأما قراءة السين من يحسب المضارع، فقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين، والباقون بكسرها.

(٣) في د: «أنهم».

(٤) تقديرهما: لا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم فائزين من العذاب. المحرر الوجيز (٢/ ٤٤٣)، والبحر المحيط (٦/ ٣٤٤-٣٤٥).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا
رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ
عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ *لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ
لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ
لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿١٩٠﴾ ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿١٩١﴾ ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكأنَّ هذه الهيئات حصرٌ لحال ابن آدم. وقيل: إن ذلك في الصلاة؛ يصلُّون قيامًا، فإن لم يستطيعوا صلَّوا قعودًا، فإن لم يستطيعوا صلَّوا على جنوبهم.

﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقتَه وخلقت البشر؛ لينظروا فيه فيعرفوكَ فيعبدوكَ.

﴿١٩٣﴾ ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبيُّ ﷺ.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٦٣).

١٩٤ ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسِنة رسلِك.

١٩٥ ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ «من»: لبيان الجنس، وقيل: زائدةٌ؛ لتقدُّم النفي.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواءٌ في الأجور والخيرات.

﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ هم المهاجرون؛ آذاهم المشركون بمكة حتىٰ خرجوا منها.

﴿ثَوَابًا﴾ منصوبٌ علىٰ المصدرية.

١٩٦ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ؛ أي: لا تظنَّ أن حال الكفار في الدنيا دائمةٌ فتهتمَّ لذلك، وأنزل ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ منزلةَ: «لا يَحزُنكَ».

١٩٧ ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: تقلُّبهم في الدنيا قليلٌ؛ بالنظر إلىٰ ما فاتهم في الآخرة.

١٩٨ ﴿نُزُلًا﴾ منصوبٌ علىٰ الحال من ﴿جَنَّٰتٌ﴾، أو علىٰ المصدرية[١].

﴿لِّلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ، ومعناه: العاملون بالبرِّ؛ وهو غاية التقوىٰ والعمل الصالح. **قال بعضهم**: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ[٢].

١٩٩ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: نزلت في النجاشيِّ ملكِ الحبشة، فإنه كان نصرانيًّا فأسلم[٣]. **وقيل**: في عبد الله بن سلَام رضي الله عنه وغيره ممن أسلم من اليهود[٤].

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدحٌ لهم، وفيه تعريضٌ بذمِّ غيرهم ممن اشترىٰ بآيات الله ثمنًا قليلًا.

٢٠٠ ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي: صابروا أعداءَكم[٥] في القتال.

---

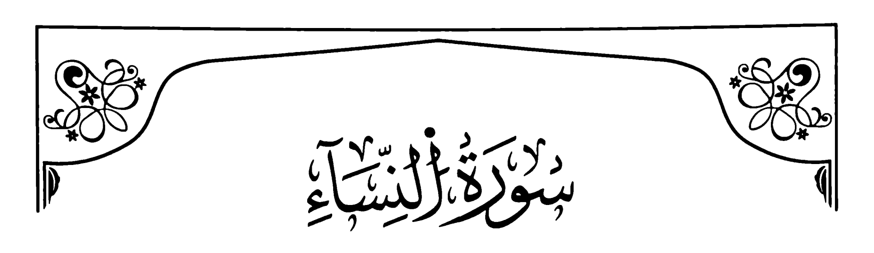
(١) علىٰ المصدر المؤكِّد، قدَّره ابن عطية (١/ ٤٥٤): «تكرِمةً»، وقدَّره الزمخشري (٤/ ٣٩٦): «رزقًا أو عطاءً».
(٢) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٦).
(٣) أخرجه ابن المنذر (٢/ ٥٤١-٥٤٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٠٢٢)، والبزار في مسنده (١٣/ ١٤٩) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٧٥) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه الطبري (٦٣٢٩) وابن المنذر (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج.
(٥) في ب: «عدوكم».

﴿وَرَابِطُواْ﴾ أقيموا في الثُّغور رابطين خيلكم، مستعدِّين للجهاد. وقيل: هو مرابطةُ العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدتُه على فعل الطاعة وترك المعصية. والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»(١).

وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرِّباط»(٢) فهو تشبيهٌ بالرباط في سبيل الله؛ لعِظَم أجره. والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابطَ فيها، وهي غيرُ موطنِه. فأمَّا سكَّانُها دائمًا بأهليهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُماةٌ. حكاه ابن عطية(٣).



(١) أخرجه مسلم (١٩١٣) عن سلمان ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥١) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٨).



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾
وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ
أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا
مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ
وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ *وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا
فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ
مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطابٌ على العموم، وقد تكلَّمنا على التقوى في أوَّل «البقرة».

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو آدمُ عليه السلام. ﴿زَوْجَهَا﴾ هي حوَّاءُ؛ خُلِقت من ضِلَع آدم.

﴿وَبَثَّ﴾ نشر. ﴿تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي: يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ **بالنصب**[1] عطفٌ على اسم الله؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور -وهو ﴿بِهِۦ﴾ -؛ لأنَّ موضعه نصبٌ[2]. **وقرئ بالخفض**: عطفًا على الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يُعطَف عليه إلَّا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ إذا تحقَّق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد **مقام المراقبة، وهو مقام شريفٌ، أصله: علمٌ، وحال، ثم يُثمِر حالَين. أما العلم**: فهو معرفة العبد بأن الله مطَّلِعٌ عليه، ناظرٌ إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كلَّ ما يخطُر على باله. **وأما الحال**: فهو ملازَمة هذا العلم للقلب، بحيث يَغلِب عليه ولا يَغفُل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال.

فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتُهما عند أصحاب اليمين: الحياءَ من الله، وهو يوجب بالضَّرورة تركَ المعاصي، والجِدَّ في الطاعات. **وكانت ثمرتُهما عند المقرَّبين**: المشاهدةَ التي توجِب التعظيم والإجلال لذي الجلال. وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» إشارةٌ إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم؛ كمن يشاهد ملِكًا عظيمًا، فإنه يعظِّمه إذ ذاك بالضرورة. وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارةٌ إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرَّبين، فاعلمْ أنه يراك؛ فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسَّر الإحسان أوَّل مرَّةٍ بالمقام الأعلى؛ رأى أن كثيرًا من الناس قد يَعجِزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلمْ أن المراقبة لا تستقيم حتى يتقدَّمَ[4] **قبلها**: المشارطة، والمرابطة، **ويتأخَّرَ عنها**: المحاسبة، والمعاقبة.

---

(١) قرأ حمزة بالخفض، والباقون بالنصب.

(٢) كما تقول: مررت بزيدٍ وعمرًا، أي: تساءلون به وبالأرحام. الكشاف (٤/ ٤٠٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «تتقدم».

فأما المشارطة: فهي اشتراطُ العبد علىٰ نفسه التزامَ الطاعة وترك المعاصي.

وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربِّه علىٰ ذلك. ثم بعد المشارطة والمرابطة في أول الأمر تكون المراقبة إلىٰ آخره. وبعد ذلك[1] يحاسب العبدُ نفسَه علىٰ ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أَوفىٰ بما عاهَد عليه اللهَ: حمِد الله. وإن وجد نفسه قد حلَّ عُقْدةَ[2] المشارطة، ونقض عهد المرابطة: عاقب النفس عقابًا يزجرُها[3] عن العودة إلىٰ مثل ذلك. ثم عاد إلىٰ المشارطة، والمرابطة، وحافظ علىٰ المراقبة، ثم اختَبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلىٰ أن يلقىٰ الله تعالىٰ.

(٢) ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ خطابٌ للأوصياء. وقيل: للعرب الذين لا يورِّثون الصغير مع الكبير؛ فأُمِروا أن يورِّثوهم. وعلىٰ القول بأنَّ الخطاب للأوصياء: فالمراد: أن يؤتوا اليتامىٰ من أموالهم ما يأكلون ويلبَسون في حال صِغَرهم؛ فيكون اليتيم علىٰ هذا حقيقةً. وقيل: المراد: دفع أموالهم إذا بلَغوا؛ فيكون اليتيم علىٰ هذا مجازًا؛ لأن اليتيم قد كَبِرَ.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدِّل الشاةَ السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهمَ الطيِّب بالزائف؛ فنُهوا عن ذلك. وقيل: المعنىٰ: لا تأكلوا مالهم[4] -وهو الخبيث-، وتدعوا مالكم[5] -وهو الطيب-.

﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ المعنىٰ: نهيٌ أن يأكلوا أموال اليتامىٰ مجموعةً إلىٰ أموالهم. وقيل: نهيٌ عن خلط أموالهم بأموال اليتامىٰ، ثم أُبيح ذلك بقوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وإنما تعدَّىٰ الفعل بـ«إلىٰ»؛ لأنه تضمَّن معنىٰ الجمع والضم. وقيل: «إلىٰ» بمعنىٰ «مع».

﴿حُوبًا﴾ أي: ذنبًا.

---

(١) في د زيادة: «تكون المحاسبة».
(٢) في ب، ج، هـ: «عقد».
(٣) في ب: «بأن يزجرها».
(٤) في ب، ج، هـ، د: «أموالهم».
(٥) في د: «أموالكم».

﴿٣﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟﴾ الآيةَ؛ **قالت عائشة** ﵂: نزلت في أولياء اليتامىٰ الذين يعجبهم جمالُ وليَّاتهم، فيريدون أن يتزوجوهنَّ ويَبخسوهنَّ في الصَّداق؛ لمكان ولايتهم عليهنَّ، فقيل لهم: أَقسِطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يُقسِط فليتزوَّجْ ما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفِّيهن حقوقَهنَّ(١).

وقال ابن عباس ﵄: إن العرب كانت تتحرَّج في أموال اليتامىٰ، ولا تتحرَّج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك؛ أي: كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامىٰ فكذلك خافوا في النساء(٢). **وقيل**: إن الرجل منهم كان يتزوج العشرَ وأكثر، فإذا ضاق مالُه أخَذ من مال يتيمه، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامىٰ فاقتصروا في النساء.

﴿مَا طَابَ﴾ أي: ما حلَّ. **وإنما قال** «ما» **ولم يقل** «مَن» لأنه أراد الجنس(٣).

وقال الزمخشري: لأن الإناث من العقلاء يُجرَىٰ مُجْرَىٰ غيرِ العقلاء؛ ومنه قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(٤).

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ لا تنصرف؛ للعدل والوصف. وهي: حالٌ من ﴿مَا طَابَ﴾.

وقال ابن عطية: بدلٌ(٥). وهي معدولةٌ عن أعدادٍ مكرَّرة، ومعنىٰ التكرار فيها: أن الخطاب لجماعةٍ؛ فيجوز لكل واحد منهم أن يَنكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكرَّرت الأعداد بتكرار(٦) الناس.

والمعنىٰ: انكحوا اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، وفي ذلك منْعٌ لما كان في الجاهلية مِن تزوُّج ما زاد علىٰ الأربع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧).
(٣) أي: لم يُرد تعيين مَن يعقل، وإنما أراد الجنس -أو النوع بحسب تعبير ابن عطية- الذي هو الطيب، كأنه قال: فانكحوا النوع الذي طاب لكم من النساء. المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٦)، والبحر المحيط (٦/ ٤١٢).
(٤) الكشاف (٤/ ٤٢٣).
(٥) المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٦).
(٦) في ج، هـ: «بتعدُّد».

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنىٰ وثلاث ورباع يجتمعُ منه تسعةٌ، وهذا خطأ؛ لأن المراد التَّخييرُ بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: «تسع»، ولم يَعدل عن ذلك إلىٰ ما هو أطولُ منه وأقلُّ بيانًا، وأيضًا قد انعقد الإجماع علىٰ تحريم ما زاد علىٰ الرابعة.

﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنتين[1] أو الثلاث أو الأربع فاقتصروا علىٰ واحدة، أو علىٰ ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير؛ رغبةً في العدل. وانتصاب[2] ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ بفعل مضمر؛ تقديره: فانكحوا واحدةً.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ الإشارة إلىٰ الاقتصار علىٰ الواحدة، والمعنىٰ: أن ذلك أقربَ إلىٰ أن لا تعولوا. ومعنىٰ ﴿تَعُولُوا۟﴾: تميلوا، وقيل: يَكثُرَ عيالُكم.

﴿٤﴾ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ خطابٌ للأزواج. وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صَداق وليَّته. وقيل: هي[3] نهيٌ عن الشِّغار.

﴿نِحْلَةً﴾ أي: عطيَّةً منكم لهنَّ، أو عطيةً من الله. وقيل: معنىٰ ﴿نِحْلَةً﴾ أي: شِرْعةً ودِيانةً[4]. وانتصابه علىٰ المصدر من معنىٰ: آتوهن، أو علىٰ الحال من ضمير المخاطَبين[5].

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ الآيةَ؛ إباحة للأزواج أو الأولياء -علىٰ ما تقدَّم من الخلاف- أن يأخذوا ما دفعه النساءُ مِن صَدُقاتهنَّ عن طيب أنفسهن. والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ يعود علىٰ الصَّداق، أو علىٰ الإيتاء.

﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ عبارةٌ عن التَّحليل، ومبالغةٌ في الإباحة. وهما صفتان؛ من قولك: «هَنُؤَ الطعام ومَرُؤَ»: إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه. وهما: وصفٌ للمصدر؛ أي: أكلًا هنيئًا. أو حال من

---

(١) في أ، ب، هـ: «الاثنين».

(٢) في ب: «وانتَصب».

(٣) في ب، د، هـ: «هو».

(٤) في ب: «ودينًا».

(٥) أي: آتوهنَّ صدُقاتهنَّ ناحِلينَ طيِّبي النفوسِ بالإعطاء. الكشاف (٤/ ٤٣١).

ضمير الفاعل(١). وقيل: يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾، ويبتدأ: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ على الدعاء .

٥ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامرأته؛ أي: لا تؤتوهم أموالكم للتَّبذير. وقيل: السفهاء: المحجورون، و﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطَبين؛ لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم.

﴿قِيَـٰمًا﴾ جمع قِيمَة. وقيل: بمعنى «قيامٍ» بالألف؛ أي: تقومُ بها معايشُكم(٢).

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجلَ نفقتُه مِن زوجته وأولاده. وقيل: في المحجورين؛ يُرزقون ويُكسَون من أموالهم.

﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عِدُوهم وعدًا جميلًا؛ أي: إن رشَدتُّم دفَعنا لكم أموالكم.

٦ ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ أي: اختبروا رشدَهم.

﴿بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ بلغوا مَبلَغ الرجال.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرُّشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدِّين. واشترط قومٌ الدين. واعتبر مالك: البلوغَ والرشد(٣)؛ وحينئذٍ يدفع المال(٤). واعتبر أبو حنيفة: البلوغ وحده؛ ما لم يَظهرْ سفَهٌ، وقوله مخالف للقرآن.

﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ معناه: مبادرةً لكِبَرِهم؛ أي: إن الوصيَّ يَستغنم أكْلَ مال اليتيم قبل أن يَكبَر.

(١) أي: كلوه هانئين، وأعربه الزمخشري حالًا من ضمير المفعول، أي: حالَ كونِ المأكول هنيئًا مريئًا، قال في الكشاف (٤/ ٤٣٥): «وهما وصفٌ للمصدر، أي: أكلًا هنيئًا مريئًا، أو حالٌ من الضمير؛ أي: كلوه وهو [أي: المأكول] هنيءٌ مريءٌ»، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٤٢٧) «وانتصاب (هنيئًا) .. على أنه حال من ضمير المفعول، هكذا أعربه الزمخشري وغيره» والله أعلم.

(٢) في أ، ب: «معاشكم»، وفي هـ: «على معايشهم»، وفي ج: «على معايشكم».

(٣) وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٣/ ٣٥٢).

(٤) في هامش ب زيادة: «إليه».

وموضع ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ نصبٌ علىٰ المفعولية بـ﴿بِدَاراً﴾، أو علىٰ المفعول من أجله؛ تقديره: مخافةَ أن يَكبَروا.

﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أَمر الوصيَّ[1] الغنيَّ أن يَستعفف عن مال اليتيم[2]، ولا يأكلَ منه شيئًا.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: المعنىٰ: أن يَستسلِفَ الوصيُّ الفقيرُ من مال المحجور[3]، فإذا أَيسَر ردَّه[4]. **وقيل**: المراد: أن يكون له أُجرةٌ بقدْرِ عمله وخدمته. ومعنىٰ: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير إسراف. **وقيل**: نسَخها: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمِىٰ﴾.

﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرُّز والحزم؛ فهو ندبٌ، **وقيل**: فرض.

(٧) ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن بعض العرب كانوا لا يوَرِّثون النساء، فنزلت الآية[5]؛ ليرثَ الرجالُ والنساءُ[6].

﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ منصوبٌ انتصابَ المصدر المؤكِّد؛ كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

وقال الزمخشري: منصوب علىٰ التَّخصيص؛ بمعنىٰ: أعني نصيبًا[7].

(٨) ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للوارثين؛ أُمِروا أن يتصدَّقوا من الميراث علىٰ قرابتهم، وعلىٰ اليتامىٰ والمساكين، **فقيل**: إن ذلك علىٰ الوجوب، **وقيل**: علىٰ الندب؛ **وهو الصحيح**، **وقيل**: نُسِخ بآية المواريث.

---

(١) في ب: «أمرٌ للوصيِّ».

(٢) في د: «المحجور».

(٣) في د: «اليتيم».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما هو بلفظ: «إني أنزلت مال الله تعالىٰ مني بمنزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت»، أخرجه الطبري (٦/ ٤١٢)، وابن المنذر (٢/ ٥٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٣٢٤)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٥٣٨)، والبيهقي في سننه من طريقه (١١٠٠١)، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٨).

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٦٦٧) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢) عن سعيد بن جبير.

(٦) في د: «بميراث الرجالِ والنساء».

(٧) الكشاف (٤/ ٤٤٦).

﴿٩﴾ ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ﴾ الآيةَ؛ معناها: الأمرُ لأولياء اليتامىٰ أن يُحسِنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا اللهَ علىٰ أيتامهم كخوفهم علىٰ ذُرِّيتهم لو تركوهم ضِعافًا، ويُقَدِّروا ذلك في أنفسهم؛ حتىٰ لا يفعلوا خلاف الشَّفقة والرَّحمة. وقيل: هم الذين يجلسون إلىٰ المريض فيأمروه[1] أن يتصدَّقَ بماله حتىٰ يُجحِفَ بورثته، فأُمِروا أن يخشوا علىٰ الورثة كما يخشون علىٰ أولادهم. وحُذِف مفعولُ ﴿وَلْيَخْشَ﴾[2].

و﴿خَافُواْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿قَوْلًا سَدِيداً﴾ علىٰ القول الأول: ملاطفةُ الوصيِّ لليتيم بالكلام الحسن. وعلىٰ القول الثاني: أن يقول للموروث: «لا تُسرِف في وصيتك وارفُق بورثتك».

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قيل: نزلت في الذين لا يُوَرِّثون الإناث. وقيل: في الأوصياء. ولفظها[3] عامٌّ في كل من أكل مال يتيمٍ بغير حق.

﴿يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ أي: إنَّ أكْلَهم لمال اليتامىٰ يؤول إلىٰ دخولهم النار. وقيل: بل يأكلون النار في جهنم.



(١) كذا في النسخ الخطية بحذف النون، وهو معطوف علىٰ فعل مرفوع بثبات النون «يجلسون»، فكان الأصل أن يقول: «فيأمرونه»، ولكن يمكن حمل سقوط النون هنا علىٰ مجرَّد التخفيف، وهي لغة صحيحة، ومنه حديث: «لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا». انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك (٢٣٩).

(٢) قال في البحر المحيط (٦/ ٤٥٧): «يحتمل أن يكون اسمَ الجلالة، أي: وليخشَ اللهَ»، وقال ابن عطية (٢/ ٤٧٦): «وحسن حذفُه من حيث يتقدَّر فيه التخويفُ بالله تعالىٰ، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظرُ كل متأوِّل بحسَب الأهم في نفسه»، فيَحتمل تقديره -علىٰ هذا-: وليخشَ الله، أو وليخش العاقبةَ في الدنيا.

(٣) في ج، هـ: «وقولها».

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ *تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿١١﴾ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات[1] سعد بن الرَّبيع[2]. وقيل: بسبب جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ إذ عاده[3] رسول الله ﷺ في مرضه[4]. ورَفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال. وقيل: نَسخت: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدَّائم، ولم يقل: «أوصاكم»؛ تنبيهًا على نسْخ ما مضى والشروعِ في حكم آخر. وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ بالاسم الظاهر،

---

(١) في ب: «بنت»، ولم ترد في ج، هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٨١)، وأحمد في المسند (١٤٧٩٧)، وأبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم (٧٩٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) في ب: «دعاه».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦).

ولم يقل: «نوصيكم»؛ لأنه أراد تعظيمَ الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء. وإنما قال: ﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ ولم يقل: «في أبنائكم»؛ لأن الابن يقع علىٰ الابن من الرَّضاعة، وعلىٰ ابن البنت، وعلىٰ الابن المتبنَّىٰ[1]، وليسوا من الورثة.

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ هذا بيانٌ للوصية المذكورة. **فإن قيل**: هلا قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر»، أو «للأنثىٰ نصف حظ الذكر»؟ **فالجواب**: أنه بدأ بالذَّكَر لفضله، ولأن القصد ذِكْرُ حظِّه، ولو قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر» لكان فيه تفضيلٌ للإناث[2].

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ إنما أنَّث ضمير الجماعة في ﴿كُنَّ﴾؛ لأنه قصَد الإناث، وأصله أن يعود علىٰ الأولاد؛ لأنه يشمل الذكور والإناث. **وقيل**: يعود علىٰ المتروكات. **وأجاز الزمخشري** أن تكون «كان» تامَّةً، والضمير مبهم، و﴿نِسَآءٗ﴾ تفسير[3].

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ **ظاهره**: أكثر من اثنتين، ولذلك أُجمِع علىٰ أن للثلاث فما فوقَهن الثلثَين[4]. **وأما البنتان: فاختلف فيهما: فقال ابن عباس** ﵄: لهما النصف، كالبنت الواحدة[5]. **وقال الجمهور**: لهما الثلثان، وتأولوا ﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ : أن المراد: اثنتان فما فوقَهما. **وقال قومٌ**: إن ﴿فَوۡقَ﴾ زائدةٌ؛ كقوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢]، **وهذا ضعيف. وقال قوم**: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن. **وقيل**: بالقياس علىٰ الأُختين.

﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ﴾ **بالرفع**[6]: فاعل، و«كان» تامة، **وبالنصب**: خبر «كان». وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ نصٌّ علىٰ أن للبنت النصفَ إذا انفردت، ودليلٌ علىٰ أن للابن جميعَ المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثلَ حظ الأنثيين.

---

(١) في د: «وعلىٰ ابن التبنِّي».

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٤٥٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٥٧).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الثلثان».

(٥) لم أقف علىٰ إسناد له، إلا أن نسبته إلىٰ ابن عباس مشتهرة في كتب الفقه، وذكر ابن عبد البر في الاستذكار (١٥/ ٣٨٩) بأنه: «رواية شاذة لم تصح عن ابن عباس».

(٦) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالنصب.

﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ **الولد**: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواءٌ كان للصُّلب، أو ولدَ ابنٍ، وكلُّهم يَرُدُّ الأبوين إلى السدس.

﴿وَوَرِثَهُۥ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ **لم يجعل الله للأمِّ الثلث إلَّا بشرطين: أحدهما**: عدم الولد. **والآخر**: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو؛ لتَعطِفَ أحد الشرطين على الآخر. وسكت عن حظِّ الأب؛ استغناءً بفهمه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلَّا الثلثان، ولا وارث إلَّا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأبَ[1] يأخذ بقيَّة المال؛ وهو الثلثان.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثةً من الإخوة يَرُدُّون الأمَّ إلى السدس. **واختلفوا في الاثنين: فمذهب الجمهور**: أنهما يَرُدَّانها إلى السدس. **ومذهب ابن عباس** رضي الله عنهما: أنهما لا يردَّانها إليه، بل هما كالأخ الواحد[2].

وحجَّته: أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمعٌ لا تثنيةٌ، وأقلُّ الجمع ثلاثة. **وقال غيره**: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين؛ كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، و﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢٠]، و﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، واحتجُّوا بقوله ﷺ: «**الاثنان فما فوقهما جماعة**»[3]، **وقال مالك**: مضت السُّنة أن الإخوةَ اثنان فصاعدًا، ومذهبه: أن أقل الجمع اثنان.

فعلى هذا: يَحجُبُ الأخوان فصاعدًا الأمَّ عن الثلث إلى السدس، سواءٌ كانا شقيقين أو لأب أو لأم، أو مختلفين، وسواءٌ كانا ذكرين أو أُنثيين أو ذكرًا وأنثى. **فإن كان معهما أبٌ**: ورث بقيةَ المال، ولم يكن للإخوة شيءٌ **عند الجمهور**، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون.

---

(١) في د: «الوالد».

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٤٦٥)، والحاكم في المستدرك (٧٩٦٠)، والبيهقي في السنن (١٢٢٩٧) عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٢٨): «وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحًا عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخِصَّاء به، والمنقول عنهم خلافه».

(٣) روي من عدة طرق، فروي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٨٩٠٣)، والحاكم (٧٩٥٧)، والدارقطني (١٠٨٧)، والبيهقي (٥٠٠٨)، وضعفه، وضعفه أيضًا النووي وابن كثير وغيرهما. وروي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أخرجه الدارقطني (١٠٨٨)، وضعفه ابن كثير، وروي من طرق أخرى كلها ضعيفة، انظر: البدر المنير لابن الملقن (٧/ ٢٠٤).

وقال قومٌ: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأمَّ. وإن لم يكن أبٌ ورثوا.

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ يتعلَّق بالاستقرار المضمر في قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ أي: استقرَّ لهنَّ الثلثان من بعد وصية. ويَمتنع أن يتعلَّق بـ ﴿تَرَكَ﴾[1]. وفاعل ﴿يُوصِي﴾: الميت.

وإنما قُدِّمت الوصية على الدَّين، والدَّين مقدَّمٌ عليها في الشريعة؛ اهتمامًا بها، وتأكيدًا للأمر بها[2]، ولئلا يُتهاون بها. وأُخِّر الدَّين؛ لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه. وتُخرَج الوصية من الثلث، والدَّين من رأس المال بعد الكفن. وإنما ذَكَر الوصية والدَّين نكرتين؛ ليدلَّ على أنهما قد يكونان، وقد لا يكونان؛ فدلَّ ذلك على سقوط وجوب الوصية.

﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه. وقيل: بالشَّفاعة في الآخرة. ويَحتمل أن يريد: نفعًا بالميراث من ماله، وهو أَلْيقُ بسياق الكلام.

(١٢) ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تَنفرد به إن كانت واحدةً، ويُقسَم بينهنَّ إن كنَّ أكثر مِن واحدة، ولا يُنقَص من ميراث الزوج والزوجة وسائر أهل السهام إلَّا ما نَقَصه العَوْلُ على مذهب جمهور العلماء، خلافًا لابن عباس رضي الله عنهما؛ فإنه

---

(١) قال السهيلي رحمه الله في كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية (٤٥): «لا يجوز أن يتعلَّق حرف الجر من قوله في آخر الآية ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ بـ ﴿تَرَكَ﴾، وإن كان يليه في اللفظ ظاهرًا، وإنما تعلُّقه بالاستقرار المضمر في قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا﴾ أي: استقرَّ لهن الثلثان مِن بعد وصيةٍ، أي: مِن بعد إخراج وصية.. فإن قيل: فما فائدة هذا النحو في هذا الموضع؟ وما فقهُه تعلُّق بالترك أو لم يتعلَّق به؟ قلنا: فقه ذلك أن الكفن وجَهاز الميت ليس للورثة فيه حقٌّ؛ لأن حقَّهم لم يجب لهم إلا بعد موته وبعد إخراج الوصية والدَّين، ولو جعلنا حرف الجر متعلِّقًا بـ ﴿تَرَكَ﴾ لصار المعنى مجملًا غيرَ مبين، ولكان ما ترك بعدَما أوصى يدخل فيه الكفن وغيره؛ لأن وصيته إنما هي قبل الموت، ولو وجب لهم ذلك بإثرِ الوصية ومِن بعدِ تركِه لما ترك أن يوصي فيه؛ كان الكفن لهم، ولو كان لهم لم يُجبَروا على تكفينه، ولكانوا إذا كفَّنوه مأجورين على إحسانهم إليه، وليس الأمر على ذلك بإجماع، أو بما يقرب من الإجماع».ا.هـ. وهذا الإعراب والتوجيه لم أقف عليه عند غير السهيلي في كتابه هذا.

(٢) في د: «لأمرها».

لا يقول بالعول[1]. **فإن قيل**: لم كرَّر قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكرْه قبل ذلك إلَّا مرَّةً واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟ **فالجواب**: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضيةٌ علىٰ انفرادها؛ فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأُولىٰ؛ فإن الموروث فيها واحدٌ، ذَكَر حكمَ ما يرث منه أولادُه وأبواه؛ وهي قضيةٌ واحدة؛ فلذلك قال فيها: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ﴾ مرَّةً واحدة.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ **الكلالة**: هي انقطاع عمودَي النسب؛ وهي خُلُوُّ الميت عن ولَدٍ و[2]والد. **ويَحتمل أن تطلق هنا علىٰ**: الميت الموروث، أو علىٰ الوَرَثة، أو علىٰ الوِرَاثة، أو علىٰ القرابة، أو علىٰ المال.

[١] فإن كانت للميت فإعرابها:

١. خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة[3].

٢. (أو ﴿يُورَثُ﴾ خبر كان، و ﴿كَلَٰلَةً﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

٣. أو تكون ﴿كَانَ﴾ تامَّة، و ﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة،)[4] و﴿كَلَٰلَةً﴾ حال من الضمير.

[٢] وإن كانت للوَرَثَة فهي:

١. خبر ﴿كَانَ﴾؛ علىٰ حذف مضافٍ تقديره: «ذا كلالةٍ».

٢. أو حالٌ؛ علىٰ حذف مضاف أيضًا.

[٣] وإن كانت للوِراثة فهي: مصدرٌ في موضع الحال.

---

(١) أخرجه الحاكم (٧٩٨٥) وصححه، والبيهقي (١٢٤٥٧).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «أو».

(٣) في ب زيادة: «و(كلالةً) حالٌ من الضمير».

(٤) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

[٤] **وإن كانت للقَرابة فهي**: مفعولٌ من أجله، (تقديره: «يورث[١] من أجل القربىٰ»)[٢].

[٥] **وإن كانت للمال فهي**: مفعولٌ ثانٍ لـ﴿يُورَثُ﴾.

وكل وجه من هذه الوجوه[٣] علىٰ أن تكون:

١. ﴿كَانَ﴾ تامةً، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة.

٢. وأن[٤] تكون ناقصةً، و﴿يُورَثُ﴾ خبرها.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ **المراد هنا: الأخ للأم والأخت للأم بإجماعٍ. وقرأ سعد بن أبي وقاص**: «وله أخ أو أخت لأمِّهِ»[٥]؛ وذلك تفسير للمعنىٰ.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ **إذا كان الأخ للأم واحدًا فله السدس**، وكذلك إن كانت الأخت للأم واحدةً.

﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ **إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر فلهم الثلث بالسَّواء بين الذكر والأنثىٰ**؛ لأن قولَه: ﴿شُرَكَآءُ﴾ يقتضي التسويةَ بينهم، ولا خلاف في ذلك.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ منصوبٌ علىٰ الحال، والعامل فيه: ﴿يُوصِي﴾، و﴿مُضَآرّٖ﴾ اسم فاعل. **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: الضِّرار في الوصية من الكبائر[٦].

ووجوه المضارَّةِ كثيرة؛ منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث؛ فرارًا عن[٧] وارثٍ محتاج. فإن عُلم أنه قَصد بوصيَّته الإضرارَ رُدَّ ما زاد علىٰ الثلث اتفاقًا. واختلف: هل يُرَدُّ الثلث؟ علىٰ قولين في المذهب، والمشهور: أنه يَنفُذُ.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من د.

(٢) سقط من ج، هـ.

(٣) في ب: «الأوجه».

(٤) في د: «أو».

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧-٨٨٨)، وابن أبي شيبة (٣٢٢٥٩)، والبيهقي (١٢٣٢٢).

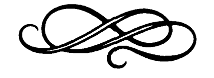
(٦) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨٦)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٨)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٠٢٦)، وابن أبي شيبة (٣١٥٧٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٤٥٦).

(٧) في أ، ب: «من».

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ . ويجوز أن يَنتصب بـ ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾[1].

(١٣) ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما تقدَّم من المواريث وغيرها.

(١٤) ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ تعلَّق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يُخلَّدون في النار. وتأوَّلها الأشعرية: علىٰ أنها في الكفار[2].



(١) أي: لا يُضارَّ وصيَّةً من الله، وهم الورثة، سماهم الله وصيةً تجوُّزًا؛ لأنه -تعالىٰ- قد وصَّىٰ بهم. المحرر الوجيز (٢/ ٤٨٨)، والكشاف (٤/ ٤٧٣)، والبحر المحيط (٦/ ٤٩٦).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٤٣).

وَالتِي يَاتِينَ اَلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ
فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي اِلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيٰهُنَّ اَلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اَللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالذَانِ يَاتِيَٰنِهَا
مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اَللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ اِنَّمَا اَلتَّوْبَةُ
عَلَى اَللَّهِ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ اَلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ اُللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اَللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ اِلتَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ اَلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ اُلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اُلَٰٔنَ وَلَا اَلذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ اُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
اَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمُۥٓ أَن تَرِثُوا اُلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ
بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَاتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ *وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ
فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اَللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنَ اَرَدتُّمُ إِسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ
زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمُۥٓ إِحْدَيٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَاخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا اَتَاخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ
تَاخُذُونَهُۥ وَقَدَ اَفْضَىٰ بَعْضُكُمُۥٓ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا
نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ اَلنِّسَآءِ اِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

﴿١٥﴾ ﴿يَاتِينَ اَلْفَٰحِشَةَ﴾ هي هنا: الزِّنا.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ أي: من المسلمات؛ لأن المسلمة تُحَدُّ حدَّ الزنا. وأما الكافر والكافرة: فاختُلف هل يُحدُّ أو يعاقب؟ ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعةً؛ تغليظًا علىٰ المدَّعي، وسترًا علىٰ العباد. وقيل: ليكون شاهدان علىٰ كلِّ واحدٍ من الزَّانيين.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي اِلْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبةُ الزنا الإمساكَ في البيوت، ثم نُسِخ ذلك بالأذىٰ المذكور بعد هذا؛ وهو السَّبُّ والتَّوبيخ. وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذىٰ للرجال، فلا نسْخ بينهما. ورجَّحه ابن عطية[1] وابن الفرَس[2] بقوله -في الإمساك-: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾، وفي الأذىٰ: ﴿مِّنكُمْ﴾. ثم نُسِخ الإمساك والأذىٰ بالرَّجم

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٠).
(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٢/ ١٠٣).

للمُحصَن، وبالجلد لغير المحصن، واستقرَّ الأمر علىٰ ذلك. فأما الجلد: فمذكور في سورة «النور». وأما الرجم: فقد كان في القرآن، ثم نُسِخ لفظُه وبقي حكمُه، وقد رجَم رسول الله ﷺ ماعزًا الأسلميَّ[1] وغيره.

﴿١٦﴾ ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ لما أَمر بالأذىٰ للزاني؛ أَمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذىٰ.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما يقبل الله توبةَ مَن كان علىٰ هذه الصفة. **وإذا تاب العبد توبةً صحيحة بشروطها: فيُقطَع بقَبول اللهِ لتوبته عند جمهور العلماء. وقال أبو المعالي:** يَغلب ذلك علىٰ الظنِّ، ولا يُقطَع به[2].

﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلَّة تحصيلٍ أدَّت إلىٰ المعصية. وليس المعنىٰ: أنه يَجهل أن يكون ذلك الفعل معصيةً؛ قال أبو العالِية: أجمع الصحابة علىٰ أن كل معصية فهي بجهالةٍ، سواءٌ كانت عمدًا أو جهلًا[3].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت. وقيل: قبل السِّياق، ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغَرْغِرْ**[4]»[5].

﴿١٨﴾ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ الآيةَ؛[6] في الذين يُصِرُّون علىٰ الذنوب إلىٰ حينٍ لا تقبل التوبة؛ وهو معاينة الموت. فإن كانوا كفارًا فهم مخلَّدون في النار بإجماع. وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم. فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثابتٌ في حق الكفار، ومنسوخٌ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٧]؛ فعذابهم مقيَّدٌ بالمشيئة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) انظر: الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص: ٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥٠٧)، وابن المنذر (٢/ ٦٠٥).

(٤) أي: ما لم تبلغ روحُه حلقومَه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض. النهاية لابن الأثير (٣٠١١).

(٥) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، (٦٤٠٨)، والترمذي (٣٥٣٧) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٨)، والحاكم (٧٦٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) في د زيادة: «نزلت».

(١٩) ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً﴾ **ابن عباس** ﵄: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته؛ إن شاؤوا تزوَّجها أحدهم، وإن شاؤوا زوَّجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوُّج[١]، فنزلت الآية في ذلك[٢].

فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورَثْنَ عن الرجال كما يورث المال. **وقيل**: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة؛ ليرثوا مالها من غير غِبطةٍ بها. **وقيل**: الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليَّاتهم[٣] من التزوُّج؛ ليرثوهن دون الزوج.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوفٌ على: ﴿أَن تَرِثُوا﴾، أو نهيٌ. **والعضل**: المنع. **فقال ابن عباس** ﵄: هي -أيضًا- في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوُّج بعد موته[٤]. إلَّا أنَّ قوله: ﴿مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات. **وقال ابن عباس** ﵄ **أيضًا**: هي في الأزواج الذي يمسكون المرأة ويُسيئون عِشْرتَها؛ حتى تفتديَ بصَداقها[٥]. وهو ظاهر اللفظ في قوله: ﴿مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، ويقوِّيه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم. **وقيل**: هي للأولياء.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ **قيل**: **الفاحشة** هنا: الزنا. **وقيل**: نشوزُ المرأة وبغضُها في زوجها، فإذا نَشَزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صَداقٍ وغير ذلك من مالها. وهذا جارٍ على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضَّرر من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النُّشوز؛ فيجوز له أخذ الفدية معه.

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ **معناها**: إن كرهتم النساء لوجهٍ فاصبروا عليه؛ فعسى أن يجعل الله الخيرَ في وجهٍ آخَر. **وقيل**: الخير الكثير: الولد. **والأحسن العموم**؛ وهذا معنى

---

(١) في د: «التزويج».
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٧٩).
(٣) في أ، ب، ج، هـ: «وليَّاتهنَّ».
(٤) تقدم تخريجه في الأثر الذي قبله.
(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٣).

قوله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن سخِط منها خلقًا رضِي منها[1] آخر»[2].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: المنع مِن أن يأخذ الرجل من المرأة فديةً علىٰ الطلاق إذا أراد أن يُبدلها بأخرىٰ، وعلىٰ هذا جرىٰ مذهب مالك وغيره في المنع من (أن يأخذ الرجلُ)[3] الفديةَ إذا كان الضَّررُ وإرادةُ الفراقِ من الزوج. وقال قوم: إنَّ هذه الآية منسوخةٌ بقوله في «البقرة»: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٧]. وقال قوم: هي ناسخةٌ. والصحيح: أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإنَّ جواز الفدية علىٰ وجهٍ، ومنعها علىٰ وجهٍ؛ فلا تعارض ولا نسخ.

﴿قِنطَارًا﴾ مثالٌ علىٰ جهة[4] المبالغة في الكثرة. وقد استدلَّتْ به المرأةُ علىٰ جواز المغالاة في المهور حين نهىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك؛ فقال عمر رضي الله عنه: «امرأةٌ أصابت، ورجل أخطأ، كلُّ الناس أفقهُ منك يا عمر»[5].

﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كنايةٌ عن الجماع.

﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قيل: هو عُقدةُ[6] النكاح. وقيل: قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٧]. وقيل: الأمر بحسن العِشْرة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوَّج امرأة أبيه بعده؛ فنزلت الآية تحريمًا لذلك[7]. فكلُّ امرأةٍ تزوَّجها رجلٌ حَرُمت علىٰ أولاده ما سَفُلوا،

---

(١) لفظة: «منها» زيادة من د، وهي موافقة لما في الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) زيادة من هامش أ، ورمز لها بـ «خ».

(٤) في ج، د: «وجه».

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي كما في المقصد العلي للهيثمي (٢/ ٣٣٤) وسعيد بن منصور (٥٩٨)، ومن طريقه البيهقي (١٤٣٣٦) عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٤٣): «إسناده جيد قوي»، وجوَّد إسناده أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٤). وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٦١٥) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عمر رضي الله عنه.

(٦) في ج: «عقد».

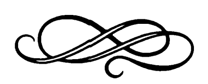
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، والبيهقي (١٣٩١٧) عن عدي بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وقال البيهقي: «مرسل».

سواءٌ دخل بها أو لم يَدخل؛ فالنكاح في الآية بمعنىٰ العقد.

و ﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني: النساء، وإنما أطلق عليهن «ما» وإن كانت[١] ممن يعقلُ؛ لأنَّ المراد الجنس[٢]. فإن زنىٰ رجلٌ بامرأة فاختُلف هل يَحرم تزوُّجها علىٰ أولاده أم لا؟ فحرَّمه أبو حنيفة[٣]، وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان. واحتج من حرَّمه: بهذه الآية، وحَمل النكاح فيها علىٰ الوطء. وقال من أجازه: إنَّ الآية لم تتناولْه؛ إذ النكاح فيها بمعنىٰ العقد.

﴿الاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلَّا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك، وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنه فلا تؤاخَذون به، ويدلُّ علىٰ هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ بعدَ قوله: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرَّة الأُخرىٰ في الجمع بين الأختين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت العرب تحرِّم كل ما حرَّمت الشريعةُ، إلَّا امرأةَ الأبِ، والجمعَ بين الأختين[٤]. وقيل: المعنىٰ: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فدعوه. وقال الزمخشريُّ: المعنىٰ: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فانكِحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن؛ فالمعنىٰ: المبالغة في التحريم[٥].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتاً﴾ «كان» في هذه الآية تقتضي الدَّوام؛ كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، وشبه ذلك. وقال المبرِّد: هي زائدة. وذلك خطأ؛ لوجود خبرها منصوبًا. وزاد هنا المقت علىٰ ما وصف به الزنا في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتاً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ دلالةً علىٰ أن هذا أقبحُ من الزنا.



(١) في د: «كنَّ».

(٢) هي مثل «ما» في قوله تعالىٰ: ﴿مَاطَابَ﴾، وتقدم التعليق عليها.

(٣) وأحمد، وهو قول عامة أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٢٩٩).

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ٥٤٩).

(٥) الكشاف (٤/ ٤٨٩).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُۥٓ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ اُ۬لَاخِ وَبَنَاتُ
اُ۬لُاخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ اُ۬لَّٰتِےٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ اَ۬لرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ
اُ۬لَّٰتِے فِے حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اُ۬لَّٰتِے دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ اُ۬لذِينَ مِنَ اَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ اَ۬لُاخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ
إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٢٣﴾ *وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ اَ۬لنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ
اَ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمُۥٓ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ
فَمَا اَ۪سْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ
مِنۢ بَعْدِ اِ۬لْفَرِيضَةِ إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا اَن يَّنكِحَ
اَ۬لْمُحْصَنَٰتِ اِ۬لْمُومِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ اُ۬لْمُومِنَٰتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنَ اَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
نِصْفُ مَا عَلَى اَ۬لْمُحْصَنَٰتِ مِنَ اَ۬لْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ اَ۬لْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿٢٣﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُۥٓ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الآيةَ؛ **معناها**: تحريم ما ذُكِر من النساء. **والنساءُ المحرَّمات على التأبيد ثلاثة أصناف**: بالنَّسب، وبالرَّضاع، وبالمصاهرة. **فأما النَّسب** فيَحرُم به سبعة أصناف؛ وهي المذكورة في هذه الآية. **وضابطها**: أنه يَحرُم على الرجل فُصولُه ما سفُلت، وأصولُه ما علَت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصلٍ من كل أصل متقدِّم على أبويه.

﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ **يدخل فيه**: الوالدات، والجدَّات من الأم ومن الأب ما علَوْنَ.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ **يدخل فيه**: البنت، وبنت الابن، وبنت البنت ما سَفُلن.

﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ **يدخل فيه**: الأخت الشقيقة، والأخت للأب، والأخت للأم.

﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ **يدخل فيه**: أخت الوالد، وأخت الجد ما علا؛ سواءٌ كانت شقيقةً أو لأب أو لأم.

﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ **يدخل فيه**: أخت الأم، وأخت الجدَّة ما علت؛ سواءٌ كانت شقيقة أو لأب أو لأم.

﴿وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ﴾ **يدخل فيه**: كل من تناسل من الأخ الشقيق، وللأب، وللأم.

﴿وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ **يدخل فيه**: كل من تناسل من الأخت الشقيقة، وللأب، وللأم.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ذكَر تعالىٰ صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[1]. **فاقتضىٰ ذلك**: تحريمَ الأصناف السبعة التي تحرم من النسب، وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت. وتفصيل ذلك يطول. وفي الرَّضاع مسائلُ لم نذكرْها؛ لأنها ليس لها تعلُّقٌ بألفاظ الآية.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ **المحرَّمات بالمصاهرة أربع**؛ وهنَّ: زوجة الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة. فأما الثلاث الأُوَل: فتَحرُم بالعقد؛ دخل بها أو لم يدخل. وأما بنت الزوجة: فلا تَحرم إلَّا بعد الدخول بأمها. فإن وطئها حرمت عليه بنتها بإجماع. وإن تلذَّذ بها بما دون الوطء: فحرَّمها مالك والجمهور[2]. وإن عقد عليها ولم يدخل بها: لم تَحرم بنتها إجماعًا. وتحرم هذه الأربع بالرَّضاع كما تحرم بالنسب.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ **الرَّبيبة**: هي بنتُ امرأةِ الرجل من غيره، سُمِّيت بذلك؛ لأنه يُربِّيها، فلفظها: فَعِيلة بمعنىٰ مفعولة. وقوله: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ علىٰ غالب الأمر؛ إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمِّها، وهي محرَّمة؛ سواءٌ كانت في حجره أم لا، **هذا عند الجمهور من العلماء**، إلَّا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره[3].

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ اشترَط الدخولَ في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يَشترطه في تحريم غيرها، **وعلىٰ ذلك جمهور العلماء**، إلَّا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) خلافًا للشافعي في أظهر قوليه، وأحمد في إحدىٰ الروايتين، وهي المذهب عند المتأخرين. مغني المحتاج (٣/ ١٧٨)، والمبدع لابن مفلح (٧/ ٥٤-٥٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٨٣٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١٢)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥٢): «هذا إسناد قوي ثابت إلىٰ علي بن أبي طالب، علىٰ شرط مسلم»، وصححه -أيضًا- السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٩).

اشترط الدخول في تحريم الجميع[(١)]، وقد انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ **الحلائل**: جمع حَلِيلة؛ وهي الزوجة.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ تخصيصٌ؛ ليَخرج عنه زوجةُ الابن الذي يتبنَّاه الرجل وهو أجنبيٌّ عنه؛ كتزوُّجِ رسول الله ﷺ زينبَ بنت جحش، امرأةَ زيد بن حارثة الكلْبيِّ الذي كان يقال له: زيد بن محمد.

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين؛ سواءٌ كانتا شقيقتَين أو لأب أو لأم؛ وذلك في الزوجتين. وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء: فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة[(٢)] وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ: ﴿ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾. وأجازه الظاهرية؛ لأنهم قصَرُوا الآية على الجمع بالنكاح. وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطءٍ فجائز باتِّفاق.

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ **المعنى**: إلَّا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنكم فلا تؤاخذون به، **هذا أرجحُ الأقوال** حسَبما تقدَّم في الموضع الأول.

﴿٢٤﴾ ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ **المراد هنا**: ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله. **والمعنى**: أنه لا يحِلُّ[(٣)] نكاح المرأة إذا كانت في عصمة رجل.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ يريد: السَّبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل. **والمعنى**: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج، ثم سُبِيتْ جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها. **وسبب ذلك**: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا إلى أوطاسٍ، فأصابوا سبايا من العدوِّ لهنَّ[(٤)] أزواج من المشركين، فتأثَّم المسلمون من غشيانهنَّ، فنزلت الآية مبيحةً لذلك[(٥)]. **ومذهب مالك**: أن السبي يهدم النكاح؛ سواءٌ سُبي الزوجان الكافران معًا أو سُبي أحدهما قبل

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١١)، وابن المنذر (٢/ ٦٢٧)، وابن أبي شيبة (١٦٥٢٢).
(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣١٢).
(٣) في د: «لا يجوز».
(٤) في ج، د: «ولهن».
(٥) أخرجه مسلم (١٤٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

الآخر[١]. وقال ابن الموَّاز: لا يهدم السبيُ النكاحَ[٢].

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ منصوبٌ على المصدرية؛ أي: كتَب الله ذلك عليكم كتابًا، وهو تحريم ما حرَّم. وهو عند الكوفيين: منصوب على الإغراء.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ معناه: أَحلَّ لكم تزوُّج مَن سوى ما حرَّم من النساء. وعطف ﴿أَحَلَّ﴾ على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، والفاعل هو الله؛ أي: كَتب الله عليكم تحريم مَن ذَكر، وأَحلَّ لكم ما وراء ذلكم.

﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ مفعولٌ من أجله، أو بدلٌ من: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾. وحُذِف مفعوله؛ وهو النساءُ.

﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ هنا: أَعِفَّةً. ونصْبُه على الحال من الفاعل في ﴿تَبۡتَغُواْ﴾.

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أي: غير زُناةٍ. والسِّفاح: هو الزنا.

﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾ ابنُ عباس ﭫ وغيره: معناها: إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء، فقد وجب إعطاء الأجر؛ وهو الصَّداق كاملًا[٣]. وقيل: إنها في نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجلٍ من غير ميراث، وكان جائزًا في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حُرِّم عند جمهور العلماء؛ فالآية على هذا منسوخة: بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة[٤]. وقيل: نسَخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه. وقيل: نسخها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]. وروي عن ابن عباس ﭫ جواز نكاح المتعة[٥]، وروي أنه رجع عنه[٦].

---

(١) وبه قال الشافعي، وهو رواية عن أحمد.

(٢) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، فأما إن سُبيت المرأة وحدها فينفسخ النكاح بغير خلاف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٩٥-٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١٩)، وابن المنذر (٢/ ٦٤٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٠/ ١٢٠).

(٤) الأخبار في تحريم نكاح المتعة: منها حديث علي ﭬ أخرجه البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧). وحديث سبرة بن معبد الجهني أخرجه مسلم (١٤٠٦). وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم (١٤٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي (١١٢٢)، وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ١٧٢): «إسناده ضعيف». وقال الترمذي: «وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أُخبر عن النبي ﷺ».

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ﴾ **مَن قال**: إن الآية المتقدِّمة في مهور النساء؛ **فمعنى هذه**: جواز ما يتراضون به من حطٍّ من[1] الصداق، أو تأخيره بعد استقرار الفريضة.

ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة؛ **فمعنى هذه**: جواز ما يتراضون به من زيادةٍ في مدة المتعة وزيادة في الأجر.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا اَنْ يَّنكِحَ اَلْمُحْصَنَٰتِ اِلْمُومِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ اُلْمُومِنَٰتِۖ﴾ **معناها**: إباحة تزوُّج الفتيات -وهنَّ الإماء- للرجل إذا لم يجد طَولًا للمحصنات. **والطَّوْل**: هو السعة في المال.

والمحصنات هنا: يراد به[2] الحرائرُ غير المملوكات. **ومذهب مالك وأكثر أصحابه**: أنه لا يجوز للحُرِّ نكاحُ أَمَةٍ **إلَّا بشرطين**[3]: **أحدهما**: عدم الطَّول؛ وهو أن لا يجد ما يتزوج به حرةً[4].

والآخر: خوف العنت؛ وهو الزِّنا؛ لقوله بعد هذا: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾. وأجاز ابن القاسم نكاحَهن دون الشرطين؛ على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر. واتَّفقوا على اشتراط الإسلام في الأَمَة التي تُتَزوَّج[5]؛ لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، إلَّا أهل العراق فلم يشترطوه.

وإعراب ﴿طَوْلًا﴾:

[١] مفعولٌ بالاستطاعة، و﴿أَن يَنكِحَ﴾: بدلٌ منه، فهو في موضع نصبٍ، (أو في موضع نصبٍ)[6] بتقدير: «لِأن ينكحَ»[7].

---

(١) لم يرد هذا الحرف في ج، هـ د.

(٢) في د: «بهن».

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣٥٧).

(٤) في ب، ج، هـ: «بما يتزوج حرة».

(٥) في ج، هـ: «لا تتزوج».

(٦) ما بين القوسين لم يرد في أ، ب، ج، د، ومثبت من هـ، وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٠).

(٧) ثم حُذف حرف الجرِّ، فانتصب الموضع، ويكون في موضع الصفة، تقديره: طَولًا -أي: مهرًا- كائنًا لنكاح المحصنات. البحر المحيط (٦/ ٥٧٢).

[٢] ويَحتمل أن يكون ﴿طَوْلًا﴾ نُصِب على المصدر؛ والعامل فيه الاستطاعة؛ لأنهما بمعنىً يتقارب، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ على هذا مفعول: بالاستطاعة. أو بالمصدر.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾ معناه: أنه يعلم بواطنَ الأمور ولكم ظواهرُها، فإذا كانت الأَمة ظاهرةَ الإيمان، فنكاحها صحيحٌ، وعِلْمُ باطنها إلى الله.

﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: إماؤكم منكم؛ وهذا تأنيسٌ بنكاح الإماء؛ لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك.

﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: بإذن سادتهنَّ المالكين لهنَّ.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: صَدُقاتهن. وهذا يقتضي أنهنَّ أحقُّ بصَدُقاتهنَّ من سادتهنَّ، وهو مذهب مالك(١).

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشَّرع على ما تقتضيه السُّنة.

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أي: عفيفاتٍ غيرَ زانيات. وهو منصوب على الحال؛ والعامل فيه: ﴿فَانكِحُوهُنَّ﴾.

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل، وكان مِن نساء الجاهلية مَن تتخذ خِدنًا تزني معه خاصة، ومنهنَّ مَن كانت لا تردُّ يد لامسٍ.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك: أن الأَمة إذا زنت بعد أن أُحصِنت فعليها نصف حدِّ الحرة، فإن الحرة تُجلد في الزنا مئةَ جلدة، والأمة تجلد خمسين. فـ﴿إِذَا أُحْصِنَّ﴾ يريد به هنا: تزوَّجْنَ، والفاحشة هنا: الزنا، و﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا: الحرائر، و﴿الْعَذَابِ﴾ هنا: الحدُّ(٢).

فاقتضت الآية: حدَّ الأمة إذا زنت بعد أن تزوَّجت، ويؤخذ حدُّ غير المتزوِّجة من السنة؛ وهو مثل حدِّ المتزوِّجة(٣).

---

(١) خلافًا للشافعي. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٣٦).

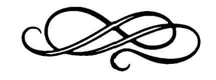
(٢) في د: «الجلد».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٥) عن علي ﷺ.

وهذا على[1] قراءة ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد[2]. وقرئ بفتحهما، ومعناه: أَسْلَمن، وقيل: تزوَّجن.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ الإشارةُ إلىٰ تزوُّج الأَمة؛ أي: إنما يجوز لمن خَشِي علىٰ نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسَه.

﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد: الصبر عن نكاح الإماء، وهذا ندْبٌ إلىٰ تركه، وعِلَّته: ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.



(١) في ب، ج، هـ: «وعلىٰ هذا».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بفتح الهمزة والصاد، وقرأ الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا
عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ
نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿٢٦﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ **قال الزمخشري:** «أصله: أن يبيِّنَ؛ فزيدت اللام مؤكِّدةً، كما زيدت في: لا أبا لك»[١]. **وقال الكوفيون:** اللام مصدرية؛ مثل: «أنْ».

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: يهديَكم مناهجَ مَن كان قبلكم من الأنبياء والصالحين؛ لتقتدوا بهم.

﴿٢٧﴾ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كُرِّر توطئةً لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا: الزناة عند مجاهد[٢]. وقيل: المجوس؛ لنكاحهم ذواتِ المحارم. وقيل: عامٌّ في كل متبعِ شهوةً. وهو أرجح.

﴿٢٨﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يقتضي سياقُ الكلام التخفيفَ الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عامٌّ في كلِّ ما خفَّف الله عن عباده، وجَعْلِ دينِهم يُسرًا.

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ **قيل:** معناه لا يصبر عن النساء؛ وذلك مقتضىٰ سياق الكلام. واللفظ أعمُّ من ذلك.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥١٣)، أي: أن اللام مؤكِّدة لإرادة التبيين، وتكون «أن» مضمرة بعد هذه اللام، وهي الناصبة للفعل. البحر المحيط (٦/ ٥٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٦٢٢).

﴿٢٩﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ **يدخل فيه**: القمار، والغصب، والسرقة، وغير ذلك.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ استثناءٌ منقطع، والمعنىٰ: لكن إن كانت تجارةٌ فكلوها. وفي إباحة التجارة دليلٌ علىٰ أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعةً تساوي مئة، والمشهور إمضاء البيع[1]. وحُكي عن ابن وهب: أنه يُردُّ إذا كان الغبْن أكثر من الثلث[2]. وموضع «أن» نصبٌ، و ﴿تِجَٰرَةٌ﴾ بالرفع: فاعل ﴿تَكُونَ﴾ ؛وهي تامة. **وقرئ بالنصب**: خبر ﴿تَكُونَ﴾؛ وهي ناقصة[3].

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ أي: اتفاقٍ. **وبهذا استدلَّ المالكية علىٰ تمام البيع بالعقد دون التفرُّق. وقال الشافعي**: إنما يتمُّ بالتفرق بالأبدان[4]؛ لقوله ﷺ: «**المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا**»[5].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ **قال ابن عطية**: أجمع المفسِّرون أن المعنىٰ: لا يقتلْ بعضكم بعضًا[6]. **قلت**: ولفظها يتناول قتْلَ الإنسانِ لنفسِه[7]، وقد حملها عمرُو بن العاص ﷺ علىٰ ذلك، ولم ينكرْه رسول الله ﷺ إذْ سمعه[8].

(١) يعني المشهور في مذهب مالك، فليس له الخيار في الفسخ، بل يلزمه البيع، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.

(٢) فيثبت خيار الغبن إذا زاد علىٰ قيمة السلعة بالثلث فأكثر، وهو قول في مذهب أحمد، قال به أبو بكر عبد العزيز وابن أبي موسىٰ.
والمعتمد في مذهب أحمد ثبوت خيار الغبن، إذا غُبن غبنًا يخرج عن العادة، والمرجع في تحديده إلىٰ العرف. القوانين الفقهية (٤٤٩)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/ ٣٤٢-٣٤٤).

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) وهو مذهب أحمد وأكثر أهل العلم، خلافًا للحنفية والمالكية. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/ ٢٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣١) عن ابن عمر ﷺ.

(٦) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٠).

(٧) في ب، د: «نفسَه».

(٨) عن عمرو بن العاص ﷺ، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهلك، فتيمَّمت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**يا عمرُو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا. أخرجه أبو داود (٣٣٤)، وأحمد في مسنده (١٧٨١٢)، والحاكم (٦٢٩)، والدارقطني (٦٨١)، والبيهقي (١٠٧٠) وذكره البخاري تعليقًا (١/ ٧٧)، وإسناده قوي كما قال ابن حجر في الفتح (١/ ٤٥٤) ولكن قال ابن الملقن: «رواية التيمم منقطعة»، وروي بسند متصل، =

﴿٣٠﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ **إشارةٌ إلىٰ**: القتل؛ لأنه أقرب مذكور. **وقيل**: إليه، وإلىٰ أكل المال بالباطل. **وقيل**: إلىٰ كل ما تقدَّم من المنهيات من أوَّل السورة.

﴿٣١﴾ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ **اختلف الناس في الكبائر ما هي؟**

فقال ابن عباس ﵄: الكبائر: كلُّ ذنب ختَمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ[1].

وقال ابن مسعود ﵁: الكبائر هي الذُّنوب المذكورة من أول هذه السورة إلىٰ هذه الآية[2]. **وقال بعض العلماء**: كل ما عُصِيَ الله به فهو كبيرةٌ[3]. وعدَّها بعضهم سبعَ عشرة.

وفي البخاري عن النبي ﷺ: «**اتقوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات**»[4] فلا شكَّ أن هذه من الكبائر؛ للنص عليها في الحديث.

وزاد بعضهم عليها أشياءَ وردَ في الأحاديث[5] النصُّ علىٰ أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيدٌ عليها؛ فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور[6]، واليمين الغَموس[7]، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنُّهْبة[8]، والقُنوط من رحمة الله، والأمن من

= أخرجه أبو داود (٣٣٥)، وابن حبان (١٣١٥)، والحاكم (٦٢٨)، والبيهقي من طريقه (١٠٧١) وصححه ووافقه الذهبي، وليس فيه التيمم، وإنما فيه: «فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة». قال البيهقي: «يحتمل أن يكون فعل ما في الروايتين جميعًا، فيكون قد غسل ما أمكن وتيمم للباقي». وانظر: البدر المنير (٢/ ٦٣٠).

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٧٠) وزاد: «أو عذاب».

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٣)، وابن المنذر (٢/ ٦٧٠)، والحاكم (١٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) قاله ابن عباس ﵄ أخرجه الطبري (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة ﵁.

(٥) في ب، د: «الحديث».

(٦) أخرج البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة ﵁ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ -ثلاثًا- الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور -أو قول الزور**».

(٧) أخرج البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) عن عبد الله بن مسعود ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف علىٰ يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**».

(٨) أخرج البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة ﵁، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

مكر الله(١)، ومنْع ابن السبيل الماء(٢)، والإلحاد في البيت الحرام(٣)، والنميمة، وترك التحرُّز من البول(٤)، والغُلول(٥)، واستطالة المرء في عِرْض أخيه(٦)، والجَور في الحكم(٧).

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وعْدٌ بغُفران الذنوب الصغائر إذا اجتُنبت الكبائر.

﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان؛ وهو هنا: الجنة.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ﴾ الآيَة؛ سببها: أن النساء قلن: ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث، وشاركناهم في الغزو! فنزلت نهيًا عن ذلك(٨)؛ لأن في تمنِّيهم ردًّا(٩) على حكم الشريعة. فيدخل في النهي: تمنِّي مخالفةِ الأحكام الشرعية كلِّها.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ﴾ الآيَة؛ أي: من الأجر والحسنات. وقيل: من الميراث؛ ويردُّه لفظ الاكتساب.

---

(١) أخرج عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٥٩)، والطبري (١/ ٤٤٨)، عن ابن مسعود ﵁، قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٩).

(٢) أخرج البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل..».

(٣) أخرج البخاري (٦٨٨٢) عن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ، قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم..».

(٤) أخرج البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس ﵄ قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».

(٥) أخرج البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة ﵁، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظَّمه وعظم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك..».

(٦) أخرج أبو داود (٤٨٧٧) عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق..».

(٧) أخرج النسائي (٢٥٧٥)، وابن حبان (٥٥٥٨) عن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يُبغضهم الله ﷿: البياع الحلَّاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر».

(٨) أخرجه أحمد (٢٦٧٣٦) والترمذي (٣٠٢٢) والحاكم (٣١٩٥)، عن مجاهد عن أم سلمة ﵂، وقال الترمذي: «حديث مرسل»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة»، ووافقه الذهبي.

(٩) في ب: «لأن تمنيَهم ردٌّ».

(٣٣) ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ الآيَةَ؛ في معناها وجهان: أحدهما: لكل شيءٍ من الأموال جعلنا مواليَ يرثونه؛ فـ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: بيان لـ«كُلٍّ». والآخر: لكلِّ أحدٍ جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون؛ فـ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: يتعلَّق بفعل مضمر. والموالي هنا: الوَرثة[1] والعَصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختُلف هل هي منسوخة أو مُحْكَمة؟

فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا: معناها الميراث بالحِلْف الذي كان في الجاهلية، وقيل: بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسَخها: ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٦]؛ فصار الميراث للأقارب.

والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي في المؤازرة والنُّصرة بالحِلْف، لا في الميراث به[2].

وقال أبو حنيفة: هي في الميراث؛ وأن الرجلين إذا والَىٰ أحدُهما الآخَرَ علىٰ أن يتوارثا صحَّ ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابةٌ[3].



(١) في ج، هـ: «الذرية»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٢).

(٣) وهو رواية عن أحمد، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنهم يرثون عند عدم الرحم والنكاح والولاء، والرواية المشهورة عن أحمد عدم التوارث بذلك، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٨/ ٨).

﴿الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْۖ
فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُۖ وَالتِے تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ
وَاهْجُرُوهُنَّ فِے الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنَ اَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۖ اِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيّاً كَبِيراًۖ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنَ اَهْلِهِۦ وَحَكَماً مِّنَ اَهْلِهَآ إِنْ
يُّرِيدَآ إِصْلَٰحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراًۖ ﴿٣٥﴾ *وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ
بِهِۦ شَيْئاًۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَبِذِے الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْجَارِ ذِے الْقُرْبَىٰ
وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّٰحِبِ بِالْجَنۢبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمُۥٓۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراًۖ ﴿٣٦﴾ اِلذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتِيٰهُمُ
اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناًۖ ﴿٣٧﴾ وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا
يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاخِرِۖ وَمَنْ يَّكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناًۖ ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ
لَوَ ـامَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُۖ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماًۖ ﴿٣٩﴾ اِنَّ اللَّهَ لَا
يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ يُضَٰعِفْهَا وَيُوتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماًۖ ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جِئْنَا مِن كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيداًۖ ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُواْ
وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْارْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاًۖ ﴿٤٢﴾

﴿٣٤﴾ ﴿الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَآءِ﴾ قوَّام: بناءُ مبالغة؛ من القيام علىٰ الشيء والاستبداد بالنظر فيه. **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: الرجال أمراءُ علىٰ النساء(١).

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ **الباء**: للتعليل، و«ما» مصدرية. **والتفضيل**: بالجهاد، والإمامة، ومِلك الطَّلاق، وكمال العقل، وغير ذلك.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ هو: الصَّداقُ، والنفقةُ المستمرَّة علىٰ الزوجات.

﴿فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: النساءُ الصالحات في دينهنَّ مطيعاتٌ لأزواجهن. أو: مطيعاتٌ لله في حقِّ أزواجهن.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٩).

﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: تحفظ كلَّ ما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك: صيانةُ نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: بحفْظِ الله ورعايته. أو: بأمره للنساء أن يُطِعْنَ الزوج ويحفظْنَه. فـ«ما»: مصدرية، أو بمعنىٰ «الذي».

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنىٰ اليقين. وقيل: هو علىٰ أصله.

﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ هذه أنواعٌ من تأديب المرأة إذا نشَزت علىٰ زوجها؛ وهي علىٰ مراتب: فالوعظ في النُّشوز الخفيف. والهِجران فيما هو أشدُّ منه. والضرب فيما هو أشد منه[1]. ومهما انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يُتعدَّ إلىٰ ما بعده. والهِجران هنا: هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها. والضرب: غير مُبرِّح.

﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجَها فليس له أن يؤذيَها بهجران ولا ضرب.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ الشِّقاق: الشرُّ والعداوة. وكان الأصل: «إن خفتم شقاقًا بينَهما»، ثم أُضيف الظرف إلىٰ الشقاق علىٰ طريق الاتِّساع؛ كقوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]؛ وأصله: «مكرٌ بالليل والنهار».

﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا﴾ الآيةَ؛ ذكر تعالىٰ الحُكْمَ في نشوز المرأة، والحكمَ في طاعتها، ثم ذكر هنا حالةً أخرىٰ؛ وهي: إذا ساء[2] ما بين الزوجين ولم يُقدَرْ علىٰ الإصلاح بينهما، ولا عُلِم مَن الظالم منهما، فيُبعَث حكَمان مسلمان؛ ليَنظرَا في أمرهما، ويُنفِّذَا[3] ما ظهر لهما من تطليق وخُلع من غير إذن الزوج.

وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جُعل[4] لهما، وإن اختلفا لم يَلزم شيءٌ

(١) لم ترد هذه الكلمة في ب، هـ.
(٢) في ب: «وهي إساءة».
(٣) في ب، ج، هـ: «ويَنفُذ».
(٤) في ب: «أن يجعل».

إِلَّا باتِّفاقهما[1]. **ومشهور مذهب مالك**: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكَمين. **وقيل**: يبعثهما الزوجان. وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأةً أمينة، ولا يبعثوا حكمين؛ قال بعض العلماء: هذا تغييرٌ لحكم القرآن والسُّنةِ الجارية[2].

﴿مِّنَ أَهْلِهِۦ﴾ يجوز في المذهب[3] أن يكون الحكَمان من غير أهل الزوجين، والأكملُ أن يكونا من أهلهما؛ كما ذَكر الله.

﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحاً يُوَفِّقِ اِ۬للَّهُ بَيْنَهُمَآۖ﴾ الضمير في ﴿يُرِيدَآ﴾: للحكَمين، وفي ﴿بَيْنَهُمَآۖ﴾: للزوجين **على الأظهر**. **وقيل**: الضميران للزوجين. **وقيل**: للحكَمين.

٣٦ ﴿وَالْجارِ ذِے اِ۬لْقُرْبيٰ وَالْجارِ اِ۬لْجُنُبِ﴾ **ابنُ عباس** رضي الله عنهما: **الجارُ ذو القربىٰ**: هو القريب النَّسب، **والجار الجنب**: هو الأجنبي[4]. **وقيل**: **ذو القربىٰ**: القريب المسكن منك، **والجنب**: البعيد المسكن عنك. **وحد الجوار**[5] **عند بعضهم**: أربعون دارًا من كل ناحية.

﴿وَالصَّٰحِبِ بِالْجَنۢبِ﴾ **ابنُ عباس** رضي الله عنهما: الرفيق في السفر[6]. **عليُّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: الزوجة[7].

﴿مُخْتَالاً﴾ اسم فاعل؛ وزنه مُفتعِل؛ من الخيلاء، وهي[8] الكبر وإعجاب المرء بنفسه.

﴿فَخُوراًۨ﴾ شديدَ الفخر.

٣٧ ﴿اِ۬لذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مُخْتَالاً﴾. أو نَصْبٌ على الذم. أو رفْعٌ بخبر ابتداء مضمر. أو مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: «يُعذَّبون». والآية في اليهود؛ نزلت في قوم

---

(١) فيكونان وكيلين عن الزوجين، لا يملكان التفريق إلا بإذنهما، وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند الأصحاب، والرواية الأخرىٰ كالقول الأول الذي ذكره ابن جزي، وهي ظاهر كلام الخرقي، واختارها ابن تيمية وغيره. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٤٧٩-٤٨٢).

(٢) نقله ابن الفرس في أحكام القرآن (٢/ ١٨٥) عن ابن القطان بمعناه.

(٣) وكذا في مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٦، ٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٨).

(٥) في د: «الجار».

(٦) أخرجه الطبري (٧/ ١١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٩).

(٧) أخرجه الطبري (٧/ ١١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٩)، وابن المنذر (٢/ ٧٠٣).

(٨) في د: «وهو».

منهم: كَرْدَمٌ، وحُيي بن أخطبَ، ورِفاعة بن زيد بن التَّابُوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تُنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات[١]. وهي -مع ذلك- عامةٌ فيمن فعل هذه الأفعالَ من المسلمين.

٣٨ ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾. وقيل: على: ﴿الْكَافِرِينَ﴾. والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياءً[٢] ومُصانعة. وقيل: في اليهود. وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم[٣] في حرب المسلمين.

﴿قَرِينًا﴾ أي: مُلازِمًا له يُغوِيه.

٣٩ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا﴾ الآيةَ؛ استدعاءٌ لهم بملاطفة. أو: توبيخٌ على ترك الإيمان والإنفاق؛ كأنه يقول: أيُّ مضرَّةٍ عليهم في ذلك.

٤٠ ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنَها؛ وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيلٌ بالقليل تنبيهًا على الكثير.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ﴾ بالرفع[٤]: فاعل، و﴿تَكُ﴾ تامةٌ. وبالنصب: خبرٌ؛ على أنها ناقصة، واسمها مضمر فيها[٥].

﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي: يكثِّرْها[٦]؛ واحدة بعشرٍ[٧]، إلى سبع مئة وأكثر.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده؛ تفضُّلًا وزيادةً على ثواب العمل.

٤١ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا!

﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيُّهم؛ يشهد عليهم بأعمالهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٤)، وابن المنذر (٢/ ٧٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في د: «رياءَ الناس».

(٣) في أ: «مالهم» وفي الهامش: «خ: أموالهم».

(٤) قرأ نافع وابن كثير بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٥) تقديره: وإن تك زِنةُ الذرة حسنةً. المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٥).

(٦) في أ: «يكررها» وفي الهامش: «خ: يكثرها».

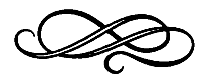
(٧) في د: «بعشر أمثالها».

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيداً﴾ أي: تشهد على قومك. ولما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرَفت عيناه[1].

﴿٤٢﴾ ﴿لَوْ تَسَوّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تَسَوَّىٰ بهم كما تَسَوَّىٰ بالموتىٰ. وقيل: يتمنون أن يكونوا سواءً مع الأرض؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰباً﴾ [النبأ: ٤٠]، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة.

﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً﴾ استئنافٌ، إخبارٌ أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئًا.

فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟ **فالجواب من وجهين** : **أحدهما**: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تَنطق جوارحُهم، فكأنهم لم يكتُموا. **والآخر**: أنهم طوائفُ مختلفة، ولهم أوقاتٌ مختلفة. **وقيل**: إن قوله: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تَسَوّىٰ﴾؛ أي: يتمنون أن لا يكتموا؛ لأنهم إذا كتموا افتُضِحوا.



(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٣) ومسلم (٨٠٠).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

﴿٤٣﴾ ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ **سببها:** أن جماعةً من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة، وأمَّهم أحدُهم فخلط في القراءة[1]. **فمعناها:** النهيُ عن الصلاة في حال[2] السُّكر. **قال بعض الناس:** هي منسوخة بتحريم الخمر، **وذلك لا يَلزم؛** لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي نهيٌ عن الصلاة في حال السكر، وذلك الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها. **وقال بعضهم: معناها:** لا يكن منكم سكرٌ يمنع قرب الصلاة؛ إذ المرءُ مأمورٌ بالصلاة، فكأنها تقتضي النهيَ عن السُّكر، وعن سببه وهو الشرب، **وهذا بعيدٌ من مقتضى اللفظ.**

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٤٥)، وابن المنذر (٢/ ٧١٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٨)، وأبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي في الكبرى (١١٠٤١)، والحاكم (٣١٩٩) من حديث أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) في هامش أ: «حين».

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي: حتىٰ تعودَ إليكم عقولُكم فتعلمون[1] ما تقرؤون. ويَظهر من هذا: أن السَّكران (لا يعلمُ ما يقول؛ فأَخذ بعض الناس من ذلك: أن السكرانَ)[2] لا يَلزمه طلاقُه ولا إقرارُه.

﴿وَلَا جُنُباً اِلَّا عَابِرِے سَبِيلٍ﴾ عطفَ ﴿وَلَا جُنُباً﴾ علىٰ موضع: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾؛ إذ هو في موضع الحال. والجنب هنا: غير الطَّاهر؛ بإنزالٍ أو إيلاج، وهو واقعٌ علىٰ جماعة؛ بدليل استثناء الجمع منه.

واختُلف في عابري السبيل: فقيل: إنه المسافر؛ ومعنىٰ الآية علىٰ هذا: نهيٌ أن يقرب الصلاة وهو جنب إلَّا في السفر، فيصلي بالتيمم دون اغتسال. فمقتضىٰ الآية: إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضَر من الحديث. وقيل: عابرُ السبيل: المارُّ في المسجد، والصلاة هنا يراد بها: المسجد؛ لأنه موضع الصلاة، فمعنىٰ الآية علىٰ هذا: النهيُ أن يَقرب الجنبُ المسجد إلَّا خاطِرًا عليه. وعلىٰ هذا أَخذ[3] الشافعي[4] الآية؛ لأنه يُجيز للجنب أن يمرَّ في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه. ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآيَةَ؛ سببها: عَدَمُ الصحابةِ للماء في غزوة المُرَيسِيع[5]، فأُبيح لهم التيمُّم في عَدم الماء.

ثم إنَّ عدمَ الماء علىٰ ثلاثة أوجه: أحدها: عدمه في السفر. والثاني: عدمه في المرض. فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نصٌّ في المرض والسفر إذا عدم الماء

(١) كذا ورد في النسخ الخطية بثبات النون علىٰ الرفع، ويحمل هذا علىٰ أنه رفعٌ علىٰ الاستئناف.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب، ج، هـ.
(٣) في د: «حمل».
(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١١٢).
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) عن عائشة ﵂، وفيه: «فأنزل الله آية التيمم»، قال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٥٦١-٥٦٢): «وهي مُعضِلةٌ ما وجدت لدائها من دواء عند أحد، هما آيتان فيهما ذكر التيمم؛ إحداهما في النساء، والأخرىٰ في المائدة، فلا نعلم أَيَّةَ آيةٍ عنَتْ عائشةُ ﵂». هـ. وجزم ابن رجب في فتح الباري (٢/ ٩) أنها آية المائدة، ورجَّح هذا ابن حجر في الفتح (١/ ٤٣٢).

فيهما؛ لقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾. **الوجه الثالث**: عدم الماء في الحضَر دون مرضٍ؛ فاختلف الفقهاء فيه:

فمذهب أبي حنيفة: أنه لا يجوز فيه التيمم[1]؛ لأن ظاهر الآية أنَّ عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر. ومذهب **مالك والشافعي**[2]: أنه يجوز فيه التيمم.

فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة. **وإن قلنا**: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها[3]. **وهذا هو الأرجح** إن شاء الله؛ وذلك أنه ذَكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرضٍ ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كلِّه: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾، فيرجع قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ إلىٰ المرض وإلىٰ السفر وإلىٰ مَن أَحدث في غير مرض ولا سفر؛ فيجوز التيمم علىٰ هذا لـمَن عَدِمَ الماءَ في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجةٌ لمالك والشافعي.

ويجوز التيمم أيضًا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء، ولم يَقدِر علىٰ استعماله؛ لضررٍ ببدنه[4]. **فإن قلنا**: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة. **وإن قلنا**: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها[5]؛ علىٰ أن يُتأَوَّلَ قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ أن معناه: مرضىٰ لا تقدرون علىٰ مسِّ الماء.

وحدُّ المرض الذي يجوز فيه التيمم: **عند مالك**: هو أن يَخاف الموتَ، أو زيادةَ المرض، أو تأخُّرَ البُرْء[6]. **وعند الشافعي**: خوفُ الموت لا غيرُ[7].

وحدُّ السفر: الغيبة عن الحضَر، كان مما تُقصَر فيه الصلاة أم لا.

﴿أَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم﴾ **في «أو» هنا تأويلان**: **أحدهما**: أن تكون للتفصيل والتنويع علىٰ بابها.

---

(١) وهو رواية عن أحمد، اختارها الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٦٨-١٦٩).
(٢) وأحمد في الصحيح من مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٦٨-١٦٩).
(٣) في د: «منهما».
(٤) وهو مذهب أحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٧٤).
(٥) في د: «منهما».
(٦) وهو مذهب أحمد في المشهور عنه.
(٧) وهو رواية عن أحمد، والصحيح عنه ما سبق. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٧٥).

والآخر: أنها بمعنىٰ الواو.

فعلىٰ القول بأنها علىٰ بابها: يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعًا إلىٰ المريض والمسافر، وإلىٰ مَن جاء مِن الغائط، وإلىٰ مَن لامس، سواءٌ كانا مريضين أو مسافرين أم لا؛ حسَبما ذكرنا قبل هذا. فيقتضي ذلك: جوازَ التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماءَ، وهو مذهب مالك والشافعي[١] فيكون في الآية حجةٌ لهما.

وعلىٰ القول بأنها بمعنىٰ الواو: يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعًا إلىٰ المريض والمسافر. فيقتضي ذلك: أنه لا يجوز التيمم إلَّا في المرض والسفر مع عدَم الماءِ، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدِم الماءَ، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخَر.

والراجح: أن تكون «أو» علىٰ بابها؛ لوجهين: أحدهما: أنَّ جعْلها بمعنىٰ الواو إخراجٌ لها عن أصلها، وذلك ضعيف. والآخر: أنه[٢] إذا كانت علىٰ بابها: كان فيها إفادة[٣] إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدِم الماءَ علىٰ ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنىٰ الواو لم تُعْطِ[٤] هذه الفائدة.

وحجَّةُ مَن جعَلها بمعنىٰ الواو: أنه لو جعَلها علىٰ بابها لاقتضىٰ المعنىٰ أن المرض والسفر حدَثٌ يوجِب الوضوء كالغائط؛ لعطفه عليهما. وهذا لا يَلزم؛ لأن العطف بـ«أو» هنا للتنويع والتفصيل، ومعنىٰ الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماءً إن كنتم مرضىٰ أو علىٰ سفر، أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر.

﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصله: المكان المنخفض، وهو هنا: كنايةٌ عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العَذِرة، والرِّيح، والبول؛ لأن مَن ذهب إلىٰ الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاثة. وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السُّنة، وكذلك الوَدْيُ والمذْيُ .

(١) وأحمد، وتقدم قريبًا.
(٢) في د: «أنها».
(٣) في ج، د: «فائدة».
(٤) في هامش أ: «خ: تُفِدْ».

﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ **اختُلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجماع وما دونه**؛ من التقبيل واللمس باليد وغيرها. وهو قول مالك[1]. **فعلىٰ هذا: ينتقض** الوضوء باللمس الذي هو دونَ الجماع علىٰ تفصيلٍ في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدِم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم.

والقول الثاني: أنها ما دون الجماع. **فعلىٰ هذا**: ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ﷺ[2]، ويؤخذ جوازه عند من أجازه من الحديث.

والثالث: أنها الجماع لا غيرُ. **فعلىٰ هذا**: يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دونَ الجماع ناقضًا للوضوء. وهو مذهب أبي حنيفة.

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء[3]، وهو مذهب مالك[4]، خلافًا لأبي حنيفة[5]. فإن وجده بثمنٍ فاختلف: هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وُهِب له فاختلف: هل يلزمه قَبوله أم لا؟

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ **التيمم في اللغة**: القصد. **وفي الفقه**: الطَّهارة بالتراب، وهو منقولٌ من المعنىٰ اللُّغوي.

﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾ **الصَّعيد عند مالك**: هو وجه الأرض، كان ترابًا أو رملًا أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كلِّه. **وهو عند الشافعي**: الترابُ لا غيرُ[6].

والطيِّب هنا: الطاهر. واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملح، وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق، وبالآجُرِّ، وبالجِصِّ المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٤٥).

(٢) ثبت عن عمر ﷺ أنه أنكر التيمم للجنب، أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨) من حديث عبد الرحمن بن أبزىٰ، قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣/ ٤٥): «فدل علىٰ أنه كان يرىٰ الملامسة ما دون الجماع»، وبنحوه قال الخطابي في معالم السنن (١/ ١٠٢).

(٣) في ب، ج، هـ: «الطلب».

(٤) والشافعي وأحمد في المشهور عنه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٩٧).

(٥) وأحمد في رواية، اختارها أبو بكر وأبو الحسن التميمي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٩٧).

(٦) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٢١٥).

علىٰ وجه الأرض، وذلك كلُّه علىٰ الاختلاف في معنىٰ الصعيد.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلَّا في هذين العضوين، ويُقدِّم الوجهَ علىٰ اليدين؛ لظاهر الآية، وذلك علىٰ الندب عند مالك[1]، ويَستوعب الوجهَ بالمسح.

وأما اليدان فاختُلف هل يَمسحهما إلىٰ الكوعين، أو إلىٰ المرفقين؟ ولفظ الآية مُحتمِلٌ؛ لأنه لم يُحدَّ. وقد احتجَّ من قال: إلىٰ المرفقين بأن هذا مطلق، فيُحمل علىٰ المقيَّد، وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين.

(٤٤) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني. **قال السهيلي في الموضع الأول**: نزل في رِفاعةَ بن زيد بن التَّابوت، **وفي الثاني**: نزل في كعب بن الأشرف[2].

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ عبارةٌ عن إيثارهم الكفرَ علىٰ الإيمان، فالشِّراء مجازٌ؛ كقوله: ﴿اشْتَرَوُاْ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥]. وفي تَكرار قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ مبالغةٌ.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ﴾ «مِن»: راجعةٌ إلىٰ: ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً﴾، أو إلىٰ: ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ فهي بيانٌ. **وقال الفارسيُّ**[3]: هي ابتداء كلام؛ تقديره: «من الذين هادوا قومٌ». **وقيل**: هي متعلِّقةٌ بـ﴿نَصِيراً﴾[4]؛ وهو ضعيف. ويوقَف علىٰ ﴿نَصِيراً﴾ علىٰ قول الفارسي.

(٤٥) ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ **يَحتمل**: تحريفَ اللفظ، أو المعنىٰ. و﴿الْكَلِمَ﴾ هنا: التوراة، **وقيل**: كلام النبي ﷺ.

﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه: لا سَمِعتَ.

﴿وَرَاعِنَا﴾ ذُكِر في «البقرة»[5].

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوضٌ من قولهم: «سمعنا وعصينا».

---

(١) وعند أبي حنيفة وأحمد في إحدىٰ الروايتين، والرواية الأخرىٰ: وجوب الترتيب بينهما، وهي المذهب عند الأصحاب، وهي مذهب الشافعي، وهذه المسألة مبنية علىٰ مسألة حكم الترتيب في الوضوء. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨١.

(٣) هو أبو علي الفارسي النحوي، تقدمت ترجمته في صفحة..

(٤) أي: ينصركم من الذين هادوا. المحرر الوجيز (٢/ ٥٧١).

(٥) انظر تفسير الآية (١٠٣).

﴿وَاسْمَعْ﴾ عوضٌ من قولهم: «اسمع غير مسمع».

﴿وَانظُرْنَا﴾ عوضٌ من قولهم: «راعنا»؛ وهو من النَّظر أو الانتظار. فهذه الأشياءُ الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمَّهم على قولها؛ لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأَخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأُخَر عوضًا من تلك لكان خيرًا لهم؛ فإن هذه ليس فيها سوءُ أدب.

(٤٦) ﴿مُصَدِّقًا﴾ ذُكِر في «البقرة»[(١)].

﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ ابنُ عباس ﵄: طَمْسُها: أن تُزال العينان منها، وتُردَّ في القفا؛ فيكون ذلك ردًّا على الدُّبر[(٢)]. وقيل: طمسها: محوُ تخطيط صُوَرِها؛ مِن أنف وعين وحاجب، حتى تصيرَ كالأدبار في خُلوِّها عن الحواسِّ.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي: نمسخَهم كما مُسِخ[(٣)] أصحاب السبت، وقد ذُكِروا[(٤)] في «البقرة»[(٥)]. أو يكون من اللَّعن المعروف. والضمير يعود على الوجوه؛ والمراد أصحابُها، أو يعود على الذين أوتوا الكتاب؛ على الالتفات.

(٤٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبيِّنة لما تعارَض فيها من الآيات، وهي الحجَّة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة.

وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجَّتُهم: هذه الآية؛ فإنها نصٌّ في هذا المعنى.

ومذهب الخوارج: أن العصاة يُعذَّبون ولا بدَّ؛ سواءٌ كانت ذنوبهم صغائرَ أو كبائر. ومذهب المعتزلة: أنهم يعذبون على الكبائر ولا بدَّ. ويَردُّ على الطائفتين قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).
(٢) أخرجه الطبري (٧/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٨) من طريق العوفي عن ابن عباس ﵄.
(٣) في د: «مسخنا».
(٤) في ج، هـ: «ذكر».
(٥) تفسير الآية (٦٥).

ومذهب المرجئة: أن العصاة كلَّهم يُغفَر لهم ولا بدَّ، وأنه لا يضرُّ[1] ذنبٌ مع الإيمان. ويَردُّ عليهم قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾؛ فإنه تخصيصٌ لبعض العصاة.

وقد تأوَّلت المعتزلة الآيةَ علىٰ مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾: هو التائب، فإن التائب لا خلاف أنه لا يعذَّب. **وهذا التأويل بعيدٌ**؛ لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ في غير التائب من العصيان؛ ليكون أوَّلُ الآية وآخرُها علىٰ نسَقٍ واحد. **وتأوَّلتها المرجئة علىٰ مذهبهم**، فقالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ معناه: لمن يشاء أن يؤمن. **وهذا أيضًا بعيدٌ**، لا يقتضيه اللفظ.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد: فحملها المعتزلة علىٰ العصاة. وحملها المرجئة علىٰ الكفار. وحملها أهل السنة علىٰ الكفار، وعلىٰ مَن لا يَغفر الله له من العصاة. كما حملوا آيات الوعد علىٰ المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلىٰ المذنبين التائبين، وعلىٰ مَن يغفر الله له من العصاة غير التائبين. فعلىٰ مذهب أهل السنة لا يبقىٰ تعارضٌ بين آيات الوعد وآيات الوعيد، بل يُجمَع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم؛ فإن الآيات فيه تتعارَض[2].

وتلخيص المذاهب: أن الكافر إذا تاب من كفره غُفِر له بإجماع، وإن مات علىٰ كفره لم يُغفَر له، وخُلِّد في النار بإجماع. وأن العاصيَ من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلَف الناس فيه.

(٤٨) ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ هم اليهود، وتزكيتهم: قولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه». **وقيل**: مدحهم لأنفسهم.

﴿فَتِيلًا﴾ **الفتيل**: هو الخيط الذي في شِقِّ نواة التمرة. **وقيل**: ما يخرج بين إصبَعيك وكفَّيك إذا فتلتَهما. وهو تمثيلٌ وعبارة عن أقلِّ الأشياء؛ فيدلُّ علىٰ الأكثر بطريق الأولىٰ.

(٤٩) ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ دليلٌ علىٰ أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل.



(١) في هامش أ: «خ: لا يضرهم».

(٢) في أ: «فيها تعارُض» وفي الهامش: «خ: فيه تتعارض».

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ
فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ
ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم
مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾

۝٥١ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: **الجبت هنا: حييُّ بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف**[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[2]. **وقيل:** الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر. **وبالجملة هما:** كل ما عُبِد و[3]أُطِيع من دون الله.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **الآيةَ؛ سببها:** أن حُييَّ بن أخطب أو كعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدىٰ سبيلًا من محمد وأصحابه[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، وابن المنذر (٢/ ٧٤٥)، وسعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٢٨٣)، وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٥٢): «وإسناده قوي».

(٣) في أ، د، هـ: «أو».

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥٢) ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار.

﴿نَقِيراً﴾ **النقير**: هو النُّقْرةُ في ظهر النواة، وهو تمثيلٌ وعبارة عن أقل الأشياء. **والمراد**: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذٍ يَبخلون بالنَّقير الذي هو أقلُّ الأشياء، ويبخلون بما هو أكثرُ منه من باب أولىٰ.

(٥٣) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وصَفهم بالحسد مع البخل. **والناس هنا يراد به**: النبي ﷺ وأُمَّته، **والفضل**: النبوة، **وقيل**: النصر والعزة. **وقيل**: **الناس**: العرب، **والفضل**: كون النبي ﷺ منهم.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ **المراد بآل إبراهيم**: ذريته من بني إسرائيل وغيرهم؛ ممن آتاه الله الكُتُبَ التي أنزلها والحكمةَ التي علَّمها. **والقصد بالآية**: الردُّ علىٰ اليهود في حسدهم لمحمدٍ ﷺ. **ومعناها**: إلزامٌ لهم بما عرفوه من فضل الله تعالىٰ علىٰ آل إبراهيم، فلأيِّ شيء يخصُّون محمدًا ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليه.

﴿مُّلْكاً عَظِيماً﴾ **الملك في آل إبراهيم**: هو ملك يوسف، وداود، وسليمان عليهم السلام.

(٥٤) ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: المراد: مِن اليهود مَن آمن بالنبي ﷺ، أو بالقرآن المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أو بما ذُكِر من حديث إبراهيم[١]. فهذه ثلاثة أوجه في ضمير ﴿بِهِۦ﴾. وقيل: ﴿مِنْهُم﴾ أي: مِن آل إبراهيم مَن آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٥].

(٥٥) ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ الآيةَ؛ **قيل**: تُبدَّل لهم جلودٌ بعدَ جلودٍ أُخَرَ؛ إذ نفوسهم هي المعذَّبة[٢]. **وقيل**: تبديل الجلود: تغيير صفاتها بالنار[٣]. **وقيل**: الجلود السَّرابيل؛ وهو بعيد.

---

(١) عبارة الزمخشري في الكشاف (٥/ ٣٣): «أي: بما ذُكِر من حديث آل إبراهيم»، فلعلَّ لفظة: «آل» سقطت من كلام ابن جزي رحمه الله.

(٢) والجلود لا تألم في ذاتها، فإنها تبدَّل ليذوقوا تجديد العذاب. المحرر الوجيز (٢/ ٥٨٤).

(٣) أي: إعادة ذلك الجلد بعينه، تأكله النار ويعيده الله دأبًا؛ لتجدد العذاب، ولا يُبدَّل بجلد آخر، وإنما سماه تبديلا؛ لأن أوصافه تتغير ثم يعاد، فالبدل إنما وقع في تغيير الصفات. المحرر الوجيز (٢/ ٥٨٤).

﴿أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ ذُكِر في «البقرة»[١].

﴿ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ صفةٌ من لفظ «الظِّلِّ» للتأكيد؛ أي: دائمًا لا تنسخه الشمس. وقيل: يَقي الحرَّ والبردَ.

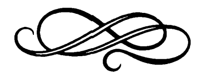
٥٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ الآيةَ؛ قيل: هي خطاب للولاة. وقيل: للنبي ﷺ حين أَخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة[٢]. ولفظها عامٌّ، وكذلك حكمها.

٥٨ ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ هم: الولاة، وقيل: العلماء. ونزلت في عبد الله بن حذافة؛ بعثه رسول الله ﷺ في سرية[٣].

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الردُّ إلى الله: هو النظر في كتابه، والردُّ إلى الرسول ﷺ: هو سؤاله في حياته، والنظرُ في سنته بعد وفاته.

﴿إِن كُنتُمۡ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الشرطُ راجعًا إلى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ﴾، أو إلى قوله: ﴿أَطِيعُواْ﴾، والأول أظهر؛ لأنه أقرب إليه.

﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: مآلًا وعاقبةً، وقيل: أحسنُ نظرًا منكم.



(١) تفسير الآية (٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ١٧٠) وابن المنذر (٢/ ٧٦٢) عن ابن جريج.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمُۥ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن
يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدُ اُمِرُوٓاْ أَن يَّكْفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُّضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيداٗ
﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُوداٗ ﴿٦٠﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَ
اَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰناٗ وَتَوْفِيقاً ﴿٦١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ
وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغاٗ ﴿٦٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَلَوَ اَنَّهُمُۥ إِذ
ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّاباٗ رَّحِيماٗ ﴿٦٣﴾
۞فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاٗ
مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماٗ ﴿٦٤﴾ وَلَوَ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُۥ أَنُ اُقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمُۥ أَوُ اُخْرُجُواْ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنْهُمْۖ وَلَوَ اَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْراٗ لَّهُمْ وَأَشَدَّ
تَثْبِيتاٗ ﴿٦٥﴾ وَإِذاٗ لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْراً عَظِيماٗ ﴿٦٦﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطاٗ مُّسْتَقِيماٗ ﴿٦٧﴾ وَمَن يُّطِعِ
ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيٓـِٔينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ
وَالصَّٰلِحِينَۖ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقاٗ ﴿٦٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيماٗ ﴿٦٩﴾

﴿٥٩﴾ ﴿ٱلذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآيَةَ؛ **نزلت في المنافقين. وقيل: في منافقٍ ويهودي؛ كان بينهما خصومةٌ، فتحاكما إلىٰ كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلىٰ كاهن**(١).

﴿٦٠﴾ ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **وَضع الظاهر موضع المضمر؛ ليَذمَّهم بالنفاق. ودلَّ ذلك علىٰ أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين.**

﴿٦١﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ **الآيَةَ؛ أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم!**

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ **يَحتمل أن يكون هذا: معطوفًا علىٰ ما قبله. أو يكون معطوفًا علىٰ قوله:** ﴿يَصُدُّونَ﴾، **ويكون قوله:** ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم﴾ **اعتراضًا.**

---

(١) نزولها في التحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف أخرجه الطبري (٧/ ١٩٣) وابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١) وابن المنذر (٢/ ٧٧٠) عن مجاهد، وأخرجه الثعلبي (١٠/ ٤٥٣) من طريق الكلبي عن ابن عباس ﷺ وإسناده واهٍ. وقصة نزولها في التحاكم إلىٰ كاهن أخرجها ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١) عن ابن عباس وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٤)، وأخرجها الطبري (٧/ ١٨٩) وابن المنذر (٢/ ٧٦٩) عن الشعبي.

٦٣ ﴿وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن معاقبتهم. وليس المراد بالإعراض القطيعةَ؛ لقوله: ﴿وَعِظْهُمْ﴾.

٦٤ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآيةَ؛ وعدٌ بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاءٌ للاستغفار والتوبة. ومعنىٰ ﴿جَآءُوكَ﴾: أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم، يطلبون أن تستغفر لهم الله.

٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» هنا: مؤكِّدةٌ للنفي الذي بعدها.

﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلط واختلفوا فيه. ومعنىٰ الآية: أنهم لا يؤمنون حتىٰ يرضوا بحكم النبي ﷺ. ونزلت بسبب: المنافقين الذين تخاصموا. وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار في الماء[1]. وحكمها عامٌّ.

٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ معناها: لو فُرِض عليهم ما فرض علىٰ مَن كان قبلهم من المشقَّات لم يَفْعلوها؛ لقلة انقيادهم، إلَّا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًّا، وقد روي أن من هؤلاء القليل: أبا بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس رضي الله عنهم.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: بدلٌ من الضمير. وقرأ ابن عامر وحده بالنصب علىٰ أصل الاستثناء، أو علىٰ: إلَّا فِعلًا قليلًا.

﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتِّباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له.

﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي: تحقيقًا لإيمانهم.

٦٧ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم﴾ جوابٌ لسؤال مقدَّر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

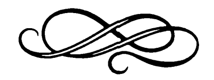
٦٩ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ثوابٌ علىٰ الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة. وهذه الآية مفسِّرةٌ لقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦]. والصدِّيق: فِعِّيل؛ من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصِّدِّيقون أرفع الناس درجةً بعد الأنبياء.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

والشهداءُ: المقتولون في سبيل الله، ومَن جرىٰ مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم؛ حسَبما ورد في الحديث أنهم سبعة[1].

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارةُ إلىٰ الأصناف الأربعة المذكورة. **والرَّفيق**: يقع علىٰ الواحد والجماعة؛ كالـخَلِيط، أو هو مفردٌ بيّن به الجنس. **ومعنىٰ الكلام**: إخبارٌ، واستدعاءٌ للطاعة التي يُنال بها مرافقةُ هؤلاء.

(٦٩) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ﴾ الإشارةُ إلىٰ الثواب علىٰ الطاعة بمرافقة مَن ذُكِر في الجنة. و﴿ٱلْفَضْلُ﴾: صفةٌ، أو خبرٌ.



(١) أخرج مالك في الموطأ (٩٣٥)، (٩٩٦)، وأحمد (٢٣٧٥٣)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٥)، وابن حبان (٣١٩٠)، والحاكم (١٣٠٠) وصححه في حديث طويل عن جابر بن عَتيك أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهادة سبع سوىٰ القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغَرِقُ شهيد، وصاحب ذات الجَنْب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة**» قال أبو داود: الجُمْع: أن يكون ولدها معها.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنَ اَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدَ اَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمَ اَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً ﴿٧١﴾ وَلَئِنَ اَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧٢﴾ ۞فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلَ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿٧٣﴾ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴿٧٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفاً ﴿٧٥﴾

﴿٧٠﴾ ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرَّزوا من عدوِّكم واستعدُّوا له.

﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد جماعاتٍ متفرِّقين؛ وذلك كنايةٌ عن السرايا. وقيل: إنَّ الثُّبَة: ما فوق العشرة. ووزنها فُعَلَةٌ -بفتح العين-، ولامها محذوفة.

﴿اَوِ انفِرُوا جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين في الجيش[1] الكثيف. فخيَّرهم بينَ[2] الخروج إلىٰ الغزو في قلة أو في كثرة.

﴿٧١﴾ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد بـ«مَن»: المنافقون، وعبَّر عنهم بـ﴿مِنكُمْ﴾؛ إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين، ويقولون: آمنا. واللام في ﴿لَمَن﴾ للتأكيد، وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جوابُ قسم محذوف[3]. ومعناه: يُبطِّئ غيرَه -أي: يثبِّطه- عن الجهاد، ويَحمِله علىٰ التخلُّف عن الغزو. وقيل: يبطِّئ: يتخلَّف هو عن الغزو ويتثاقل.

﴿فَإِنَ اَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: قتلٌ وهزيمة. والمعنىٰ: أنَّ المنافق تسرُّه غَيبته عن المؤمنين إذا هُزِموا. و﴿شَهِيداً﴾ معناه: حاضرًا معهم.

(١) كذا في د وفي هامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «الجمع».
(٢) في ج، هـ د: «في».
(٣) تقديره: للذي واللهِ ليُبطِّئنَّ. المحرر الوجيز (٢/ ٦٠٠)، البحر المحيط (٧/ ١٨٣).

(٧٢) ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ أي: نصرٌ وغنيمة. والمعنىٰ: أنَّ المنافق يَندم علىٰ ترك الغزو معهم إذا غَنِموا؛ فيتمنَّىٰ أن يكون معهم.

﴿كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ جملةُ اعتراضٍ بين القول ومعموله؛ فلا يجوز الوقف عليها. وهذه المودَّة في ظاهر المنافق، لا في اعتقاده.

(٧٣) ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون.

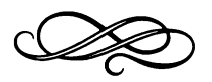
﴿فَيُقْتَلَ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل، ووَعد بالأجر علىٰ كل واحدةٍ[1] منهما.

(٧٤) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ تحريضٌ علىٰ القتال. و«ما» مبتدأ والمجرور خبره، و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ هم: الذين حبسهم مشركو قريش بمكة؛ ليَفتنوهم عن الإسلام. وهو عطفٌ علىٰ اسم ﴿ٱللَّهِ﴾، أو مفعولٌ معه.

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

(٧٥) ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما بعده: إخبارٌ، قصدَ به: تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم علىٰ القتال.



---

(١) في ب، ج، هـ: «واحد».

أَلَمْ تَرَ إِلَى اَ۬لذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ اُ۬لزَّكَوٰةَۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
اُ۬لْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ اَ۬لنَّاسَ كَخَشْيَةِ اِ۬للَّهِ أَوَ اَشَدَّ خَشْيَةٗۖ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا اَ۬لْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَيٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۖ قُلْ مَتَٰعُ اُ۬لدُّنْي۪ا قَلِيلٞ وَالَاخِرَةُ خَيْرٞ لِّمَنِ اِ۪تَّق۪يٰ وَلَا
تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٦ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ اُ۬لْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۖ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ اِ۬للَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۖ قُلْ كُلّٞ مِّنْ
عِندِ اِ۬للَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ اِ۬لْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاٗ ٧٧ *مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٖ فَمِنَ
اَ۬للَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفْسِكَۖ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاٗۖ وَكَفَيٰ بِاللَّهِ شَهِيداٗۖ ٧٨
مَّنْ يُّطِعِ اِ۬لرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ اَ۬للَّهَۖ وَمَن تَوَلَّيٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاٗۖ ٧٩ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞۖ
فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنْهُمْ غَيْرَ اَ۬لذِے تَقُولُۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اَ۬للَّهِۖ وَكَفَيٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ٨٠ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ اَ۬لْقُرْءَانَۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ
غَيْرِ اِ۬للَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاٗ كَثِيراٗۖ ٨١ وَإِذَا جَآءَهُمُۥٓ أَمْرٞ مِّنَ اَ۬لَامْنِ أَوِ اِ۬لْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى اَ۬لرَّسُولِ وَإِلَيٰٓ أُوْلِے اِ۬لَامْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اُ۬لذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اُ۬للَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ اُ۬لشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ٨٢ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اِ۬للَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۖ
وَحَرِّضِ اِ۬لْمُومِنِينَۖ عَسَى اَ۬للَّهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْۖ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساٗ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا
٨٣ مَّنْ يَّشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنْهَاۖ وَمَنْ يَّشْفَعْ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفْلٞ
مِّنْهَاۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٖ مُّقِيتاٗۖ ٨٤ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۖ
إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٍ حَسِيباًۖ ٨٥ *اِ۬للَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَيَجْمَعَنَّكُمُۥٓ إِلَيٰ يَوْمِ اِ۬لْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِۖ وَمَنَ اَصْدَقُ مِنَ اَ۬للَّهِ حَدِيثاٗۖ ٨٦

٧٦ ﴿اَ۬لذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآيَةَ؛ **قيل**: هي في قوم من الصحابة؛ كانوا قد أُمِروا بالكفِّ عن القتال قبل أن يُفرَض الجهاد، فتمنَّوا أن يؤمروا به، فلما أُمِروا به كرهوه، لا شكًّا في دينهم، ولكن خوفًا من الموت. **وقيل**: هي في المنافقين؛ وهو أَليقُ بسياق الكلام.

﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ وما بعده: تحقيرٌ للدنيا؛ يتضمَّن[1] ردًّا عليهم في كراهتهم للموت.

٧٧ ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي: في حصون منيعة. **وقيل**: المشيدة: المطوَّلة. **وقيل**: المبنيَّة بالشِّيد؛ وهو الجِصُّ.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الآيَةَ؛ **الحسنة هنا**: النصر والغنيمة وشبهُ ذلك من المحبوبات، **والسيئة**: الهزيمة والجوع وشبه ذلك. والضمير في ﴿تُصِبْهُمْ﴾ وفي ﴿يَقُولُوا﴾ لـ ﴿ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ ، وهذا يدلُّ علىٰ أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ: إن السيئات من عنده.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ علىٰ من نسَب السيئة إلىٰ رسول الله ﷺ، وإعلامٌ أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله؛ أي: بقضائه وقدره.

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ توبيخٌ لهم علىٰ قلَّة فهمهم.

٧٨ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، والمراد به: كل مخاطَب علىٰ الإطلاق؛ فدخل فيه غيرُه من الناس. وفيه **تأويلان**:

أحدهما: نِسبةُ الحسنة إلىٰ الله، والسيئة إلىٰ العبد؛ تأدُّبًا مع الله في الكلام، وإن كان كلُّ شيء منه في الحقيقة؛ وذلك كقوله ﷺ: «والخير كله بيديك[2]، والشر ليس إليك»[3]، وأيضًا فنسبة[4] السيئة إلىٰ العبد؛ لأنها بسبب ذنوبه؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، فهي من العبد بتسبُّبه[5] فيها، ومن الله بالخِلقة[6] والاختراع. **والثاني**: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبلُ؛ والتقدير: يقولون كذا؛ فمعناها كمعنىٰ التي قبلَها.

(١) في ب، ج، هـ: «تتضمن».
(٢) في ب، ج، د: «بيدك» والمثبت موافق لما في الصحيح.
(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) عن علي رضي الله عنه.
(٤) في أ: «فنُسِبت».
(٥) في هـ: «بتسبيبه».
(٦) في هامش أ: «خ: بالخَلق».

(٧٩) ﴿مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته طاعةَ الله؛ لأنه يأمر وينهىٰ عن الله.

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ أي: مَن أَعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظٍ تحفظ أعماله، بل حسابُه وجزاؤه علىٰ الله. وفي هذا مُتارَكةٌ ومُوادَعة منسوخة بالقتال.

(٨٠) ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: أَمرُنا وشأننا طاعةٌ لك. وهي في المنافقين بإجماعٍ.

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلذِے تَقُولُ﴾ بيَّت: أي: دبَّر الأمرَ بالليل. والضمير في ﴿تَقُولُ﴾ للمخاطَب؛ وهو النبي ﷺ، أو للطائفة. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقبْهم.

(٨١) ﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ حضٌّ علىٰ التفكُّر في معانيه؛ لتَظهرَ أدلتُه وبراهينه.

﴿إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾ أي: تناقضٌ؛ كما في كلام البشر، أو تفاوتٌ في الفصاحة، لكن القرآن منزَّهٌ عن ذلك؛ فدلَّ علىٰ أنه كلام الله. وإن عَرضت لأحدٍ شبهةٌ وظنَّ اختلافًا في شيء من القرآن فالواجب: أن يتَّهمَ نظره، ويسألَ أهل العلم، ويطالعَ تواليفهم؛ حتىٰ يعْلَمَ أن ذلك ليس باختلاف.

(٨٢) ﴿وَإِذَا جَآءَهُمُۥٓ أَمْرٌ مِّنَ ٱلَامْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ قيل: هم المنافقون. وقيل: قومٌ من ضعفاء المسلمين؛ كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أَذاعوا به، أي تكلَّموا به وشهَروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدةٌ علىٰ المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة وقلَّة التثبُّت، فأنكر الله عليهم ذلك.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِے ٱلَامْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: لو تَرك هؤلاء القومُ الكلامَ بذلك الأمر الذي بلغهم، وردُّوه إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ أولي الأمر[١]، وهم كبراءُ الصحابة وأهلُ البصائر منهم= لعلمه القوم الذين يستنبطونه -أي: يستخرجونه- من الرسول وأولي الأمر.

---

(١) في د زيادة: «منهم».

فـ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ **علىٰ هذا:** طائفةٌ من المسلمين؛ يسألون عنه الرسولَ ﷺ وأولي الأمر. وحرف الجر في قوله: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ لابتداء الغاية؛ وهو[1] يتعلَّق بالفعل. والضمير المجرور يعود علىٰ: الرسول وأولي الأمر.

وقيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولوا الأمر؛ كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلَّق نساءه، فدخل عليه، فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا»، فقام علىٰ باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه[2]. فأنزل الله هذه القصة، قال: وأنا الذي استنبطتُّه.

فعلىٰ هذا: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولوا الأمر. والضمير المجرور يعود عليهم، و﴿مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس. **واستنباطه علىٰ هذا:** هو بسؤالهم عنه النبيَّ ﷺ، أو بالنظر والبحث. **واستنباطه علىٰ التأويل الأول:** هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول ﷺ ولأولي الأمر.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: هُداه وتوفيقُه، أو بعثه للرَّسول[3]، وإنزاله للكتاب[4]. والخطاب في هذه الآية للمؤمنين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلَّا اتباعًا قليلًا؛ فالاستثناء من المصدر، **والمعنىٰ:** لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلَّا في أمورٍ قليلة كنتم لا تتبعونه فيها.

وقيل: إنه استثناءٌ من الفاعل في ﴿ٱتَّبَعْتُمُ﴾؛ أي: إلَّا قليلًا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غيرَ متَّبعين للشيطان؛ كورقةِ بن نوفل. والفضل والرحمة علىٰ هذا: بعث الرسول[5] وإنزال الكتاب[6]. **وقيل:** إن الاستثناء من قوله: ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٣) في أ، ج، هـ: «للرسل».

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «للكتب».

(٥) في ج: «الرسل».

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «الكتب».

(٨٣) ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ؛ أي: إن أفردوك فقاتلْ وحدَك؛ فإنما عليك ذلك.

﴿وَحَرِّضِ الْمُومِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلَّا التحريض.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: «عسىٰ» من الله واجبة. و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: قريش، وقد كفَّهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها، وبفتح مكة.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابًا وعذابًا.

(٨٤) ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعةُ في مسلم؛ لتُفرَّجَ عنه كربةٌ، أو تُدفعَ[١] مظلمةٌ، أو يُجلَب إليه خيرٌ[٢]، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الطاعة، والشفاعة السيئة: هي المعصية، والأول أظهر. والكِفْل: هو النَّصيب.

﴿مُّقِيتًا﴾ قيل: قديرًا. وقيل: حفيظًا. وقيل: الذي يُقِيت الحيوانَ؛ أي: يرزقهم القوتَ.

(٨٥) ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنىٰ ذلك: الأمر بردِّ السلام، والتخييرُ بين أن يردَّ بمثل ما سلَّم عليه أو بأحسنَ منه، والأحسنُ أفضل؛ مثل أن يقال له: «سلام عليك»، فيردُّ السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة. وردُّ السلام واجب علىٰ الكفاية عند مالك والشافعي[٣]. وقال بعض الناس: هو فرض عين.

واختُلف في الردِّ علىٰ الكفار: فقيل: يردُّ عليهم؛ لعموم الآية. وقيل: لا يردُّ عليهم. وقيل: يقال لهم: «عليكم»؛ حسَبما جاء في الحديث[٤]، وهو مذهب مالك[٥]. ولا يُبتَدؤون بالسلام.

(٨٦) ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسمٍ محذوف، وتضمَّن معنىٰ الحشر؛ ولذلك تعدَّىٰ بـ«إلىٰ».

﴿وَمَنَ اَصْدَقُ﴾ لفظه استفهامٌ؛ ومعناه: لا أحدَ أصدقُ من الله.

---

(١) في د: «أو ترفع عنه».
(٢) في ب: «ليُفرِّجَ عنه كربةً، أو يَدفعَ مظلمةً، أو يَجلِب إليه خيرًا».
(٣) وأحمد. الآداب الشرعية، لابن مفلح (١٤٣٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣) عن أنس ﷺ.
(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٤٥٢).

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٧﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا
تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم
مِّيثَاقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ
لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا
رُدُّوٓا۟ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ
فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩٠﴾

﴿٨٧﴾ **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ «ما»** استفهاميةٌ بمعنىٰ التوبيخ، والخطاب للمسلمين. ومعنىٰ **﴿فِئَتَيْنِ﴾** أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب علىٰ الحال. **والمراد بالمنافقين هنا: ما قال ابن عباس** رضي الله عنهما: إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين؛ فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلىٰ الشام بتجارات، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتَهم؛ لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟[1] **وقال زيد بن ثابت** رضي الله عنه: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد، فاختلف الصحابة في أمرهم[2]. ويردُّ هذا قولُه: **﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾**. **﴿أَرْكَسَهُم﴾** أي: أضلَّهم أو أهلكهم.

﴿٨٨﴾ **﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** الضمير للمنافقين؛ أي: تمنَّوا أن تكفروا.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به: الأسر.

﴿٨٩﴾ **﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾** الآيةَ؛ استثناءٌ من قوله: **﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾**. **ومعناها: أن مَن** وصل مِن الكفار غيرِ المعاهَدين إلىٰ الكفار المعاهدين -وهم الذين بينهم وبين

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٨٣) وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦).

المسلمين عهدٌ ومهادنة- فحكمه[١] كحكمهم في المسالمة وترك قتاله[٢]، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في سورة «براءة».

قال السهيلي وغيره: ﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: هم بنو مُدْلِجٍ بن كِنانة ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم﴾: بنو خزاعة، فدخل بنو مدلجٍ في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ[٣]، فمعنىٰ: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: ينتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل: معنىٰ ﴿يَصِلُونَ﴾: ينتسبون؛ **وهذا ضعيف جدًّا**؛ بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين!

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ **عطفٌ**: علىٰ ﴿يَصِلُونَ﴾. أو علىٰ صفةِ ﴿قَوْمٍ﴾؛ وهي: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾. والمعنىٰ يختلف علىٰ ذلك، **والأول أظهر**. و ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال؛ بدليل قراءة يعقوب: «حَصِرَةً»، ومعناه: ضاقت عن القتال وكرهته. **ونزلت الآية** في قوم جاؤوا إلىٰ المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضًا أن يقاتلوا قومَهم -وهم أقاربهم الكفار-، فأمر الله بالكفِّ عنهم[٤]، ثم نُسِخ[٥] أيضًا ذلك بالقتال.

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي: سالموكم فلا تقاتلوهم، و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هنا: الانقياد.

(٩٠) ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآيَةَ؛ **نزلت** في قوم مخادِعين، وهم من أسدٍ وغطفانَ، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا؛ ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلىٰ قومهم كفروا ونكثوا؛ ليأمنوا قومَهم[٦]. و﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ **هنا**: الكفر علىٰ **الأظهر**. **وقيل**: الاختبار.

---

(١) في د: «فحكمهم».
(٢) في ج: «قتله»، وفي د: «القتال».
(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٧٦٧) عن الحسن البصري عن سراقة بن مالك ﷺ.
(٥) في ج: «أبيح».
(٦) أخرجه بنحوه الطبري (٧/ ٣٠١) وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩) وابن المنذر (٢/ ٨٢٧) عن مجاهد.

وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَنْ يَّقْتُلَ مُومِناً اِلاَّ خَطَـٔاًۖ وَمَن قَتَلَ مُومِناً خَطَـٔاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ
وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَنْ يَّصَّدَّقُواْۖ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُومِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمِۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اَللَّهِۖ وَكَانَ اَللَّهُ عَلِيماً
حَكِيماًۖ ﴿٩١﴾ وَمَنْ يَّقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ اَللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ
وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماًۖ ﴿٩٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اِللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ
لِمَنَ اَلْقِىَٰٓ إِلَيْكُمُ اُلسَّلَمَ لَسْتَ مُومِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ اَلْحَيَوٰةِ اِلدُّنْيا فَعِندَ اَللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۖ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اَللَّهُ عَلَيْكُمْۖ فَتَبَيَّنُوٓاْۖ إِنَّ اَللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراًۖ ﴿٩٣﴾ لاَّ
يَسْتَوِے اِلْقَٰعِدُونَ مِنَ اَلْمُومِنِينَ غَيْرَ اُوْلِے اِلضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِے سَبِيلِ اِللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْۖ فَضَّلَ اَللَّهُ اُلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى اَلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۖ وَكُلّاً وَعَدَ اَللَّهُ
اُلْحُسْنَىٰۖ وَفَضَّلَ اَللَّهُ اُلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى اَلْقَٰعِدِينَ أَجْراً عَظِيماًۖ ﴿٩٤﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةًۖ وَكَانَ اَللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماًۖ ﴿٩٥﴾

﴿٩١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَنْ يَّقْتُلَ مُومِناً اِلاَّ خَطَـٔاًۖ﴾ **نزلت بسبب قتل عيَّاشِ بن ربيعة** للحارث بن زيد، وكان الحارث يُعذِّبُه علىٰ الإسلام، ثم أسلم وهاجر، ولم يعلم عياش بإسلامه فقتَله[1]. وقيل: إنَّ الاستثناء هنا منقطع؛ والمعنىٰ: لا يَحلُّ لمؤمن أن يقتل مؤمنًا بوجه، لكن الخطأ قد يقع.

والصحيح: أنه متصل؛ والمعنىٰ: لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنًا إلَّا علىٰ وجه الخطإ، من غير قصدٍ ولا تعمُّدٍ؛ إذ هو مغلوبٌ فيه.

وانتصاب ﴿خَطَـٔاًۖ﴾ علىٰ أنه مفعولٌ من أجله، أو حالٌ، أو صفةٌ لمصدر محذوف.

﴿وَمَن قَتَلَ مُومِناً خَطَـٔاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيانُ ما يجب علىٰ القاتل خطأً، فأوجب الله عليه التَّحريرَ والدية، فأما التحرير ففي مال القاتل، وأما الدية ففي مال عاقلته،

(١) أخرجه البيهقي (١٦٤٧٣) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأخرجه الطبري (٧/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١) عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١) عن سعيد بن جبير.

وجاء ذلك عن النبي ﷺ[(١)]، وهو بيانٌ للآية؛ إذ لفظها يَحتمل ذلك وغيره، وأجمع الفقهاء عليه. **واشترط مالك في الرَّقبة التي تُعتَق**: أن تكون مؤمنةً، ليس فيها عقدٌ من عقود الحرية، سالمةً من العيوب.

فأما إيمانها: فنصٌّ هنا؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظِّهار وكفارة اليمين. **وأما سلامتها من عقود الحرية**: فيظهر من قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ لأنَّ ظاهرَه أنه ابتداءُ عتق عند التكفير بها. **وأما سلامتها من العيوب**: فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه؛ وفي ذلك نظر.

ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك: مئة من الإبل علىٰ أهل الإبل، وألف دينار شرعية علىٰ أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم شرعية علىٰ أهل الوَرِق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب ﷺ[(٢)].

﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ **أي: مدفوعةٌ إليهم، والأهل هنا**: الورثة. **واختُلف في مدَّة تسليمها، فقيل**: هي حالَّة عليهم، **وقيل**: يؤدُّونها في ثلاث سنين، **وقيل**: في أربع. ولفظ التَّسليم مطلقٌ؛ وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك[(٣)].

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ الضمير يعود علىٰ أولياء المقتول؛ أي: إذا أسقطوا الدية سقطت. وإذا أسقطها المقتولُ سقطت أيضًا عند مالك[(٤)] والجمهور، خلافًا لأهل الظاهر؛ وحجَّتهم: عَودُ الضمير علىٰ الأولياء. **وقال الجمهور**: إنما هذا إذا لم يُسقِطْها المقتولُ.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ **معنىٰ الآية**: أنَّ المقتولَ خطأً إن كان مؤمنًا وقومه كفارٌ[(٥)] أعداءٌ -وهم المحارِبون-، فإنما في قتله التَّحريرُ خاصةً دون

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البيهقي (١٦٤٧٣) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأخرجه الطبري (٧/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١) عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١) عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٠٠٨)، وعبد الرزاق (١٧٨٥٨)، والبيهقي (١٦٣٩٠) عن الشعبي عن عمر ﷺ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٠٠٨) عن إبراهيم النخعي عن عمر ﷺ.

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٥/ ٢٢٢).

(٥) في ج، هـ: «كفارًا».

الدية، فلا تُدفع لهم؛ لئلا يتقوَّوا بها على المسلمين. ورأى ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر(١)، وخالفه غيره. ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخةٌ.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن المقتول خطأً إن كان قومه كفارًا معاهَدين ففي قتله تحريرُ رقبة والديةُ إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم. والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارةَ في قتل الذمِّيِّ. وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافرٌ؛ فعلى هذا: تجب الكفارة في قتل الذمي. وقيل: هي عامةٌ في المؤمن والكافر. ولفظ الآية مطلقٌ؛ إلَّا إنْ قيَّده قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا: «وهو مؤمن»(٢).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتقَ ولم يَقدِر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عِوَضٌ منه.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر؛ ومعناه: رحمةً منه وتخفيفًا.

(٩٢) ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب مِقْيَسِ بن صُبَابةَ؛ كان قد أخذ دية أخيه هشامٍ المقتول خطأً، ثم قَتل رجلًا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتدَّ مشركًا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله(٣). والمتعمِّد عند الجمهور: هو الذي يَقصِد القتل بحديدٍ أو حجر أو عصًا أو غير ذلك.

وهذه الآية مُعْضِلةٌ على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول: لا يُخلَّدُ عصاةُ المؤمنين في النار. واحتجَّ بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾.

وتأوَّلها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها: أنْ قالوا: إنها في الكافر إذا قَتل مؤمنًا.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٣١٥).

(٢) لم أقف على مَن ذكر هذه القراءة عن الحسن، وفي تفسير الطبري (٧/ ٣٢١) عن الحسن في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ قال [كذا، وليس قرأ]: «هو كافر»، وأخرج عن جابر بن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ قال: «وهو مؤمن»، ففي جعل هذا قراءة ونسبتها إلى الحسن نظر.

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٣٤١) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧) عن سعيد بن جبير بنحوه.

والثاني: قالوا: معنى المتعمِّد هنا: المستحلُّ للقتل؛ وذلك يؤول إلى الكفر.
والثالث: قالوا: الخلود فيها ليس بمعنى الدَّوام الأبديِّ، وإنما هو عبارةٌ عن طول المدة.
والرابع: أنها منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٧].

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخةٌ لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، واحتجوا على ذلك: بقول زيد بن ثابت ﷺ: «نزلت الشديدة بعد الهيِّنة»(١)، وبقول ابن عباس ﷺ: «الشرك والقتل من مات عليهما خُلِّد»(٢)، وبقول رسول الله ﷺ: **«كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره، إلَّا الرجلَ يموت كافرًا، أو الرجلَ يقتل المؤمن متعمِّدًا»**(٣)، وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حُكمًا يخصُّه مِن بين سائر المعاصي(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٣٤٩)، ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وكذلك أورده ابن عطية في تفسيره (٣/ ٦٣٤) بغير إسناد، فقال: «وكان ابن عباس يقول: الشرك والقتل مبهمان، من مات عليهما خُلِّد»، وعند الطبري (٧/ ٣٤٧) والخلال في السنة (٤/ ٩٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٣) بلفظ: «هما المبهمتان: الشرك والقتل»، قال الشيخ أحمد شاكر ﷺ في تعليقه على تفسير الطبري (٩/ ٦٧): «يعني بقوله: «المبهمتان»، يعني: الآيتان اللتان لا مخرج منهما، كأنها باب مبهم مصمت، أي: مستغلق لا يفتح، ولا مأتى له. وذلك أن الشرك والقتل، جزاؤه التخليد في نار جهنم، أعاذنا الله منها. ».

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٠٧)، والنسائي (٣٩٥٥)، والحاكم (٨٠٣١) وصححه ووافقه الذهبي، عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ. وأخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٨٠٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٥٨٦١) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٤) **[التعليق ٤٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ**: «وهذه الآيةُ مُعضِلةٌ على مذهبِ الأشعريَّةِ وغيرِهم ...»، إلخ:
أقولُ: ما ذكَره مِن أنَّ هذه الآيةَ مُعضِلةٌ (أي: مُشكِلةٌ إشكالًا قويًّا) على مذهبِ الأشاعِرةِ وغيرِهم مِن القائِلِينَ بأنَّ عصاةَ الموحِّدين لا يخلَّدون في النار، وأجاب مِن جهةِ الأشاعِرةِ وغيرِهم مِن القائِلِينَ بعدمِ خلودِ أهلِ الكبائرِ في النارِ بأربعةِ أجوِبة:
أقولُ: أجوَدُها: تفسيرُ الخلودِ بالمُكْثِ الطويل، وأجوَدُ منه: تقييدُ الآيةِ بما تواتَرَتْ به السُّنَّةُ مِن خروجِ عُصاةِ الموحِّدينَ مِن النارِ بشفاعةِ الشافِعِين، ورحمةِ أرحَمِ الراحمين.
وكذلك: ما ذكَرَهُ مِن احتجاجِ المعتزِلةِ بهذه الآيةِ على قولِهم بتخليدِ أهلِ الكبائرِ في النارِ:
أقولُ: ما ذكَرَهُ مِن المذهبَيْنِ في تخليدِ العصاةِ صحيحٌ، ولكنَّه ﷺ ذكَرَ احتجاجَ المعتزِلةِ على مذهَبِهم بأثرِ ابن عبَّاس، وزيدٍ، وبالحديث، ولم يُجِبْ عن ذلك، بل أيَّده بقوله: «وتقتضي الآيةُ وهذه الآثارُ: أنَّ للقتلِ حُكْمًا يَخُصُّهُ مِن بينِ سائرِ المعاصي»؛ وهذا يَجعَلُ في كلامِهِ نوعَ تناقُضٍ؛ لأنه قد أجاب عن الآية. =

واختلف الناس في القاتل عمدًا إذا تاب؛ هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حَكىٰ ابن رُشدٍ الخلافَ في القاتل إذا اقتُصَّ منه؛ هل يَسقط عنه العقاب[1] في الآخرة أم لا؟[2].

والصحيح: أنه يسقط عنه؛ لقول رسول الله ﷺ: «من أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»[3]، وبذلك قال جمهور العلماء.

(٩٣) ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: سافرتم في الجهاد.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من البيان. وقرئ: بالثاء المثلثة[4]؛ من الثبات. والتَّفَعُّل فيها بمعنىٰ الاستفعال؛ أي: اطلبوا[5] بيان الأمر أو[6] ثبوته.

﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ بغير ألف[7]؛ أي: انقادَ وألقىٰ بيده. وقرئ: ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ ؛ بمعنىٰ التحية. ونزلت في سريةٍ لقيت رجلًا فسلَّم عليهم، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمَل عليه أحدُهم فقتله، فشقَّ ذلك علىٰ رسول الله ﷺ. وكان القاتل: مُحَلِّمُ بن جَثَّامة، والمقتول: عامرُ بن الأَضْبَط[8]. وقيل: القاتل أسامة بن زيد، والمقتول: مِرْداس بن نَهِيك[9].

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمةَ، وكان للرجل المقتول غَنَمٌ.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وعدٌ، وتزهيدٌ في غنيمة مَن أظهر الإسلام.

= وأمَّا أثَرُ ابنِ عبَّاسٍ وزيدٍ، والحديثُ، فلا تقاوِمُ دَلَالَتُها دَلَالةَ قولِه تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في موضعَيْنِ مِن سورة النساءِ، وهي التي ذكَرَ فيها وعيدَ القاتِلِ بالخلودِ في النار، ولا تقاوِمُ دلالةَ السُّنَّةِ علىٰ خروجِ عصاةِ الموحِّدين مِن النار.
وقد أجمَعَ أهلُ السُّنَّةِ علىٰ ما دلَّت عليه آيتا النساء، وما دَلَّ عليه حديثُ الشفاعةِ، والله أعلم.

(١) في أ: «العذاب»، وفي الهامش: «خ: العقاب».
(٢) انظر: المقدمات الممهدات، لأبي الوليد ابن رشد الجدّ (ت ٥٢٠هـ) (٣/ ٢٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(٤) قرأ حمزة والكسائي من التثبت، وقرأ الباقون من التبين.
(٥) في أ: «يطلب».
(٦) في ب، د: «و».
(٧) قرأ نافع وابن عامر وحمزة بغير ألف بعد اللام، وقرأ الباقون بالألف.
(٨) أخرجه الطبري (٧/ ٣٥٤) وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٠)، وأحمد في مسنده (٢٣٨٨١) من حديث عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥): «ورجاله ثقات».
(٩) قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه أخرجها البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، وليس فيها كونُها سببَ نزول هذه الآية.

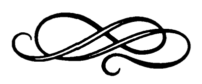
﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ **قيل**: معناه: كنتم كفَّارًا، فهداكم الله للإسلام. **وقيل**: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم، فمَنَّ الله عليكم بالعزة والنصر حتىٰ أظهرتموه.

﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ الآيةَ؛ **معناها**: تفضيلُ المجاهدين علىٰ مَن لم يجاهد؛ وهم القاعدون.

﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أمِّ مكتوم الأعمىٰ ﷺ، فقال: يا رسول الله هل من رخصة؛ فإني ضَرير البصر؟ فنزل: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[1]. **وقرئ** ﴿غَيْرُ﴾ **بالحركات الثلاث**[2]: فالرفعُ صفةٌ للقاعدين، والنصب علىٰ الاستثناء، أو الحال، والخفض صفةٌ للمؤمنين.

﴿دَرَجَةً﴾ **قيل**: هي تفضيلٌ علىٰ القاعدين من أهل العذر، **والدرجات**: علىٰ القاعدين بغير عذر. **وقيل**: إن الدرجات مبالغةٌ وتأكيدٌ للدرجة. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة.

﴿أَجْرًا﴾ منصوب علىٰ الحال من ﴿دَرَجَٰتٍ﴾[3]، أو علىٰ المصدرية من معنىٰ ﴿فَضَّلَ﴾. **وانتصب** ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: علىٰ البدل من الأجر، أو بفعل مضمر. **وانتصب** ﴿مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعلِهما؛ أي: غَفر لهم ورحمهم مغفرةً ورحمةً.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٤)، ومسلم (١٨٩٨) من حديث البراء بن عازب ﷺ، وأخرجه البخاري -أيضًا- من حديث زيد بن ثابت ﷺ (٢٨٣٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب الراء، وقرأ الباقون من السبعة بالرفع. وأما قراءة الخفض فهي في الشاذ، قرأ بها الأعمش وأبو حيوة كما في المحرر الوجيز (٢/ ٦٣٧).

(٣) قال في الكشاف (٥/ ١٢٩): «ونصب ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ علىٰ أنه حالٌ عن النكرة التي هي ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مقدَّمةً عليها».

إِنَّ اَ۬لذِينَ تَوَفّ۪يٰهُمُ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِے أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِے اِ۬لَارْضِۖ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنَ اَرْضُ اُ۬للَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۖ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوِيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴿٩٦﴾ اِلَّا اَ۬لْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَ۬لرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاًۖ ﴿٩٧﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى اَ۬للَّهُ أَنْ يَّعْفُوَ عَنْهُمْۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَفُوّاً غَفُوراًۖ ﴿٩٨﴾ *وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ يَجِدْ فِے اِ۬لَارْضِ مُرَٰغَماً كَثِيراً وَسَعَةًۖ وَمَنْ يَّخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِراً اِلَى اَ۬للَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ اُ۬لْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اَ۬للَّهِۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ غَفُوراً رَّحِيماًۖ ﴿٩٩﴾

﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ اَ۬لذِينَ تَوَفّ۪يٰهُمُ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآيةَ؛ نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقُتِلوا[1]؛ منهم: قيس بن الفاكِه، والحارث بن زَمْعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف. ويَحتمل ﴿تَوَفّ۪يٰهُمُ﴾ أن يكون: ماضيًا، أو مضارعًا[2]. وانتصب ﴿ظَالِمِے﴾ علىٰ الحال.

﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ﴾ أي: في أيِّ شيءٍ كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِے اِ۬لَارْضِۖ﴾ اعتذارٌ عن التَّوبيخ الذي وبَّخهم الملائكة؛ أي: لم نَقدِر[3] علىٰ الهجرة، وكان اعتذارًا بالباطل.

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنَ اَرْضُ اُ۬للَّهِ وَٰسِعَةً﴾ ردٌّ عليهم، وتكذيبٌ لهم في اعتذارهم.

﴿٩٧﴾ ﴿اِلَّا اَ۬لْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الذين كان استضعافُهم حقًّا، قال ابن عباس ﷺ: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنىٰ اللهُ بهذه الآية[4].

﴿٩٩﴾ ﴿مُرَٰغَماً﴾ أي: مُتحَوَّلًا وموضعًا يُرغِم عدوَّه بالذَّهاب إليه.

﴿وَسَعَةًۖ﴾ أي: اتساع في الأرض. وقيل: في الرزق.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس ﷺ.

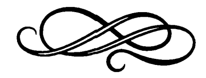
(٢) علىٰ احتمال كونه ماضيًا يكون خاليًا من علامة التأنيث؛ إذ تأنيث لفظ الملائكة غير حقيقي، وعلىٰ احتمال كونه مضارعًا يكون الأصل: «تتوفاهم»، فحُذفت إحدىٰ التاءين. المحرر الوجيز (٢/ ٦٤٢).

(٣) في أ: «تقدروا».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٨) وليس فيه: «وأبي»!

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ﴾ أي: ثبت وصحَّ(١).

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ الآيةَ؛ حكمها على العموم. ونزلت في ضَمْرَةَ بن العِيس(٢) وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أَخرجوني(٣)، فهُيِّئ له فراشٌ فوُضع عليه وخرج، فمات في الطريق(٤). وقيل: نزلت في خالد بن حِزام؛ فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حيةٌ في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة(٥).



(١) هكذا جاء موضع تفسير هذه الجملة من الآية، متقدِّمًا على تفسير جملة ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ في جميع النسخ الخطية! وحقُّه أن يكون متأخرًا عن تفسير جملة ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾؛ جريًا على ترتيب الآية.

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «العيس» بالسين، والذي في تفسير الطبري (٧/ ٣٩٣)، والإصابة لابن حجر (٢/ ٢٥٩): «العِيص» بالصاد.

(٣) في هامش أ: «خ: اخرُجوا بي».

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٣٩٣- ٣٩٤) عن سعيد بن جبير وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠) عن عكرمة عن ابن عباس ﵄.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠) عن الزبير بن العوام ﵁. قال ابن كثير (٢/ ٣٩٢): «وهذا الأثر غريب جدًّا؛ فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها أُنزلت تعمُّ حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سببَ النزول، والله أعلم».

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠١﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٢﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٣﴾

﴿١٠٠﴾ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **اختلف العلماء في تأويلها علىٰ خمسة أقوال: الأوَّل:** أنها في قَصْر الصلاة الرُّباعيَّة إلىٰ ركعتين في السَّفر، وأن ذلك لا يجوز إلَّا في حال الخوف علىٰ ظاهر الآية، وهو قول عائشة[1] وعثمان بن عفان[2] رضي الله عنهما.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصرُ في السفر دون الخوف من السُّنة، ويؤيد هذا: حديثُ يَعلىٰ بن أمية رضي الله عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد أَمِن الناس؟ فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «**صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»[3]، وقد ثبت أن النبي ﷺ قصَر في السفر وهو آمن[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٢٦)، ومن طريقه ابن حزم في المحلىٰ (٣/ ١٩٢) وصححه، والبيهقي (٥٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٨٣)، ومسلم (٦٩٦) عن حارثة بن وهب رضي الله عنه.

الثالث: أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجعٌ إلىٰ قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآيةَ التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف؛ علىٰ قول مَن يرىٰ أن تُصلِّيَ كلُّ طائفةٍ ركعةً خاصة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فرضت الصلاةُ في الحضَر أربعًا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة(١).

الخامس: أنها في صلاة المسايَفة؛ فالقصر علىٰ هذا هو من هيئات الصلاة؛ كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[البقرة: ٢٣٩].

وإذا قلنا: إنها في القصر في السفر: فظاهرها: أن القصرَ رخصةٌ، والإتمام أفضل. وهو مذهب الشافعي. **وقال مالك**: القصر أفضل(٢). **وقيل**: إنهما سواءٌ. وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآية ما يدلُّ علىٰ مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: السفر مطلقًا؛ **ولذلك أجاز الظاهرية** القصر في كل سفرٍ؛ طويلٍ أو قصير.

ومذهب مالك والشافعي(٣): أن مسافة القصر ثمانيةٌ وأربعون مِيلًا؛ واحتجُّوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس(٤) رضي الله عنهم. وكذلك ليس في الآية ما يدلُّ علىٰ تخصيص القصر بسفر القُرْبة، أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإنَّ لفظها مطلقٌ في السفر، **ولذلك أجاز أبو حنيفة**: القصر في سفر القربة، وفي المباح، وفي سفر المعصية.

ومنعه مالك: في سفر المعصية.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٢) وهو مذهب أحمد، وقول جمهور العلماء. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٤٨).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٣٦).

(٤) أثر ابن عمر: عن سالم: أن ابن عمر خرج إلىٰ أرض له بذات النُّصُب فقصر، وهي ستة عشر فرسخا، أخرجه مالك في الموطأ (٢٨٠)، والبيهقي من طريقه (٥٣٩٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة واللفظ له (٨٢٢٠). وأثر ابن عباس: عن عطاء بن أبي رباح، قال: قلت لابن عباس: .. أقصر إلىٰ الطائف وإلىٰ عسفان؟ قال: نعم، وذلك ثمانية وأربعون ميلا، وعقد بيده، أخرجه مالك في الموطأ (٢٨٠)، وابن أبي شيبة واللفظ له (٨٢٢٢). وعلَّق البخاري الأثرين (٢/ ٤٣)، ووصلهما ابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٤١٥).

ومنعه ابن حنبل: في المعصية، وفي المباح[1]. وللقصر أحكامٌ لا تتعلَّق بالآية؛ فأضربْنا عن ذكرها. والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال والتعرُّض بما يُكرَه.

(١٠٢) ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي: أنها لا تُصلَّىٰ بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرَط كونَه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف. وأجازها الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أُمَّته، وقد فعلها الصحابة بعده عليه السلام.

واختلف الناس في صفة صلاة الخوف علىٰ عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطرُّ إلىٰ ذكرها؛ فإنَّ تفسيرها لا يتوقَّف علىٰ ذلك. وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرِّقاع.

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يَقْسم الإمام المسلمين علىٰ طائفتين؛ فيصلي بالأُولىٰ نصفَ الصلاة، وتقف الأخرىٰ تحرس، ثم يصلي بالثانية بقيَّةَ الصلاة، وتقف الأولىٰ تحرس. واختُلف هل تُتِمُّ كلُّ طائفة صلاتَها -وهو مذهب الجمهور-، أم لا؟ وعلىٰ القول بالإتمام اختُلف؛ هل يُتمُّونها في إِثْر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختُلف مَن المأمور بأخذ الأسلحة؟ فقيل: الطائفة المصَلِّية، وقيل: الحارسة، والأوَّل أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرىٰ: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾. ويدلُّ ذلك علىٰ أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا مَن قاتلهم؛ وإلَّا لم يكن معنىً لأخذ الأسلحة إذا لم يَدفعوا بها مَن قاتلهم.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ الضمير في قوله: ﴿سَجَدُواْ﴾ للمصلين، والمعنىٰ: إذا سجدوا معك في الركعة الأُولىٰ. وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء. والضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾:

(١) معتمد المذهب عند الحنابلة: جواز القصر في السفر المباح كسفر التنزُّه والتفرُّج، وهذه الرواية عن الإمام اختارها جماهير الأصحاب، وعن أحمد رواية أخرىٰ: لا يقصر إلا في سفر الطاعة، وهو ظاهر كلام ابن حامد. انظر: المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين، لأبي يعلىٰ (١/ ١٧٦)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٢٨).

[أ] **يَحتمل أن يكون** للذين سجدوا؛ أي: إذا سجدوا فلْيقوموا ولْيرجعوا وراءَكم. **وعلىٰ هذا: إن كان السجود هنا في الركعة الأولىٰ**: فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولىٰ، ثم يَحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقيةَ صلاتهم[1] أو لا يقضونها[2]. **وإن كان السجود ركعةَ القضاء**: فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلَّا بعد القضاء، وهو مذهب مالك والشافعي[3].

[ب] **ويَحتمل أن يكون الضمير** في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ للطائفة الأخرىٰ؛ أي: يقفون وراء المصلِّين يحرسونهم في حال سجودهم.

﴿وَلْتَاتِ طَآئِفَةٌ اخْرىٰ﴾ يعني: الطائفةَ الحارسة.

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عما جرىٰ في غزوة ذات الرقاع مِن عزْم الكفار علىٰ الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل علىٰ النبي ﷺ، وأخبره بذلك، وشُرِعت صلاة الخوف؛ حذرًا من الكفار.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةًۚ﴾ مبالغةٌ؛ أي: مُستأصِلةً لا يُحتاج معها إلىٰ ثانية.

﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذىً مِّن مَّطَرٍ﴾ الآيةَ؛ **نزلت** بسبب عبد الرحمن بن عوف[4]، كان مريضًا فوَضع سلاحه فعنَّفه[5] بعض الناس، فرخَّص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويُقاس عليهما: كلُّ عذر يَحدث في ذلك الوقت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناًۖ﴾ **إن قيل**: كيف طابَق الأمرُ بالحذر للعذاب المهين؟ **فالجواب**: أن الأمر بالحذر من العدوِّ يقتضي توهُّمَ قوَّتِهم وعزَّتهم، فنفىٰ ذلك الوهمَ

---

(١) أجاز هذا الوجه أحمد، واختاره أبو حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٢٥).

(٢) روي جواز هذا الوجه عن أحمد، وأكثر الأصحاب -وهو قول الجمهور من أهل العلم- يمنعون صحة هذه الصفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٣٩-١٤١).

وقوله: «أو لا يقضونها» كذا ورد في النسخ الخطية بثبات النون علىٰ الرفع، ويحمل هذا علىٰ أنه رفعٌ علىٰ الاستئناف.

(٣) وهذا الوجه هو الأولىٰ والمختار عند أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٩٩) عن ابن عباس ﷺ.

(٥) في أ: «فعتبه» وفي الهامش: «خ: فعنفه».

بالإخبار أن الله يُهِينهم ولا ينصرهم؛ لتَقْوىٰ قلوبُ المؤمنين. **قال ذلك الزمخشري**[1].

وإنما يصحُّ ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، **والأظهر**: أنه في الآخرة.

(١٠٢) ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ أي: إذا فرَغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم. وذكَرَ القيامَ والقعود وعلىٰ الجُنوب؛ ليَعُمَّ جميع أحوال الإنسان. **وقيل**: المعنىٰ: إذا تلبَّستم بالصلاة فافعلوها قيامًا، فإن لم تقدروا فقعودًا، فإن لم تقدروا فعلىٰ جنوبكم.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة علىٰ هيئتها المعهودة. ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: محدودًا بالأوقات. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: فرضًا مفروضًا[2].

(١٠٣) ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: لا تَضعُفوا في طلب الكفار.

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ الآيةَ؛ **معناها**: إن أصابكم ألمٌ من القتال فكذلك يصيب الكفارَ ألمٌ مثلُه، ومع ذلك فإنكم ترجون -إذا قاتلتموهم- النصرَ في الدنيا، والأجر في الآخرة، وذلك تشجيعٌ للمسلمين.



(١) الكشاف (٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٧) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

*إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَيٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٤﴾ وَاسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا اَثِيمًا ﴿١٠٦﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَيٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٧﴾ هَٰأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٨﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَكْسِبِ اِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَيٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً اَوِ اِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ إِحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٢﴾

﴿١٠٤﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَيٰكَ ٱللَّهُ﴾ **يحتمل أن يريد**: بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما. وإذا تضمَّنت الاجتهادَ؛ ففيها دليلٌ علىٰ إثبات النظر والقياس، خلافًا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ **نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة** طِعْمَة بن الأُبَيْرِق؛ إذ سَرق طعامًا وسلاحًا لبعض الأنصار، وجاء قومُه إلىٰ النبي ﷺ وقالوا: إنه بريءٌ، ونسبوا السرقةَ إلىٰ غيره، وظنَّ رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم؛ ليَدفع ما نُسِب إليهم، حتىٰ نزَل القرآن فافتُضِحوا[1]. **فالخائنون في الآية**: هم السُّرَّاق بنو الأبيرق، **وقال السهيلي**: هم بِشْرٌ وبُشَير ومُبَشِّر وأُسَير[2].

ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين مخاصِمًا لغيرهم.

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٦) وقال: «حديث غريب»، والحاكم (٨١٦٤) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، قتادة بن النعمان ﷺ، وسمَّىٰ السُّراق فيه: بشر وبشير ومبشر. وأما تسمية السارق بطعمة؛ فأخرجها الطبري (٧/ ٤٦٣) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٧.

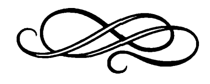
(١٠٦) ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي: مِن خِصامك عن الخائنين؛ على أنه ﷺ إنما تكلّم على الظاهر وهو يعتقد براءَتهم.

(١٠٨) ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يُدبِّرون ليلًا، وإنما سُمِّي التدبير قولًا؛ لأنه كلامُ النفس، وربما كان معه كلام باللسان[١].

(١١٢) ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمدٍ وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلَّا عن عمد. وقيل: هما بمعنًى[٢]؛ وكُرِّر لاختلاف اللفظ.

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لَبيدِ بن سهلٍ.

(١١٣) ﴿لَهَمَّت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابنَ الأُبيرق من السرقة. وهذه الآيات[٣]، وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة؛ فهي أيضًا تتضمَّن أحكامَ غيرِها. وبقية الآية تشريفٌ للنبي ﷺ، وتقرير لنِعَم الله عليه .



(١) [التعليق ٤٤] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: لا يوجد عليها ملاحظة.

(٢) في د زيادة: «واحد».

(٣) في ب: «الآية».

*لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوِيٰهُمُ إِلاَّ مَنَ اَمَرَ بِصَدَقَةٍ اَوْ مَعْرُوفٍ اَوِ اصْلَٰحِ بَيْنَ اَلنَّاسِۖ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ اَبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اِللَّهِ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماًۖ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ يُّشَاقِقِ اِلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ اُلْهُدَيٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ اِلْمُومِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّيٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيراًۖ ﴿١١٤﴾ اِنَّ أَللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُۖ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَد ضَّلَّ ضَلَٰلاً بَعِيداًۖ ﴿١١٥﴾ اِن يَّدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلآَّ إِنَٰثاً وَإِنْ يَّدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَٰناً مَّرِيداً ﴿١١٦﴾ لَّعَنَهُ اُللَّهُۖ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴿١١٧﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَءَلاَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ اَلاَنْعَٰمِ وَءَلاَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اَللَّهِۖ وَمَنْ يَّتَّخِذِ اِلشَّيْطَٰنَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اِللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناًۖ ﴿١١٨﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ اُلشَّيْطَٰنُ إِلاَّ غُرُوراًۖ ﴿١١٩﴾ اُوْلَٰٓئِكَ مَأْوِيٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاًۖ ﴿١٢٠﴾ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اَلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۖ وَعْدَ اَللَّهِ حَقّاًۖ وَمَنَ اَصْدَقُ مِنَ اَللَّهِ قِيلاً ﴿١٢١﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلآَ أَمَانِيِّ أَهْلِ اِلْكِتَٰبِۖ مَنْ يَّعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ وَلاَ يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اِللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراًۖ ﴿١٢٢﴾ *وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ اَلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ اَوُ انثيٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراًۖ ﴿١٢٣﴾ وَمَنَ اَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنَ اَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاًۖ وَاتَّخَذَ اَللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٤﴾ وَلِلهِ مَا فِي اِلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي اِلاَرْضِۖ وَكَانَ اَللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ مُّحِيطاًۖ ﴿١٢٥﴾

﴿١١٣﴾ ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوِيٰهُمُ﴾ **إن كانت النجوىٰ هنا بمعنىٰ**: الكلام الخفي؛ فالاستثناء الذي بعد هذا منقطعٌ. وقد يكون متَّصلًا؛ علىٰ حذف مضاف تقديره: إلَّا نجوىٰ مَن أمر. **وإن كانت النجوىٰ بمعنىٰ**: الجماعة؛ فالاستثناء متصلٌ.

﴿١١٤﴾ ﴿وَمَنْ يُّشَاقِقِ اِلرَّسُولَ﴾ أي: يُعاديه؛ والشِّقاق: هو العداوة. **ونزلت الآية** بسبب ابن الأبيرق[1]؛ لأنه ارتدَّ وسار إلىٰ المشركين ومات علىٰ الكفر، وهي عامةٌ فيه وفي غيره.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ اِلْمُومِنِينَ﴾ استدلَّ الأصوليون بهذا[2] علىٰ صحة إجماع المسلمين، وأنه

(١) تقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٢) في ب، د: «بها».

لا تجوز مخالفته؛ لأن مَن خالفه اتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين. وفي ذلك نظر.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركُه مع اختياره الفاسد.

(١١٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ قد تقدَّم الكلام على نظيرتها(١).

(١١٦) ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار. ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون. واختُلف في الإناث هنا: فقيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمِّي الأصنام بأسماءَ مؤنثةٍ، كاللَّات والعزى. وقيل: المراد: الملائكة؛ لقول الكفار: إنهم إناثٌ، وكانوا يعبدونهم؛ فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد. وقيل: المراد: الأصنام؛ لأنها لا تَعْقِل، فيُخبَر عنها كما يُخبَر عن المؤنث.

﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ يعني: إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه؛ لأنهم يطيعونه في الكفر والضَّلال. والـمَرِيد: هو الشديدُ العُتوِّ والإضلال.

(١١٧) ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفةٌ للشيطان.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾: للشيطان. و﴿مَّفْرُوضًا﴾ أي: فَرَضْتُه لنفسي؛ من قولك: فَرَضَ للجندِ وغيرهم، والمراد بهم: أهلُ الضلال.

(١١٨) ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي: أَعِدُهم الأمانيَّ الكاذبة.

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: يُقَطِّعونها، والإشارةُ بذلك إلى البَحِيرة وشبهها.

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ التَّغيير: هو الخِصاءُ وشبهُه؛ وقد رخَّص جماعة من العلماء في خِصاء البهائم إذا كان فيه منفعةٌ، ومنَعه بعضهم؛ لظاهر الآية. وقيل: التغيير: هو الوَشْمُ وشبهُه؛ ويدلُّ على هذا الحديثُ الذي لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن، المغيِّرات خلق الله(٢).

(١٢٠) ﴿مَحِيصًا﴾ أي: مَعدِلًا ومَهرَبًا.

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٧) من هذه السورة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿١٢١﴾ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران: **الأوَّل**: مؤكِّدٌ للوعد الذي يقتضيه قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾. **والثاني**: مؤكِّد لـ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾.

﴿١٢٣﴾ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآيةَ؛ اسم «ليس» مضمر؛ تقديره: «الأمرُ» وشبهه.

والخطاب للمسلمين، **وقيل**: للمشركين. أي: لا يكون ما تتمنَّون[1]، ولا ما يتمنَّىٰ أهل الكتاب، بل يَحكم الله بين عباده، ويجازيهم بأعمالهم.

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وعيدٌ حتمٌ في الكفار، ومقيَّدٌ بمشيئة الله في المسلمين.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت «مِن» للتبعيض؛ رِفقًا بالعباد؛ لأن الصالحات علىٰ الكمال لا يُطِيقها البشر.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييدٌ باشتراط الإيمان؛ فإنه لا يقبل عملٌ إلَّا به.

﴿نَقِيرًا﴾ هو النُّقْرَة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنىٰ: تمثيلٌ بأقلِّ الأشياء.

﴿١٢٥﴾ ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: دينَ الإسلام.

﴿حَنِيفًا﴾ **حالٌ**: مِن المتَّبِع، أو من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي: صَفِيًّا؛ وهو مشتقٌّ مِن الـخُلَّة بمعنىٰ المودَّة، وفي ذلك تشريفٌ لإبراهيم، وترغيبٌ في اتِّباعه.



(١) في ب، ج، هـ د: «تمنَّون».

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي اِ۬لنِّسَآءِۖ قُلِ اِ۬للَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَيٰ عَلَيْكُمْ فِي اِ۬لْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى
اَ۬لنِّسَآءِ اِ۬لتِے لَا تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَ۬لْوِلْدَٰنِ
وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَيٰ بِالْقِسْطِۖ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيماٗ ﴿١٢٦﴾ وَإِنِ اِ۪مْرَأَةٌ
خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزاً اَوِ اِعْرَاضاٗ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَنْ يَّصَّٰلَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاٗۖ وَالصُّلْحُ خَيْرٞۖ
وَأُحْضِرَتِ اِ۬لَانفُسُ اُ۬لشُّحَّۖ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراٗ ﴿١٢٧﴾ وَلَن
تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ اَ۬لنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ اَ۬لْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِۖ وَإِن
تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ غَفُوراٗ رَّحِيماٗ ﴿١٢٨﴾ *وَإِن يَّتَفَرَّقَا يُغْنِ اِ۬للَّهُ كُلّاٗ مِّن سَعَتِهِۦۖ
وَكَانَ اَ۬للَّهُ وَٰسِعاً حَكِيماٗ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي اِ۬لَارْضِۖ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا اَ۬لذِينَ أُوتُواْ
اُ۬لْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمُۥٓ أَنِ اِ۪تَّقُواْ اُ۬للَّهَۖ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
اِ۬لَارْضِۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ غَنِيّاً حَمِيداٗ ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي اِ۬لَارْضِۖ وَكَفَيٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٣١﴾ اِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمُۥٓ أَيُّهَا اَ۬لنَّاسُ وَيَاتِ بِـَٔاخَرِينَۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلَيٰ ذَٰلِكَ قَدِيراٗ ﴿١٣٢﴾ مَّن كَانَ
يُرِيدُ ثَوَابَ اَ۬لدُّنْي۪ا فَعِندَ اَ۬للَّهِ ثَوَابُ اُ۬لدُّنْي۪ا وَالَاخِرَةِۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ سَمِيعاَۢ بَصِيراٗ ﴿١٣٣﴾

﴿١٢٦﴾ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي اِ۬لنِّسَآءِ﴾ أي: يسألونك عمَّا يجب عليهم في أمر النساء.

﴿وَمَا يُتْلَيٰ عَلَيْكُمْ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اَ۬للَّهُ﴾؛ أي: يُفتِيكم اللهُ والمتلوُّ[1] في الكتاب؛ يعني: القرآنَ.

﴿فِي يَتَٰمَى اَ۬لنِّسَآءِ اِ۬لتِے لَا تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوَّج اليتيمةَ من أقاربه بدون ما تستحقُّه من الصَّداق. فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: ما تستحقه المرأةُ من الصداق.

وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني: لجمالهنَّ ومالهنَّ من غير توفيةِ حقوقهنَّ، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك في قوله أوَّلَ السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمُۥٓ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي اِ۬لْيَتَٰمَيٰ﴾ الآيةَ، وهذه هي التي تُلِيت عليهم في يتامى النساء.

(١) في ب، د زيادة: «عليكم».

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطفٌ على: ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؛ أي: والذي يُتلىٰ في المستضعفين مِن الولدان؛ وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تُوَرِّثُ البنتَ ولا الابنَ الصغير، فأَمر الله أن يأخذوا نصيبَهم من الميراث.

﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ عطفٌ علىٰ: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؛ أي: والذي يُتلىٰ عليكم في أن تقوموا لليتامىٰ بالقسط. ويجوز أن يكون منصوبًا[1]؛ تقديره: ويأمركم أن تقوموا. **والخطاب في ذلك**: للأولياء والأوصياء، أو للقضاة وشبهِهم. والذي تُلي[2] عليهم في ذلك هو قولُه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآيةَ، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧][3] إلىٰ غير ذلك.

١٢٧ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ **معنىٰ الآية**: إباحةُ الصُّلح بين الزوجين إذا خافت النُّشوزَ أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف؛ كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو[4] الإعراض. وقد تقدَّم معنىٰ النشوز[5]، وأما الإعراض فهو أخفُّ منه.

ووجوه الصلح كثيرةٌ؛ منها: أن يعطيَها الزوج شيئًا، أو تعطيَه هي، أو تسقطَ حقَّها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك. **وسبب الآية**: أن سَودةَ بنت زَمْعة لما كَبِرَتْ خافت أن يطلِّقها رسول الله ﷺ، فقالت له: أَمسِكني في نسائك ولا تَقسِم لي، وقد وهبتُ يومي لعائشة[6].

---

(١) في د زيادة: «بفعل محذوف».

(٢) في د: «يتلىٰ».

(٣) كذا وردت آية البقرة في النسخ الخطية، وليس موضوع هذه الآية النهي عن أكل أموال اليتامىٰ خصوصًا، بل هي أعم من ذلك، فلعلَّ مراد ابن جزي ﵀ آية النساء: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، وهي التي ذكرها ابن عطية في هذا الموضع (٣/ ٣٤).

(٤) في ج، هـ، د: «و».

(٥) في اللغات (٣٤٦)، وانظر تفسير الآية (٣٤) من هذه السورة.

(٦) أخرجه أبو داود (٢١٣٥)، والحاكم (٢٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٣٤٣٤)، عن عائشة ﵂. وأخرجه الترمذي (٣٠٤٠) عن ابن عباس ﵄، وقال: «حسن صحيح غريب».

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظٌ عامٌّ؛ يدخل فيه صُلح الزوجين وغيرهما. **وقيل**: معناه: صلح الزوجين خيرٌ من فراقهما؛ فـ﴿خَيْرٌ﴾ علىٰ هذا للتفضيل، واللام في ﴿الصُّلْحُ﴾ للعهد.

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ **معناه**: أن الشحَّ جُعِل حاضرًا مع النفوس لا يَغيب عنها؛ لأنها جُبِلت عليه. **والشحُّ**: هو أن لا يسمح الإنسانُ لغيره بشيءٍ من حظوظ نفسه. **وشحُّ المرأة من**[1] **هذا**: هو طلبها لحقِّها من النفقة والاستمتاع. **وشحُّ الزوج**: هو منع الصَّداق، أو التضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكِبَر سنِّها أو قُبْح صورتها.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ **معناه**: العدلُ التامُّ الكامل في الأقوال والأفعال والمحبَّة وغيرِ ذلك، فرفَع الله ذلك عن عباده؛ فإنهم لا يستطيعونه، وقد كان رسول الله ﷺ يَقْسِم بين نسائه ثم يقول: «**اللهم هذا فعلي فيما أَمْلك؛ فلا تؤاخذْني فيما**[2] **لا أملك**»[3] يعني: مَيْلَه بقلبه.

وقيل: إنَّ الآية نزلت في مَيْلِه ﷺ بقلبه إلىٰ عائشة[4].

ومعناها: اعتذارٌ مِن الله تعالىٰ عن عباده.

﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلَّقة.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الآيةَ؛ معناها: إن تفرَّق الزوجان بطلاقٍ أَغنىٰ الله كلَّ واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعدٌ بخيرٍ وتأنيسٌ.

﴿١٣١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنَّ الله وصَّىٰ الأوَّلين والآخِرين بأن يتقوه.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أي: بقومٍ غيرِكم، وروي أنَّ النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده علىٰ كَتِف سلمان الفارسي، وقال: «هم قوم هذا»[5].

---

(١) في د: «على».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «بما»، والمثبت موافق لما في السنن والمسند.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥١١١)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٥٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، وابن حبان (٤٢٠٥)، والحاكم (٢٧٦١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة ﵂، ورجَّح الترمذي إرساله.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨٣) عن أبي مليكة.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٢).

﴿١٣٤﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآيةَ؛ **تقتضي الترغيبَ في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خيرٌ من ثواب الدنيا. وتقتضي -أيضًا- أن يُطلَب ثوابُ الدنيا والآخرة من الله وحدَه؛ فإنَّ ذلك بيده لا بيد غيره.**

وعلىٰ أحد هذين الوجهين يَرتبط الشرطُ بجوابه: فالتقدير علىٰ الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يَقتصِرْ عليه خاصةً؛ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. **وعلىٰ الثاني:** من كان يريد ثواب الدنيا فلْيطلبْه من الله؛ فعنده ثواب الدنيا والآخرة.



يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمُۥٓ أَوِ اِ۬لْوَٰلِدَيْنِ وَالَاقْرَبِينَ إِنْ يَّكُنْ غَنِيّاً اَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ اُ۬لْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴿١٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَالْكِتَٰبِ اِ۬لذِے نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَالْكِتَٰبِ اِ۬لذِےٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ اِ۬لَاخِرِ فَقَد ضَّلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيداً ﴿١٣٥﴾ اِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ اَ۪زْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اِ۬للَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاًۢ ﴿١٣٦﴾ بَشِّرِ اِ۬لْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً اَلِيماً ﴿١٣٧﴾ اِ۬لذِينَ يَتَّخِذُونَ اَ۬لْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اِ۬لْمُومِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ اُ۬لْعِزَّةَ فَإِنَّ اَ۬لْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً ﴿١٣٨﴾ ۞وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِے اِ۬لْكِتَٰبِ أَنِ اِذَا سَمِعْتُمُۥٓ ءَايَٰتِ اِ۬للَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِے حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمُۥٓ إِذاً مِّثْلُهُمُۥٓ إِنَّ اَ۬للَّهَ جَامِعُ اُ۬لْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِے جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴿١٣٩﴾ اِ۬لذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اَ۬للَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ اَ۬لْمُومِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ وَلَن يَّجْعَلَ اَ۬للَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى اَ۬لْمُومِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٠﴾

﴿١٣٤﴾ ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلهِ﴾ معناه: لوجه الله ولمرضاته.

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمُۥٓ﴾ يتعلَّق بـ﴿شُهَدَآءَ﴾ . وشهادة الإنسان على نفسه: هي إقرارُه بالحقِّ. ثم ذَكر الوالدَين والأقربِين؛ إذ هم مَظِنَّةٌ للتعصب والميل؛ فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أَحرىٰ وأَولىٰ.

﴿إِنْ يَّكُنْ غَنِيّاً اَوْ فَقِيراً﴾ جواب «إن» محذوفٌ على الأظهر؛ أي: إن يكن المشهودُ عليه غنيًّا فلا يَمتنِعْ[1] من الشهادة عليه تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا فلا يَمتنعْ[2] من الشهادة عليه إشفاقًا عليه؛ فإنَّ اللهَ أَولىٰ بالغني والفقير؛ أي: بالنظر لهما.

(١) في د: «تمتنع».
(٢) في د: «تمتنع».

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ «أنْ» مفعولٌ من أجله، ويَحتمل أن يكون المعنىٰ: مِن العَدل؛ فالتقدير: إرادةَ أن تَعدِلوا بين الناس. أو من العُدول؛ فالتقدير: كراهةَ أن تَعدِلوا عن الحقِّ.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ قيل: إنَّ الخطاب للحُكَّام. وقيل: للشُّهود. واللفظ عامٌّ في الوجهين. واللَّيُّ: هو تحريف الكلام. أي: إن تَلْوُوا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحقِّ، أو تُعرِضوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود[1] له فإنَّ الله يُجازيكم؛ فإنه خبير بما تعملون. وقرئ: ﴿وَإِن تَلُوا﴾ بضم اللام[2]؛ من الوِلاية؛ أي: إن وَلِيتم إقامةَ الشهادة ، أو أَعرضتم عنها.

﴿١٣٥﴾ ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للمسلمين، معناه: الأمر بأن يكون إيمانُهم علىٰ الكمال بكلِّ ما ذُكِر، أو يكونُ أمرًا بالدَّوام علىٰ الإيمان. وقيل: خطابٌ لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدِّمين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ. وقيل: خطابٌ للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم.

﴿١٣٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآيةَ؛ قيل: هي في المنافقين؛ لتردُّدهم بين الإيمان والكفر. وقيل: في اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم[3] كفروا بمحمد ﷺ، والأوَّل أرجح؛ لأنَّ الكلام مِن هنا فيهم. والأظهر: أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتدَّ، ثم عاد إلىٰ الإيمان، ثم ارتدَّ وزاد كفرًا.

﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن عَلِمَ اللهُ أنه يموت علىٰ كفره، وقد يكون إضلالهم عقابًا لهم بسوءِ أفعالهم.

﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ إشارةٌ إلىٰ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] وغيرِها. وفي الآية دليلٌ علىٰ وجوب تجنُّب أهل المعاصي. والضمير في قوله: ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود علىٰ: ما يدلُّ عليه سياق الكلام مِن الكافرين والمنافقين.

---

(١) في د: «الشهادة».

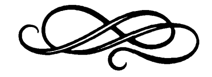
(٢) قرأ ابن عامر وحمزة بضم اللام وواو ساكنة بعدها، وقرأ الباقون بإسكان اللام بعدها واوان، الأولىٰ مضمومة والثانية ساكنة.

(٣) في د: «و».

﴿١٤٠﴾ ﴿ٱلذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفةٌ للمنافقين؛ أي: ينتظرون بكم دوائرَ الزمان.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نَغْلِبْ علىٰ أمركم بالنُّصرة لكم والحَمِيَّة.

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره: ذلك في الآخرة[1]. وقيل: السبيل هنا: الحجة الغالبة[2].



(١) أخرجه الطبري (٧/ ٦١٠) والحاكم (٣٢٠٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في ب، وهامش أ ورمز له بـ«خ» وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩)، وفي بقية النسخ: «البالغة».

إِنَّ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اَ۬للَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْۖ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى اَ۬لصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَيٰ يُرَآءُونَ
اَ۬لنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اَ۬للَّهَ إِلَّا قَلِيلاٗ ١٤١ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَيٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَيٰ هَٰٓؤُلَآءِۖ
وَمَنْ يُّضْلِلِ اِ۬للَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاٗ ١٤٢ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ اُ۬لْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِ اِ۬لْمُومِنِينَۖ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰناٗ مُّبِيناً ١٤٣ إِنَّ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ فِي اِ۬لدَّرْكِ
اِ۬لْأَسْفَلِ مِنَ اَ۬لنّ۪ارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ١٤٤ إِلَّا اَ۬لذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ اَ۬لْمُومِنِينَۖ وَسَوْفَ يُوتِ اِ۬للَّهُ اُ۬لْمُومِنِينَ أَجْراً عَظِيماٗ ١٤٥ مَّا يَفْعَلُ اُ۬للَّهُ
بِعَذَابِكُمُۥٓ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ شَاكِراً عَلِيماٗ ١٤٦ ۞لَّا يُحِبُّ اُ۬للَّهُ اُ۬لْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ
مِنَ اَ۬لْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ١٤٧ إِن تُبْدُواْ خَيْراً اَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن
سُوٓءٖ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ١٤٨ إِنَّ اَ۬لذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسْلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُّفَرِّقُواْ بَيْنَ
اَ۬للَّهِ وَرُسْلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُومِنُ بِبَعْضٖ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَّتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ١٤٩
اُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْكَٰفِرُونَ حَقّاٗۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَاباٗ مُّهِيناٗ ١٥٠ وَالذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسْلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٖ مِّنْهُمُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ نُوتِيهِمُۥٓ أُجُورَهُمْۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ غَفُوراً رَّحِيماٗ ١٥١

(١٤١) ﴿يُخَٰدِعُونَ اَ۬للَّهَ﴾ ذُكِر في «**البقرة**»[١]. ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْۖ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ لأنَّ وبالَ خِداعهم راجعٌ عليهم[٢].

(١٤٢) ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ أي: مضطربين متردِّدين، لا إلىٰ المسلمين ولا إلىٰ الكفار.

(١٤٣) ﴿سُلْطَٰناٗ مُّبِيناً﴾ أي: حجةً ظاهرة.

(١٤٤) ﴿إِنَّ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ فِي اِ۬لدَّرْكِ اِ۬لْأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السُّفلىٰ من جهنم، وهي سبعُ طبقاتٍ. وفي ذلك دليلٌ علىٰ أنهم شرٌّ من الكفار.

(١٤٥) ﴿إِلَّا اَ۬لذِينَ تَابُواْ﴾ استثناءٌ من المنافقين، والتوبة هنا: الإيمان الصَّادق في الظاهر والباطن.

(١٤٦) ﴿مَّا يَفْعَلُ اُ۬للَّهُ بِعَذَابِكُمُۥٓ﴾ المعنىٰ: أيُّ حاجةٍ أو منفعة لله بعذابكم وهو الغنيُّ عنكم! وقدَّم الشكر علىٰ الإيمان؛ لأنَّ العبد ينظر إلىٰ النعم فيَشكر عليها ثم يؤمن بالمنعِم، فكأنَّ

---

(١) انظر تفسير الآية (٨).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

الشكر سببٌ للإيمان متقدِّمٌ عليه(١). ويَحتمل أن يكون الشكر يتضمَّن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدًا واهتمامًا به. والشَّاكر اسم الله، ذُكِر في «اللغات»(٢).

(١٤٧) ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي: إلَّا جَهْرَ المظلوم، فيجوز له مِن الجهر: أن يدعوَ علىٰ مَن ظَلمه. وقيل: أن يَذكر ما فُعل به من الظُّلم. وقيل: أن يَرُدَّ عليه بمثل مَظلمته إن كان شتَمه.

(١٤٨) ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآيةَ؛ ترغيبٌ في فعل الخير سرًّا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أَباح الانتصارَ؛ لأن العفوَ أحبُّ إلىٰ الله من الانتصار، وأكَّد ذلك بوصفه تعالىٰ نفسَه بالعَفْو مع القُدرة.

(١٤٩) ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآيةَ؛(٣) في اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم، وكفروا بمحمدٍ ﷺ وغيرِه.

ومعنىٰ التَّفريق بين الله ورسله: الإيمانُ به والكفر برسله.

وكذلك التفريق بين الرُّسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحَكَم الله علىٰ مَن كان كذلك بحُكم الكفر الحقيقيِّ الكامل.

(١٥١) ﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله.

---

(١) [التعليق ٤٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «أيُّ حاجةٍ أو منفعة لله» إلخ ما قاله ﷺ في تفسير هذه الجملة الإنشائية «مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ» = قول صحيح، وهو معنىٰ ما ذكره ابن جرير، ولكن هذا التفسير يحتاج إلىٰ إيضاح؛ ويحصل ذلك بمعرفة أن الخطاب للمنافقين كما يقتضيه السياق، وقد توعدهم الله في أول الآية بالدرك الأسفل من النار، ثم استثنىٰ الذين تابوا واعتصموا بالله، وأخلصوا دينهم لله، فهؤلاء ناجون مع المؤمنين، ومأجورون أجرا عظيما، ثم أكد نفي العذاب عن التائبين، لأنه تعالىٰ لا يعذب من يعذبه إلا جزاء علىٰ السيئات، فمن شكر وآمن فلا يعذبه؛ لعدم قيام سبب العذاب به، فلا يعذب أحدا بغير ذنب، ومعنىٰ ذلك أنه لا يعذب أحدا لحاجته إلىٰ التعذيب، أو لمنفعة تعود إليه تعالىٰ، كلَّا؛ فذلك ممتنع؛ لكمال عدله وكمال غناه.

وأما ما علل به تقديم الشكر علىٰ الإيمان من أن الشكر وسيلة إلىٰ الإيمان، فالظاهر العكس؛ فإن الإيمان بالله ورسله أعظمُ باعث علىٰ الشكر، وحينئذ فيمكن أن يقال في تقديم الشكر علىٰ الإيمان وإن كان ثمرة للإيمان: فإنه يتضمن درجة الكمال من الإيمان، وكمال الإيمان أعلىٰ من مطلق الإيمان، ويؤيد هذا التوجيه قوله تعالىٰ في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وقوله ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورا» [أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة ﷺ]، فجعل ﷺ الشكر غاية مطلوبه.

(٢) انظر المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٣) في د زيادة: «نزلت».

يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰباً مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰناً مُّبِيناً ﴿١٥٢﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً ﴿١٥٣﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٥٤﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰناً عَظِيماً ﴿١٥٥﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ * وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٦﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٥٧﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴿١٥٨﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴿١٥٩﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٦٠﴾ لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٦١﴾

﴿١٥٢﴾ ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتىٰ تأتيَنا بكتابٍ من السماء جملةً كما أتىٰ موسىٰ بالتوراة(١). وقيل: كتابٌ إلىٰ فلان، وكتابٌ إلىٰ فلان بأنك رسول الله. وإنما طلبوا ذلك علىٰ وجه التعنُّت، فذَكر الله سؤالَهم من موسىٰ، وسوءَ أدبهم معه؛ تسليةً للنبي ﷺ بالتأسِّي بغيره. ثم ذَكر أفعالهم القبيحة؛ ليُبيِّن أنَّ كفرَهم إنما هو عنادٌ، وقد تقدَّم في «البقرة» ذِكْرُ طلبِهم للرؤية، واتخاذهم العجلَ، ورَفْع الطورِ فوقَهم، واعتدائهم في السَّبت وغيرِ ذلك مما أشير إليه هنا.

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٦٣٩) عن محمد بن كعب القرظي.

(١٥٤) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» زائدةٌ؛ للتأكيد، والباء تتعلَّق بمحذوفٍ؛ تقديره: بسبب نقْضِهم فَعَلْنا بهم ما فعلنا. أو تتعلَّق بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ، ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ -علىٰ هذا- بدلًا من قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ .

(١٥٥) ﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ هو أنْ رَمَوْا مريمَ بالزِّنا مع رؤيتهم الآيةَ في كلام عيسىٰ في المهد.

(١٥٦) ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عدَّد اللهُ في جملة قبائحهم قولَهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾؛ لأنهم قالوها افتخارًا وجُرْأةً مع أنهم كذَبوا في ذلك، ولَزِمهم الذنبُ وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي أُلقِي شَبَهُه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسىٰ.

وروي أن عيسىٰ قال للحواريين: أيُّكم يُلْقَىٰ عليه شَبَهِي فيُقتَل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فأُلقِي عليه شَبَهُ عيسىٰ فقُتِل علىٰ أنه عيسىٰ. وقيل: بل دلَّ علىٰ عيسىٰ يهوديٌّ، فألقىٰ اللهُ شَبه عيسىٰ علىٰ اليهودي، فقُتِل اليهوديُّ، ورُفِع عيسىٰ إلىٰ السماء حيًّا، حتىٰ ينزلَ إلىٰ الأرض فيقتلَ الدَّجَّالَ.

﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ **إن قيل**: كيف قالوا فيه ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وهم يكفرون به ويسبُّونه؟ **فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها**: أنهم قالوا ذلك علىٰ وجه التهكُّم والاستهزاء. **والثاني**: أنهم قالوه علىٰ حسَب اعتقاد المسلمين فيه؛ كأنهم قالوا: رسول الله عندَكم أو بزعمِكم. **والثالث**: أنه مِن قول الله لا من قولهم؛ فيوقف قبله، وفائدته: تعظيمُ ذنبهم، وتقبيح قولهم: إنا قتلناه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ردٌّ عليهم وتكذيبٌ لهم وللنصارىٰ أيضًا في قولهم: إنه صُلِب؛ حتىٰ عبدوا الصَّليب من أجل ذلك، والعَجب كلُّ العجب مِن تناقضهم في قولهم: إنه إلهٌ أو ابن إلهٍ، ثم يقولون: إنه صُلِب!

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ **فيه تأويلان: أحدهما**: ما ذكرناه مِن إلقاء شَبَهِه علىٰ الحواريِّ، أو علىٰ اليهودي. **والآخر**: أنَّ معناه: شُبِّه لهم الأمرُ؛ أي: خَلط لهم القومُ الذين حاولوا قتله؛ فإنهم قتلوا رجلًا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يَقرُبوا منه، حتىٰ تغيَّر بحيث لا يُعرف، وقالوا للناس: هذا عيسىٰ، ولم يكن عيسىٰ، فاعتقد الناس صدقَهم وكانوا متعمِّدين للكذب.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي أنه لما رُفع عيسىٰ وأُلقي شَبهه علىٰ غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتولُ عيسىٰ فأين صاحبُنا؟ وإن كان هذا صاحبَنا فأين عيسىٰ؟

فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أنَّ شخصًا قُتِل، واختلفوا مَن كان.

﴿إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ **استثناءٌ منقطع**؛ لأنَّ العلم تحقيقٌ والظن تردُّدٌ. **وقال ابن عطية**: هو متَّصلٌ؛ إذ الظنُّ والعلم يَجمعهما جنسُ المعتقدات[1]. **فإن قيل**: كيف وصفهم بالشكِّ وهو تردُّدٌ بين احتمالين على السَّواء، ثم وصفهم بالظنِّ وهو ترجيحُ أحد الاحتمالين؟

فالجواب: أنهم كانوا على الشكِّ، ثم لَاحَتْ لهم أَمارةٌ فظنُّوا. **قاله الزمخشري**[2]. وقد يقال الظنُّ بمعنى الشك، وبمعنى الوَهْم الذي هو أضعف من الشك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: ما قتلوه قتلًا يقينًا؛ **فإعراب** ﴿يَقِينًا﴾ **على هذا**: صفةٌ لمصدر محذوف. **وقيل**: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: ما قتلوه متيقِّنين. **وقيل**: هو تأكيدٌ للنفي الذي في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ أي: تَيقَّنَ نفيُ قتلِه، وهو على هذا منصوبٌ على المصدرية[3].

﴿١٥٧﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى سمائه[4]، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية[5].

﴿١٥٨﴾ ﴿وَإِن مِّنَ اَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُومِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ **فيها تأويلان**: **أحدهما**: أنَّ الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ لعيسى، **والمعنى**: أنَّ كلَّ أحدٍ من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزلُ إلى الأرض، قبل أن يموت عيسى، وتصيرُ الأديان كلُّها حينئذٍ دينًا واحدًا، وهو دين الإسلام.

والثاني: أنَّ الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ للكتابيِّ الذي تضمَّنه قولُه: ﴿وَإِن مِّنَ اَهْلِ الْكِتَابِ﴾، **التقدير**: وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلَّا ليؤمننَّ بعيسى ويَعلمُ أنه نبيٌّ قبل أن يموت هذا الإنسان؛ وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمانٌ لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٦٢)، وعبارته: «إذ الظن والعلم يضمُّهما جنسُ أنهما من معتقدات النفس، وقد يقول الظان على طريق التجوز: علمي في الأمر أنه كذا، وهو يعني ظنَّه».

(٢) الكشاف (٥/ ٢٢١).

(٣) والمعنى: يخبركم يقينًا، أو يقصُّ عليكم يقينًا. المحرر الوجيز (٣/ ٦٣).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس رضي الله عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[١].

وفي مصحف أبيٍّ بن كعب: «قبل موتهم»[٢]، وفي هذه القراءة تقويةٌ للقول الثاني.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾: لعيسىٰ علىٰ الوجهين. وقيل: هو لمحمد ﷺ.

(١٥٩) ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ **يَحتمل أن يكون**: بمعنىٰ الإعراض؛ فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ صفةً لمصدر محذوف؛ تقديره: صدًّا كثيرًا. أو بمعنىٰ صدِّهم لغيرهم؛ فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ مفعولًا بالصدِّ؛ أي: صَدُّوا كثيرًا من الناس عن سبيل الله.

(١٦٢) ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هم عبد الله بن سلَام، ومُخَيْرِيق، ومَن جرىٰ مجراهم.

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ علىٰ المدح بإضمارِ فعلٍ، وهو جائزٌ كثيرٌ في الكلام. **وقالت عائشة** رضي الله عنها: هو مِن لحن كُتَّاب المصحف[٣].

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: «والمقيمون» علىٰ الأصل.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٦٦٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٤٢٧).

(٢) تخريجها في الأثر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٨٠)، والفراء في معاني القرآن (١/ ١٠٦) بإسنادهما عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ وعن قوله: ﴿إِنَّ هذانِ لَساحِرانِ﴾ فقالت: «يا ابن أختي، هذا عمل الكُتَّاب أخطؤوا في الكتاب»، وقال السيوطي في الإتقان (٢/ ٢٦٩): «هذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين»، وقال الطبري تعليقًا علىٰ هذا الأثر (٧/ ٦٨٤): «فلو كان ذلك خطأً من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غيرِ مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه= بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبيٍّ في ذلك ما يدل علىٰ أن الذي في مصحفنا من ذلك صوابٌ غيرُ خطإٍ، مع أن ذلك لو كان خطأً من جهة الخط لم يكن الذين أُخِذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون مَن علَّموا ذلك من المسلمين علىٰ وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقَّنوه للأمة تعليمًا علىٰ وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءةً علىٰ ما هو به في الخط مرسومًا أدلُّ الدليل علىٰ صحة ذلك وصوابه، وأن لا صُنْعَ في ذلك للكاتب»، وانظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ٢٤٨) وما بعدها.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً
﴿١٦٢﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيماً ﴿١٦٣﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ
اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٤﴾ *لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا
بَعِيداً ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴿١٦٧﴾ إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴿١٦٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ
الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٠﴾

﴿١٦٢﴾ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على اليهود الذين سألوا من النبي[1] ﷺ أن يُنزِّلَ عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجٌ عليهم بأن الذي أتىٰ به وحيٌ، كما أتىٰ مَن تقدَّم مِن الأنبياء بالوحي من غير إنزال كتابٍ من السماء، ولذلك أكثرَ مِن ذكْر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا؛ لتقومَ بهم الحجة.

﴿١٦٣﴾ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ منصوبٌ بفعل مضمر؛ أي: أرسلنا رسلًا.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ تصريحٌ بالكلام، مؤكَّدٌ بالمصدر، وذلك دليلٌ علىٰ بطلان قول المعتزلة: إنَّ الشجرة هي التي كلَّمت موسىٰ.

(١) في أ: «سألوا النبيَّ».

(١٦٤) ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ منصوبٌ: بفعل مضمر[1]. أو على البدل.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: بعَثَهم الله ليَقطعَ حجَّةَ مَن يقول: لو أُرسِل إليَّ رسولٌ لآمنت.

(١٦٥) ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآيةَ؛ معناها: أنَّ الله يشهد بأن القرآن مِن عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك. وسبب الآية: إنكارُ اليهود للوحي[2]، فجاء الاستدراك؛ على تقدير أنهم قالوا: لن نشهدَ بما أُنزِل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك.

وفي الآية من أدوات البيان: التَّرديد، وهو ذكر الشهادة أوَّلًا، ثم ذكرها في آخر الآية.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ في هذا دليلٌ لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافًا للمعتزلة في قولهم: إنه عالم بلا علم، وقد تأوَّلوا الآيةَ بتأويلٍ بعيد.

(١٦٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ عام؛ لأن النبي ﷺ بُعِث إلى جميع الناس.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ انتصب ﴿خَيْرًا﴾ هنا، وفي قوله: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: بفعلٍ مضمر لا يظهر؛ تقديره: ائتوا خيرًا لكم. هذا مذهب سيبويه. وقال الخليل: انتصب بقوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾ و﴿ٱنتَهُواْ﴾ على المعنى. وقال الفرَّاء: فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم؛ فنصبه على النعت لمصدر محذوف. وقال بعض الكوفيين: هو خبر «كان» المحذوفة؛ تقديره: يكن الإيمان خيرًا لكم[3].

---

(١) فيكون منصوبًا على المدح. الكشاف (٥/ ٢٣٢).

(٢) أخرج الطبري (٧/ ٦٩٤) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآيةَ.

(٣) ذكر في إعراب هذه الآية أربعة مذاهب، والذي يذكره المفسِّرون والنحاة هنا ثلاثة مذاهب، ويجعلون مذهب الخليل وسيبويه واحدًا، وليسا متغايرين كما صنع المؤلف رحمه الله قال ابن يعيش في شرح المفصَّل للزمخشري (١/ ٣٩٥): «فأما قوله تعالى: ﴿انتهوا خيرا لكم﴾، وما كان مثله، نحو قوله تعالى: ﴿فآمنوا خيرا لكم﴾، فإنه يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون.. التقدير - والله أعلم -: انتهوا، وائتوا خيرًا لكم، وآمنوا وائتوا خيرًا لكم، هذا مذهب سيبويه، والخليل..

الثاني: وهو مذهب الكسائي، أنه منصوب لأنه خبر (كان) محذوفة، والتقدير: انتهوا يكن الانتهاء خيرًا لكم. =

﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو غنيٌّ عنكم، لا يضرُّه كفرُكم.

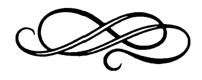
﴿١٧٠﴾ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ هذا خطابٌ للنصارىٰ؛ لأنهم غلَوْا في عيسىٰ حتىٰ كفَروا، فلفظ «أهل الكتاب» عمومٌ يراد به الخصوص في النصارىٰ؛ بدليل ما بعد ذلك. **والغلو**: هو الإفراط وتجاوز الحد.

﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ أي: مكوَّنٌ عن كلمته التي هي «كن»، مِن غير واسطةِ أبٍ ولا نطفة.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: ذو روحٍ من الله، فـ«مِن» هنا: لابتداء الغاية، والمعنىٰ: مِن عند الله. وجعَله من عند الله؛ لأن الله أرسل به جبريلَ ﷺ إلىٰ مريم.

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ نهيٌ عن التَّثليث الخبيث، وهو مذهب النصارىٰ. وإعراب ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: خبر ابتداءٍ مضمر[1].

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ برهانٌ علىٰ تنزيهه تعالىٰ عن الولد؛ لأنه مالك كل شيء.



= الثالث: وهو مذهب الفراء، أن يكون ﴿خيرا﴾ متصلا بالأول ومن جملته، ويكون صفةً لمصدر محذوف، كأنه قال: انتهوا انتهاء خيرا لكم، وآمنوا إيمانا خيرا لكم». وانظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي (٢/ ١٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨٩).

(١) تقديره: المعبود ثلاثة، أو الإله ثلاثة. المحرر الوجيز (٣/ ٧٣).

لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلهِ وَلاَ الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَۖ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمُۥٓ إِلَيْهِ جَمِيعاًۖ ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمُۥٓ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَأَمَّا الذِينَ اَسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً اَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اِللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراًۖ ﴿١٧٢﴾ *يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناًۖ ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِے رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمُۥٓ إِلَيْهِ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماًۖ ﴿١٧٤﴾ يَسْتَفْتُونَكَۖ قُلِ اِللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِے الْكَلَٰلَةِۖ إِنِ اِمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۖ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۖ فَإِن كَانَتَا اَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَٰنِ مِمَّا تَرَكَۖ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنثَيَيْنِۖ يُبَيِّنُ اُللَّهُ لَكُمُۥٓ أَن تَضِلُّواْۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌۖ ﴿١٧٥﴾

﴿١٧١﴾ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ لن يأنفَ. وكذلك[1] حيث وقع.

﴿وَلاَ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه دليلٌ لمن قال: إنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنىٰ: لن يستنكف عيسىٰ ولا مَن فوقه.

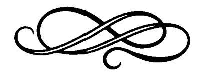
﴿١٧٣﴾ ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين. ويَحتمل أن يريد بالبرهان: الدلائلَ والحُجج، وبالنور: النبيَّ ﷺ؛ لأنه سمَّاه سراجًا.

﴿١٧٥﴾ ﴿يَسْتَفْتُونَكَۖ﴾ أي: يَطلبون منك الفُتْيا. ويَحتمل أن يكون هذا الفعل: طالبًا للكلالة، و﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أيضًا طالبًا لها؛ فيكون من باب الإعمال، وأُعمِل العامل الثاني علىٰ اختيار البصريين. أو يكون ﴿يَسْتَفْتُونَكَۖ﴾ مقطوعًا عن ذلك؛ فيوقَف عليه، والأوَّل أظهر. وقد تقدَّم معنىٰ الكلالة في أوَّل السورة[2]. والمراد بالأخت والأخِ هنا: الشَّقائق، والذين للأبِ إذا عَدِم الشقائقُ، وقد تقدَّم حكم الإخوة للأمِّ في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ الآية.

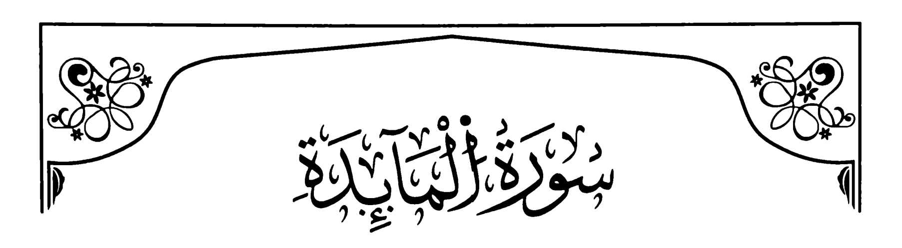
(١) في د زيادة: «معناه».
(٢) انظر تفسير الآية (١٢).

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين[1]. ولا إشكال فيما ذُكِر هنا من أحكام المواريث.

﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعولٌ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن تَضِلُّوا.



(١) فإعراب ﴿ٱمۡرُؤٌاْ﴾ فاعل بفعل محذوف، يفسِّره ما بعده، ولم يُعرب مبتدأً؛ لأن أداة الشرط «إنْ» مختصَّة بالجملة الفعلية. أوضح المسالك (٢/ ٧٧).



سُورَةُ المَائِدَةِ

يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِۖ ﴿١﴾ اُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ اُ۬لَانْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ
مُحِلِّے اِ۬لصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۖ اِنَّ اَ۬للَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُۖ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ اَ۬للَّهِ
وَلَا اَ۬لشَّهْرَ اَ۬لْحَرَامَ وَلَا اَ۬لْهَدْيَ وَلَا اَ۬لْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ اَ۬لْبَيْتَ اَ۬لْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلٗا مِّن رَّبِّهِمْ
وَرِضْوَٰناٗۖ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ اَن صَدُّوكُمْ عَنِ اِ۬لْمَسْجِدِ
اِ۬لْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۖ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى اَ۬لْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى اَ۬لِاثْمِ وَالْعُدْوَٰنِۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَۖ
إِنَّ اَ۬للَّهَ شَدِيدُ اُ۬لْعِقَابِۖ ﴿٣﴾ ۞حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ اُ۬لْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ اُ۬لْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اِ۬للَّهِ
بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ اَ۬لسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
اَ۬لنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالَازْلَٰمِۖ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۖ اِ۬لْيَوْمَ يَئِسَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْۖ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِۖ اِ۬لْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِے وَرَضِيتُ لَكُمُ
اُ۬لِاسْلَٰمَ دِيناٗۖ فَمَنُ اُ۟ضْطُرَّ فِے مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثْمٖ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞۖ ﴿٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ
مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلُ اُحِلَّ لَكُمُ اُ۬لطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ اَ۬لْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا
عَلَّمَكُمُ اُ۬للَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اُ۪سْمَ اَ۬للَّهِ عَلَيْهِۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ
سَرِيعُ اُ۬لْحِسَابِۖ ﴿٥﴾ اَ۬لْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ اُ۬لطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ اُ۬لذِينَ أُوتُواْ اُ۬لْكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلّٞ لَّهُمْۖ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ اَ۬لْمُومِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ اَ۬لذِينَ أُوتُواْ اُ۬لْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكُمُۥٓ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِے أَخْدَانٖۖ وَمَنْ يَّكْفُرْ
بِالِايمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِے اِ۬لَاخِرَةِ مِنَ اَ۬لْخَٰسِرِينَۖ ﴿٦﴾

﴿١﴾ ﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ **قيل: إن العقود هنا:** ما عقده الإنسانُ مع غيره مِن بيعٍ ونكاح وعتق وشبه ذلك. وقيل: ما عقده مع ربِّه من الطَّاعات، كالحج والصيام وشبه ذلك. وقيل: ما عقده اللهُ عليهم من التَّحليل والتحريم في دينه؛ ذُكِر مجمَلًا ثم فُصِّل بعد ذلك في قوله:

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم﴾ وما بعده.

﴿٢﴾ ﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي: الإبل والبقر والغنم. وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلىٰ ما هو أخصُّ منه؛ لأن البهيمة تقع علىٰ الأنعام وغيرها.

قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنىٰ «مِن»، كخاتمٍ مِن حديد؛ أي: البهيمة من الأنعام[1]. **وقيل:** هي الوحش؛ كالظِّباءِ، وبقر الوحش. **والمعروف من كلام العرب:** أن الأنعام لا يقع إلَّا علىٰ الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع علىٰ كلِّ حيوانٍ ما عدا الإنسان.

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يريد: الميتةَ وأخواتها.

﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ نصبٌ علىٰ الحال من الضمير في ﴿لَكُم﴾.

﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾ حالٌ من ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾. و ﴿حُرُمٌ﴾ جمع حرامٍ؛ وهو الـمُحْرِم بالحج. فالاستثناء بـ«إلَّا» من البهائم المحلَّلة، والاستثناء بـ«غير» من القوم المخاطَبين.

﴿٣﴾ ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ **قيل:** هي مناسك الحج؛ كان المشركون يحجُّون ويعتمرون، فأراد المسلمون أن يُغِيروا عليهم، فقيل لهم: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُغِيروا عليهم ولا تصدُّوهم. **وقيل:** هي الحَرَم، وإحلالُه: الصيد فيه. **وقيل:** هي ما يَحرُم علىٰ الحاج من النساء والصَّيد[2] وغير ذلك، وإحلالُه: فعله.

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ **قيل:** هو جنس الأشهر الحُرُم الأربعة؛ وهي: رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم. **وقيل:** أشهر الحج؛ وهي: شوال، وذو قَعدة، وذو الحجة. **وإحلالها:** هو القتال فيها، وتغيير حالها.

﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ هو ما يُهدَىٰ إلىٰ البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقرُّبًا إلىٰ الله، فنَهىٰ الله أن يُستحَلَّ؛ بأن يُغار عليه، أو يُصَدَّ عن البيت.

---

(١) الكشاف (٥/ ٢٥٥).

(٢) في ب، د: «والطيب» بدل «والصيد»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قيل: هي التي تُعلَّق في أعناق الهدي؛ فنَهىٰ عن التعرُّض لها. وقيل: أراد: ذواتِ القلائد من الهدي؛ وهي البُدْن، وجرَّدَها بالذِّكْر بعد دخولها في الهدي؛ اهتمامًا بها وتأكيدًا لأمرها.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: القاصدين إلىٰ البيت لحجٍّ أو عمرة، نهىٰ الله عن الإغارة عليهم أو صدِّهم عن البيت. ونزلت الآية -علىٰ ما قال السهيلي- بسبب الحُطَمِ البَكْريِّ -واسمه: شُريح بن ضُبَيعة-[1]، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يَقصِد إلىٰ الكعبة ليعتمر[2]. وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عامٌّ في المسلمين والمشركين، ثم نُسِخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ الفضل: الربح في التجارة، والرضوان: الرحمة[3] في الدنيا أو[4] في الآخرة.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ أي: إذا حللتم مِن إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم؛ فالأمر هنا إباحةٌ بإجماع.

---

(١) الحطم لقبٌ له، ومعناه: الراعي الذي يسوق ماشيته سوقًا عنيفًا، لقب بذلك لأنه غزا اليمن في جموعٍ جمعها من ربيعة فغنم وسبىٰ بعد حربٍ كانت بينه وبين كندة، ثم رجع وأخذ في طريق مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمَّ هرب مِنهُم، فهلك أناسٌ كثير بالعطش، فجعل شريح يسوق بأصحابه سَوقًا حثيثًا حتىٰ نجوا ووردوا الماء، فقال فيه رشيد بن رميض العَنَزي:

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ ... قد لفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ

إلىٰ آخر الأبيات. انظر: فوات الوفَيَات، للصفدي (١٦/ ٨٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩١، وأخرج الخبر الطبري (٨/ ٣١-٣٤) عن السدي وعكرمة، وفيه: أنه أقبل حاجًّا قد قلَّد وأهدىٰ فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية.. قال له ناس من أصحابه: يا رسول الله خلِّ بيننا وبينه فإنه صاحبنا، قال: «إنه قد قلَّد» قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأبىٰ عليهم فنزلت هذه الآية.

(٣) في ب، د: «الربح».

(٤) في ب، د: «و».

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ **معنى** **﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يُكْسِبنَّكم؛ يقال: جَرَم فلانٌ فلانًا هذا الأمرَ: إذا أكسبَه إيَّاه وحمَله عليه. والشنآن:** هو البغض والحِقد؛ ويقال بفتح النون وإسكانها. و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ **مفعولٌ من أجله. و**﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾ **مفعولٌ ثانٍ لـ**﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾. **ومعنى الآية: لا تَحملَنَّكم**[١] **عداوةُ قومٍ على أن تعتدوا عليهم مِن أجل أنْ صدُّوكم عن المسجد الحرام. ونزلت عام الفتح؛ حين ظفِر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدُّوهم عن المسجد الحرام عامَ الحديبية**[٢]**، فنهاهم الله عن قتلهم؛ لأن الله عَلِم أنهم يؤمنون.**

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ **وصيةٌ عامة. والفرق بين البرِّ والتقوى: أن البرَّ: عامٌّ في فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات، وفي كل ما يُقَرِّب إلى الله، والتقوى: في الواجبات، وترك المحرمات، دونَ فعل المندوبات، فالبرُّ أعم من التقوى.**

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ **الفرق بينهما: أن الإثم: كلُّ ذنب بين العبد وبين الله (أو بينه وبين الناس)**[٣]**، والعدوان: على الناس.**

(٤) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ **تقدَّم الكلام عليها في «البقرة»**[٤].

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ **هي التي تُخنَق بحبلٍ وشبهه.**

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ **هي المضروبة بعصًا أو حجرٍ وشبهه.**

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ **هي التي تَسقط من جبلٍ وشبهه**[٥].

---

(١) في أ، ب، د: «لا تحملَنكم».

(٢) هكذا أورده ابن عطية في تفسيره (٣/ ٩٣) بغير إسناد، أنها نزلت عام الفتح، ولم أقف عليه مسندًا بهذا المعنى، وإنما الذي وقفت عليه أنها نزلت بالحديبية، أخرج ابن أبي حاتم -كما عزاه إليه ابن كثير (٢/ ١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٦٧)، وهو من القسم المفقود من تفسيره- عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق، يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله هذه الآية.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

(٤) انظر تفسير الآية (١٧٢).

(٥) في ب، د: «وشبه ذلك».

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نَطَحتْها بهيمةٌ أخرىٰ.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: أكلَ بعضَه، والسَّبُعُ: كلُّ حيوانٍ مفترس؛ كالذئب والأسد والنَّمِر والثعلب والعُقَاب والنَّسْر.

﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناءٌ منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها: ما مات من الاختناق والوَقْذ والتَّرَدِّي والنَّطح وأكْل السَّبُعِ، والمعنىٰ: حُرِّمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكَّيتم من غيرها فهو حلال.

وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي مَيْتةٌ؛ فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة لذكرها بعدَها. وقيل: إنه استثناءٌ متصلٌ؛ وذلك إن أُرِيد بالمنخنقة وأخواتها: ما أصابته تلك الأسباب وأُدْرِكت ذكاتُه، والمعنىٰ علىٰ هذا: إلَّا ما أدركتم ذكاتَه من هذه الأشياء فهو حلال.

ثم اختَلف أهلُ هذا القول: هل يشترط أن تكون لم تُنْفَذْ مَقاتِلُها أم لا؟

وأما إذا لم تُشرِف علىٰ الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزةٌ باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ عطفٌ علىٰ المحرمات المذكورة. و ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ حجارةٌ كان أهل الجاهلية يُعظِّمونها ويَذْبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنامَ مصوَّرةٌ والنُّصُب غير مصوَّرة، وهي الأنصاب، والمفرد: نِصَابٌ. وقد قيل: إن النُّصُب بضمتين: مفرد، وجمعه: أَنصاب.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلَٰمِ﴾ عطفٌ علىٰ المحرمات أيضًا. والاستقسام: هو طلب ما قُسِم له. والأزلام: هي السِّهَام؛ واحدها: زلَـمٌ -بضم الزاي وفتحها-، وكانت ثلاثةً قد كُتِب علىٰ أحدها: «افعل»، وعلىٰ الآخر: «لا تفعل»، والثالث مهملٌ، فإذا أراد الإنسان أن يَعمل أمرًا جعلها في خَرِيطةٍ، وأدخل يده وأخرج أحدَها، فإن خرج له الذي فيه «افعل» فعَل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه «لا تفعل» ترَكه، وإن خرج[1] المهمل أعاد الضَّرْب.

---

(١) في ج، د زيادة: «له».

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ **الإشارةُ** إلىٰ تناول المحرمات المذكورة كلِّها، أو إلىٰ الاستقسام بالأزلام، وإنما حرَّمه الله وجعله فسقًا؛ لأنه دخولٌ في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكِهانة وغيرها مما يرام به الاطِّلاعُ علىٰ الغيوب.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ أي: يئسوا أن يَغلبوه أو يُبطِلوه. **ونزلت** بعد العصر مِن يوم الجمعة يومَ عرَفة في حجة الوداع[1]؛ فذلك هو اليوم المذكور؛ لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين. **ويَحتمل** أن يكون المرادُ باليوم: الزمانَ الحاضر، لا اليومَ بعينه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ **هذا الإكمال يَحتمل أن يكون** بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع، وبيان الحلال والحرام.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ راجعٌ إلىٰ المحرمات المذكورة قبلَ هذا، أباحها الله عند الاضطرار.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعةٍ.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ هو بمعنىٰ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدَّم في «**البقرة**»[2].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام: «فلا جناح عليه»، وتضمَّن زيادةَ الوعد.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ **سببها**: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يَحِلُّ لهم من المآكل[3]. **وقيل**: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه: ماذا يحل لنا من الكلاب؟ فنزلت مبيِّنةً للصيد بالكلاب[4].

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ **هي عند مالك**: الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمُه في كتاب ولا سنة. **وعند الشافعي**: الحلال المستلَذُّ؛ فحرَّم كل مستقذَرٍ[5] كالخنافس وشبهها؛

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (١٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، كما عزاه إليه ابن كثير (٣/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٩٢).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٠)، والحاكم (٣٢١٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٨٨٦٦) عن أبي رافع رضي الله عنه.

(٥) وهذا الذي قال به طائفة من أصحاب أحمد، وهو المذهب عند المتأخرين، أن ما استخبثته العرب فهو محرم، وما استطابته فهو حلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٠٦-٢٠٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (الفتاوىٰ ١٩/ ٢٤): «من قال من العلماء: إنه حرم علىٰ جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه. فجمهور العلماء علىٰ خلاف هذا القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه، =

لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ على حذف مضاف تقديره: وصيدُ ما علَّمتم. أو: مبتدأ وخبره: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذفَ فيه. **والجوارح**: هي الكلاب ونحوها مما يُصَاد به، وسُمِّيت جوارح؛ لأنها كواسبُ لأهلها، فهو من الجَرْح بمعنى الكسب.

ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب. واختُلف فيما سواها: ومذهب **الجمهور**: الجواز؛ للأحاديث الواردة في البُزَاة وغيرها(١). ومنع بعضهم ذلك؛ لقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ فإنه مشتقٌّ من الكلب. ونزلت الآية بسبب عَدي بن حاتم رضي الله عنه؛ فإنه كان له كلاب يَصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد(٢).

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: معلِّمين للكلابِ(٣) الاصطيادَ. وقيل: معناه: أصحاب كلاب. وهو منصوبٌ على الحال من ضمير الفاعل في ﴿عَلَّمْتُم﴾. ويقتضي قولُه: ﴿عَلَّمْتُم﴾ و﴿مُكَلِّبِينَ﴾: أنه لا يجوز الصيد إلَّا بجارحٍ معلَّم؛ لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ ولقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على القول الأول، ولتأكيده ذلك بقوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾.

= ولكن الخرقي وطائفة منهم وافقوا الشافعي على هذا القول، وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخباثهم؛ بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله؛ كالدم والميتة؛ والمنخنقة والموقوذة؛ والمتردية والنطيحة؛ وأكيلة السبع؛ وما أهل به لغير الله وكانوا - بل خيارهم - يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي ﷺ وقال: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» وقال مع هذا: «إنه ليس بمحرم» وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه: «لا آكله ولا أحرمه»، وقال جمهور العلماء: الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعا لآكله في دينه والخبيث ما كان ضارا له في دينه»، وقال -أيضًا- (الفتاوى ١٧/ ١٨٠): «الطيبات التي أباحها هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق، والخبائث هي الضارة للعقول والأخلاق».

(١) عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي، فقال: «ما أمسك عليك فكل». أخرجه الترمذي (١٤٦٧) واللفظ له، وأبو داود (٢٨٥١)، وأحمد (١٨٢٥٨)، والبيهقي (١٨٨٨٥)، وقال: «ذكر البازي في هذه الرواية لم يأت به الحفاظ الذين قدمنا ذكرهم عن الشعبي وإنما أتى به مجالد».

(٢) أخرج الطبري (٨/ ١٠٨) عن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له، حتى نزلت هذه الآية: ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾.

(٣) في ج، د: «معلمين الكلابَ».

وحدُّ التَّعليم: عند ابن القاسم: أن يَفهم الجارحُ الإيسادَ[1] والزَّجرَ. وقيل: الإيسادَ خاصةً. وقيل: الزجرَ خاصة. وقيل: أن يُجِيب إذا دُعِي.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: تعلمونهنَّ مِن الحيلة في الاصطياد وتأتِّي تحصيلِ الصيد، وهذا جزءٌ مما علمه الله الإنسانَ؛ فـ«من» للتبعيض. ويَحتمل أن تكون لابتداء الغاية. والجملة: في موضع الحال، أو استئنافٌ.

﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا إباحةٌ. ويَحتمل أن يريد: مما أمسكن سواءٌ أكلت الجوارح منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ، وبذلك أخذ مالك[2]. ويَحتمل أن يريد: مما أمسكن ولم يأكلن منه؛ وبذلك فسَّره رسول الله ﷺ بقوله: «فإن أكل منه فلا تأكل؛ فإنه إنما أَمسك على نفسه»[3]، وقد أَخذ بهذا بعض العلماء[4]. وقد ورد في حديثٍ آخَر: «إذا أكل فكل»[5]، وهو حجة لمالك.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمرٌ بالتسمية على الصَّيد، ويجري الذبح مجراه.

وقد اختلَف الناس في حكم التَّسمية: فقال الظاهرية[6]: إنها واجبةٌ؛ حملًا للأمر على الوجوب، فإن تُرِكت التسمية عمدًا أو نسيانًا، لم تؤكل عندهم.

---

(١) في د هنا وفي الموضع التالي: «الإشلاء». قال في لسان العرب (٤/ ٣٨): «وآسَدَ الكَلْبَ بالصيدِ إيسادًا: هيَّجه وأغراهُ، وأشلاه: دعاه»، وقال الإمام ثعلب في كتاب الفصيح (ص١٥٥): «وتَقُولُ: أَشْلَيْتُ الكَلْبَ وغَيْرَهُ: إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَيْكَ. وقَوْلُ النَّاسِ: أَشْلَيْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ خَطَأٌ. فَإِنْ أَرَدتَ ذَلِكَ قُلْتَ: آسَدْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ، وأَوْسَدتُهُ» انظر: التلويح في شرح الفصيح، للهروي (ص: ٩٨).

(٢) وهو أحد القولين في مذهب الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٣٩٢-٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥)، ومسلم (١٩٢٩).

(٤) فيحرم الأكل مما أكل منه، وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الآخر في مذهب الشافعي، وأصح الروايتين عن أحمد، وهي المذهب، وهذا فيما يصيد بنابه، كالكلب. وأما ما يصيد بمخلب، كالصقر، فمذهب أبي حنيفة وأحمد إباحة صيده وإن أكل منه، خلافًا للشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٣٩٢-٣٩٨).

(٥) أخرجه أحمد (٦٧٢٥) وأبو داود (٢٨٥٧)، والدارقطني (٤٧٩٧)، والبيهقي (١٨٨٨٤) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وصحح إسناده ابن عبد الهادي في التنقيح (٤/ ٦٢٧)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١)، وابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٢٤١)، وأعله البيهقي.

(٦) وهو المشهور من مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤١٦).

وقال الشافعي: إنها مستحبة؛ حملًا للأمر على الندب، وتؤكل عنده؛ سواءٌ تركت التسمية عمدًا أو نسيانًا. وجَعل بعضهم الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائدًا على الأكل؛ فليس فيها -على هذا- أمرٌ بالتسمية على الصيد.

ومذهب مالك[1] أنه: إن تُرِكت التسمية عمدًا لم تؤكل، وإن تركت نسيانًا أُكِلت؛ فهي عنده واجبةٌ مع الذُّكْرِ، ساقطةٌ مع النسيان.

(٦) ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ، و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى. واختُلف في نصارى بني تَغْلِبٍ من العرب، وفيمن كان مسلمًا ثم ارتدَّ إلى اليهودية أو النصرانية هل يَحلُّ لنا طعامُهم أم لا؟ ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب. واختُلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟

وأما الطعام؛ فهو على ثلاثة أقسام: أحدها: الذبائح؛ وقد اتَّفق العلماء على أنها مُرادة في الآية، فأجازوا أكْل ذبائح اليهود والنصارى. واختلفوا فيما هو محرَّمٌ عليهم في دينهم، هل يحل لنا أم لا؟ على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة. وهذا الاختلاف مبنيٌّ على: هل هو من طعامهم أم لا؟ فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه: جاز. وإن أريد به ما يَحلُّ لهم: مُنِع. والكراهة توسُّطٌ بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولةَ لهم فيه؛ كالقمح والفاكهة، فهو جائز لنا باتِّفاقٍ.

والثالث: ما فيه محاولةٌ؛ كالخبز، وتَعصِير الزَّيت، وعَقْد الجُبْن، وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه: **فمنعه ابن عباس**؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذَّبائح خاصةً[2]، ولأنه يمكن أن يكون نجسًا. **وأجازه الجمهور**؛ لأنهم رأوه داخلًا في طعامهم.

---

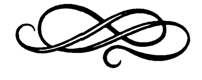
(١) وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن أحمد نقلها حنبل، وقال الخلال: سها حنبل في نقله. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٦).

وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملًا، فأمَّا إذا تحقَّقْنا استعمالَ النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلًا، وقد صنف الطُّرطوشيُّ[1] في تحريم جُبْن النصارىٰ، وقال: إنه يُنَجِّس البائعَ والمشتري والآلة؛ لأنهم يُعْقِدُونه بإنْفَحَةِ[2] الميتة[3]. ويجري مجرىٰ ذلك الزيت إذا عَلِمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحةٌ للمسلمين أن يُطعِموا أهلَ الكتاب من طعامهم.

﴿وَالْمُحْصَنَٰتُ﴾ عطفٌ علىٰ الطعام المحلَّل. وقد تقدَّم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوُّج، والعِفَّة، والحرية. فأما الإسلام فلا يصحُّ هنا؛ لقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾. وأما التزوج فلا يصحُّ أيضًا؛ لأن ذاتَ الزوج لا تحلُّ لغيره. ويَحتمل هنا: العفةَ والحرية. فمَن حمَله علىٰ العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواءٌ كانت حرة أو أَمَة. ومن حمله علىٰ الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأَمة، وهو مذهب مالك[4]. ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ لأن هذه في الكتابيَّات، والأخرىٰ في المشركين من العرب. وقد جعل بعضُ الناس هذه ناسخةً لتلك. وقيل بالعكس. وقد تقدَّم معنىٰ: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، ومعنىٰ الأَخدان[5].



(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي نسبة إلىٰ بلدة طُرطوشة بالأندلس، الفقيه المالكي، توفي بالاسكندرية سنة (٥٢٠هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٤٤).

(٢) قال في «القاموس»: «الإنفَحَة بكسر الهمزة، وقد تشدد الحاء، وقد تكسر الفاء: شيءٌ يستخرج من بطن الجدْي الرضيع، أصفرُ، فيُعصر في صوفةٍ، فيغلظ كالجبن».

(٣) انظر: رسالة في تحريم الجبن الرومي، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة (١٤١٧هـ)، صفحة (١٣١).

(٤) والشافعي وأحمد، خلافًا لأبي حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٥) انظر تفسير الآية (٢٥) من سورة النساء.

*يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمُۥٓ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمُۥٓ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ
وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمُۥٓ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم
مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً
فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ
حَرَجٍ وَلَٰكِن يُّرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾ وَاذْكُرُواْ
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلذِے وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ إِعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾
وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمُۥٓ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَن يَّبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمُۥٓ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ ﴿١٢﴾

﴿٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمُۥٓ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ **نزلت في غزوة المريسيع**، حين انقطعَ[1] عِقد عائشة ﵂، فأقام الناس على الْتِماسِه وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فنزلت الرُّخصة في التيمم، فقال أُسيد بن حُضير: ما هذه بأوَّل بركاتكم يا آلَ أبي بكر[2]، ولذلك سُمِّيت الآيةُ آيةَ التيمم، وقد كان الوضوء مشروعًا قبلها، ثابتًا بالسنة.

وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمُۥٓ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا. **ويقتضي ظاهرُها**: وجوبَ تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة[3]. **ومذهب الجمهور**: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

(١) في د: «تلف».
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٢)، ومسلم (٣٦٧).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١٦).

الأول: أنَّ وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخٌ بفعل رسول الله ﷺ؛ إذ صلىٰ الصلوات الخمس يومَ الفتح بوُضوء واحد(١).

والثاني: أن ما تقتضيه الآيةُ من التجديد يُحمَل علىٰ الندب.

والثالث: أن تقديرها: إذا قمتم مُحْدِثين؛ فإنما يجب علىٰ من أَحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ **ذكَر في هذه الآية أربعة أعضاء: اثنين محدودين**؛ وهما اليدان والرجلان. **واثنين غير محدودين**؛ وهما الوجه والرأس. **فأما المحدودان**: فتُغسَل اليدان إلىٰ المرفقين، والرجلان إلىٰ الكعبين وجوبًا بإجماع؛ فإنَّ ذلك هو الحدُّ الذي جعَل الله لهما.

واختُلف: هل يجب غَسل المرفقين مع اليدين، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلك مبنيٌّ علىٰ معنىٰ «إلىٰ»: فمن جعل «إلىٰ» بمعنىٰ «مع» في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غَسْلَهما. ومَن جعَلها بمعنىٰ الغاية لم يوجِب غسلهما.

واختلف في الكعبين؛ هل هما اللَّذان عند مَعقِد الشِّراك؟ أو العظمان النَّاتِئان في طرف السَّاق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكَرهما بلفظ التثنية، ولو كانا اللَّذان(٢) عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق؛ لأنه علىٰ ذلك في كل رِجلٍ كعبٌ واحد.

وأما غير المحدودين: فاتُّفق علىٰ وجوب إيعاب الوجه.

وحدُّه طولًا: من أول منابت الشَّعر إلىٰ آخر الذَّقَن أو اللحية، **وحدُّه عرضًا**: من الأذن إلىٰ الأذن، وقيل: من العِذَار إلىٰ العذار(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧) عن بريدة بن الحصيب ﷺ.

(٢) كذا في النسخ الخطية: «اللذان» علىٰ الرفع، مع أن الأصل أن تكون منصوبةً «اللذينِ» لكونها خبر كان، ولكن يمكن حمل ذلك علىٰ أن «كان» ملغاةٌ لا عمل لها، وهو مذهب الكسائي وابن الطراوة. انظر: شرح التسهيل لأبي حيان (٤/ ٢٥٠).

(٣) العِذار: هو الشعر النابت علىٰ العظم الناتئ المحاذي لصماخ الأذن. تاج العروس (١٢/ ٥٤٧).

وأما الرأس: فمذهب مالك[(١)]: وجوب إيعابه؛ كالوجه.

ومذهب كثيرٍ من العلماء[(٢)]: جواز الاقتصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته[(٣)]. ولكنهم اختلفوا في القدْر الذي يُجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ **اختُلف في هذه الباء: فقال قومٌ**: إنها للتَّبعيض؛ وبنَوا على ذلك: جوازَ مسح بعض الرأس.

وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية. وقال القَرَافيُّ: إنها باءُ الاستعانة التي تَدخل على الآلات، وإن المعنى: امسحوا أيديكم برؤوسكم[(٤)]. **وهذا ضعيف**؛ لأن الرأس على هذا ماسحٌ لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود.

وقيل: إنها زائدة. **وهو ضعيف**؛ لأن هذا ليس موضعَ زيادتها.

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي تُوصِل الفعلَ إلى مفعوله؛ لأن المسح يتعدَّى تارةً بنفسه، وتارةً بحرف الجر؛ كقوله: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾، وكقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ **قرئ**: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ **بالنصب**[(٥)]؛ **عطفًا على الوجوه**[(٦)] **والأيدي، فيقتضي ذلك**: وجوبَ غَسل الرجلين.

وقرئ بالخفض: فحمَله بعضهم على أنه عطفٌ على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس[(٧)].

---

(١) وأحمد.

(٢) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي (ص: ١٠٤).

(٥) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض.

(٦) في ب، ج، هـ: «الوجه».

(٧) أخرج الطبري (٨/ ١٩٥) عنه رضي الله عنه قال: «الوضوء غسلتان ومسحتان»، وانظر كلام ابن كثير في تفسيره عنه (٣/ ٥٢).

وقال الجمهور: لا يجوز مسحُهما، بل يجب غسلهما، **وتأوَّلوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:**

أحدها: أنه خفضٌ علىٰ الجِوار، لا علىٰ العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح علىٰ الخفين. **والثالث**: أن ذلك منسوخٌ بالسنة.

والفرق بين الغَسل والمسح:

أن المسح: إمرارُ اليدين بالبلل الذي يبقىٰ من الماء.

والغسل: **عند مالك**: إمرارُ اليد بالماء، **وعند الشافعي**[1]: إمرار الماء، وإن لم يدْلك باليد.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدَّم الكلام علىٰ نظيرتها في «**النساء**»[2].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: مِن ضيقٍ ولا مشقَّة؛ كقول رسول الله ﷺ: «**دين الله يُسْرٌ**»[3]. وبقيَّة الآية تفضُّلٌ مِن الله علىٰ عباده ورحمةٌ، وفي ضمن ذلك ترغيبٌ في الطهارة وتنشيط عليها.

(٨) ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة، وبيعة الرِّضوان، وكلِّ موطن قال المسلمون فيه: سمعنا وأطعنا.

(٩) ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ تقدَّم الكلام علىٰ نظيرتها في «**النساء**»[4].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يَحملنَّكم بغضُ قومٍ علىٰ ترك العدل فيهم.

(١٢) ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها **أربعةُ أقوال**: **الأول**: أن النبي ﷺ ذهب إلىٰ بني النَّضِير من اليهود، فهمُّوا أن يَصبُّوا عليه صخرةً يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان[5]، ويقوِّي هذا القولَ: ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

---

(١) وأبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٣١).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**إن الدين يسرٌ**..».

(٤) انظر تفسير الآية (١٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٢٢٨-٢٣١) عن مجاهد وعكرمة وغير واحد، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٤٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلَّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فأَغمد السيف وجلس[1]. واسمه: غَوْرَثُ بن الحارث الغطَفانيُّ.

الثالث: أنها فيما همَّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف[2].

الرابع: أنها على الإطلاق في دفْع اللهِ الكفارَ عن المسلمين.



(١) أخرجه الطبري (٨/ ٢٣٢) عن قتادة، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٤٨٩) عن الحسن عن جابر ﷺ، وأصل القصة في الصحيحين -البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣)- بدون ذكر سبب النزول.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٣٢) عن قتادة.

*وَلَقَدَ اَخَذَ اَ۬للَّهُ مِيثَٰقَ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اُ۪ثْنَےْ عَشَرَ نَقِيباًۖ وَقَالَ اَ۬للَّهُ إِنِّے مَعَكُمْۖ
لَئِنَ اَقَمْتُمُ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ اُ۬لزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِے وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اُ۬للَّهَ قَرْضاً حَسَناً
لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اَ۬لْأَنْهَٰرُۖ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَد ضَّلَّ سَوَآءَ اَ۬لسَّبِيلِۖ ﴿١٣﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ اَ۬لْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۖ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ
خَآئِنَةٖ مِّنْهُمُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحِۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لْمُحْسِنِينَۖ ﴿١٤﴾ وَمِنَ اَ۬لذِينَ
قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ اُ۬لْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ اِ۬لْقِيَٰمَةِۖ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اُ۬للَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَۖ ﴿١٥﴾ يَٰٓأَهْلَ اَ۬لْكِتَٰبِ قَدْ
جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ اَ۬لْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖۖ ﴿١٦﴾
قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اَ۬للَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٧﴾ يَهْدِے بِهِ اِ۬للَّهُ مَنِ اِ۪تَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ اَ۬لسَّلَٰمِۖ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ اَ۬لظُّلُمَٰتِ إِلَى اَ۬لنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمُۥٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖۖ ﴿١٨﴾ *لَّقَدْ كَفَرَ
اَ۬لذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اَ۬للَّهَ هُوَ اَ۬لْمَسِيحُ اُ۪بْنُ مَرْيَمَۖ قُلْ فَمَن يَّمْلِكُ مِنَ اَ۬للَّهِ شَيْـٔاً اِنَ اَرَادَ أَن يُّهْلِكَ
اَ۬لْمَسِيحَ اَ۪بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِے اِ۬لْأَرْضِ جَمِيعاًۖ وَلِلَّهِ مُلْكُ اُ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٞۖ ﴿١٩﴾ وَقَالَتِ اِ۬لْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ اُ۬للَّهِ
وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلَ اَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنْ خَلَقَۖ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَّشَآءُۖ وَلِلَّهِ مُلْكُ اُ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ اِ۬لْمَصِيرُۖ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَهْلَ اَ۬لْكِتَٰبِ قَدْ
جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٖ مِّنَ اَ۬لرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ
فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٞۖ ﴿٢١﴾

﴿١٣﴾ ﴿اُ۪ثْنَےْ عَشَرَ نَقِيباًۖ﴾ **النَّقيب**: هو كبير القوم القائمُ بأمورهم.

﴿إِنِّے مَعَكُمْۖ﴾ أي: بنصري. **والخطاب**: لبني إسرائيل، وقيل: للنُّقَباء.

﴿١٤﴾ ﴿يُحَرِّفُونَ اَ۬لْكَلِمَ﴾ اختُلف: هل أُريد تحريفُ الألفاظ أو المعاني؟

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنْهُمُۥٓ﴾ أي: على خيانةٍ؛ فهو مصدر كالعاقبة. **وقيل**: على طائفةٍ خائنة. وهو إخبارٌ بأمرٍ مُستقبَل.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف والجزية.

(١٥) ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ أي: ادَّعوا أنهم أنصار الله، وسَمَّوا أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به. ويتعلَّق[١] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بـ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾، والضمير عائد على النصارىٰ.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقْنا؛ وهو مأخوذٌ مِن الغِرَاء.

(١٦) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في الموضعين: يَعمُّ اليهود والنصارىٰ. وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يَذْكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته، فلما حلَّ بالمدينة كفروا به[٢].

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وفي الآية دلالةٌ علىٰ صحة نبوته؛ لأنه بيَّن لهم ما أَخفَوه مما في كتبِهم، وهو أُمِّيٌّ لم يقرأ كتبَهم.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يتركُه ولا يفضحُكم فيه.

(١٧) ﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ محمدٌ ﷺ، والقرآن.

(١٩) ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآيةَ؛ ردٌّ علىٰ الذين قالوا: إن الله هو عيسىٰ، وهم فرقة من النصارىٰ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلىٰ خِلْقَةِ[٣] عيسىٰ من غير والدٍ.

(٢٠) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي: قالت كل فرقةٍ عن نفسها: إنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه. والبُنُوَّة هنا: بُنُوَّة الحنان والرَّأْفة. وقال الزمخشريُّ: المعنىٰ: نحن أشياعُ أبناءِ الله -عندهم-، وهما المسيح وعُزَير، كما يقول حَشَم الملوك: نحن الملوك[٤].

---

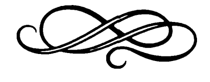
(١) في أ، ب، د: «وتتعلق».

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٧٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في ب: «خَلقِهِ».

(٤) الكشاف (٥/ ٣١٧).

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ ردٌّ عليهم؛ لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أيامًا معدوداتٍ. وقد أخذ الصوفيةُ مِن الآية أن المحِبَّ لا يعذِّب حبيبَه(١)، ففي ذلك بِشارةٌ لمن أحبَّه الله.



(١) قال ذلك أبو بكر الشِّبلي الصوفي لابن مجاهد المقرئ في محادثةٍ جرت بينهما في مجلس، أوردها الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٦٧)، وابن الصلاح في طبقات الشافعية (١/ ٤٨٩)، وفيها -كما عند الخطيب-: «ثم قال [الشبلي] له [أي: لابن مجاهد]: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت، أين في القرآن الحبيب لا يعذِّب حبيبَه؟ قال: فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: قل يا أبا بكر، قال: قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾، فقال ابن مجاهد: كأنني ما سمعتُها قطُّ!».

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٢﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٤﴾ *قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٢﴾ ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً﴾ **قيل**: جعل منكم ملوكًا؛ أي: أمراءَ. **وقيل**: الملك: مَن له مسكنٌ وامرأة وخادِم.

﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **قيل**: يعني: المنَّ والسلوىٰ والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلىٰ هذا: يكون ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خاصًا بأهل زمانهم؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أُوتيت مِن آياته مثل ذلك وأعظم.

وقيل: المراد: كثرةُ الأنبياء، فعلىٰ هذا: يكون عامًّا؛ لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثرُ منهم في سائر الأمم.

﴿٢٣﴾ ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، **وقيل**: الطُّور، **وقيل**: دمشق.

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضَىٰ أن تكون لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ﴾ **يحتمل أن يريد**: الارتدادَ عن الدين والطاعة. أو الرجوعَ إلىٰ الطريق الذي جاؤوا منه؛ فإنه رُوي أنه لما أمرهم موسىٰ ﵇ بدخول الأرض المقدَّسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهمُّوا أن يُقدِّموا علىٰ أنفسهم رئيسًا ويرجعوا إلىٰ مصر.

(٢٤) ﴿قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة.

(٢٥) ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما: يُوشَع وكالِب.

﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله. وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله أنعم عليهم بالصبر والثبوت؛ لصدق إيمانهما.

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: باب المدينة.

(٢٦) ﴿فَاذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراطٌ في العصيانِ وسوءِ الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون![(1)].

(٢٧) ﴿لَاَ أَمْلِكُ إِلَّاَ نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسىٰ ﷺ؛ ليتبرأً إلىٰ الله من قول بني إسرائيل، ويَبذلَ جهده في طاعة الله، ويعتذرَ إلىٰ الله. وإعراب ﴿أَخِي﴾: عطفٌ علىٰ ﴿نَفْسِي﴾؛ لأن أخاه هارون كان يُطيعه. وقيل: عطفٌ علىٰ الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك أنا إلَّا نفسي، ولا يملك أخي إلَّا نفسَه. وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: أخي لا يملك إلا نفسه.

﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي: فَارِقْ بيننا وبينهم؛ فهو من الفُرْقة، وقيل: افصِلْ بيننا وبينهم بحُكم.

(٢٨) ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله تعالىٰ. وحرَّم الله علىٰ جميع بني إسرائيل دخولَ تلك المدينة أربعين سنةً، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض؛ أي: في أرض التِّيهِ -وهو ما بين مصر والشام-، حتىٰ مات كلُّ من قال: «إنَّا لن ندخلها»، ولم يدخلْها أحدٌ من ذلك الجيل إلَّا يُوشَع وكالِب، ومات هارون في التيه، ومات موسىٰ بعده في التيه أيضًا.

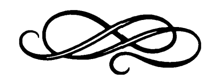
وقيل: إن موسىٰ وهارون لم يكونا في التيه؛ لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبَّارين، وفتح المدينة. والعامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ علىٰ الأصحِّ؛ فيجب وصله معه. وقيل: العامل فيه: ﴿يَتِيهُونَ﴾،

(١) قاله المقداد بن الأسود ﷺ يوم بدر. أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، (٤٦٠٩).

فعلىٰ هذا يجوز الوقف علىٰ قوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ﴾، وهذا ضعيف؛ لأنه لا حاملَ علىٰ تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأوَّل أكمل معنًىٰ؛ لأنه بيانٌ لمدة التَّحريم والتِّيه.

﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يتحيَّرون، وروي أنهم كانوا يسيرون الليل كلَّه، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

﴿وَلَا تَأْسَ﴾ أي: لا تحزن، **والخطاب**: لموسىٰ عليه السلام، **وقيل**: لمحمد ﷺ، ويراد بـ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: مَن كان في عصره من اليهود.



وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ
فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ
أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ
فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
*وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هما قابيلُ وهابيلُ.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرَّب أَرْذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنَم فقرَّب أحسن كبشٍ عنده، وكانت العادة حينئذ أن يُقَرِّب الإنسان قُرْبانه إلىٰ الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نارٌ من السماء وأكلت القربان فذلك دليلٌ علىٰ القَبول وإلَّا فلا قَبولَ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته، وتركت زرع قابيل، فحسده قابيلُ فقتله(١).

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدلَّ بها المعتزلة وغيرهم علىٰ أن العاصيَ لا يُتَقَبَّلُ عمله. وتأوَّلها الأشعرية: بأن التقوىٰ هنا يراد بها: تقوىٰ الشرك(٢).

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٩) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) [التعليق ٤٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُهُ: «استدلَّ بها المعتزلة ...»، إلخ: أقولُ: ذكر المؤلِّفُ قولَ المعتزلةِ وقولَ الأشاعِرة، وظاهِرُ كلامِه: أنه يرُدُّ قولَ المعتزلة، ويرضىٰ قولَ الأشاعِرة.
وقولُ المعتزلة ظاهِرُ الفساد؛ لأنه مبنيٌّ علىٰ أنَّ العاصيَ عندهم ليس بمؤمِنٍ، وشرطُ قَبُولِ العمَلِ: الإيمانُ.
وأمَّا قولُ الأشاعِرةِ: فصحيحٌ مِن جهةِ أنَّ الشركَ يُحبِطُ العمَل. =

(٢٨) ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: معناها: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأْك به.

وقيل: لئن بدأتني بالقتل لم أُدافعْك، **ثم اختُلف على هذا القول**: هل تَرْكه لدفاعه عن نفسه تورُّعٌ[1] وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر. أو كان واجبًا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه؟ وهو قول مجاهد[2]. وأما في شرعنا: فيجوز دفْعُ الإنسان عن نفسه؛ بل يجب.

(٢٩) ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبَّةٍ وشهوة، وإنما هو تَخيُّرٌ في أهون الشَّرَّين؛ كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحبُّ إلي مِن أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «**كن عبدَ الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل**»[3].

وأما قوله: ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ فمعناه: بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما تَحمَّل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالمٌ، فذلك مثل قوله ﷺ: «**المستبَّان ما قالا فهو على البادئ**»[4].

وقيل: ﴿بِإِثۡمِي﴾ أي: تَحْمِلُ عني سائرَ ذنوبي؛ لأن الظالم تُجعَل عليه في القيامة ذنوبُ المظلوم، ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذُنوبك.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **يحتمل أن يكون** من كلام هابيل، أو استئنافًا من كلام الله تعالىٰ.

= لكنَّ هذا القولَ يقتضي أنَّ مَن لم يكن مشركًا، فاللهُ يَقبَلُ عمَلَهُ مطلقًا.
وليس هذا بمستقيم؛ فإنَّ المؤمِنَ الموحِّدَ قد يَعرِضُ له في العملِ ما يُبطِلُه؛ كالرياءِ، والمَنِّ والأذىٰ في الصَّدَقة، ومخالَفةِ السُّنَّة.
ومِن الخطأ في فهمِ الآيةِ: ظنُّ بعضِ الناسِ أنَّ المرادَ أنَّ اللهَ لا يتقبَّلُ إلا مِن تَقِيٍّ فاعلٍ للمأمورات، تاركٍ للمعاصي؛ وهذا يَؤُولُ إلىٰ قول المعتزلة.
والصوابُ في الآية: أنَّ اللهَ لا يتقبَّلُ إلا ممَّن اتقىٰ اللهَ في عمَلِهِ ذلك؛ بأنْ أتىٰ به علىٰ الوجهِ المشروع؛ خالصًا صوابًا، ولم يأتِ بما يُبطِلُه، والله أعلم.

(١) في د زيادة: «منه».
(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٣٢٩).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٤٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٣٥٢)، والحاكم (٥٢٢٣) عن خالد بن عرفطة رضي الله عنه، وإسناد الحديث ضعيف، لكنه يعتضد بالأحاديث الواردة في هذا الباب التي تشهد له، كما قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٥٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣١) ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآيةَ؛ روي أن غرابين اقتتلا حتىٰ قتل أحدهما الآخر، ثم جَعل القاتل يبحثُ عن التراب ويواري الميت. وقيل: بل كان غرابًا واحدًا يبحث ويُلقِي التراب علىٰ هابيل.

﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: عورته، وخُصَّت بالذِّكر؛ لأنها أحقُّ بالسَّتر من سائر الجسد. والضمير في ﴿أَخِيهِ﴾ عائدٌ علىٰ ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول مَن دُفِن مِن بني آدم.

﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أصله: «يا ويلتِي»، ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء. وكذلك: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ ، و﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ .

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ أي: علىٰ ما وقع فيه من قتل أخيه. واختُلف في قابيل؛ هل كان كافرًا أو عاصيًا؟ والصحيح: أنه لم يكن كافرًا؛ لأنه قصَد التقرُّبَ إلىٰ الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافرٌ. و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا وفي الموضع الأول: عبارةٌ عن جميع الأوقات، لا مختصَّةٌ بالصباح.

(٣٢) ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلَّق بـ﴿كَتَبْنَا﴾ . وقيل: بـ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ ؛ وهو ضعيف.

﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم، أو كتبناه في كتبهم.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه: مِن غير أن يَقتل نفسًا يجب عليه به القِصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الفسادَ الذي يجب به القتل؛ كالحرابة.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيلُ قاتل الواحد بقاتل الجميع يُتصوَّر من ثلاث جهات: إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواءٌ. والثاني: انتهاك الحرمة والإقدام علىٰ العصيان[1]. والثالث: الإثم والعذاب الأُخراوي، قال مجاهد: أوعد[2] الله قاتل النفس بجهنمَ، والخلودِ فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع

(١) فإن نفسًا واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمنتهِك في واحدة ملحوظ بعين منتهك الجميع. المحرر الوجيز (٣/ ١٥٢).

(٢) في ج، د: «وعد».

الناس لم يزد على ذلك[(١)]. **وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصدَ بالآية تعظيمُ قتل النفس والتشديد فيه؛** لِيَزدجرَ الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه.

وإحياؤها: هو بإنقاذها من الموت؛ كإنقاذ الغريق والحريق وشبه ذلك.

وقيل: بترك قتلها، **وقيل:** بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، **والمعنىٰ:** تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارةٌ إلىٰ ما همُّوا به من قتل رسول الله ﷺ.

(٣٥) ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ **سببها عند ابن عباس:** قومٌ من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل[(٢)]. **وقال جماعة:** نزلت في نفر من عُكْلٍ وعُرَينة، أسلموا، ثم إنَّهم قتلوا راعيَ النبي ﷺ وأخذوا إبله[(٣)]. ثم حكمها بعدَ ذلك في كل مُحارِبٍ. **والحرابة عند مالك**[(٤)]: هي حمل السِّلاح علىٰ الناس في بلد أو في خارج بلد. **وقال أبو حنيفة:** لا يكون المحارب إلَّا خارج البلدان.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ تغليظٌ ومبالغة. **قال بعضهم:** تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ. **وذلك ضعيف؛** لأن الرسول ﷺ قد ذُكِر بعد ذلك.

وقيل: يحاربون عباد الله[(٥)]. **وهو أحسن.**

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً﴾ بيانٌ للحرابة، **وهي علىٰ درجات؛** فأدناها: إخافةُ الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل النفس.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥١).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٦٦٨)، والنسائي (٤٠٣٧)، وأبو داود (٤٣٦٦) عن أنس ﵁، وأصل الحديث في الصحيحين -البخاري (٦٨٠٥)، ومسلم (١٦٧١)- من دون ذكر سبب النزول.

(٤) وعند الشافعي، وتوقف أحمد في المسألة، وأكثر أصحابه علىٰ هذا القول، وقال الخرقي بقول أبي حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٨).

(٥) في ب: «يحاربون الناس».

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الصَّلْب مضاف إلىٰ القتل: **فقيل**: يقتل ثم يصلب؛ ليراه أهل الفساد فيزدجروا. وهو قول أشهب[١].

وقيل: يصلب حيًّا، ويقتل في الخشبة. وهو قول ابن القاسم.

﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ معناه: أن تُقطَع يده اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ، ثم إن عاد قُطِعت يده اليسرىٰ ورجله اليمنىٰ. **وقَطعُ اليدِ**[٢] **عند مالك والجمهور**: من الرُّسغ، **وقطع الرجل**: من المَفصِل، وذلك في الحرابة وفي السرقة.

﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ **مشهور مذهب مالك**: أن يُنفَىٰ من بلد إلىٰ بلد آخر، ويسجن فيه إلىٰ أن تظهر توبته.

وروَىٰ عنه مطرِّفٌ[٣]: أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة. **وقيل**: ينفىٰ إلىٰ بلد آخر دون أن يسجن فيه[٤]. **ومذهب مالك**: أن الإمام مخيَّرٌ في المحارب بين أن يقتله ويَصلِبه، أو يقتله ولا يصلِبه، أو يَقطَع يده ورجله، أو يَنفيَه، إلَّا أنه قال: إن كان قتَلَ فلا بدَّ من قتله، وإن لم يَقتل فالأحسن أن يُؤخَذ فيه بأيسر العقاب.

وقال الشافعي وغيره[٥]: هذه العقوبات مرتَّبة؛ فمن قَتل وأَخذ المال قُتل وصُلب، ومن قَتل ولم يأخذ مالًا[٦] قُتل ولم يُصلَب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يَقتل ولم يأخذ مالًا نُفِي. **وحجة مالك**: عطف هذه العقوبات بـ«أو» التي تقتضي التخيير.

---

(١) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ١٥).

(٢) في د: «وتقطع اليدُ».

(٣) هو مطرِّف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار الهلالي أبو مصعب، مولىٰ ميمونة زوج النبي ﷺ، وهو ابن أخت الإمام مالك، ومن كبار أصحابه، توفي سنة (٢٢٠). انظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٤٠).

(٤) ومذهب أحمد: أن النفي هو تشريدهم عن الأمصار والبلدان، فلا يُتركون يأوون بلدًا. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٧).

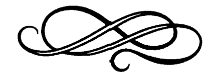
(٥) وهو مذهب أحمد، علىٰ اختلاف في مذهبه في بعض التفاصيل. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ١٠) وما بعدها.

(٦) في ج: «المال».

﴿خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة: النار. وظاهر هذا: أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفَّارة للمحارب، بخلاف سائر الحدود. ويَحتمل أن يكون الخزيُ في الدنيا لمن عوقب (في الدنيا)[1]، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب.

(٣٦) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ قيل: هي في المشركين. وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يَختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها. وقيل: هي في المحارِبين من المسلمين. وهو الصَّحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يُقدَر عليه فقد سقط عنه حكم الحِرابة؛ لقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

واختُلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها: أنها زائدة على حدِّ الحرابة الذي سقط[2] عنه بالتوبة. ووجه سقوطها: إطلاق[3] قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.



(١) لم ترد في ج، د، هـ.
(٢) في د: «التي سقطت».
(٣) لم ترد في ج، هـ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِتَّقُواْ ٱللَّهَ وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِے سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾
إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِے ٱلْاَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُرِيدُونَ أَن يَّخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ
مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ اَلَمْ تَعْلَمَ اَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَّشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن
يَّشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِے
ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُومِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ـاخَرِينَ لَمْ يَاتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنُ
اوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُّرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـٔاً اُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُّطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِے ٱلدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِے ٱلْاَخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤٣﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمُۥٓ أَوَ اَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَّضُرُّوكَ شَيْـٔاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ اُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُومِنِينَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٧﴾ ﴿وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يُتوسَّل به ويُتقرَّب به إليه؛ من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك.

﴿٣٨﴾ ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ **إن قيل**: لم وحَّد الضمير وقد ذكر شيئين وهما: ﴿مَّا فِے ٱلْاَرْضِ﴾ و﴿مِثْلَهُۥ﴾؟ **فالجواب**: أنه وَضع المفرد موضعَ الاثنين. أو أَجرىٰ الضمير مجرىٰ اسم الإشارة؛ كأنه قال: ليفتدوا بذلك. أو تكون[1] الواو بمعنىٰ «مع»[2].

﴿٣٩﴾ ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائمٌ، وكذلك: ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

(١) في أ، ب، د: «يكون».
(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٣٤٩).

(٤٠) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطعَ كل سارق؛ إلَّا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطًا خصَّصوا بها العموم، فمن ذلك: أنَّ مَن اضطرَّه الجوع إلىٰ السرقة لم يُقطَع عند مالك[١]؛ لتحليل الميتة له.

وكذلك مَن سرق مال ولده أو سيده. أو سرق من غير حرزٍ. أو سرق أقل من النصاب؛ وهو عند مالك: ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدَهما[٢]. وأدلَّة التَّخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية. وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من الآية؛ لأن ما أُهمِل بغير حرز أو اؤتمن عليه فليس أَخْذُه سرقةً، وإنما هو اختلاس أو خيانة.

وإعراب ﴿وَالسَّارِقُ﴾: عند سيبويه: مبتدأ، وخبره محذوف؛ كأنه قال: فيما يتلىٰ عليكم السارقُ والسارقة. والخبر عند المبرِّد وغيره: ﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء؛ لتضمُّن معنىٰ الشرط.

(٤١) ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ الآيةَ؛ توبة السارق: هي أن يندمَ علىٰ ما مضىٰ، ويُقلِعَ فيما يستقبل، ويَردَّ ما سرق إلىٰ من يستحقُّه. واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلىٰ الحاكم: هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي[٣]؛ لظاهر الآية. أو لا يسقط عنه؟ وهو مذهب مالك[٤]؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة، إلَّا المحارِب؛ للنصِّ عليه.

(٤٢) ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ قدَّم العذاب علىٰ المغفرة؛ لأنه قوبل بذلك تقدُّم[٥] السرقة علىٰ التوبة.

---

(١) وكذا قال أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٥٥٤).

(٢) وهو إحدىٰ الروايات في مذهب أحمد، أن كلًّا من الذهب والفضة أصلٌ بنفسه، وهذه الرواية هي المذهب عند المتأخرين، وعنه رواية أخرىٰ: أن الأصل الفضة، ويقوَّم بها الذهب والعروض، فإن نقص ربع دينار عن ثلاثة دراهم لم يقطع سارقه، ومذهب الشافعي والفقهاء السبعة: الأصل الذهب، ويقوَّم به ما سواه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٨٨-٤٩١).

(٣) وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند المتأخرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ١٠) وما بعدها.

(٤) وأبي حنيفة، والرواية الأخرىٰ عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٣٢).

(٥) في د: «تقديم».

(٤١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ خطاب للنبي ﷺ علىٰ وجه التسلية له.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ هم المنافقون.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يَحتمل أن يكون: عطفًا علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ ، ثم يكون ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ استئنافَ إخبارٍ عن الصِّنفَين المنافقين واليهود. ويَحتمل أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ استئنافًا منقطعًا مما قبله، و﴿سَمَّٰعُونَ﴾ راجعٌ إليهم خاصَّةً.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: يسمعون[١] كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البُغْضَة والمجاهرة بالعداوة؛ فقوله: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفةٌ لـ﴿قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾. والمراد بالقوم الآخرين: يهود خيبر، والسَّمَّاعون للكذب: بنو قُريظة.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يبدِّلونه مِن بعد أن وُضِع في مواضعه، وقُصِدت به وجوهُه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهوديًّا زنىٰ بيهودية؛ فسأل رسولُ الله ﷺ اليهودَ عن حدِّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحمِّم وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم»، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها، وجعل أحدهم يده علىٰ آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلَام: ارفع يدك! فرَفع، فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرُجِما[٢].

فمعنىٰ قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أوتيتم هذا الذي ذَكرتم من الجَلْد والتَّحميم فخذوه واعملوا به، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾.

﴿فِتْنَتَهُۥ﴾ أي: ضلالتَه[٣] في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: الذِّلة، والمسكنة، والجزية[٤].

(١) في د: «سماعون».
(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٠) مع ذكر سبب النزول عن البراء بن عازب ﵁.
(٣) في ب، ج، هـ: «ضلاله».
(٤) هذه الكلمة لم ترد في ج، هـ.

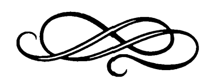
(٤٤) **﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود: فكُرِّر هنا تأكيدًا. وإن كان الأول في المنافقين واليهود:** فهذا في اليهود خاصة.

﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكمَ بين اليهود أو يتركَهم، وهو أيضًا يتناول الحكَّام. وقيل: إنه منسوخ بقوله: **﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾**.

(٤٥) **﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾** الآيةَ؛ استبعادٌ لتحكيمهم النبيَّ ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدَّعون الإيمانَ بها. فمعنىٰ: **﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾** أي: يتولَّون عن اتباع حكم الله في التوراة مِن بعد كون حكم الله فيها موجودًا عندهم، ومعلومًا في قضية[1] الرجم وغيرها.

﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسىٰ ﷺ، وهذا إلزامٌ لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدَّله فدعواه الإيمانَ به باطلةٌ.



---

(١) في ب، د: «قصة».

إِنَّآ أَنزَلْنَا اَلتَّوْرَيٰةَ فِيهَا هُدىٗ وَنُورٞ يَحْكُمُ بِهَا اَلنَّبِيٓـُٔونَ اَلذِينَ أَسْلَمُواْ لِلذِينَ هَادُواْ
وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالَاحْبَارُ بِمَا اَسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ اِ۬للَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۖ فَلَا تَخْشَوُاْ اُ۬لنَّاسَ
وَاخْشَوْنِۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِے ثَمَناٗ قَلِيلاٗۖ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
اُلْكَٰفِرُونَۖ ﴿٤٦﴾ ۞وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالَانفَ بِالَانفِ
وَالُاذُنَ بِالُاذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٞۖ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۖ وَمَن لَّمْ
يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلظَّٰلِمُونَۖ ﴿٤٧﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَيٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى اَبْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقاٗ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلتَّوْرَيٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ اُلِانجِيلَ فِيهِ هُدىٗ وَنُورٞ وَمُصَدِّقاٗ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ اَلتَّوْرَيٰةِ وَهُدىٗ وَمَوْعِظَةٗ لِّلْمُتَّقِينَۖ ﴿٤٨﴾ وَلْيَحْكُمَ أَهْلُ اُلِانجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُ فِيهِۖ وَمَن لَّمْ
يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْفَٰسِقُونَۖ ﴿٤٩﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ اَلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاٗ لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ اَهْوَآءَهُمْ عَمَّا
جَآءَكَ مِنَ اَلْحَقِّۖ لِكُلّٖ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةٗ وَمِنْهَاجاٗۖ وَلَوْ شَآءَ اَللَّهُ لَجَعَلَكُمُۥٓ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ
وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِے مَآ ءَاتَيٰكُمْۖ فَاسْتَبِقُواْ اُلْخَيْرَٰتِۖ إِلَى اَللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاٗ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَۖ ﴿٥٠﴾ ۞وَأَنُ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اَللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعَ اَهْوَآءَهُمْ
وَاحْذَرْهُمُۥٓ أَن يَّفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اَللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمَ اَنَّمَا يُرِيدُ اُللَّهُ أَن
يُّصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۖ وَإِنَّ كَثِيراٗ مِّنَ اَلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَۖ ﴿٥١﴾ أَفَحُكْمَ اَلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۖ وَمَنَ
اَحْسَنُ مِنَ اَللَّهِ حُكْماٗ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَۖ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ﴿اَلنَّبِيٓـُٔونَ اَلذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ هم الأنبياء الذين بين موسىٰ ومحمد ﷺ. ومعنىٰ ﴿أَسْلَمُواْ﴾ هنا: أخلصوا لله، وهي صفة مدح أُريد بها التَّعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة.

وليس المراد هنا: الإسلام الذي هو ضدُّ الكفر؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم: أسلموا علىٰ هذا المعنىٰ؛ لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول إبراهيم ﵇: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ اِلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلَ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ﴾ [آل عمران: ٢٠][1].

(١) [التعليق ٤٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: لا يوجد فيه شيء، فالكلام لا إشكال فيه.

﴿لِلذِينَ هَادُواْ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿يَحْكُم﴾؛ أي: يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها. **وقيل**: يتعلَّق بقوله: ﴿فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾.

﴿بِمَا اَسْتُحْفِظُواْ﴾ أي: كُلِّفوا حفظَه، والباء هنا: سببية. **قاله الزمخشري**[1]. **ويَحتمل أن تكون بدلًا** من المجرور في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾.

﴿وَلاَ تَخْشَوُاْ اُلنَّاسَ﴾ وما بعده: خطابٌ لليهود. ويحتمل أن تكون[2] وصيةً للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اُللَّهُ فَأُوْلَٓئِكَ هُمُ اُلْكَٰفِرُونَ﴾ **قال ابن عباس**: نزلت الثلاثةُ في اليهود؛ ﴿اُلْكَٰفِرُونَ﴾ ، و﴿اُلظَّٰلِمُونَ﴾، و﴿اُلْفَٰسِقُونَ﴾[3].

وقد روي في هذا أحاديثُ عن النبي ﷺ[4].

وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلَّا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان[5].

وقال الشعبيُّ: ﴿اُلْكَٰفِرُونَ﴾: في المسلمين، و﴿اُلظَّٰلِمُونَ﴾: في اليهود، و﴿اُلْفَٰسِقُونَ﴾

(١) الكشاف (٥/ ٣٦٧).

(٢) في ب، ج، هـ د: «يكون».

(٣) أخرجه أحمد (٢٢١٢)، وأبو داود (٣٥٧٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٨): «وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف، وقد وثِّق، وبقية رجال أحمد ثقات».

(٤) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٥) [**التعليق ٤٨**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله: «إلَّا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان» أقول: في هذا الإطلاق نظر؛ فإن حكم المسلم بغير شرع الله له أحوال: منها ما هو كفر أكبر، أي: ردة عن الإسلام، وذلك إذا اتخذ قانونا بدلا عن الشريعة، يحكم بهذا القانون، ويفرض الحكم به والتحاكم إليه، ولو خالف حكم الشريعة. وتارة يحكم القاضي المسلم في قضية جزئية بخلاف ما يعلمه من حكم الشريعة لهوًى من محاباة صديق أو قريب، أو لرشوة تبذل له، فهذا معصية، ويمكن أن يقال: كفر دون كفر، وعليه ينزَّل قول ابن عباس في الآية: «كفر دون كفر»، وقد فات المفسِّر ﷺ مراعاة هذا التفصيل الذي نبَّه عليه بعض أهل العلم في هذا العصر؛ لما ابتليت به الأمة في كثير من البلاد الإسلامية من تحكيم القوانين المخالفة لشريعة الإسلام، وإعطاء هذه القوانين كل ما يجب بشريعة الله من وجوب الحكم بها، والتحاكم إليها، والرضا، وعقوبة من خالفها، وفي حكم من وضع القانون وفرضه مَن رضي به وحكم به. نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمنَّ علينا بالعفو والعافية في ديننا ودنيانا.

في النصارىٰ[1].

﴿٤٧﴾ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنىٰ: الكتابة في الألواح، أو بمعنىٰ الفرض والإلزام. والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فِيهَآ﴾ للتوراة.

﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: تُقتَل النفس إذا قَتلت نفسًا، وهذا إخبارٌ عما في التوراة، وهو حكمٌ في شريعتنا بإجماع، إلَّا أن هذا اللفظ عام، وقد خَصص العلماء منه أشياءَ، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر؛ للحديث الوارد في ذلك[2]، ولا يقتل حرٌّ بعبد؛ لقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك في «البقرة».

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعدَه: حُكم القِصاص في الأعضاء.

والقراءة بنصب ﴿الْعَيْنَ﴾ وما بعده: عطفٌ علىٰ ﴿ٱلنَّفْسَ﴾.

وقرئ بالرفع[3]، ولها ثلاثة أوجه: أحدها: العطف علىٰ موضع ﴿ٱلنَّفْسَ﴾؛ لأن المعنىٰ: قلنا لهم: النفسُ بالنفس. والثاني: العطف علىٰ الضمير الذي في الخبر؛ وهو ﴿بِالنَّفْسِ﴾[4]. والثالث: أن يكون مستأنفًا مرفوعًا بالابتداء.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب[5]: عطفٌ علىٰ المنصوبات قبله، وبالرفع: علىٰ الأوجه الثلاثة التي في رفع ﴿الْعَيْنَ﴾. وهذا اللفظ عامٌّ، يراد به الخصوص في الجِراح التي لا يُخاف علىٰ النفس منها.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: مَن تصدَّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فذلك كفارةٌ له؛ يكفِّر الله ذنوبَه؛ لعفوه وإسقاطه حقه.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (١١١) من حديث أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه.
(٣) قرأ الكسائي ﴿والعينُ﴾ ﴿والأنف﴾ ﴿والأذنُ﴾ ﴿والسنُّ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.
(٤) أي: الضميرِ المستكنِّ في الجار والمجرور، فيكون التقدير: أن النفسَ بالنفس هي والعينُ..، ويكون المجرور ﴿بالعين﴾ علىٰ هذا حالًا مبيِّنة للمعنىٰ؛ لأن المرفوع علىٰ هذا فاعل؛ إذ عُطف علىٰ فاعل. البحر المحيط (٨/ ٢٢٨).
(٥) قرأ نافع وعاصم وحمزة بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

والثاني: مَن تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل أو الجارح؛ يعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه.

فالضمير في ﴿لَّهُۥ﴾: **علىٰ التأويل الأول**: يعود علىٰ «مَن» التي هي كناية عن المقتول أو المجروح، أو الولي. **وعلىٰ الثاني**: يعود علىٰ القاتل أو الجارح وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ؛ ولكن سياق الكلام يقتضيه.

والأول أرجح؛ لعود الضمير علىٰ مذكور؛ وهو «مَن»، ومعناها واحد علىٰ التأويلين.

والصدقة بمعنىٰ العفو علىٰ التأويلين: إلَّا أن التأويل الأول: بيانٌ لأجر من عفا، وترغيبٌ في العفو. **والتأويل الثاني**: بيانٌ لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عُفي عنه.

(٤٨) ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **قد تقدَّم معنىٰ** ﴿مُصَدِّقاً﴾ في «**البقرة**»[١]. و ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التوراةَ؛ لأنها قبله، والقرآنُ مصدِّقٌ للتوراة والإنجيل، لأنهما قبله.

﴿وَمُصَدِّقاً﴾ **عطفٌ علىٰ موضعِ قولِه**: ﴿فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾ ؛ لأنه في موضع الحال.

(٤٨) ﴿وَمُهَيْمِناً﴾ **ابنُ عباس**: شاهدًا[٢]، **وقيل**: مؤتـمَنًا.

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ **تضمَّن الكلام معنىٰ: «لا تنصرف» أو «لا تنحرف»؛ ولذلك تعدىٰ بـ«عن»**.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ **ابنُ عباس**: سبيلًا وسُنَّةً[٣].

والخطاب: للأنبياء، أو للأمم.

والمعنىٰ: أن الله جعل لكلِّ أمةٍ شريعةً يتَّبعونها. وقد استدلَّ بها من قال: إن شريعة مَن قبلنا ليس بشرعٍ لنا؛ وذلك في الأحكام والفروع. وأما الاعتقادات[٤]؛ فالدين فيها واحدٌ لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله، وتوحيدُه، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة.

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٤٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٤٩٦).

(٤) في أ، ب، د: «في الاعتقادات».

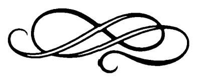
﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدلَّ بها[1] قومٌ على أن تقديم الواجبات أفضلُ من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلِّها، إلا الصلاة؛ ففيها خلاف: فمذهب الشافعي: أن تقديمها في أوَّل وقتها أفضلُ، وعكَس أبو حنيفة، وفي مذهب مالك خلافٌ وتفصيل[2]. واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

(٥١) ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ **عطفٌ** على «الكتاب» في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أو على «الحق» في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وقال قوم: إنَّ هذا وقولَه قبله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ ناسخٌ لقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: ناسخٌ للتخيير الذي في الآية. **وقيل**: إنه ناسخ للحكم بالتوراة. **ونزلت الآية بسبب** قوم من اليهود؛ طَلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم[3].

(٥٢) ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ توبيخٌ لليهود. **وقرئ بالياء**[4]: إخبارًا عنهم، **وبالتاء**: خطابًا لهم.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ **قال الزمخشري**: اللام للبيان[5]؛ أي: هذا الخطاب لقوم يوقنون؛ فإنهم الذين يتبيَّن لهم أنه لا أحسن من الله حكمًا[6].



(١) في ج، هـ: «به».

(٢) انظر: القوانين الفقهية (٨٨)، وفي مذهب أحمد تفصيل، وخلاصته: أن صلاة الظهر تعجيلها أفضل إلا في شدة الحر، والعصر والمغرب تعجيلها أفضل على كل حال، والعشاء تأخيرها أفضل إذا لم يشق، والفجر تعجيلها أفضل. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ١٣٣-١٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥١)، والنسائي في الكبرى (٦٣٣٦)، والحاكم (٣٢١٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٧١٢٥) عن ابن عباس ﵄.

(٤) قرأ ابن عامر بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

(٥) فتتعلَّق بمحذوف. البحر المحيط (٨/ ٢٥٦).

(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٣٨٥).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

﴿٥١﴾ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ سببها: موالاة عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول ليهود بني قينقاع، وخلعُ عبادة بن الصامت الحِلْفَ الذي كان بينه وبينهم[١]. ولفظها عامٌّ، وحكمها باقٍ. ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ تغليظٌ في الوعيد، فمن كان يعتقد مُعتقَدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبَّهم فهو منهم في المقت عند الله، واستحقاقِ العقوبة[٢].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥٠٥) وابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٥) عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وأخرجه الطبري (٨/ ٥٠٤) أيضًا عن عطية بن سعد العوفي وعن الزهري.

(٢) [**التعليق ٤٩**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله ﷺ: «تغليظ في الوعيد» إلخ، وجهه: أن ظاهر الآية كفر كل من يتولاهم، والتولي درجات، فلا بد من التفصيل في حكم المتولِّي، ولهذا فصَّل ﷺ، وفرَّق بين من تولَّاهم بموافقتهم علىٰ اعتقادهم، فقال: إنه منهم من كل وجه، فيكون كافرا ككفر اليهود والنصارىٰ، أمَّا من لم يوافقهم لكن أحبَّهم، فلا يكون كذلك، أي: كافرا، لكن يشركهم في الوعيد، فيكون ممقوتا عند الله؛ لمحبته أعداءه، وهذا تفصيل حسنٌ، لكنه غير كاف ولا شاف؛ لأنه جعل التولِّي علىٰ درجتين، والتولِّي أكثر من ذلك؛ فإنه يكون بالدخول في دينهم، وحينئذ يكون منهم حقيقة، ويكون بإظهار الرضا عن دينهم مصانعة لهم، وبهذا يرتكب ناقضا من نواقض الإسلام، وتارة يكون بنصرهم في حربهم للمسلمين، وهذا كالذي قبله، وتولي المنافقين من هذا القبيل. وتارة يكون بمحبتهم المحبة الطبيعية لقرابة أو منفعة دنيوية، =

(٥٤) ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون؛ والمراد هنا: عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سلول ومن كان معه.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبيٍّ يوالي اليهود ويستكثرُ بهم، ويقول: إني رجل أخشىٰ الدوائر.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ **الفتح**: هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين. **والأمر من عند الله**: هو هلاك الأعداء بأمرٍ من عنده لا يكون فيه تسبُّبٌ لمخلوق. أو أمرٌ من الله لرسوله ﷺ بقتل اليهود.

﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ الضمير في ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾ للمنافقين، **والذي أسرُّوه**: هو قصدهم الاستعانةَ باليهود على المسلمين، وإضمارُ العداوة للمسلمين.

(٥٥) ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ **قرئ**: ﴿يَقُولُ﴾ **بغير واو**[1]؛ استئنافُ إخبارٍ. **وقرئ بالواو والرفع**؛ وهو عطف جملة علىٰ جملة. **وبالواو والنصب**؛ عطفًا علىٰ ﴿أَن يَأْتِىَ﴾، أو علىٰ ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾.

﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟﴾ الإشارةُ إلىٰ المنافقين؛ لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين. وانتصبَ ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ علىٰ المصدر المؤكِّد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ **يَحتمل أن يكون** من كلام المؤمنين، أو من كلام الله. **ويَحتمل أن يكون** دعاءً، أو خبرًا.

(٥٦) ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ خطابٌ علىٰ وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلامٌ بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع؛ **فارتدَّ في حياة رسول الله ﷺ**

= وهذه المحبة تكون معصية إذا اقترنت بترك واجب كالجهاد في سبيل الله، أو فعل محرم؛ كطاعتهم فيما لا يصل إلىٰ نوع من الكفر؛ فإن طاعتهم في الكفر كفر، وطاعتهم فيما دونه معصية، وهذا مقام عظيم، أعني حكم تولِّي الكفار؛ فإنه يتفاوت تفاوتا عظيما بحسب ما يقوم بالقلوب، وبحسب ما يظهر من الأقوال والأعمال، فأمر تولي الكافرين مقام عظيم يجب التفقه فيه، والحذر من الوقوع فيه.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿يقولُ﴾ بغير واو، وقرأ أبو عمرو ﴿ويقولَ﴾ بالواو وبالنصب، وقرأ الباقون ﴿ويقولُ﴾ بالواو وبالرفع.

بنو حنيفة قومُ مُسيلِمةَ الكذابِ، وبنو مُدْلِجٍ قوم الأسودِ العَنْسِيِّ الذي ادعىٰ النبوة، وقُتِل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسَدٍ قومُ طُلَيحة بن خويلد الذي ادَّعىٰ النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرُهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتىٰ كفىٰ اللهُ أمرَهم علىٰ يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت القبائل التي ارتدَّت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبعَ قبائل: بنو فَزَارة، وغَطَفانُ، وبنو سُلَيمٍ، وبنو يَربُوعٍ، وكِنْدَةُ، وبنو بكرِ بن وائل، وبعضُ بني تميم، ثم ارتدَّت غسَّانُ في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهم قوم جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَم الذي تنصَّر من أجل اللَّطمة[1].

﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ **روي أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: «هم قوم هذا»**[2]، يعني: أبا موسىٰ الأشعريَّ، والإشارةُ بذلك -والله أعلم- إلىٰ أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن.

وقيل: المراد أبو بكر الصديقُ وأصحابُه رضي الله عنهم الذين قاتلوا أهل الردَّة، **ويقوِّي ذلك**: ما ظهر من أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه من الجِدِّ في قتالهم، والعزم عليه حين[3] خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدَّ عزمه حتىٰ وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله علىٰ أهل الردة، **ويقوي ذلك أيضًا**: أنَّ الصفاتِ التي وُصِف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألَا ترىٰ قولَه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى اَلْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى اَلْكَٰفِرِينَ﴾، وكان أبو بكر ضعيفًا في نفسه، قويًّا في الله، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ إشارةٌ إلىٰ مَن خالف أبا بكر ولامَه في قتال أهل الردَّة فلم يَرجع عن عزمه.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى اَلْمُومِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى اَلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، **وإنما تعدَّىٰ** ﴿أَذِلَّةٍ﴾ **بـ«علىٰ»؛ لأنه تضمَّن معنىٰ العطف والحنُوِّ**.

---

(١) انظر قصته في فتوح الشام، للواقدي (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٥٢١) وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٩٢٧)، والحاكم (٣٢٢٠) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

(٣) في ب، ج، هـ: «حتىٰ».

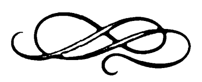
فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلىٰ الشرط؟

فالجواب: أنه محذوف؛ تقديره: من يرتددْ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانَهم، أو بقوم يقاتلونهم[1].

﴿٥٧﴾ **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾** ذَكَر الوليَّ بلفظ المفرد؛ إفرادًا لله تعالىٰ بها، ثم عَطف علىٰ اسمه تعالىٰ الرسولَ ﷺ والمؤمنين علىٰ سبيل التَّبع، ولو قال: «إنما أولياؤكم» لم يكن في الكلام أصلٌ وتبع.

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ **قيل**: نزلت في عليِّ بن أبي طالب ﷺ؛ فإنه سأله سائلٌ وهو راكع في الصلاة، فأعطاه خاتمه[2]. **وقيل**: هي عامةٌ، وذَكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها. **فالواو علىٰ القول الأوَّل**: واو الحال، **وعلىٰ الثاني**: للعطف[3].

﴿٥٨﴾ **﴿وَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾** هذا من إقامة الظاهر مقامَ المضمر؛ معناه: فإنهم هم الغالبون.



(١) انظر: الكشاف (٥/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ -٥٣١٥٣٠) عن السدي ومجاهد وغيرهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٢) عن سلمة بن كهيل، وله طرق أخرىٰ ذكرها ابن كثير في تفسيره، وقال (٣/ ١٣٩): «وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مقدمة في أصول التفسير» ضمن مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٤٥): «والموضوعات في كتب التفسير كثيرة مثل.. حديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم».

(٣) في د: «عطفٌ علىٰ (الذين)».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُؤاً وَلَعِباً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ *وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُؤاً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ
أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم
بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ
وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَتَرَىٰ كَثِيراً
مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا
يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ
يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ
لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٩﴾ ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ **بالنصب**[1]: **عطفٌ على** ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾. **وقرئ بالخفض: عطفٌ على** ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ويَعضُده قراءة ابن مسعود ﷺ: «ومن الكفار»[2]. **ويراد بهم:** المشركون من العرب.

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآيةَ؛ روي أن رجلًا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمدًا رسول الله» قال: حَرَّق اللهُ الكاذبَ، فوقعت النار في بيته

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) هذه قراءة أبي بن كعب، كما في تفسير الطبري (٨/ ٥٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٠)، قال الطبري: «في قراءة أبي بن كعب فيما بلغنا: (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء)».

واحترق هو وأهلُه[١]. واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ جَعل قِلَّة عقولهم علةً لاستهزائهم بالدين.

﴿٥٩﴾ ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ أي: هل تَعِيبون علينا وتُنكِرون منَّا إلَّا إيمانَنا بالله، وبجميع كتبه ورسله! وذلك أمرٌ لا ينكر ولا يعاب، ونظيرُ هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم ... بهنَّ فُلُولٌ من قِراع الكتائبِ[٢]

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمِن بهم، فتلا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٥] إلى آخر الآية، فلما ذَكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به[٣].

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾[٤]. وقيل: على ﴿مَآ أُنزِلَ﴾[٥]. وقيل: هو تعليلٌ معطوف على تعليلٍ محذوف؛ تقديره: هل تنقمون منَّا إلَّا لِقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون! ويَحتمل أن يكون ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ مبتدأً، وخبره محذوف تقديره: فِسْقُكم معلومٌ، أو ثابت.

﴿٦٠﴾ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ لـمَّا ذَكر أن أهل الكتاب يَعيبون المسلمين بالإيمان بالله، ورسله؛ ذَكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك؛ ردًّا عليهم. فالخطاب في ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ لليهود، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدَّم من حال المؤمنين.

﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب، ووضع الثواب موضع العقاب؛ تهكُّمًا بهم؛ نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني: اليهودَ، و«مَن» في موضع رفعٍ بخبر ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: هو مَن لعنهُ الله، أو في موضع خفضٍ على البدل مِن ﴿شَرٍّ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٤) عن السدي.

(٢) انظر: ديوان النابغة، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) فيدخل كونهم فاسقين فيما نقَموه. المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢).

(٥) كأنه قال: إلا أن آمنا بالله وبكتبه وبأن أكثركم فاسقون. المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢).

ولا بدَّ في الكلام من حذفِ مضافٍ؛ تقديره: «بِشرٍّ من أهل ذلك»، أو تقديره: «دين مَن لعنه اللهُ».

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ مُسِخ قومٌ من اليهود قرودًا[1] حين اعتدوا في السبت، ومُسِخ قومٌ منهم خنازيرَ حين كذَّبوا عيسىٰ بنَ مريم.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ **القراءة بفتح الباء**[2]: فعلٌ معطوف علىٰ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ . **وقرئ بضم الباء وخفض** ﴿الطَّٰغُوتِ﴾؛ علىٰ أن يكون «عَبُدَ» اسمًا علىٰ وجه المبالغة كـ«يَقُظٍ»، أُضيف إلىٰ «الطاغوت». **وقرئ**: «وعابِدُ» «وعُبَّادَ»[3]، وهي في هذه الوجوه عطفٌ علىٰ ﴿ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: منزلةً، ونَسب الشرَّ للمكان وهو في الحقيقة لأهلِه؛ وذلك مبالغةٌ في الذمِّ.

﴿٦٣﴾ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ نزلت في منافقين من اليهود[4].

﴿دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ تقديره: مُلْتَبِسينَ[5] بالكفر، والمعنىٰ: دخلوا كفَّارًا وخرجوا كفارًا. ودخلت «قد» علىٰ ﴿دَّخَلُواْ﴾ و﴿خَرَجُواْ﴾؛ تقريبًا للماضي من الحال؛ أي: ذلك حالُهم في دخولهم وخروجهم علىٰ الدَّوام.

﴿٦٤﴾ ﴿فِي ٱلْإِثْمِ﴾ الكذبِ، وسائرِ المعاصي.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلمِ. ﴿ٱلسُّحْتَ﴾ الحرامَ.

﴿٦٥﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ وتقريعٌ.

﴿لَبِئْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم.

---

(١) في د: «قردة».

(٢) قرأ حمزة ﴿وعَبُد الطاغوت﴾ بضم الباء والخفض، وقرأ الباقون بالفتح والنصب.

(٣) قرئ بها في الشاذِّ، قرأ عون العُقيلي «وعابدُ» بدال مرفوعة، تقديره: وهم عابدُ الطاغوت، وقرأ أبو واقد الأعرابي «وعُبَّادَ». المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٥٤٧) وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٥) عن قتادة وأخرجه الطبري أيضا (٨/ ٥٤٧) عن السدي.

(٥) في ب، د: «متلبسين».

(٦٤) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غَلُّ اليد: كنايةٌ عن البخل، وبَسْطُها: كنايةٌ عن الجود؛ ومنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تَبخَلْ كلَّ البخل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] أي: لا تَجُدْ كلَّ الجود.

وروي أنَّ اليهود أصابتهم سَنةُ جَهدٍ فقالوا هذه المقالة الشَّنيعة[١]، وكان الذي قالها فِنْحَاصُ[٢]، ونُسِبت إلىٰ جملةِ اليهود؛ لأنهم رضُوا بقوله.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَحتمل أن يكون: دعاء أو خبرًا. ويَحتمل أن يكون: في الدنيا أو في الآخرة. فإن كان في الدنيا: فيَحتمل أن يراد به: البُخل، أو غَلُّ أيديهم في الأَسْر. وإن كان في الآخرة: فهو جعلُ الأَغلال في جهنم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارةٌ عن إنعامه وجوده. وإنما ثُنِّيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ ليكون ردًّا عليهم، ومبالغةً في وصفه تعالىٰ بالجود؛ كقول العرب: «فلان يعطي بكلتا يديه»؛ إذا كان عظيم السَّخاء[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥٥٤) عن مجاهد.

(٢) قال ابن عطية في تفسيره (٣/ ٢١٠): «وذكر الطبري والنقاش أن هذه الآية نزلت في فنحاص اليهودي وأنه قالها»، ولم أقف علىٰ ذلك في تفسير الطبري، وإنما ذكر أثر مجاهد وفيه نسبة هذه المقولة لليهود عمومًا، وإنما الذي قاله فنحاص: «إن الله فقير..» -تعالىٰ الله عن قوله- وإليه نسب الطبري هذه المقولة كما سبق تخريج ذلك في آية آل عمران.

(٣) [التعليق ٥٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: «عبارةٌ عن إنعامِهِ وجُودِهِ ...»، إلخ: أقولُ: إنْ أراد بذلك تفسيرَ اليدَيْنِ، فهذا تأويلٌ يجري علىٰ طريقةِ أهلِ التأويلِ مِن نفاةِ الصفات؛ فإنَّهم يَجمَعون بين التعطيلِ والتحريفِ.

وإنْ أراد ما يدلُّ عليه بسطُ اليدَيْنِ من الجودِ كثرةِ الإنفاقِ، فهو معنًىٰ صحيحٌ؛ يؤيِّدُهُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولا يقتضي ذلك نفيَ حقيقةِ اليدَيْنِ؛ وسياقُ كلامِ المؤلِّفِ يُشعِرُ بالنفيِ، ولْيُرْجَعْ في معرفةِ حقيقةِ مذهبِهِ إلىٰ كلامِهِ عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]:

فإنه قال هناك: «قولُه: ﴿بِيَدَيَّ﴾ مِن المتشابِهِ الذي ينبغي الإيمانُ به، وتسليمُ علمِ حقيقتِهِ إلىٰ الله. وقال المتأوِّلُونَ: هو عبارةٌ عن القُدْرة». اهـ.

وقال نظيرَ ذلك عند قولِهِ تعالىٰ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١].

ويظهَرُ مِن ذلك: أنَّ ابنَ جُزَيٍّ يذهبُ إلىٰ التفويضِ، وحقيقتُهُ: إجراءُ النصوصِ ألفاظًا مِن غير فَهْمٍ لمعناها. والتفويضُ والتأويلُ مذهبانِ لنفاةِ الصفاتِ؛ كلِّها أو بعضِها.

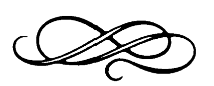
﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ **إيقادُ النار**: عبارةٌ عن محاولة الحرب، **وإطفاؤها**: عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم. **ويَحتمل أن يراد بذلك أسلافُهم، أو يراد** مَن كان معاصرًا للنبي ﷺ منهم، ومَن يأتي بعدهم، (فيكون على هذا إخبارًا بغيب، وبِشارةً للمسلمين[1].

(٦٧) ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ **يَحتمل أن يريد أسلافَهم، أو المعاصرين** للنبي ﷺ،)[2] فيكون على هذا ترغيبًا لهم في الإيمان والتقوىٰ.

(٦٨) ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ **إقامتُها**: بالعلم والعمل. وذِكْرُ الإنجيل دليلٌ علىٰ دخول النصارىٰ في لفظ أهل الكتاب.

﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ **قيل**: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ عبارةٌ عن المطر، ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ عبارةٌ عن النبات والزرع. **وقيل**: ذلك استعارةٌ في توسعة الرزق من كل وجه.

﴿أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾ **أي**: معتدلة، **ويراد به** مَن أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلَام رضي الله عنه، **وقيل**: مَن لم يُعادِ الأنبياءَ المتقدمين.



---

(١) في ب: «فهو على هذا إخبارٌ بغيب وبشارةٌ للمسلمين».

(٢) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

*يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ
شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ
فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ *لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ
أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

﴿٦٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أمرٌ بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلَّغ، وإنما أُمِر هنا أن لا يتوقَّفَ عن شيءٍ مخافةَ أحد.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ هذا وعيدٌ على تقدير عدم التَّبليغ. **وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان: أحدهما:** أن المعنى: إن تركت منه شيئًا فكأنك لم تبلِّغْ شيئًا، وصار ما بلَّغتَ لا يُعتدُّ به، فمعنى ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: إن لم تستوفِ التبليغَ على الكمال. **والآخر:** أن المعنى: إن لم تبلِّغ الرسالةَ وجب عليك عقابُ مَن كتمها، ووضع السبب موضعَ المسبَّب.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعدٌ وضمانٌ للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «**يا أيها الناس! انصرفوا فإن الله قد عصمني**»[(١)] وترك الاحتراس.

٦٨ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآيةَ؛ أي: لستم على دينٍ يُعتدُّ به يسمى شيئًا حتى تقيموا التوراةَ والإنجيلَ، ومن إقامتِها: الإيمانُ بمحمد ﷺ. وقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ **قال ابن عباس** ﵄: يعني: القرآنَ[(٢)]. **ونزلت الآية بسبب** رافعِ بن حارثة وسلَّامِ بن مِشْكَمٍ ورافعِ بن حُرَيملةَ[(٣)] وغيرهم من اليهود؛ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك[(٤)].

٦٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تقدَّم الكلام على نظيرتها في «**البقرة**»[(٥)].

﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ **قراءة السبعة بالواو**؛ وهي مشكلةٌ، حتى قالت عائشة ﵂: «**هي من لحن كُتَّاب المصحف**»[(٦)]. **وإعرابُها عند أهل البصرة**: مبتدأٌ وخبره محذوف؛ تقديره: والصابئون كذلك، وهو مقدَّمٌ في نية التأخير. **وأجاز بعض الكوفيين فيه**: أن يكون معطوفًا على موضع اسم «إنَّ». **وقيل**: «إنَّ» هنا بمعنى «نَعَمْ»، وما بعدها مرفوع بالابتداء. **وهو ضعيف**.

٧١ ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاءٌ واختبار. **وقرئ** ﴿تَكُونَ﴾[(٧)]: **بالرفع**؛ على أن تكون «أنْ» مخففةً من الثقيلة، **وبالنصب**؛ على أنها مصدريةٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦) وقال: «حديث غريب»، والحاكم (٣٢٢١)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٧٧٣٠)، عن عائشة ﵂، وحسنه ابن حجر في الفتح (٦/ ٨٢).

(٢) كذا عزاه في المحرر الوجيز (٣/ ٢١٨)، ولم أقف عليه من قول ابن عباس ﵄، وإنما وقفت عليه من قول مجاهد وابن زيد، أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٥).

(٣) في أ، د كذا: «خرعلة»! وهو تصحيف، والمثبت هو الصواب كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٦٨).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٥٧٣) عن ابن عباس ﵄.

(٥) انظر تفسير الآية (٦١).

(٦) انظر تخريجه والتعليق عند تفسير الآية (١٦٢) من سورة النساء.

(٧) قرأ أبو عمرٍو وحمزة والكسائي بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ عبارةٌ عن تماديهم على المخالفة والعصيان.

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ **قيل**: إن هذه التوبةَ ردُّ مُلكهم ورجوعُهم إلىٰ بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أُخرِجوا المرة الثانية فلم يَنجبر حالهم أبدًا. **وقيل**: التوبة: بعث عيسىٰ، **وقيل**: بعث محمد ﷺ.

﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ بدلٌ من الضمير، أو فاعلٌ؛ علىٰ لغة: «أكلوني البراغيثُ»، والبدل أرجح وأفصح.

(٧٢) ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على النصارىٰ، وتكذيبٌ لهم.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ **يَحتمل أن يكون**: من كلام المسيح، أو من كلام الله.

(٧٥) ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ علىٰ من جعله إلهًا.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ بناءُ مبالغةٍ؛ من الصِّدق، **أو** من التَّصديق. ووصْفُها بهذه الصفة دون النبوَّة يَدفع قولَ من قال: إنها نبيَّةٌ.

﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ استدلالٌ علىٰ أنهما ليسا بإلهين؛ لاحتياجِهما إلى الغذاء الذي لا يَحتاج إليه إلَّا مُحْدَثٌ مُفتقِرٌ، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزَّهٌ عن صفات الحدوث(١)، وعن كلِّ ما يَلحق بالبشر. **وقيل**: إن قوله: ﴿يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ عبارةٌ عن الاحتياج إلى الغائط. ولا ضرورةَ تدعو إلىٰ إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمةٌ بالوجهين.

﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ﴾ دخلت «ثم»؛ لتفاوت الأمرين، ولقصد التَّعجيب مِن كُفْرهم بعد بيان الآيات.

(٧٦) ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجةٍ علىٰ مَن عبد عيسىٰ وأمَّه وهما لا يملكان ضَرًّا ولا نفعًا.

(٧٧) ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ خطابٌ للنصارىٰ، **والغلوُّ**: الإفراط، وبسبب ذلك كفَر النصارىٰ.

---

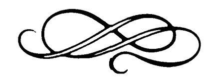
(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١١).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ﴾ **قيل**: هم أئمتُهم في دين النصرانية؛ كانوا على ضلالٍ في عيسىٰ، وأضلُّوا كثيرًا من الناس، ثم ضلُّوا بكفرهم بمحمد ﷺ. **وقيل**: هم اليهود.

والأول أرجح؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الضَّلال وصفٌ لازم للنصارىٰ، ألَا ترىٰ قولَه تعالىٰ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾!

والآخر: أنه يَبعد نهيُ النصارىٰ عن اتباع اليهود، مع ما بينهم من الخلاف والشِّقاق.



لُعِنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ
وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ تَرَىٰ
كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَبِيسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمُۥٓ أَنفُسُهُمُۥٓ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيٓءِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمُۥٓ
أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٣﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ
وَالذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلذِينَ ءَامَنُواْ ٱلذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا لَنَا
لَا نُومِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُّدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾
وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٨﴾

﴿٨٠﴾ ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: في الزَّبور والإنجيل.

﴿٨١﴾ ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا يَنهىٰ بعضهم بعضًا عن منكرٍ. **فإن قيل**: لم وصف المنكر بقوله: ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهيُ لا يكون بعد الفعل؟ **فالجواب**: أن المعنىٰ: لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر[1] أرادوا فعله[2].

﴿٨٢﴾ ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ﴾ **إن أراد أسلافَهم**: فالرؤية بالقلب. **وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ -وهو الأظهر-**: فهي رؤية عين.

﴿٨٣﴾ ﴿وَالنَّبِيٓءِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: ما اتخذوا الكفارَ أولياء.

﴿٨٤﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عن شدة عداوة اليهود وعبَدَة الأوثان للمسلمين.

---

(١) في هامش أ زيادة: «خ: إن» أي: إن أرادوا فعله، والمثبت موافق لما في الكشاف.
(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٤٥٤).

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن النصارىٰ أقربُ إلىٰ مودَّة المسلمين. وهذا الأمر باقٍ إلىٰ آخر الدهر، فكل يهوديٍّ شديدُ العداوة للإسلام والكيدِ لأهله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ تعليلٌ لقرب مودَّتهم، **والقِسِّيس**: العالم، **والرَّاهب**: العابد.

﴿٨٥﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآيةَ؛ هي في النجاشيِّ، وفي الوفد الذين بعثهم إلىٰ رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلًا، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، فبكَوا كما بكىٰ النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة «مريم»[(١)]. **وقال السهيلي**: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارىٰ عشرين رجلًا، فلما سمعوا القرآن بكوا[(٢)].

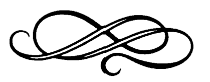
﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ «**مِن**» **الأولىٰ**: سببيةٌ، **والثانية**: لبيان الجنس.

﴿آمَنَّا﴾ أي: بأنَّ القرآنَ[(٣)] من عند الله.

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك: ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيفٌ لأنفسهم، أو محاجَّةٌ لغيرهم.

﴿وَنَطْمَعُ﴾ **قال الزمخشري**: الواو للحال[(٤)]. **وقال ابن عطية**: لعطف جملة علىٰ جملة، لا لعطف فعل علىٰ فعل[(٥)].



(١) أما نزولها في النجاشي وقصته حين قرأ عليه جعفر رضي الله عنه سورة مريم: فأخرجه الطبري (٨/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضا (٤/ ١١٨٥) عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير. وأما نزولها في الوفد الذي بعثهم النجاشي إلىٰ رسول الله ﷺ: فأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٥) عن سعيد بن المسيب.

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩٩، وذكره ابن إسحاق في سيرته (٢١٨).

(٣) في ب: «بالقرآنِ».

(٤) انظر: الكشاف (٥/ ٤٦٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا
يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ
إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ
وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ
ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ
وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٧﴾ ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ **سببها**: أن قومًا من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلىٰ أن حرَّم بعضُهم النساءَ، وبعضُهم النومَ بالليل، وبعضُهم أكْلَ اللحم، وهمَّ بعضُهم أن يَخْتَصُوا ويَسيحوا في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: **«أمَّا أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأُفطِر، وآتي النساءَ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(١).

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي: لا تُفْرِطوا في التَّشديد علىٰ أنفسكم أكثرَ مما شُرِع لكم.

﴿٨٨﴾ ﴿وَكُلُواْ﴾ أي: تمتَّعوا بالمآكل الحلال، وبالنساء وغير ذلك. وإنما خصَّ الأكل بالذِّكر؛ لأنه أعظمُ حاجات الإنسان.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٧) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه الطبري (٨/ ٦٠٩-٦١٠) عن قتادة والسدي. وأصل القصة في الصحيحين -البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)- عن أنس ﷺ دون ذكر سبب النزول.

(٨٩) ﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدَّم في «البقرة»[(١)].

﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَنَ﴾ أي: بما قصدتم عَقْدَه بالنية.

وقرئ ﴿عَقَدتُّمُ﴾ بالتخفيف، و﴿عَاقَدتُّمُ﴾ بالألف[(٢)].

﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ اشتراطُ المسكنة دليلٌ على أنه لا يُجزِئ في الكفارة إطعام غنيٍّ، فإن أطعمه جهلًا لم يُجْزِئه على المشهور من المذهب. واشترط مالك أيضًا: أن يكونوا أحرارًا مسلمين[(٣)]، وليس في الآية ما يدلُّ على ذلك.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختُلف في هذا التوسط؛ هل هو في القَدْر أو في الصِّنف؟ واللفظ يَحتمل الوجهين.

فأما القَدْر: فقال مالك: يُطعَم بالمدينة: مدٌّ بمدِّ النبي ﷺ، وبغيرها: وسَطٌ من الشِّبَع. **وقال الشافعي وابن القاسم**: يُجزِئ المدُّ في كل مكان[(٤)]. **وقال أبو حنيفة**: إن غدَّاهم وعشَّاهم أجزأه[(٥)].

وأما الصِّنف: فاختُلف هل يُطعِم من عيش نفسه، أو من عيش أهل بلده؟ **فمعنى الآية على التأويل الثاني**: من أوسط ما تطعمون -أيها الناس- أهليكم على الجملة. **وعلى الأول**: يختصُّ الخطاب بالمكفِّر.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ **قال كثيرٌ من العلماء**: يُجزئ ثوبٌ واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه: كِسوةٌ.

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٢٣).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿عَقَدتُّمُ﴾ بالقصر والتخفيف، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿عَاقَدتُّمُ﴾ بالمد والتخفيف، وقرأ الباقون ﴿عَقَّدتُّم﴾ بالتشديد من غير مد.

(٣) وبه قال الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٤٣).

(٤) ومذهب أحمد: لا يجزئ أقل من المد من البر، أو نصف صاع من غيره من التمر والشعير ونحوهما. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٥٣).

(٥) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، أنه يجزئه إذا أطعمهم القَدر الواجب لهم، اختارها ابن تيمية، والرواية الأخرى: عدم الإجزاء، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٥٩).

وقال مالك: إنما يُجزئ[١] ما تصحُّ به الصلاة، فالرجلُ[٢] ثوبٌ واحد، والمرأةُ[٣] قميصٌ وخِمار[٤].

﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٍۖ﴾ **اشترط مالك فيها**: أن تكون مؤمنة[٥]؛ لتقييدها بذلك في كفارة القتل، فحَمل هذا المطلق على ذلك المقيد. **وأجاز أبو حنيفة هنا**: عتقَ الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا. **واشترط مالك أيضًا**: أن تكون سليمةً من العيوب[٦]. وليس في اللفظ ما يدلُّ على ذلك.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ أي: مَن لم يملك ما يُعتِق ولا ما يُطعِم ولا ما يَكسو؛ فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصالُ الثلاثة[٧] على التَّخيير، والصيامُ مرتَّبٌ بعدَها لمن عَدِمها. **وهو عند مالك**: مَن لم يَفضُل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادةٌ.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ﴾ معناه: إذ حلَفتم وحَنِثتم، أو أردتم الحِنْث. واختُلف: هل يجوز تقديم الكفَّارة على الحِنث أم لا؟ ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي: احفظوها فبَرُّوا فيها، ولا تَحنَثوا. **وقيل**: احفظوها بأن تكفِّروها إن[٨] حَنِثتم. **وقيل**: احفظوها؛ أي: لا تنسَوْها تهاونًا بها.

٩٠ ﴿ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ مذكوران في «**البقرة**»[٩].

﴿وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة[١٠].

---

(١) في د: «يجزئه».
(٢) في ج، د: «فللرجل».
(٣) في ج، د: «وللمرأةِ».
(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٥٢٣).
(٥) وهو مذهب الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٩٨).
(٦) وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٠٠).
(٧) في أ: «الثلاث».
(٨) في د: «إذا»، وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».
(٩) انظر تفسير الآية (٢١٧).
(١٠) انظر تفسير الآية (٤).

﴿رِجْسٌ﴾ **هو في اللغة:** كلُّ مكروهٍ مذموم، وقد يطلق بمعنىٰ النَّجس، وبمعنىٰ الحرام. **وقال ابن عباس** ﷺ **هنا**[1]: ﴿رِجْسٌ﴾: سُخْطٌ[2].

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نصٌّ في التحريم، والضمير يعود علىٰ الرِّجس؛ الذي هو خبرٌ عن جميع الأشياء المذكورة.

﴿٩٣﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ تقبيحٌ للخمر والميسر، وذكرٌ لبعض عيوبها، وتعليلٌ لتحريمها. وقد وقعت في زمان الصحابة عداوةٌ بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سببَ نزول الآية[3].

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ توقيفٌ يتضمَّن الزَّجر والوعيد؛ ولذلك قال عمر لما نزلت: «انتهينا انتهينا»[4].

﴿٩٥﴾ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ **فيها تأويلان: أحدهما:** أنه لما نزل تحريم الخمر قال قومٌ من الصحابة: كيف بمن مات منَّا وهو يشربها؟ فنزلت الآية[5] مُعْلِمةً أنه لا جُناح علىٰ من شربها قبل التَّحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذٍ.

والآخر: أن المعنىٰ: رفْعُ الجُناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرامَ منها، وعلىٰ هذا أَخَذها عمرُ ﷺ حين قال لقُدَامةَ: «إنك إذا اتَّقيتَ الله اجتنبت ما حرم عليك»، وكان قدامةُ قد شربها واحتجَّ بهذه الآية علىٰ رفع الجناح عنه، فقال له عمر: «أخطأتَ التأويل»[6].

---

(١) في د: «معنىٰ» بدل «هنا».

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٦٥٦) وابن أبي حاتم (٤/ ١١٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٦٦١)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٠٨٦)، والحاكم (٧٢١٩) وسكت عنه وقال الذهبي: «علىٰ شرط مسلم»، والبيهقي (١٧٣٢٧) عن ابن عباس ﷺ.

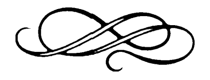
(٤) أخرجه أحمد (٣٧٨)، والنسائي (٥٥٥٥)، والترمذي (٣٠٤٩)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والحاكم (٣١٠١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عمر ﷺ، وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٧٩): «وصححه علي ابن المديني والترمذي».

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠) من حديث أنس ﷺ.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٤٧٢)، والبيهقي من طريقه (١٧٥١٦).

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: كَرَّر التقوىٰ مبالغةً. **وقيل**: الرُّتبة الأولىٰ: اتقاء الشرك، والثانيةُ: اتقاء المعاصي، والثالثةُ: اتقاء ما لا بأس به؛ حذرًا مما به البأسُ. **وقيل**: الأولىٰ: للزمان الماضي، والثانيةُ: للحال، والثالثةُ: للمستقبل.

﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ **يَحتمل أن يريد** الإحسانَ إلىٰ الناس، أو الإحسانَ في طاعة الله؛ وهو[1] المراقبة، **وهذا أرجح**؛ لأنه درجةٌ فوق التقوىٰ، ولذلك ذكَره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثةٌ: مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.



(١) في أ، ب، هـ: «وهي».

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ
مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ
بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا
لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٧﴾
أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ
حُرُمًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ
وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَّا
عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ
وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿٩٦﴾ ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ أي: يختبر طاعتَكم من معصيتكم بما يَظهر لكم من الصيد مع الإحرام، أو في الحرم. وكان الصيد من معايش العرب ومستعملًا عندهم، فاختُبِروا بتركه كما اختُبِر بنو إسرائيل بالحوت في السَّبت. وإنما قلَّله في قوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ إشعارًا بأنه ليس من الفتن العِظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها.

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ **قال مجاهد: الذي تناله الأيدي**: الفِراخ، والبَيض، وما لا يستطيع أن يَفِرَّ، **والذي تناله الرماح**: كبارُ الصيد[1]. والظاهر عدم هذا التَّخصيص.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يَعلَمه علمًا تقوم به الحجة؛ وذلك إذا ظهر في الوجود.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي: بقتل الصيد وهو مُحرِمٌ. **والعذاب الأليم هنا**: في الآخرة.

﴿٩٧﴾ ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ معنى ﴿حُرُمٌ﴾: داخلين في الإحرام، أو في الحرَم.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٣).

و ﴿ٱلصَّيْدَ﴾ هنا: عامٌّ، خَصَّص منه الحديثُ: الغرابَ، والحِدَأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور[1]. وأَدخل مالك في الكلب العقور: كلَّ ما يؤذي الناس من السِّباع وغيرها[2]. وقاس الشافعي علىٰ هذه الخمسة: كلَّ ما لا يؤكَل لحمُه[3].

ولفظ الصيد يدخل فيه: ما صيد، وما لم يُصَدْ مما شأنه أن يصاد. وورد النهي هنا عن القتل؛ قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي: أن جزاءَ الصيد علىٰ المتعمِّد لا علىٰ الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر[4]. وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمدَ والناسيَ سواءٌ في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمد إنما ذُكِر ليُناط به الوعيدُ الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾؛ إذ لا وعيدَ علىٰ الناسي. والثاني: أن الجزاء علىٰ الناسي بالقياس علىٰ المتعمد. والثالث: أن الجزاء علىٰ المتعمد ثبَت بالقرآن، وأنَّ الجزاء علىٰ الناسي ثبت بالسنة[5].

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ المعنىٰ: فعليه جزاءٌ. وقرئ بإضافة ﴿جَزَآءُ﴾ إلىٰ ﴿مِثْلِ﴾[6]؛ وهو من إضافة المصدر إلىٰ المفعول به. وقيل: ﴿مِثْلِ﴾ زائدةٌ؛ كقولك: «أنا أكرمُ مثلَك» أي: أكرمُك. وقرئ ﴿فَجَزَآءٌ﴾ -بالتنوين- ﴿مِّثْلُ﴾ بالرفع؛ علىٰ البدل، أو الصفة.

و ﴿ٱلنَّعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم خاصةً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٣٠٧).

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٣٠٧).

(٤) وهو رواية عن أحمد، والمذهب كقول الجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٤٢٧).

(٥) هذا من قول الزهري، كما في مصنف عبد الرزاق (٤/ ١٧٠): «عن الزهري قال: يُحكَم عليه في العمد، وهو في الخطإ سُنة»، وليس المراد بالسنة هنا حديثٌ معيَّن واردٌ فيه، وإنما المراد: أنه عليه عمل أهل العلم وطريقتهم، ولذا قال عبد الرزاق معلِّقًا: «وهو قول الناس، وبه نأخذ».

(٦) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿فجَزاءٌ﴾ -بالتنوين- ﴿مِثْلُ﴾ برفع اللام، وقرأ الباقون ﴿فَجَزَاءُ مِثْلِ﴾ بغير تنوين وبالخفض.

ومعنىٰ الآية: **عند مالك والشافعي**[(١)]: أنَّ من قتل صيدًا وهو مُحرِمٌ أنَّ عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيدَ في الخِلْقة والمنظر، ففي النعامة بدَنةٌ، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثْلِيَّة -علىٰ هذا-: هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مِثلٌ: أَطعَم أو صامَ. ومذهب أبي حنيفة: أنَّ المثلَ القيمةُ؛ يقوَّمُ الصيد المقتول، ويخيَّر القاتل بين أن يتصدَّقَ بالقيمة، أو يشتريَ بالقيمة من النَّعم ما يُهديه.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ **هذه الآية تقتضي**: أن التَّحكيم شرطٌ في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك، فإن أَخرج أحدٌ الجزاءَ قبل الحكم عليه فعليه إعادتُه بالحكم، إلَّا حمامَ مكة؛ فإنه لا يَحتاج إلىٰ حَكَمين، قاله مالك.

ويجب **عند مالك** التَّحكيمُ فيما حَكَمت فيه[(٢)] الصحابةُ، وفيما لم يحكموا به؛ لعموم لفظ الآية. **وقال الشافعي**: يُكتفَىٰ في ذلك بما حكمت به الصحابة[(٣)].

﴿هَدْيًا﴾ **يقتضي ظاهرُه**: أن ما يُخرَج من النَّعم جزاءَ عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يُهدَىٰ؛ وهو الجذَع من الضأن والثَّنِيُّ مما سواه.

وقال الشافعي: يُخرِج المثلَ في اللحم، ولا يُشترَط السن[(٤)].

﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لم يُرِد الكعبة بعينِها، وإنما أراد الحرمَ. **ويقتضي**: أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي؛ مِن سَوْقِه من الحلِّ إلىٰ الحرَم[(٥)]. **وقال الشافعي وأبو حنيفة**[(٦)]: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ عدَّد تعالىٰ ما يجب في قتل المحرم للصَّيد، فذَكر أوَّلًا الجزاءَ من النَّعم، ثم الطعامَ، ثم الصيامَ. **ومذهب مالك والجمهور**: أنها علىٰ

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٥).

(٢) في د: «به».

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٦).

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ١٨).

(٥) في أ، ب، هـ: «الحرام».

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٥).

التَّخيير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ«أو». **ومذهب ابن عباس** ﷺ: أنها على التَّرتيب[1].

ولم يبيِّن الله هنا مقدارَ الطعام، فرأى العلماءُ أن يُقدَّر بالجزاء من النَّعَم، **إلَّا أنهم اختلفوا في كيفية التَّقدير: فقال مالك**: يقدَّر الصيد المقتول نفسُه بالطعام، أو بالدراهم ثم تقوَّم الدراهم بالطعام، فيُنظَر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حيٌّ.

وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يُشبِع الصيدُ من نفسٍ، ثم يُخرِج قَدْر شِبَعِهم طعامًا. **وقال الشافعي**: لا يقدَّر الصيد نفسُه، وإنما يقدَّر مثلُه، وهو الجزاء الواجب على القاتل له[2].

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ **تَحتمل الإشارةُ بذلك أن تكون إلى الطعام**، وهو أحسن؛ لأنه أقرب، أو إلى الصيد.

واختُلف في صفة تعديل الصيام بالطعام: فقال مالك: يصوم مكان كل مدٍّ يومًا[3]. **وقال أبو حنيفة**: مكان كل مدَّين يومًا. **وقيل**: مكان كلِّ صاعٍ يومًا. ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلَّا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل؛ لقوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ﴾ . وفي كلِّ وجهٍ يشترط حُكْم الحَكَمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام؛ استغناءً بذكره في الجزاء.

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ **الذَّوْقُ** هنا: مستعارٌ؛ لأن حقيقتَه بحاسَّة اللسان. **والوبالُ**: سوء العاقبة، وهو هنا: ما لَزِمه من التَّكفير.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عمَّا فعلتم في الجاهلية مِن قتل الصَّيد في الحرم.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: مَن عاد إلى قتل الصيد وهو مُحرِمٌ بعد النهي عن ذلك فينتقمُ الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿٩٦﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أَحلَّ الله بهذه الآية صيدَ البحر للحلال والمحرم. **والصيد هنا**: المصيد، **والبحر**: هو الماء الكثير؛ سواءٌ كان مِلْحًا أو عَذْبًا، كالبِرَك ونحوها.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٣٢)، والطبري (٨/ ٦٨٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٨).

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٣٨٤).

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٣٨٥).

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ هو ما يطفو على الماء، وما قَذف به البحر؛ لأنَّ ذلك طعامٌ وليس بصيد. **قاله أبو بكر الصدِّيق**[١] **وعمر بن الخطاب**[٢] ﷺ. **وقال ابن عباس** ﷺ: طعامه: ما مُلِّح منه وبقي[٣].

﴿مَتَٰعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ﴿لَكُمْ﴾ للحاضرين في البحر، والسيارة: المسافرون. أي: هو متاعٌ[٤] تأتدِمون به.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ **الصَّيد هنا يَحتمل أن يراد به**: المصدرُ، أو الشيءُ المصيد، أو كلاهما. فنشأ من هذا: أن ما صاده المحرم فلا يحلُّ له أكله بوجهٍ.

ونشأ الاختلاف فيما صاد[٥] **غيرُه: فإذا اصطاد حلالٌ: فقيل**: يجوز للمُحرِمِ أكلُه. وقيل: لا يجوز. وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرمٍ[٦]. والأقوال الثلاثة مرويةٌ عن مالك. **وإن اصطاد حرامٌ**: لم يَجُزْ لغيره أكلُه عند مالك[٧]، خلافًا للشافعي.

(٩٧) ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰماً لِّلنَّاسِ﴾ أي: **أمرًا يقوم للناس بالأمن والمنافع**. وقيل: موضعَ قيامٍ بالمناسك. ولفظ «**الناس**» هنا: عامٌّ. وقيل: أراد العربَ خاصةً؛ لأنهم الذين كانوا يعظِّمون الكعبةَ.

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ يريد: جنسَ الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفُّون فيها عن القتال.

﴿وَٱلْهَدْيَ﴾ يريد: أنه أمانٌ لمن يسوقه؛ لأنه يُعلِم أنه في عبادةٍ لم يأت لحرب.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٧٢٦).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٨٣٦)، والطبري (٨/ ٧٢٦).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٨٣٤)، والطبري (٨/ ٧٢٦) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢١١).

(٤) في د زيادة: «لكم».

(٥) في ب، د: «صاده».

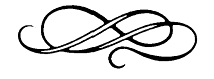
(٦) وهو مذهب الشافعي وأحمد، أنه لا يجوز أكله إن صيد لأجله، وإلا جاز. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٢٨٥).

(٧) فيكون ميتة، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد والشافعي في الجديد، خلافًا لقوله في القديم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ٢٩٠)، وروضة الطالبين (٣/ ١٥٥).

﴿وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلَّد شيئًا من السَّمُر، وإذا رجع تقلَّد شيئـًا من شجر الحرم؛ ليُعلِم أنه كان في عبادة، فلا يتعرَّض له أحدٌ بِشرٍّ[١]؛ **فالقلائد هنا**: هو[٢] ما يُقلِّدُه[٣] المحرمُ من الشجر. وقيل: أراد قلائد الهدي. **قال سعيد بن جبير**: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدَّدها في الإسلام[٤].

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ الإشارةُ إلىٰ جعل هذه الأمور قيامًا للناس. **والمعنىٰ**: فعل[٥] الله ذلك لتعلموا أنه يَعلم تفاصيلَ الأمور.

(١٠٠) ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ لفظٌ عام في جميع الأمور؛ من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.



(١) في ب، هـ: «بشيء» ولم ترد في ج.
(٢) في ج، هـ: «هي».
(٣) في د: «ما تقلَّده».
(٤) هكذا عزاه إلىٰ ابن جبيرٍ ابنُ عطية في تفسيره (٢/ ٢٦٨)، وليس هو من قول سعيد بن جبير، وإنما هو من قول مجاهد، أخرجه الطبري (٩/ ٨) عنه قال: «﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾: حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارًا، فشدَّد الله ذلك بالإسلام».
(٥) في د: «جعل».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١١٠﴾

﴿١٠٣﴾ ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ **قيل: سببها**: سؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أبي؟ فقال له النبي ﷺ: «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أنا[1]؟ قال: «في النار»[2]. **وقيل: سببها**: أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا» فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلتُ: نعم لوجبت»[3]. **فعلى الأول**: ﴿تَسُؤۡكُمۡ﴾ بالإخبار

(١) في هامش ب: «أين أبي»، وهذا الاختلاف بين النسخ موجود -أيضًا- في تفسير الطبري وتفسير ابن كثير!

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال ابن كثير (٣/ ٢٠٤): «إسناده جيد». وأخرجه البخاري (٦٣٦٢) ومسلم (٢٣٥٩) من حديث أنس ﷺ، وفيه: فقام ذاك الرجل فقال: من أبي؟ قال: «أبوك فلان»، وفي رواية: «حذافة»، وزاد البخاري في بعض طرقه (٧٢٩٤): فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: «النار».

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٥)، والترمذي (٨١٤)، (٣٠٥٥)، وابن ماجه (٢٨٨٤)، والحاكم (٣١٥٧) عن أبي البختري =

بما لا يُعجبُكم. **وعلى الثاني:** ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ بتكليف ما يشقُّ عليكم، ويقوِّي هذا قولُه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبْكم بها؛ كقوله ﷺ: «**عفا الله عن الزكاة في الخيل**»[(١)]. **وقيل:** إن معنى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عفا عنكم فيما تقدَّم من سؤالكم؛ فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال؛ كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتم أُبدِيَ لكم ما يسوؤكم. والمراد بـ﴿حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾: زمانُ الوحي.

(١٠٢) ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في ﴿سَأَلَهَا﴾ راجعٌ إلى المسألة التي دلَّ عليها ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾، وهي مصدرٌ؛ ولذلك لم يتعدَّ بـ«عن» كما تعدَّى قولُه: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا﴾[(٢)]. وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياءَ، فإذا أُمِروا بها تركوها فهَلكوا، **فالكفر هنا:** عبارةٌ عن ترك ما أُمِروا به.

(١٠٣) ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قومٌ عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظَّم كتعظيم الكعبة والهدي؟ أخبرهم الله أنه لم يَجعلْ شيئًا من ذلك لعبادِه؛ أي: لم يَشرعْه لهم، وإنما الكفَّارُ جعلوا ذلك.

فأما البَحيرة: فهي فَعِيلة بمعنى مفعولة؛ مِن بَحَرَ إذا شَقَّ؛ وذلك أن الناقة إذا نُتِجَتْ[(٣)] عشرةَ أَبْطُنٍ شقُّوا أُذنَها، وتركوها ترعى ولا يُنتفع بها.

= عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وقال: «سمعت محمدا يقول: أبو البختري لم يدرك عليا»، وضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ١٣). وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٠٨)، وابن حبان (٣٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم (١٣٣٧) بدون ذكر سبب النزول.

(١) أخرجه أحمد (٩٨٤)، والنسائي (٢٤٧٦)، والترمذي (٦٢٠)، وأبو داود (١٥٧٤)، وابن ماجه (١٧٩٠)، عن علي رضي الله عنه بلفظ: «قد عفوت عن صدقة الخيل..»، ونقل الترمذي عن البخاري تصحيحه.

(٢) يعني: أن الضمير هنا راجعٌ إلى المصدر -وهو المسألة-، وليس إلى المفعول، فلذا لم يُحتَجْ إلى تعديته بـ«عن»، كما احتيج إلى تعدية الأول بـ«عن»؛ لأنه راجع إلى المفعول، وهو ﴿أشياء﴾. الكشاف (٥/ ٥٠٧).

(٣) في أ، ب، د: «أنتجت» بالألف، والمثبت هو الفصيح كما نص عليه الإمام ثعلب في كتابه الفصيح، يقال: «نُتِجت الناقةُ تُنتَج، ونَتَجها أهلُها»، وانظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ١٠٤).

وأما **السَّائبة**: فكان الرجل يقول: «إذا قدمتُ من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة»، وجعَلها كالبَحيرة في عدم الانتفاع بها.

وأما **الوَصيلة**: فكانوا إذا وَلَدت الناقة ذكرًا وأنثىٰ في بطنٍ واحد قالوا: وصلت الناقةُ أخاها، فلم يذبحوهُ(١).

وأما **الحامي**: فكانوا إذا نُتِجَ مِن صلب الجمل عشرةُ بطون قالوا: قد حمَىٰ ظَهْرَه، فلا يُركَب ولا يُحمَل عليه شيءٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يَكْذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرِّمْ.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ **الذي يفترون**: هم الذين اخترعوا تحريمَ تلك الأشياء. **والذين لا يعقلون**: هم أتباعُهم المقلِّدون لهم.

١٠٦ ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: يكفينا دينُ آبائنا.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ **قال الزمخشري**: الواو واو الحال، دخلت عليها همزة الإنكار؛ كأنه قيل: أَحَسْبُهم هذا وآباؤهم لا يعقلون!(٢) **وقال ابن عطية**: «ألف التَّوقيف دخلت علىٰ واو العطف»(٣). وقول الزمخشري أحسنُ في المعنىٰ.

١٠٧ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ **قيل**: إنها منسوخةٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: إنها خطابٌ للمسلمين من ذرية الذين حرَّموا البَحيرةَ وأخواتِها؛ كأنه يقول: لا يضرُّكم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم.

---

(١) في أ، د: «يذبحوها»، والمثبت هو الصواب، والضمير يعود علىٰ الذَّكَر، قال في الكشاف (٥/ ٥٠٨): «فإن ولدت ذكرًا وأنثىٰ قالوا: وصلتْ أخاها، فلم يذبحوا الذَّكرَ لآلهتهم»، وانظر أيضًا: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٧).

(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٥٠٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٨)، وتتمة كلامه ليتَّضح به مقصوده: «كأنهم عطفوا بهذه الجملة علىٰ الأولىٰ والتزموا شنيع القول، فإنما التوقيف توبيخٌ لهم، كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك».

والقول الصحيح فيها: ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم[1] شُحًّا مطاعًا، وهوىٰ متَّبَعًا، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه؛ فعليك بخُوَيْصَّةِ نفسِك وذَرْ عوامَّهم»[2]، ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليس هذا بزمان هذه الآية؛ قولوا الحق ما قُبِل منكم، فإذا رُدَّ عليكم[3] فعليكم أنفسكم»[4].

﴿١٠٨﴾ ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ **قال مكيٌّ**: هذه الآية أشكلُ آيةٍ مِن القرآن؛ إعرابًا، ومعنًىٰ، وحكمًا[5].

ونحن نبيِّن معناها علىٰ الجملة، ثم نبين أحكامها، وإعرابها علىٰ التفصيل.

وسببها: أنَّ رجلين خرجا إلىٰ الشام، وخرج معهما رجلٌ آخر لتجارة[6]، فمرض في الطريق، فكتب كتابًا قيَّد فيه كلَّ ما معه، وجعله في متاعه، وأوصىٰ الرجلين أن يؤدِّيا رَحْلَه إلىٰ ورثته، فمات، فقَدِمَ الرجلان المدينة، ودفعَا رَحله إلىٰ ورثته، فوجدوا فيه كتابه، وفقدوا منه أشياءَ قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: لا ندري، هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلىٰ رسول الله ﷺ فاستحلَفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدَّةً، ثم عُثِر علىٰ إناءٍ عظيم من فضة، فقيل لمن وُجِد عنده: من أين لك هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، فحلفا واستحقَّا[7].

---

(١) في د: «رأيت».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨) وقال: «حسن غريب»، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥)، والحاكم (٧٩١٢) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

(٣) سقطت هذه الكلمة من ب، ج، هـ.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٢٧)، وسعيد بن منصور (٨٤٩)، والبيهقي (٢٠١٩٤).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (١/ ٢٤٣).

(٦) في ج، د: «بتجارة».

(٧) أخرجه البخاري (٢٧٨٠).

فمعنى الآية: إذا حضر الموتُ أحدًا في السفر فليُشهِد عَدْلين بما معه، فإن وقعت ريبةٌ في شهادتهما حلَفا أنهما ما كذَبا ولا بدَّلا، فإن عُثِر بعد ذلك على أنهما كذَبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وغَرِم الشَّاهدان ما ظهر عليهما.

﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبره: ﴿ٱثْنَانِ﴾، **التقدير**: شهادةُ بينكم شهادةُ اثنين، أو: مقيمُ شهادةِ بينكم اثنان.

﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي: إذا قارب[1] الحضورَ، **والعامل في** ﴿إِذَا﴾: المصدرُ؛ الذي هو ﴿شَهَٰدَةُ﴾ وهذا على أن يكون ﴿إِذَا﴾ بمنزلة «حين»؛ لا تحتاج جوابًا. **ويجوز** أن تكون شرطيةً، وجوابها محذوف؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها؛ فإنَّ المعنى: إذا حضر أحدَكم الموتُ فينبغي أن يُشهِدَ.

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ ظرفٌ؛ العامل فيه: ﴿حَضَرَ﴾ ، أو يكون بدلًا من ﴿إِذَا﴾.

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ للشاهدين.

﴿مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ **قيل**: معنى ﴿مِّنكُمْ﴾: من عشيرتكم وأقاربكم، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ : من غير العشيرة والقرابة. **وقال الجمهور**: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾أي: من الكفار إن لم يوجد مسلمٌ.

ثم اختُلف على هذا: هل هي منسوخةٌ بقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فلا تجوز شهادة الكفار أصلًا -وهو قول مالك والشافعي[2] والجمهور-؟ أو هي مُحْكَمةٌ وأن شهادة الكفار جائزةٌ على الوصية في السفر[3] -وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[4]-؟

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوفٌ؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها، **والمعنى**: إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادةُ اثنين.

---

(١) في ج، د: «قرب».

(٢) وأبي حنيفة.

(٣) وهو مذهب أحمد، أنها تقبل إذا لم يوجد من المسلمين مَن يشهد بها. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/ ٣٣١).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٧٣) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٢٩)

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ **قال أبو علي الفارسيُّ**: هو صفة لـ﴿ءَاخَرَانِ﴾، واعتُرِض بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿الْمَوْتِ﴾؛ ليُفيدَ أن العُدول إلىٰ آخَرينِ من غير الملَّة إنما يجوز لضرورةِ الضَّرب في الأرض، وحلولِ الموت في السَّفَر[1].

وقال الزمخشري: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ استئنافُ كلامٍ[2].

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ **قال الجمهور**: هي صلاة العصر؛ فاللام للعهد؛ لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ باللِّعان، وقال: «**مَن حلَف علىٰ سلعة بعد العصر..**»[3]، وكان التحليفُ بعدها معروفًا عندهم. **وقال ابن عباس** ﵄: هي صلاة الكافرَينِ في دينهما؛ لأنهما لا يُعظِّمان صلاةَ العصر[4].

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب **الجمهور**: أن تحليف الشاهدين منسوخٌ. وقد أَحْلَفهما عليُّ بن أبي طالب[5] وأبو موسىٰ الأشعري[6] ﵄.

﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي: إن شككتم في صدقهما، وأمانتهما. وهذه الكلمة اعتراضٌ بين القَسَم والـمُقسَم عليه. وجواب ﴿إِنِ﴾ محذوفٌ؛ يدل عليه: ﴿يُقْسِمَانِ﴾.

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسَم عليه، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقسم، وفي ﴿كَانَ﴾ للمُقسَم له؛ أي: لا نَستبدلُ بصحة القسم بالله عرَضًا من الدنيا؛ أي: لا نحلف بالله كاذبَيْنِ لأجل المال؛ ولو كان مَن نُقسِمُ له قريبًا لنا؛ وهذا لأن عادة الناس الميلُ إلىٰ أقاربهم.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادةَ التي أَمر الله بحفظها وأدائها، وأضافها[7] إلىٰ الله؛ تعظيمًا لها.

---

(١) نقله في المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٦).

(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٥١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة ﵁.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٧٩).

(٥) قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (٦٠): «فأما تحليف الشاهد [عن علي] فلم أره».

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٧٦)، وأبو داود (٣٦٠٥)، والحاكم (٣٢٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن الشعبي، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٠)، وابن حجر في الفتح (٥/ ٤١٢).

(٧) في ج: «وإضافتها».

﴿١٠٧﴾ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً﴾ أي: إن اطُّلِع بعد ذلك على أنهما فعَلَا ما أوجب إثمًا. فالإثم: الكذب، أو[1] الخيانة. واستحقاقُه: الأهليةُ للوصف به.

﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدَينِ في اليمين.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم، أو المال. ومعناه: من الذين جُنِي عليهم؛ وهم أولياء الميت.

﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ تثنية «أَوْلَىٰ»؛ بمعنىٰ: أحقُّ؛ أي: الأحَقَّان بالشهادة؛ لمعرفتهما، أو الأحقَّان بالمال؛ لقرابتهما. وهو مرفوعٌ؛ علىٰ أنه: خبرُ ابتداءٍ؛ تقديره: «هما الأَوْليان»، أو مبتدأٌ مؤخَّرٌ؛ تقديره: «الأوليان آخران يقومان»، أو بدلٌ من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾. ومنع الفارسيُّ أن يُسنَد ﴿ٱسْتُحِقَّ﴾ إلىٰ ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، وأجازه ابن عطية[2].

وأما علىٰ قراءة ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ -بفتح التاء والحاء- علىٰ البناء للفاعل[3]: فـ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ فاعلٌ بـ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾. ومعنىٰ ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ علىٰ هذا: أخذ المال وجعَل يدَه عليه. و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ -علىٰ هذا- هما: الشَّاهدان اللذان ظهرت خيانتُهما؛ أي: الأوليان بالتَّحليف والتَّعنيف والفضيحة.

وقرئ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع أَوَّلٍ[4]، وهو: مخفوضٌ؛ علىٰ الصفة لـ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ﴾، أو منصوبٌ بإضمار فعلٍ. ووصفهم بالأَوَّلِيَّة؛ لتقدُّمهم علىٰ الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ أي: يَحلفُ هذان الآخران أنَّ شهادتَهما أحقُّ -أي: أصحُّ- من شهادة الشاهدَينِ اللذَينِ ظهرت خيانتهما.

---

(١) في د: «و».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩).

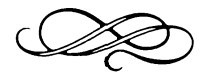
(٣) قرأ حفص عن عاصم ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء والحاء، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الحاء.

(٤) قرأ حمزة وشعبة عن عاصم ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بالجمع، وقرأ الباقون ﴿ٱلْأَوْلَيَانِ﴾ علىٰ التثنية.

﴿إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن اعتدَينا فإنَّا من الظالمين؛ وذلك علىٰ وجه التبرِّي، ومثلُه قول الأوَّلَين: ﴿إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ﴾ .

(١١٠) ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الإشارةُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ الحكم الذي وقع في هذه القضية[1]. ومعنىٰ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ، و﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير.

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: يخافوا أن يحلف غيرُهم بعدَهم فيَفتضِحوا.



(١) في ب: «القصة»، وفي د: «الوصية».

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ
اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي
وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ۞ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا
نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا
وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ
بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

﴿١٠٩﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصابُ الظَّرف بفعل مضمر[١].

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم: من إيمان وكفر وطاعة ومعصية؟ والمقصود بهذا السؤال: توبيخُ مَن كفر من الأمم، وإقامةُ الحجة عليهم. وانتصَب ﴿مَاذَا﴾ بـ﴿أُجِبْتُمْ﴾ انتصابَ مصدرِه[٢]. ولو أُريد الجواب[٣] لقيل: «بماذا أُجبتم؟».

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدُّبًا مع الله، فوكَلوا العلم إليه. قال ابن عباس ﵄: المعنى: لا علم لنا إلا ما علَّمتنا[٤]. وقيل: معناه: عِلْمُنا ساقطٌ في جنب علمك، ويقوِّي

---

(١) قدَّره في المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٣): «اذكروا، أو تذكَّروا، أو احذوروا، ونحو هذا».

(٢) على معنى: أيَّ إجابة أُجبتم؟ إجابة تصديق أم تكذيب؟

(٣) أي: لو أُريد السؤال عن مقولهم. الكشاف (٥/ ٥٢٥).

(٤) هذا ليس من قول ابن عباس، وإنما هو من قول مجاهد، أخرجه الطبري (٩/ ١١١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٣٦).

ذلك قولُهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ لأنَّ مَن عَلِم الخفيَّات لم تَخْفَ[1] عليه الظواهر. وقيل: ذَهَلُوا عن الجواب؛ لهولِ ذلك اليوم. وهذا بعيد؛ لأنَّ الأنبياءَ في ذلك اليوم آمنون. وقيل: أرادوا بذلك توبيخَ الكفار.

﴿١١٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ يَحتمل أن يكون ﴿إِذْ﴾ بدلًا من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾، ويكون هذا القولُ يومَ القيامة. أو يكونَ العامل في ﴿إِذْ﴾ مضمرًا، ويَحتمل علىٰ هذا أن يكون القولُ في الدنيا، أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يومَ القيامة؛ فقوله: ﴿قَالَ﴾ بمعنىٰ: يقول. وقد تقدَّم تفسير ألفاظ هذه الآية في «آل عمران»[2].

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنَّث عائدٌ علىٰ الكاف؛ لأنها صفة الهيئة، وكذلك الضمير في ﴿تَكُونُ﴾. وكذلك الضمير المذكَّر في قوله في «آل عمران»: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٨] عائدٌ علىٰ الكاف أيضًا؛ لأنها بمعنىٰ: «مِثْل».

وإن شئت أن تقول: هو في الموضعين عائدٌ علىٰ الموصوف المحذوف الذي وُصِف بقوله: ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ فتُقدِّره[3] في التَّأنيث: «صورةً»، وفي التَّذكير: «شخصًا» أو «خَلْقًا» وشبهَ ذلك. وقيل: المؤنَّثُ يعود: علىٰ الهيئة، والمذكَّرُ:[4] علىٰ الطَّير، أو الطِّين. وهو بعيدٌ في المعنىٰ[5].

﴿بِإِذْنِي﴾ كرَّره مع كل معجزة؛ ردًّا علىٰ من نسَب الربوبيةَ لعيسىٰ ﷺ.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهودَ؛ حين همُّوا بقتله فرفَعه الله إليه.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوفٌ علىٰ ما قبله؛ فهو من جملة نعم الله علىٰ عيسىٰ. والوحيُ هنا يَحتمل أن يكون: وحيَ إلهامٍ، أو وحيَ كلامٍ.

﴿وَٱشْهَدْ﴾ يَحتمل أن يكون خطابًا: لله تعالىٰ، أو لعيسىٰ ﷺ.

---

(١) في ب، هـ: «يخف».
(٢) انظر تفسير الآية (٤٨).
(٣) في أ، ب: «فتَقديره».
(٤) في د زيادة: «يعود».
(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٦).

﴿١١٤﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليلٌ على أنهم لم يكونوا يعظِّمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

وقولهم: ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ دليلٌ على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقادَ الصحيح مِن نِسْبتِه إلى أمٍّ دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ **ظاهرُ هذا اللفظ**: أنهم شكُّوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. **وعلى هذا أخَذه الزمخشري**، **وقال**: ما وصفهم الله بالإيمان، وإنما حكَى دعواهم في قولهم: «آمنَّا»[١].

وقال ابن عطية وغيره: ليس لأنهم شكُّوا في قدرة الله؛ لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا؟ وهل تقع منه إجابةٌ إليه؟[٢]. **وهذا أرجحُ**؛ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضعَ من كتابه، مع أنَّ في اللفظ بشاعةً تُنكَر.

وقرئ: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ -بتاء الخطاب- ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب[٣]؛ أي: هل تستطيع سؤالَ ربِّكَ. وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكُّوا، وبها قرأت عائشة ﵂، وقالت: «كان الحواريون أعرفَ بربِّهم من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾»[٤].

﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **موضعُ** ﴿أَن﴾ مفعولٌ بقوله: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ **على القراءة بالياء**، ومفعولٌ بالمصدر -وهو السؤالُ المقدَّر- **على القراءة بالتاء**. **والمائدة**: التي عليها طعامٌ، فإن لم يكن عليها طعام فهي خِوَانٌ.

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **قوله لهم**: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ **يَحتمل أن يكون زجرًا عن طلبِ** المائدة، واقتراحِ الآيات. ويَحتمل أن يكون زجرًا عن الشكِّ الذي يقتضيه قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شكٌّ.

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٥٣٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٨).

(٣) هذه قراءة الكسائي، وقرأ الباقون بالرفع والغيب.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١١٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٣).

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: **هو على ظاهره على مذهب الزمخشري. وأما على مذهب ابن عطية وغيره: فهو تقريرٌ لهم؛ كما تقول: «افعل كذا إن كنت رجلًا»، ومعلوم أنه رجل**[١]. **وقيل: إنَّ هذه المقالةَ صدرت منهم في أوَّل الأمر، قبل أن يروا معجزات عيسى ﷺ.**

(١١٥) ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ **أي: أكلًا نتشرَّفُ به بين الناس، وليس مرادُهم شهوةَ البطن.**

﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ **أي: نعاينَ الآية، فيصيرَ إيمانُنا بالضَّرورة والمشاهدة، فلا تَعرِضُ لنا الشكوكُ التي تعرض في الاستدلال.**

﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ **ظاهرُه يقوِّي قولَ من قال: إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكُّن إيمانهم. ويَحتمل أن يكون المعنى: نعلمَ علمًا ضروريًّا لا يحتمل الشكَّ.**

﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ **أي: نشهدُ بها عند مَن لم يحضرۡها من الناس.**

(١١٦) ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾ **أجابهم عيسى ﷺ إلى سؤال المائدة من الله. وروي أنه لبس جُبَّةَ شَعر ورداءَ شعر، وقام يصلي ويدعو ويبكي**[٢].

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ **قيل: نتَّخذُ يومَ نزولها عيدًا يدور كلَّ عام، لأول الأمة، ثم لمن بعدَهم.**

وقال ابن عباس ﷺ: المعنى: تكون مجتمَعًا لجميعنا أوَّلِنا وآخِرِنا في يوم نزولها خاصة، لا عيدًا[٣] **يدور**[٤].

﴿وَءَايَةٗ مِّنكَ﴾ **أي: علامةً على صدقي.**

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٠).

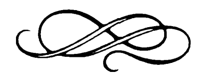
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٤) عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي ﷺ، وهو في ضمن أثر طويل، قال ابن كثير (٣/ ٢٣٠): «هذا أثر غريب جدًّا»، وقال القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٩٥): «في هذا الحديث مقال، ولا يصح من قبل إسناده».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «لا عيد».

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٦).

(١١٧) ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلىٰ ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك، **وقيل**: زيتون وتمر ورمان. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا[١]. **وفي قصة المائدة قَصص كثيرٌ غيرُ صحيح.**

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ﴾ عادةُ الله عز وجل عقابُ مَن كفر بعد أن اقترَحَ آيةً فأُعطِيَتْهُ، ولما كفر بعض هؤلاء مسَخهم الله خنازير. **قال عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما[٢]: أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة مَن كفر من أصحاب المائدة، وآلُ فرعون، والمنافقون[٣].



(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٦).

(٢) كذا في النسخ الخطية، والصواب: «عبد الله بن عمرٍو».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٢).

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ **قال ابن عباس ﵄ والجمهور**: هذا القول من الله يكون يومَ القيامة على رؤوس الخلائق؛ ليَرىٰ الكفارُ تبرئةَ عيسىٰ ﵇ مما نسبوه إليه، ويعلمون[1] أنهم كانوا علىٰ باطل[2]. **وقال السُّدِّيُّ**: لما رَفع الله عيسىٰ ﵇ إليه قالت النصارىٰ ما قالت، وزعموا أن عيسىٰ ﵇ أمرَهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ الآيةَ[3]، **فعلىٰ هذا**: يكون ﴿إِذْ قَالَ﴾ ماضيًا في معناه؛ كما هو في لفظه. **وعلىٰ قول ابن عباس ﵄**: يكون بمعنىٰ المستقبل.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفيٌ يَعضُده دليل العقل؛ لأن المحْدَث لا يكون إلهًا.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ اعتذارٌ وبراءةٌ من ذلك القول، ووكَلَ العلم إلىٰ الله؛ لتَظهرَ براءتُه؛ لأن الله عَلِم أنه لم يقل ذلك.

(١) كذا ورد في النسخ الخطية بثبات النون! ويمكن أن يحمل -في وجه ضعيف جدًّا- علىٰ أنه رفعٌ علىٰ الاستئناف.

(٢) عزاه إلىٰ ابن عباس ﵄ ابن عطية في تفسيره (٣/ ٣٠٣)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما وقفت عليه من قول قتادة، أخرجه الطبري (٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٥٣).

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم مَعلومِي ولا أعلم مَعلومَك، ولكنه سلك باللفظ مَسْلَك المشاكَلة؛ فقال: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾؛ مقابلةً لقوله: ﴿فِي نَفْسِي﴾[1]. وبقيةُ كلامِه تعظيمٌ لله، وإخبارٌ بما قال للناس في الدنيا.

(١١٧) ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ ﴿أَنِ﴾ حرف عبارة وتفسير، أو مصدرية؛ بدلٌ من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾.

(١١٨) ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **فيها سؤالان:**

الأول: كيف قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهم كفَّارٌ؛ والكفَّار لا يُغفَر لهم؟

والجواب: أن المعنىٰ: تسليمُ الأمر لله، وأنه إن عذَّب أو غفَر فلا اعتراضَ عليه؛ لأن الخلق عبادُه، والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء، ولا يَلزم من هذا وقوعُ المغفرة للكفار، إنما يقتضي جوازَها في حِكْمة الله تعالىٰ وعزَّته، وفَرقٌ بين الجواز والوقوع.

وأما علىٰ قول من قال: إن هذا الخطاب لعيسىٰ ﷺ حين رفعه الله إلىٰ السماء، فلا إشكالَ؛ لأن المعنىٰ: إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياءً، وكل حيٍّ معرَّضٌ للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبةُ قولِه: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لقوله: ﴿إِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ والأليق مع ذكر المغفرة أنْ لو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم»؟

---

(١) [التعليق ٥١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُهُ في تفسيرِ الآية: «أي: تَعلَمُ معلومي، ولا أعلَمُ معلومَك ...»، إلخ: أقولُ: هذا تفسيرٌ منه للموصولِ في الموضعَيْن: ﴿مَا فِي نَفْسِي﴾، و﴿مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ فيكونُ المعنىٰ: تعلَمُ الذي أَعْلَمُه، ولا أَعلَمُ الذي تَعلَمُه، وهذا يَشمَلُ ما يُبدِي وما يُخفِي، وهذا أعَمُّ مما يدلُّ عليه لفظُ الآية.
واللهُ تعالىٰ يعلمُ ما يبديهِ العبدُ وما يخفيهِ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].
والعبدُ يعلمُ مِن معلومِ اللهِ ما أعلَمَه به، ولا يعلمُ العبدُ ما يخفيهِ سبحانه؛ فلا يعلمُ ما استأثَرَ اللهُ بعلمِه، ولا كلَّ ما أَعلَمَ به بعضَ عبادِه؛ فقولُ عيسىٰ ﷺ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾؛ أي: ما أُخفِيهِ، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ أي: ما تُخفِيهِ.
ولم يذكرِ المؤلِّفُ ﷺ معنىٰ «النَّفْسِ» في الآيةِ، وأَليَقُ معاني «النَّفْسِ» في مثلِ هذا السياق: أنْ يرادَ بها الذاتُ؛ كما يقالُ: جاء محمَّدٌ نَفْسُهُ، وهذا الشيءُ نَفْسُ ذاك؛ أي: هو هو، ومِن هذا القبيلِ قولُهُ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، وما ذُكر من تفسير النفس بالذات نقله شيخُ الإسلام ابن تيمية عن جمهور العلماء [مجموع الفتاوىٰ (٩/ ٢٩٢-٢٩٣)]، والله أعلم.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي: أنه لما قَصد التَّسليم لله والتَّعظيم له، كان قوله: ﴿وَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أليقَ؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزَّة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز: هو الذي يفعل ما يريد، ولا يَغلِبه غيرُه، ولا يَمتنع عليه شيءٌ أراده، فاقتضىٰ الكلام تفويضَ الأمر إلىٰ الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادرٌ علىٰ كلا الأمرين؛ لعزَّته، وأيهما فعَل فهو جميل؛ لحكمته.

الجواب الثاني -قاله شيخُنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير-: إنما لم يقل «الغفور الرحيم»؛ لئلا يكون في ذلك تعريضٌ بطلب المغفرة لهم، فاقتصر علىٰ التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تطلب المغفرة لكافرٍ[1]. **وهذا قريبٌ من قولنا.**

الثالث: حكىٰ شيخُنا الخطيب أبو عبد الله ابنُ رُشَيدٍ[2] عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم ابن حازم[3] أنه كان يقف علىٰ قوله: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، ويجعل ﴿وَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ استئنافًا، وجواب ﴿إِن﴾ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادُك علىٰ كل حال.

(١١٩) ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ عمومٌ في جميع الصَّادقين، وخصوصٌ في عيسىٰ بن مريم عليه السلام؛ فإن في ذلك إشارةً إلىٰ صدْقِه في الكلام الذي حكاه الله عنه.

وقرأ غيرُ نافع: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ﴾ بالرفع؛ علىٰ الابتداء والخبر.

---

(١) انظر: ملاك التأويل (١/ ٤٠٨).

(٢) هو محمد بن عمر، ابنُ رُشَيد الفهري السبتي، أبو عبد الله محب الدين، ولد سنة (٦٥٧هـ)، وتوفي سنة (٧٢١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ١٩٩).

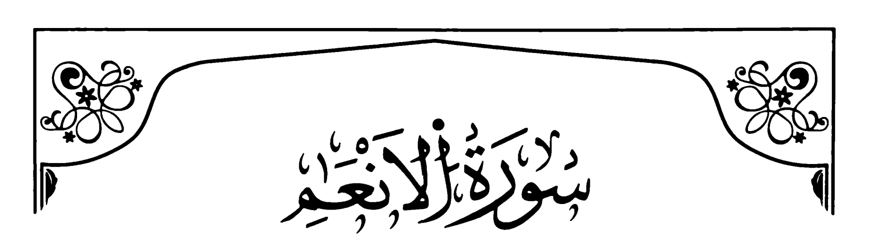
(٣) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النحوي، أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب في عصره، له كتاب «سراج البلغاء» في البلاغة، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤٩١).

وقرأ نافعٌ بالنصب؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ ظرفًا لـ﴿قَالَ﴾؛ فعلىٰ هذا: لا تكون الجملة معمولَ القول، وإنما معموله ﴿هَٰذَا﴾ خاصةً، **والمعنىٰ: قال الله هذا القَصص أو**[1] **الخبر في يوم. وهذا بعيدٌ مُزِيلٌ لرَوْنَقِ الكلام.**

والآخر: أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأً، و ﴿يَوْمَ﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوفٌ[2]؛ تقديره: هذا واقعٌ يومَ ينفع الصادقين صدقهم. ولا يجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ مبنيًّا[3] علىٰ قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلىٰ مُعْرَبٍ. **قاله الفارسي والزمخشري**[4].



(١) في ب، د: «و».
(٢) العامل فيه الذي هو الخبر محذوف إيجازًا. المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٦).
(٣) أي: لا يجوز أن يعرب مبنيًّا علىٰ الفتح في موضع رفع علىٰ الخبر؛ لأنه مضاف إلىٰ معرب ﴿ينفعُ﴾، وإنما يجوز إعرابه مبنيًّا إذا كان المضاف إليه كذلك. المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٧).
(٤) انظر: الكشاف (٥/ ٥٤٩).



قال كعبٌ(١): أوَّل الأنعام هو أول التوراة(٢).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۝١ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ
۝٣ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝٦
وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ
جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ
قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١٠

۝١ ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ «جعل» هنا بمعنى: خلق، **والظلمات**: الليل، **والنور**: النهار والضَّوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما. وإنما أفرد النورَ؛ لأنه أراد الجنس.

وفي الآية ردٌّ على المجوس في عبادتهم النارَ وغيرَها من الأنوار، وقولِـهم: إن الخيرَ من النور والشرَّ من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهًا ولا فاعلًا لشيءٍ من الحوادث.

(١) في د زيادة: «الأحبار».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٧).

(١) ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يُسَوُّون ويُمَثِّلون؛ من قولك: عدَلتُ فلانًا بفلان: إذا جعلتَه نظيرَه وقرينه. ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ لتدلَّ علىٰ استبعاد أن يَعدِلوا بربِّهم بعد وضوح آياته في خلق السماوات والأرض، والظلمات والنور.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؛ استبعادٌ لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياهم وأماتهم. وفي ضمن ذلك تعجيبٌ من فعلهم، وتوبيخٌ لهم.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هنا: عامٌّ في كل مشرك. **وقد يختصُّ** بالمجوس؛ بدليل ذكر الظلمات والنور، أو بعَبَدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردُّ في أكثر القرآن.

(٢) ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدمَ من طين.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ **الأجل الأول**: الموتُ، **والثاني**: يومُ القيامة، وجَعَله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه. **وقيل**: **الأوَّل**: النوم، **والثاني**: الموت. ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار ، لا لترتيب الوقوع؛ لأن القضاء متقدِّمٌ علىٰ الخلق.

(٣) ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ **يتعلَّق** ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بمعنىٰ اسم الله؛ فالمعنىٰ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفةُ في المشرق والمغرب.

ويَحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر؛ فيتعلَّق باسم فاعلٍ محذوف، والمعنىٰ علىٰ هذا قريبٌ من الأول. **وقيل**: المعنىٰ أنه في السماوات والأرض بعلمه؛ كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامعٌ للصفات كلِّها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك فقَصَد جمْعَها مع الإيجاز.

ويترجَّح الثاني[١]: بأن سياق الكلام في اطِّلاع الله تعالىٰ وعلمه؛ لقوله بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ .

---

(١) يعني به: قول من قال: «بعلمه».

وقيل: يتعلَّق بمحذوف؛ تقديره: المعبود في السماوات والأرض، وهذا المحذوف صفة لـ﴿ٱللَّهُ﴾ .

واسم ﴿ٱللَّهُ﴾ على هذا القول، وعلى الأول: هو خبر المبتدأ. وأما إذا كان المجرور الخبر: فاسم ﴿ٱللَّهُ﴾ بدلٌ من الضمير.

﴿٥﴾ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ «مِن» الأولى: زائدة، والثانية: للتَّبعيض، أو لبيان الجنس.

﴿٦﴾ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حضٌّ للكفار على الاعتبار بغيرهم. والقَرْن: مئة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون.

﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ الضمير عائدٌ على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من مؤمن وكافر.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ السماءُ هنا: المطر، أو السحاب، أو السماء حقيقةً. و﴿مِّدْرَارًا﴾: بناءُ مبالغةٍ وتكثيرٍ؛ من قولك: درَّ المطر: إذا غَزُرَ.

﴿وَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ التَّقدير: فكفروا وعصَوا فأهلكناهم، وهذا تهديدٌ للكفار أن يصيبَهم مثلُ ما أصاب هؤلاء على حال قوَّتهم وتمكينهم.

﴿٨﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات. والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1]لو بالغوا في مَيْزِه وتقليبه ليرتفع الشكُّ؛ لعاندوا بعد ذلك.

ويُشبِه أن يكون سببُ هذه الآية قولَ بعضهم للنبي ﷺ: لا أؤمن لك[2] حتى تأتيَني

(١) في د «أي»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».
(٢) في د: «بك».

بكتاب من السماء يأمرني بتصديقِك، وما أُرَاني مع هذا(١) أصدِّقُك(٢).

(٩) ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكايةٌ عن طلب بعض العرب، روي أن العاصيَ بن وائل، والنضرَ بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، لو كان معك مَلَك!(٣)

﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنىٰ: لو أنزلنا ملكًا فكفروا بعد ذلك لعُجِّل لهم العذاب(٤)، ففي الكلام علىٰ هذا حذفٌ، وقضاء الأمر علىٰ هذا: تعجيلُ أَخْذِهم. وقيل: المعنىٰ: لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هَوْلِ رؤيته(٥)، فقضاء الأمر علىٰ هذا: موتُهم.

(١٠) ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكًا لكان في صورة(٦) رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم علىٰ رؤية الملَك في صورته.

﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ أي: لخلَطنا عليهم ما يَخلِطون علىٰ أنفسهم وعلىٰ ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملَك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك.

(١١) ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ﴾ الآية؛ إخبارٌ قُصِد به تسليةُ النبي ﷺ عما كان يلقىٰ من قومه.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبارِ تهديدٌ للكفار.

---

(١) في د: «بعد ذلك».

(٢) قال ابن عطية في تفسيره (٣/ ٣١٧): «ويشبه أن سبب هذه الآية اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعنته؛ إذ قال للنبي ﷺ: لا أؤمن لك حتىٰ تصعد إلىٰ السماء ثم تنزل بكتاب فيه من رب العزة إلىٰ عبد الله بن أبي أمية يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا كنت أصدقك»، وذكره بمعناه الثعلبي في تفسيره (١٢/ ٣٦) عن مقاتل والكلبي دون إسناد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٥) عن محمد بن إسحاق.

(٤) كذا عزاه إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما ابن عطية في تفسيره (٣/ ٣١٧)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول قتادة، أخرجه الطبري (٩/ ١٦١) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٦).

(٥) هذا القول هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبري (٩/ ١٦١) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٦).

(٦) في د: «في صفة».

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾
قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآيةَ؛ حضٌّ على الاعتبار بغيرهم، إذا رأوا منازل الكفار الذين هَلَكوا قبلهم.

﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾ **قال الزمخشري: إن قلتَ**: أيُّ فَرْقٍ بين قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾؟ **قلتُ**: جعل النظر مسببًا عن السَّير في قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾؛ فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ فمعناه: إباحةُ السَّير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجابُ النظر في الهالكين، ونبَّه على ذلك بـ«ثم»؛ لتَباعُدِ ما بين الواجب والمباح(١).

﴿١٢﴾ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ **القصد بالآية: إقامةُ** برهانٍ على صحة التوحيد وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام؛ لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولًا: ﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضَّرورة، فيَثبت بذلك أن الإله الحقَّ هو الله الذي له ما في السماوات والأرض.

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٣٠).

وإنما يَحسن أن يكون السائل مجيبًا عن سؤاله، إذا علم أنَّ خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجةَ عليه.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضاها؛ **وتفسير ذلك**: بقول النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[(١)]، وفي رواية: «تغلب غضبي»[(٢)].

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوعٌ مما قبله، وهو جوابٌ لقسَمٍ محذوف. **وقيل**: هو تفسيرٌ للرحمة المذكورة؛ تقديره: أَنْ يَجمعَكم. **وهذا ضعيفٌ**؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها؛ فإنها لا تدخل إلَّا في القسم، أو في غير الواجب.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ **قيل**: «إلىٰ» هنا بمعنىٰ: «في». **وهو ضعيف. والصحيح**: أنها للغاية علىٰ بابها.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأٌ، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ودخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنىٰ الشَّرط. **قاله الزجاج**، وهو حسَنٌ.

وقال الزمخشري: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نَصْبٌ علىٰ الذمِّ، أو رَفْعٌ بخبر ابتداء مضمر[(٣)]. **وقيل**: هو بدلٌ من الضمير في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، **وهو ضعيف. وقيل**: منادىٰ، **وهو باطل**.

(١٤) ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ عطفٌ علىٰ قوله: ﴿لِّلَّهِ﴾. ومعنىٰ ﴿سَكَنَ﴾: حلَّ؛ فهو من السُّكنىٰ. **وقيل**: هو من السُّكون. **وهو ضعيف**؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحرِّكة؛ فلا يَعُمُّ، والمقصود عمومُ مُلْكه تعالىٰ لكل شيء.

(١٥) ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامةُ حجةٍ علىٰ الكفار، وردٌّ عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»

(٢) أخرجها البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: الكشاف (٦/ ٣٤).

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابقُ أمَّتِه إلىٰ الإسلام.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذفٌ؛ تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين. أو يكون معطوفًا علىٰ معنىٰ ﴿أُمِرْتُ﴾ فلا حذفَ، وتقديره: أُمِرت بالإسلام، ونُهِيت عن الإشراك.

(١٧) ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ أي: من يُصرَف عنه العذابُ يومَ القيامة فقد رحمه الله. وقرئ: ﴿يَصْرِفْ﴾ بفتح الياء[1]، وفاعله: الله.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ: صَرْف العذاب، أو إلىٰ الرحمة.

(١٨) ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنىٰ ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يُصِبْك، والضُّرُّ: المرض وغيره علىٰ العموم في جميع الـمُضِرَّات، والخير: العافية وغيرها علىٰ العموم أيضًا. والآية برهانٌ علىٰ الوَحدانية؛ لانفراد الله تعالىٰ بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف؛ براهينُ وردٌّ علىٰ المشركين.

(٢٠) ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ سؤالٌ يقتضي جوابًا ينبني عليه المقصود. وفيه دليلٌ علىٰ أن الله يقال عليه: شيء؛ ولكن ليس كمثله شيء.

﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبره. والآخَر: أن يكون تمامُ الجواب عند قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ بمعنىٰ: الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ؛ علىٰ تقدير: هو شهيدٌ بيني وبينكم.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار. والثاني أرجح؛ لمطابقته للسؤال؛ لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس.

والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله -الذي هو أكبر شهادة- علىٰ صدْقِ رسوله ﷺ. وشهادة الله بهذا: هي عِلْمه بصحة نبوة محمد ﷺ. أو إظهاره لمعجزاته الدَّالَّة علىٰ نبوته.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء.

﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ عطفٌ على ضمير المفعول في ﴿لِأُنذِرَكُم﴾، والفاعل بـ﴿بَلَغَۚ﴾: ضميرُ ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، والمفعول: محذوف يعود على «مَن»؛ تقديره: ومَن بلغه.

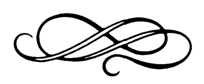
والمعنى: أُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذر به المخاطَبين -وهم أهل مكة-، وأُنذرَ كلَّ مَن بلغه القرآنُ من العرب والعجم إلى يوم القيامة، **قال سعيد بن جبير**: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ[1]. **وقيل: المعنى**: ومَن بلَغ الحُلُمَ. **وهو بعيد**.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآيةَ؛ تقريرٌ للمشركين على شِرْكهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله: ﴿لَّآ أَشْهَدُۚ﴾، ثم شهد لله بالوحدانية.

وروي أنها نزلت بسبب قوم من الكفار؛ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! أمَا تعلمُ مع الله إلهًا آخر؟[2]

(٢١) ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ﴾ تقدَّم في «**البقرة**»[3].

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَۖ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبرُه: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَۖ﴾. **وقيل**: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، **وهو فاسدٌ**؛ لأن الذين أوتوا الكتاب استَشهَد بهم هنا ليُقيم الحجةَ على الكفار.



(١) كذا عزاه الزمخشري في الكشاف (٦/ ٤٦) إلى سعيد بن جبير، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول محمد بن كعب القُرَظي، أخرجه الطبري (٩/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧١)، وابن أبي شيبة (٣٠٥٧٩)، وسعيد بن منصور (٨٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٢).

(٣) انظر تفسير الآية (١٤٥).

وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً اَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لاَ يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ
نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ
تَكُن فِتْنَتُهُمُۥٓ إِلآَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾ اُنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُۥٓ
أَكِنَّةً اَنْ يَّفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَّرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُومِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ
يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلآَّ أَسَٰطِيرُ الاَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ *وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ
عَنْهُ وَإِنْ يُّهْلِكُونَ إِلآَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا
نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن
قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا وَمَا
نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ
فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾

﴿٢٢﴾ **﴿وَمَنَ اَظْلَمُ﴾** لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله، وذلك تنصُّلٌ مِن الكذب علىٰ الله، وإظهارٌ لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب. ويَحتمل أن يريد بالافتراء علىٰ الله: ما نَسَب إليه الكفارُ مِن الشُّركاء والأولاد.

﴿اَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: علاماته، وبراهين دينه.

﴿٢٣﴾ **﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾** يقال لهم ذلك علىٰ وجه التَّوبيخ.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهةٌ؛ فحَذفه لدلالة المعنىٰ عليه. والعامل في **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾** محذوفٌ[1].

(١) تقديره «واذكر» كما المحرر الوجيز (٣/ ٣٣٣).
وفي هامش أ هنا زيادة: «تقديره: ويوم نحشرهم كان كَيْتَ وكيت، فتُرِك ليبقىٰ علىٰ الإبهام الذي هو أدْخلُ في التَّخويف»، وكتب بعدها: «صح منه»، وهذه عبارة الزمخشري في الكشاف (٦/ ٥٠)، وليست موجودة في بقية النسخ، فيظهر أنها حاشية، وليست من عبارة التسهيل.

(٢٤) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ **الفتنة هنا يَحتمل أن تكون بمعنىٰ الكفر**؛ أي: لم تكن عاقبة كفرهم إلَّا جحودَه والتبرِّيَ منه. **وقيل**: ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: معذرتهم، **وقيل**: كلامهم.

وقرئ ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾[1] **بالنصب**؛ علىٰ خبر «كان»، واسمُها: ﴿أَن قَالُواْ﴾، **وقرئ بالرفع**؛ علىٰ اسم «كان»، وخبرُها: ﴿أَن قَالُواْ﴾.

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحودٌ لشركهم. **فإن قيل**: كيف يجحدونه وقد قال الله: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٤٢]؟ **فالجواب**: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيَكتُم قومٌ ويُقِرُّ آخرون، ويكتمون في موطن ويُقِرُّون في موطنٍ آخَرَ؛ لأن يوم القيامة طويل. **وقد قال ابن عباس** ﷺ -لما سئل عن هذا السؤال-: إنهم جحدوا طمَعًا في النجاة، فختم الله علىٰ أفواههم، وتكلَّمت جوارحهم؛ فلا يكتمون الله حديثًا[2].

(٢٦) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائدٌ علىٰ الكفار، وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعلُ[3] جماعةٍ؛ حَمْلًا علىٰ لفظ «مَن».

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كِنَان؛ وهو الغِطاء، و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن يفقهوه. **ومعنىٰ الآية**: أن الله حال بينهم وبين فَهْم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنَّة والوَقر؛ مبالغةً، وهي استعارة.

﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: قَصَصُهم وأخبارُهم، وهو جمع أَسْطَار أو أُسطورة. **قال السُّهيلي**: حيثما ورد[4] في القرآن ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؛ فإن قائلها هو النَّضْر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد[5].

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٤)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧١٤)، والحاكم (٣١٩٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري تعليقًا (٦/ ١٢٧).

(٣) في ب: «لفظ».

(٤) في د: «وقع».

(٥) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠١).

(٢٦) ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ ﴿هُمْ﴾ عائدٌ على الكفار، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على القرآن، **والمعنى**: وهم ينهون الناس عن الإيمان به، ويَنأون هم عنه -أي يَبعُدون-، والنَّأْيُ: هو البُعْدُ[١]. **وقيل**: الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على النبي ﷺ، ومعنى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: ينهون الناس عن إِذَايته، وهم مع ذلك يَبعُدون عنه، والمراد بالآية -على هذا-: أبو طالب ومن كان معه يحمي النبيَّ ﷺ ولا يُسلِمُ.

وفي قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ و﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجنيس.

(٢٧) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ جواب «لو» محذوفٌ هنا وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وإنما حُذِف ليكون أبلغَ ما يُقدِّره السَّامع؛ أي: لو ترى لرأيت أمرًا شنيعًا هائلًا.

ومعنى ﴿وُقِفُواْ﴾: حُبِسوا. قاله ابن عطية[٢]. **ويَحتمل أن يريد بذلك**: إذا دخلوا النار، أو إذا عاينوها وأشرفوا عليها. ووضع «إذ» موضع «إذا»؛ لتحقُّق وقوع الفعل حتى كأنه ماضٍ.

﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ قرئ برفع ﴿نُكَذِّبَ﴾ و﴿نَكُونَ﴾[٣]؛ على الاستئنافِ والقطعِ عن التمني، ومثَّله سيبويهِ بقولك: دعني ولا أعودُ؛ أي: وأنا لا أعود. **ويَحتمل أن يكون**: حالًا؛ تقديره: نُردُّ غيرَ مكذِّبين، أو عطفًا على ﴿نُرَدُّ﴾. **وقرئ بالنصب**؛ بإضمار «أنْ» بعد الواو في جواب التمني.

(٢٨) ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ **المعنى**: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم. **وقيل**: هي في أهل الكتاب؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ. **وقيل**: هي في المنافقين؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر. **وهذان القولان بعيدان**؛ فإن الكلام من أوَّله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب.

---

(١) في د، هـ: «والنائي هو البعيد» وكذا في هامش أ، ورمز له بـ«خ».
(٢) انظر المحرر الوجيز (٣/٣٤١).
(٣) قرأ حمزة وحفص عن عاصم بنصب الياء والنون فيهما، وافقهم ابن عامر في النون، وقرأ الباقون برفعهما.

وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لئلا يشعر به[١] أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ إخبارٌ بأمر لا يكون، لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني في قولهم: ﴿وَلاَ نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ اَلْمُومِنِينَ﴾. ولا يصحُّ أن يرجع إلىٰ قولهم: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾؛ لأن التمنيَ لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

(٣٠) ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا اَلدُّنْيا﴾ حكايةٌ عن[٢] قولهم في إنكار البعث الأُخراوي.

(٣١) ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ تقريرٌ لهم وتوبيخٌ.



(١) في ب: «بهم».

(٢) سقط الحرف من ب، ج، هـ.

قَدْ خَسِرَ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا
فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۖ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلذِے
يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَيٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ
جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ إِسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقاً فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَاتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٦﴾ *إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلِ اِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ اَمْثَالُكُم
مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَےْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ
فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَنْ يَّشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَّشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ قُلَ اَرَٰٓيْتَكُمُۥٓ إِنَ
اَتَيٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوَ اَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلِ اِيَّاهُ
تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ للحياة الدنيا؛ لأن المعنىٰ يقتضي ذلك وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ. وقيل: للساعة؛ أي: فرَّطنا في شأنها، والاستعدادِ لها. **والأول أظهر.**

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۖ﴾ كنايةٌ[1] عن تحمُّلِ الذنوب، وقال: ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۖ﴾؛ لأن العادة حَمل الأثقال علىٰ الظهور. وقيل: إنهم يحملونها علىٰ ظهورهم حقيقةً، وروي في ذلك أن الكافر يَركبُه عملُه بعد أن يتمثَّل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يَركبُ عملَه بعد أن يتصوَّر له في أحسن صورة[2].

(١) في د: «عبارة».

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٦) عن عمرو بن قيس الملائي، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١) عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق، وأخرجاه أيضًا -الطبري (٩/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١)- عن السدي.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبارٌ عن سوء ما يفعلون من الأوزار.

(٣٣) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ **قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء؛ من «أحزن»، إلَّا قولَه:** ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقرأ الباقون بفتح الياء؛ من «حزَن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة.

و﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: قولهم: إنه ساحرٌ، شاعرٌ، كاهنٌ.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ **من قرأ بالتَّشديد**(١) **فالمعنىٰ: لا يكذِّبونك معتقدين لكَذِبك، وإنما هم يجحدون الحقَّ مع علمهم به.**

ومن قرأه بالتخفيف: فقيل: معناه: لا يجدونك كاذبًا؛ يقال: أَكْذَبْتُ فلانًا؛ إذا وجدتَه كاذبًا، كما يقال: أَحْمدتُه: إذا وجدتَه محمودًا. **وقيل:** هي بمعنىٰ التَّشديد؛ يقال: كذَّب فلان فلانًا وأَكْذَبه بمعنًىٰ واحدٍ، **وهو الأظهر**؛ لقوله بعد هذا: ﴿يَجْحَدُونَ﴾، **ويؤيِّد هذا:** ما روي أنها نزلت في أبي جهل؛ فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذِّبك ولكن نكذِّب ما جئتَ به(٢)، وأنه قال للأخنس بن شَرِيق: والله إن محمدًا لصادق، ولكني أحسده علىٰ الشَّرف(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووَضع الظاهر موضعَ المضمر؛ للدَّلالة علىٰ أنهم ظَلموا في جحودهم.

(٣٤) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ، وحضٌّ له علىٰ الصَّبر، ووعدٌ له بالنصر.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لمواعيده لرسله؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٢]، وفي هذا تقويةٌ للوعد.

---

(١) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٢)، والترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم (٣٢٣٠) وصححه، عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه، وأخرجه الطبري (٩/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٢)، والترمذي (٣٠٦٤)، عن ناجية، ولم يُذكر فيه علي، قال الترمذي: «وهذا أصح».

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٢) عن السدي.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: مِن أخبارهم، ويعني بذلك: صبْرَهم ثم نصْرَهم، وهذا أيضًا تقويةٌ للوعد والحضِّ على الصبر. وفاعل ﴿جَآءَكَ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: نبأٌ أو جَلاءٌ[١]، وقيل: هو المجرور.

٣٥ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآيةَ؛ مقصودها: حمل النبي ﷺ على الصبرِ، والتسليمِ لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم[٢] بآية يؤمنوا بسببها فافعلْ، وأنت لا تَقدِرُ على ذلك، فاستسلم لأمر[٣] الله.

والنَّفَق في الأرض معناه: مَنْفذٌ تَنفُذ فيه إلى ما تحتَ الأرض. وحُذِف جواب «إن»؛ لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ حجةٌ لأهل السنة على القدرية.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاءَ لجمعهم على الهدى.

٣٦ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيَفهمون ويَعقِلون.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن الموتى: عبارةٌ عن الكفار؛ (لموت قلوبهم، والبعث يراد به: الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم،)[٤] فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون. والآخَر: أن الموتى: عبارةٌ عن الكفار، والبعث: عبارةٌ عن هدايتهم للفَهْم والسَّماع. والثالث: أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبارٌ عن بعث الموتى يوم القيامة.

٣٧ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ للكفار، و﴿لَوْلَا﴾ عَرْضٌ، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتيَ النبيُّ ﷺ بآية على نبوَّته.

---

(١) في هامش ب: «خ: بيان»، وفي د: «خبر».
(٢) في د: «فتأتيهم».
(٣) في ب، هـ: «بأمر».
(٤) سقط من ب.

فإن قيل: فقد أتىٰ بآياتٍ ومعجزات كثيرة فلِمَ طلبوا آيةً؟ **فالجواب من وجهين**: **أحدهما**: أنهم لم يعتدُّوا بما أتىٰ به؛ فكأنه لم يأت بشيءٍ عندَهم؛ لعنادهم وجحدهم. **والآخر**: أنهم إنما طلبوا آيةً تضطَرُّ إلىٰ الإيمان مِن غير نظر ولا تفكُّر[1].

﴿قُلِ اِنَّ اَللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَنْ يُّنَزِّلَ ءَايَةًۖ﴾ جوابٌ علىٰ قولهم، **وقد حُكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن، وجُووِبوا عليه بأجوبة مختلفة**:

منها: ما يقتضي الردَّ عليهم في طلبهم للآيات؛ فإنهم[2] قد أتاهم بآيات، وتحصيل الحاصل لا يُبتغىٰ؛ كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا اَلْاَيَٰتِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وكقوله: ﴿اَوَلَمْ يَكْفِهِمُۥٓ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ اَلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمُۥٓ﴾ [العنكبوت: ٥١]. **ومنها**: ما يقتضي الإعراضَ عنهم؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، **ويَحتمل** أن يكون من هذا قولُه: ﴿اِنَّ اَللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَنْ يُّنَزِّلَ ءَايَةًۖ﴾. **ويَحتمل** أيضًا أن يكون معناه: قادرٌ علىٰ أن ينزل آية تضطرُّهم إلىٰ الإيمان.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَۖ﴾ حُذِف مفعول ﴿يَعْلَمُونَۖ﴾، **وهو يَحتمل وجهين**: **أحدهما**: لا يعلمون أن الله قادر. **والآخر**: لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرُّ إلىٰ الإيمان لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعُوجِلوا بالعذاب.

٣٩ ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيدٌ، وبيانٌ، وإزالةٌ للاستعارة المتعاهَدة في هذه اللفظة؛ فقد يقال: طائرٌ للسَّعْد والنَّحْس.

﴿اُمَمٌ اَمْثَالُكُمْۖ﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك.

ومناسبةُ ذِكْر هذا لما قبله من وجهين: **أحدهما**: أنه تنبيهٌ علىٰ مخلوقات الله تعالىٰ؛ فكأنه يقول: تفكَّروا في آياته في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات. **والآخر**: أنه تنبيهٌ علىٰ البعث؛ كأنه يقول: جميع الدوابِّ والطَّير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، **وهو أظهر**؛ لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَۖ﴾.

---

(١) في د: «فكر».

(٢) في ب، هـ «بأنهم».

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ أي: ما أغفلنا، **والكتاب هنا**: اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام. **وقيل**: هو القرآن، والكلام على هذا خاص؛ أي: ما فرَّطنا فيه من شيءٍ فيه هدايتُكم والبيانُ لكم.

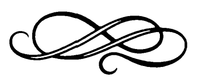
﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تُبعَثُ الدوابُّ والطُّيور[1] يوم القيامة للجزاء والفصل بينها.

﴿٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ الآيةَ؛ لما ذكَر قدرته على بعث الخلق كلِّهم أَتْبعه بأن وصف من كذَّب بذلك بالصَّمَم والبَكَم. وقوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ **معناه**: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محلَّ له من الإعراب. وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مَن تَدْعون؟ ثم وقَّفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلَّا اللهَ، ولا يدعون آلهتَهم. والآيةُ احتجاجٌ عليهم، وإثباتٌ للتوحيد، وإبطالٌ للشرك.

﴿٤١﴾ ﴿إِن شَآءَ﴾ استثناءٌ؛ أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد.

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ **يحتمل أن يكون من**: النسيان، أو الترك.



(١) في د: «والطير».

وَلَقَدَ اَرْسَلْنَآ إِلَيٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَوْلَآ
إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُۥٓ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّيٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ
أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ
﴿٤٦﴾ قُلَ اَرَآيْتُمُۥٓ إِنَ اَخَذَ اَللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَيٰ قُلُوبِكُم مَّنِ اِلَٰهٌ غَيْرُ اُللَّهِ
يَاتِيكُم بِهِ اِنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاَيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٧﴾ قُلَ اَرَآيْتَكُمُۥٓ إِنَ اَتِيٰكُمْ
عَذَابُ اُللَّهِ بَغْتَةً اَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا اُلْقَوْمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٤٨﴾ *وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنَ ـامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ اُلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِے خَزَآئِنُ اُللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ اُلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمُۥٓ إِنِّے مَلَكٌ اِنَ اَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَيٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِے اِلْاَعْمَيٰ
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

﴿٤٣﴾ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ كان ذلك على وجه التَّخويف والتَّأديب.

﴿٤٤﴾ ﴿فَلَوْلَآ﴾ هنا: عَرْضٌ وتَحضيضٌ. وفيه دليل على نفع التضرُّع حين الشدائد.

﴿٤٥﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ الآيةَ؛ أي: لما تركوا الاتِّعاظ بما ذُكِّروا به من الشدائد فَتح عليهم أبوابَ الرزق والنِّعَم ليَشكروا عليها، فلم يشكروا، فأخذهم الله.

﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير.

﴿٤٦﴾ ﴿دَابِرُ اُلْقَوْمِ﴾ أي: آخِرُهم، وذلك عبارةٌ عن استئصالهم بالكلية.

﴿وَالْحَمْدُ لِلهِ﴾ شكرٌ على إهلاك الكفار؛ فإنه[1] نعمة على المؤمنين. وقيل: إنه[2] على ما تقدَّم من ملاطفته في أخذه لهم بالشرِّ ليزدجروا، أو[3] بالخير ليشكروا، حتى وجب عليهم

(١) في د: «لأنه».
(٢) أي: الحمد. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٦٣).
(٣) في د، هـ «و».

العذاب[1] بعد الإنذار والإعذار.

(٤٧) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الكفار أيضًا.

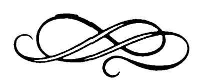
﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ الضمير عائدٌ على المأخوذ.

﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي: يُعرِضون.

(٤٨) ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الآيةَ؛ وعيدٌ وتهديد، والبغتَةُ: ما لم يتقدَّمْ لهم شعورٌ به، والجَهْرةُ: ما بدتْ لهم مَخايِلُه. وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

(٥١) ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ أي: لا أدَّعي شيئًا يُنكَر ولا يُستبعَد، إنما أنا نبيٌّ رسول كما كان غيري من الرسل.

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثالٌ للضالِّ والمهتدي.



(١) في ب، د، هـ: «العقاب».

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾

﴿٥٢﴾ ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾. والإنذار عامٌّ لجميع الناس، وإنما خُصِّص هنا بالذين يخافون؛ لأنه قد تقدَّم في الكلام ما يقتضي اليأسَ[1] من إيمان غيرهم، فكأنه يقول: أنذِر الخائفين؛ لأنهم ينفعهم الإنذار[2]، وأَعرِض عمن تقدَّم ذكْره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾، أو استئنافُ إخبارٍ.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلَّق بـ﴿وَأَنذِرْ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية؛ نزلت في ضعفاء المؤمنين، كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخبَّاب، وصُهَيب ﷺ، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء؛ لشَرَفِنا، فلو طردتَّهم لاتَّبعناك، فنزلت الآية[3].

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخَمس، وكانت غُدْوةً وعشيةً. وقيل: هي عبارةٌ عن دوام الفعل. و﴿يَدْعُونَ﴾ هنا: مِن الدعاء وذِكْر الله، أو بمعنى العبادة.

(١) في أ: «الإياس» وفي الهامش: «خ: اليأس».
(٢) في أ: «فكأنه أَنذَرَ الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار».
(٣) أخرجه مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إخبارٌ عن إخلاصهم لله، وفيه تزكيةٌ لهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآيةَ؛ قيل: الضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ لـ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾. وقيل: للمشركين؛ والمعنىٰ علىٰ هذا: لا تُحاسَبُ عنهم، ولا يُحاسَبون عنك، فلا تهتمَّ بأمرهم حتىٰ تطردَ هؤلاء من أجلهم.

والأوَّل أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [هود: ٢٩]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]، والمعنىٰ علىٰ هذا: أنَّ الله هو الذي يحاسبُهم؛ فلأيِّ شيء تطردُهم!

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾.

﴿فَتَكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾، أو عطفٌ علىٰ ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

(٥٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتَلَينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: هؤلاء العبيد والفقراء منَّ الله عليهم بالتوفيق للحقِّ والسعادة دوننا، ونحن أشرافٌ أغنياءُ! وكان هذا الكلام منهم علىٰ جهة الاستبعاد لذلك.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ردٌّ علىٰ الكفار في قولهم المتقدِّم.

(٥٤) ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نُهيَ النبي ﷺ عن طردهم، أُمِر بأن يُسَلِّم عليهم؛ إكرامًا لهم، وأن يُؤَنِّسهم بما بعد هذا.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: حتَمها، وفي الصحيح: «إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا﴾ الآيَةَ؛ وعدٌ بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورِين قبلُ، وحكمُه عامٌّ فيهم وفي غيرهم.

والجهالة قد ذكرت في «النساء»[2]. وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب ﷺ أشار علىٰ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر تفسير الآية (١٧).

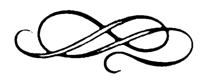
رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسىٰ أن يُسلِم الكفار، فلما نزلت ﴿وَلاَ تَطْرُدِ﴾ ندم عمر علىٰ قوله، وتاب منه؛ فنزلت الآية[1].

وقرئ ﴿أَنَّهُۥ﴾[2]: بالفتح؛ علىٰ البدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾، **وبالكسر؛ علىٰ الاستئناف.**

وكذلك ﴿فَإِنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **بالكسر:** علىٰ الاستئناف. **وبالفتح:** خبرُ ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: فأمره أنه غفور، **وقيل:** تَكرارٌ للأولىٰ؛ لطول الكلام.

(٥٦) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ **الإشارة إلىٰ ما تقدَّم من النهي عن الطَّرد وغير ذلك. وتفصيلُ الآيات:** شَرْحُها وبيانُها.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ **بتاء الخطاب ونصب السبيل**[3]: علىٰ أنه مفعول به. **وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل:** علىٰ أنه فاعلٌ مؤنَّث. **وبالياء والرفع:** علىٰ تذكير السبيل؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.



(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٦٢) عن عكرمة.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم ﴿أنَّه مَن عَمِلَ...فَأَنَّه غفورٌ رحيمٌ﴾ بفتح الهمزة فيهما، وافقهم نافع في الأول، وقرأ الباقون بالكسر فيهما.

(٣) قرأ نافع: ﴿ولتستبين سبيلَ﴾ بتاء الخطاب والنصب، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿وليستبين سبيلُ﴾ بالياء والرفع، وقرأ الباقون: ﴿ولتستبين سبيلُ﴾ بتاء التأنيث والرفع.

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ
ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

﴿٥٧﴾ ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن اتَّبعت أهواءكم ضللتُ.

﴿٥٨﴾ ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي: علىٰ أمرٍ بيِّنٍ من معرفة ربي. والهاء في ﴿بَيِّنَةٍ﴾: للمبالغة، أو للتأنيث.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ **الضمير عائد علىٰ**: الربِّ، أو علىٰ البينة.

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: العذابُ الذي طلبوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]،**وقيل**: الآياتُ التي اقترحوها، **والأوَّل أظهر**.

﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ مِن القَصَص. وقرئ ﴿ يَقْضِ﴾ بالضاد المعجمة[1]؛ من القضاء، **وهو أرجح**؛ لقوله: ﴿ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ أي: الحاكمين.

﴿٥٩﴾ ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: لو كان عندي العذابُ -علىٰ التأويل الأوَّل-، أو الآياتُ المقترحة -علىٰ التأويل الآخر-؛ لوقع الانفصال وزال النِّزاع؛ لنزول العذاب، أو لظهور الآيات.

﴿٦٠﴾ ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ استعارةٌ وعبارةٌ عن التوصُّل إلىٰ الغيوب كما يُتَوصَّل بالمفاتح إلىٰ ما في الخزائن. **وهو جمع** مِفتَح -بكسر الميم-؛ بمعنىٰ: مفتاح. **ويَحتمل أن يكون جمع**

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالصاد المهملة، وقرأ الباقون ﴿ يَقْضِ﴾ بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة.

مَفتَح -بالفتح-؛ وهو المخزون[1].

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ﴾ تنبيهٌ بها على غيرها؛ لأنها أشدُّ تغيُّبًا من كل شيء.

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله.

٦٠ ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ﴾ أي: إذا نمتم، وفي ذلك اعتبارٌ واستدلال على البعث الأخراوي.

﴿مَا جَرَحْتُم﴾ أي: ما كَسَبتم من الأعمال.

﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم من النَّوم، والضمير عائدٌ على النهار؛ لأن غالبَ اليقَظة فيه، وغالب النوم بالليل.

﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجلُ الموت.



(١) في أ: «المخزن».

وَهُوَ اَ۬لْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ احَدَكُمُ اُ۬لْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا
وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى اَ۬للَّهِ مَوْلَيٰهُمُ اُ۬لْحَقِّۖ أَلَا لَهُ اُ۬لْحُكْمُۖ وَهُوَ أَسْرَعُ اُ۬لْحَٰسِبِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ مَنْ يُّنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ اِ۬لْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنَ انجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ اَ۬لشَّٰكِرِينَ ﴿٦٤﴾ قُلِ اِ۬للَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٖ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ
﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ اَ۬لْقَادِرُ عَلَيٰٓ أَن يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمُۥٓ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمُۥٓ أَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۖ اُ۟نظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ اُ۬لْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ
﴿٦٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ اَ۬لْحَقُّۖ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٖۖ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسْتَقَرّٞۖ وَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ اَ۬لذِينَ يَخُوضُونَ فِےٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِے حَدِيثٍ
غَيْرِهِۦۖ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ اَ۬لشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ اَ۬لذِّكْرِيٰ مَعَ اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى
اَ۬لذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَےْءٖ وَلَٰكِن ذِكْرَيٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ *وَذَرِ اِ۬لذِينَ اَ۪تَّخَذُواْ
دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ اُ۬لْحَيَوٰةُ اُ۬لدُّنْيَاۖ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا
مِن دُونِ اِ۬للَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٖ لَّا يُوخَذْ مِنْهَآۖ أُوْلَٰٓئِكَ اَ۬لذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا
كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٞ مِّنْ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ اَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٢﴾ ﴿حَفَظَةًۖ﴾ جمع حافظ؛ وهم الملائكة الكاتبون.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الذين مع ملَك الموت.

﴿٦٣﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ خروجٌ من الخطاب إلىٰ الغَيْبة، والضمير لجميع الخلق.

﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ مَنْ يُّنَجِّيكُم﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجةٍ. و﴿ظُلُمَٰتِ اِ۬لْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: عبارةٌ عن شدائدهما وأهوالهما؛ كما يقال لليوم الشديد: مُظْلمٌ.

﴿٦٦﴾ ﴿عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمُۥٓ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمُۥٓ﴾ قيل: الذي من فوق: إمطار الحجارة، ومن تحت: الخسف. وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمُۥٓ﴾: تسليطُ أكابركم، و﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمُۥٓ﴾: تسليط سَفِلَتِكم، وهذا بعيد.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أي: يَخلِطكم فِرَقاً مختلفين.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ بالقتال. واختُلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين؟ وروي أنه لما نزلت ﴿أَنْ يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ ، قال النبي ﷺ: «هذه أهون»[1]، فقضىٰ الله علىٰ هذه الأمة بالفتن والقتال إلىٰ يوم القيامة.

٦٧ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ **الضمير عائدٌ** علىٰ القرآن، أو علىٰ الوعيد المتقدِّم. و﴿قَوْمُكَ﴾ هم قريش.

﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍۗ﴾ أي: بحفيظٍ ومتسلِّطٍ، وفي ذلك متارَكةٌ نسَخها القتال.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۖ﴾ أي: غايةٌ يُعرَفُ عندها صِدْقُه مِن كَذِبه.

٦٨ ﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في الاستهزاء بها، والطَّعن فيها.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: قمْ ولا تجالسْهم.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ «إمَّا» مركَّبة مِن «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة، **والمعنىٰ**: إن أنساك الشيطان النهيَ عن مجالستهم فلا تَقعدْ بعد أن تذكُر النهيَ.

٦٩ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍۖ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: هم المؤمنون، والضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ للكفار المستهزئين، **والمعنىٰ**: ليس علىٰ المؤمنين شيءٌ من حساب الكفار علىٰ استهزائهم وضَلالهم[2].

وقيل: إن ذلك يقتضي إباحةَ جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شقَّ عليهم النهيُ عن ذلك؛ إذ كانوا لا بدَّ لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نُسِخت بآية «النساء»؛ وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنِ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية. **وقيل**: إنها لا تقتضي إباحةَ القعود.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) عن جابر ﷺ.

(٢) في أ: «وإضلالهم».

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: أن المعنىٰ: ليس علىٰ المؤمنين حسابُ الكفار، ولكن عليهم تذكيرٌ لهم، ووعظٌ[1]. وإعراب ﴿ذِكْرَىٰ﴾ **علىٰ هذا**: نَصْبٌ علىٰ المصدر؛ وتقديره: يذكِّرونهم ذكرىٰ، أو رَفْعٌ علىٰ المبتدأ؛ تقديره: عليهم ذكرىٰ. **والضمير في** ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ **عائدٌ**: علىٰ الكفار؛ أي: يذكِّرونهم رجاءَ أن يتقوا، أو عائدٌ علىٰ المؤمنين؛ أي: يذكِّرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوىٰ لله.

والوجه الثاني: أن المعنىٰ: ليس نهيُ المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أنَّ عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرىٰ للمؤمنين. وإعراب ﴿ذِكْرَىٰ﴾ **علىٰ هذا**: خبرُ ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: ولكن نَهْيهم ذكرىٰ، أو مفعولٌ من أجله؛ تقديره: إنما نُهوا ذكرىٰ. **والضمير في** ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ **علىٰ هذا**: للمؤمنين لا غيرُ.

(٧٠) ﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ **قيل**: إنها متارَكةٌ منسوخة بالسيف. **وقيل**: بل هي تهديدٌ، فلا[2] متاركةَ؛ فلا نسخ فيها.

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ **أي**: اتَّخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبًا ولهوًا؛ لأنهم سخروا منه. أو اتَّخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبًا ولهوًا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويَلهُون.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ **الضمير عائد**: علىٰ الدين، أو علىٰ القرآن.

﴿أَن تُبْسَلَ﴾ **قيل**: معناه: تُحبَس، **وقيل**: تُفضَح، **وقيل**: تَهْلِك. وهو في موضع مفعولٍ من أجله؛ أي: ذكِّرْ به؛ كراهةَ أن تبسل نفسٌ.

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ **أي**: وإن تُعْطِ كلَّ فدية لا يؤخذْ منها.



(١) في د: «تذكيرهم ووعظهم».
(٢) في د: «بلا».

قُلَ اَندْعُواْ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدٜيٰنَا اَ۬للَّهُ كَالذِے
إِسْتَهْوَتْهُ اُ۬لشَّيَٰطِينُ فِے اِ۬لاَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٞ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى اَ۬لْهُدَى اِيتِنَاۖ قُلِ اِنَّ هُدَى
اَ۬للَّهِ هُوَ اَ۬لْهُدٜيٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنَ اَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُۖ وَهُوَ اَ۬لذِےٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَۖ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ اَ۬لذِے خَلَقَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ بِالْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۖ ﴿٧٣﴾ قَوْلُهُ
اُ۬لْحَقُّۖ وَلَهُ اُ۬لْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِے اِ۬لصُّورِۖ عَٰلِمُ اُ۬لْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِۖ وَهُوَ اَ۬لْحَكِيمُ اُ۬لْخَبِيرُۖ ﴿٧٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً ـالِهَةًۖ اِنِّيَ أَرٜيٰكَ وَقَوْمَكَ فِے ضَلَٰلٖ مُّبِينٖۖ ﴿٧٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُرِےٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ اَ۬لْمُوقِنِينَۖ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اِ۬ليْلُ رٜءٰا
كَوْكَباًۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّےۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ اُ۬لاٰفِلِينَۖ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا اَ۬لْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّےۖ
فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِے رَبِّے لَأَكُونَنَّ مِنَ اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لضَّآلِّينَۖ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا اَ۬لشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ
هَٰذَا رَبِّے هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّے بَرِےٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَۖ ﴿٧٩﴾ إِنِّے وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
لِلذِے فَطَرَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ حَنِيفاًۖ وَمَآ أَنَا مِنَ اَ۬لْمُشْرِكِينَۖ ﴿٨٠﴾ *وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۖ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّونِے فِے اِ۬للَّهِ وَقَدْ هَدٜيٰنِۖ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَنْ يَّشَآءَ رَبِّے شَيْـٔاًۖ وَسِعَ رَبِّے
كُلَّ شَےْءٍ عِلْماًۖ اَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَۖ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمُۥٓ
أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰناًۖ فَأَيُّ اُ۬لْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالاَمْنِۖ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَۖ ﴿٨٢﴾ اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ اُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اُ۬لاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَۖ ﴿٨٣﴾

﴿٧١﴾ ﴿قُلَ اَندْعُواْ﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجة، وتوبيخٌ للكفار.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع من الهدىٰ إلىٰ الضَّلال، وأصل الرجوع علىٰ العَقِب: في المشي، ثم استُعِير في المعاني. وهذه الجملةُ معطوفةٌ علىٰ ﴿اَندْعُواْ﴾، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ.

﴿كَالذِے إِسْتَهْوَتْهُ اُ۬لشَّيَٰطِينُ﴾ الكاف في موضع نصب علىٰ الحال من الضمير في ﴿نُرَدُّ﴾؛ أي: كيف نرجع مُشْبِهين مَن استهوته الشياطين، أو نعتٌ لمصدر محذوف؛ تقديره: ردًّا كردِّ الذي. ومعنىٰ ﴿إِسْتَهْوَتْهُ اُ۬لشَّيَٰطِينُ﴾: ذهبتْ به في مَهامِه الأرض، وأخرجته عن الطريق؛ فهو استفعال مِن هوَىٰ في الأرض: إذا ذهبَ فيها. وقال الفارسي: استهوىٰ

بمعنىٰ: أَهوىٰ؛ مثل استزلَّ بمعنىٰ أزلَّ[1].

و﴿حَيْرَانَ﴾ أي: ضال[2] عن الطريق، وهو نَصْبٌ علىٰ الحال من المفعول في ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.

﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ أي: لهذا المستهوَىٰ أصحابٌ -وهم رُفْقةٌ- يدعونه إلىٰ الهدىٰ؛ أي: إلىٰ أن يَهدوه الطريقَ، يقولون له: ائتنا، وهو قد تاهَ وبَعُدَ عنهم فلا يُجِيبهم، وهذا كلُّه تمثيلٌ لمن ضلَّ في الدين عن الهدىٰ، وهو يُدعَىٰ إلىٰ الإسلام فلا يجيب.

وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبواه يدعوانه إلىٰ الإسلام[3]، ويُبطِل هذا قولُ عائشة ﵂: ما نزل في آل أبي بكر شيءٌ من القرآن إلَّا براءتي[4].

(٧٢) ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِنُسْلِمَ﴾[5]، أو علىٰ مفعول ﴿وَأُمِرْنَا﴾[6].

(٧٣) ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُه: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾، وهو مقدَّمٌ عليه، والعامل فيه: معنىٰ الاستقرار؛ كقولك: يومَ الجمعة القتالُ، واليومُ: بمعنىٰ الحين، وفاعل ﴿فَيَكُونُ﴾ مضمر، وهو فاعل ﴿كُن﴾ ؛ أي: حين يقول لشيءٍ كن: فيكون ذلك الشيء.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيفٌ أو تَخليطٌ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٠).

(٢) في د: «أي: ضالًّا».

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٣/ ٣٩٢) حكاية عن مكي وغيره، وذكر الماوردي في تفسيره النكت والعيون (٢/ ١٣٢) أنه حكاه أبو صالح عن ابن عباس ﵄. ولم أقف عليه مسندًا.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

(٥) وهذا علىٰ أنَّ ﴿لِنُسْلِمَ﴾ هو موضع مفعول ﴿وَأُمِرْنَا﴾، فيكون التقدير: أمرنا لأن نسلم وأن أقيموا.

(٦) وهذا علىٰ أن مفعول ﴿وَأُمِرْنَا﴾ مقدَّر تقديره: وأمرنا بالإخلاص أو بالإيمان ونحو هذا، فتقدير الجملة كلها: وأمرنا بالإخلاص وبإقامة الصلاة لكي نسلم. المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٣).

٧٥ ﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فإعرابه: عطفُ بيان، أو بدلٌ، ومُنِع من الصَّرف للعُجْمة والعلَمية، لا للوزن؛ فإن وزنه: فاعَل؛ نحو: عابَر وشالَخ. وقرئ بالرفع[1]؛ على النداء. وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارَح؛ فعلىٰ هذا يَحتمل: أن يكون لقِّب به؛ لملازمته له. أو أريد: عابِد آزَرَ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد. ولا يَبعُدُ أن يكون له اسمان.

٧٦ ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنه فَرَج له السماوات والأرض حتىٰ رأىٰ ببصره الـمُلْك الأعلىٰ والأسفل، وهذا يفتقرُ إلىٰ صحة نقل. وقيل: رأىٰ ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه.

﴿وَلِيَكُونَ﴾ يتعلَّق بمحذوف؛ تقديره: وليكون من الموقنين فَعَلْنا به ذلك.

٧٧-٨٠ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي: ستَره؛ يقال: جنَّ عليه الليل وأجنَّهُ.

﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ يَحتمل أن يكون هذا الذي جرىٰ لإبراهيم ﷺ في الكوكب والقمر والشمس: أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي أن أمَّه وَلَدته في غار؛ خوفًا من نمروذ؛ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجِّمين أخبروه أن هلاكه علىٰ يد صبيٍّ.

ويَحتمل أن يكون جرىٰ له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه علىٰ وجه الردِّ عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

ولا يُتَصوَّر أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي محاجَّةً وردًّا علىٰ قومه. وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبينَ لهم الخطأ في دينهم، وأن يُرشدَهم إلىٰ أن هذه الأشياء لا يصحُّ أن يكون واحدٌ منها إلهًا؛ لقيام الدليل علىٰ حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبَّر طلوعَها وغروبها وأُفُولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ قول مَن يُنصِف خصمه مع علمه أنه مُبْطِلٌ؛ لأن ذلك أَدْعىٰ إلىٰ الحق وأقربَ إلىٰ رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾؛ أي: لا أحب عبادةَ المتغيِّرين؛ لأن التغيُّر دليل علىٰ الحدوث، والحدوث ليس من صفات

(١) قرأ يعقوب بالرفع، وقرأ الباقون -ومنهم السبعة- بالنصب.

الإله، ثم استمرَّ علىٰ ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهانَ، وأقام عليهم الحجة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾، ثم أعلن بعبادتِه لله وتوحيدِه له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، ووصف الله تعالىٰ بوصفٍ يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتجَّ بالأُفول دون الطُّلوع، وكلاهما دليلٌ علىٰ الحدوث؛ لأنهما انتقالٌ من حال إلىٰ حال؟ **فالجواب**: أن الأفولَ أظهرُ في الدلالة؛ لأنه انتقالٌ مع اختفاءٍ[1] واحتجاب[2].

(٨١) ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل: أتحاجونَنِي -بنونين-. وقرئ **بالتشديد**[3]؛ علىٰ إدغام إحداهما في الأخرىٰ، **وبالتخفيف**؛ علىٰ حذف إحداهما، واختُلف هل حذفت الأولىٰ أو الثانية؟

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ ﴿مَا﴾ هنا بمعنىٰ: «الذي»، ويريد بها: الأصنام، وكانوا قد خوَّفوه أن تصيبَه أصنامُهم بضُرٍّ، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يَقدِرون علىٰ شيء.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ استثناءٌ منقطع بمعنىٰ: «لكن»؛ أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئًا.

---

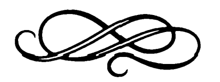
(١) في ب، ج، هـ: «خفاءٍ».

(٢) [**التعليق ٥٢**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله: «.. ثم أقام عليهم الحجةَ بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادةَ المتغيِّرين؛ لأن التغيُّر دليلٌ علىٰ الحدوثِ، إلخ، أقول: عليه في هذا الكلام مأخذان:
أحدهما: تفسير الأفول بالتغيُّر، وهو من التَّفسيرِ باللازم؛ فإنَّ أفَلَ في اللغة بمعنىٰ: غاب، والأُفُولُ هو: الغيابُ بعْدَ الظُّهور، فعليه؛ يكون ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: الغائبين بعد الظهور.
الثاني: جزمُه بأنَّ كلَّ متغيِّرٍ محدَثٌ؛ فيقتضي ذلك نفيَ التغيُّرِ عن اللهِ، وابنُ جزي وأمثالُه يطلقون نفيَ التغيُّرِ عنِ الله بهذه الشُّبهة، والصواب أنَّ التَّغيُّرَ مِن الألفاظِ المحدَثةِ المجمَلَةِ التي لا تجوز إضافتُها إلىٰ الله، لا نفيًا ولا إثباتا، إلا بعد الاستفصال عن مُرادِ المتكلِّمِ بها؛ فإنْ أرادَ حقًّا قُبِل، وإنْ أرادَ باطلًا رُدَّ، وإن أرادهما؛ مُيِّزَ الباطلُ مِن الحقِّ.
فعلىٰ هذا؛ إنْ أُريد بالتغيُّر: قيامُ الأفعالِ الاختياريَّةِ بِهِ سبحانه؛ فالنفيُ باطلٌ، والإثباتُ حقٌّ، وإنْ أُريد بالتغيُّر: النقصُ بعدَ الكمالِ في ذاتِه تعالىٰ وصفاتِه = فالنَّفيُ حقٌّ، والإثباتُ باطلٌ، وابنُ جزي وأمثالُهُ هُمْ مِن نُفاة الصِّفاتِ الفعليَّةِ في الجُملَة.

(٣) قرأ نافع وابن عامر بخُلْفٍ عن هشام بتخفيف النون، وقرأ الباقون بتشديدها.

﴿٨٢﴾ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءَكم الذين لا يَقدِرون على شيء، وأنتم لا تخافون ما فيه كلُّ خوفٍ؛ وهو إشراككم بالله؟ فأنتم تنكرون عليَّ الأمنَ في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ﴾ يعني: فريقَ المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ. وقيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ استئنافٌ، وليس من كلام إبراهيم.

﴿٨٣﴾ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يَظْلِمْ نفسَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٢]»[1].



(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤) عن ابن مسعود ﷺ.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّآءَ
وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ
بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ
ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٨٣﴾ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما تقدَّم من استدلاله واحتجاجه.

﴿٨٤﴾ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير: لنوح، أو إبراهيم ﷺ، والأول هو الصحيح؛ لِذِكْر لوطٍ؛ وليس من ذرية إبراهيم.

﴿دَاوُۥدَ﴾ عطف علىٰ ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وهدينا داودَ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَعِيسَىٰ﴾ فيه دليلٌ علىٰ أن أولاد البنات يقال لهم: ذرية؛ لأن عيسىٰ ليس له أبٌ؛ فهو ابن بنتِ نوح.

﴿٨٧﴾ ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع نصب؛ عطفًا علىٰ ﴿كُلًّا﴾؛ أي: وهدينا بعضَ آبائهم.

﴿٨٩﴾ ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهلُ مكة.

﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم: الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كلُّ مؤمن. والأول أرجح؛ لدلالة ما بعده علىٰ ذلك. ومعنىٰ توكيلهم بها: توفيقُهم للإيمان بها والقيامِ بحقوقها.

﴿٩٠﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ إلىٰ الأنبياء المذكورين.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ استدلَّ به من قال: إن شرع مَن قبلنا شرعٌ لنا. **فأما أصول الدين** من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فاتفقت فيه جميع الشرائع. **وأما الفروع** ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف: هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للوقف؛ فينبغي أن تَسقُط في الوصل(١)، ولكنَّ من أثبتها فيه راعىٰ ثبوتها في خطِّ المصحف.



(١) أسقطها في الوصل حمزة والكسائي، وأثبتها الباقون.

*وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٥﴾

﴿٩٢﴾ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حقَّ معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم؛ إذ أنكروا بَعْثَهُ للرسل وإنزالَه للكتب. **والقائلون هم**: اليهود؛ بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغةً في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي أن الذي قالها منهم مالك بن الصَّيْف(١)، فردَّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بدَّ لهم من الإقرار به؛ وهو إنزال التوراة علىٰ موسىٰ ﷺ. **وقيل**: القائلون قريش، وأُلزِموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرِّين بالتوراة.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ **الخطاب**: لليهود، أو لقريش؛ علىٰ وجه إقامة الحجة والردِّ عليهم في قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾. **فإن كان لليهود**: فالذي عُلِّموه: التوراة. **وإن كان لقريش**: فالذي عُلِّموه: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب: ﴿مَنْ أَنزَلَ﴾، واسم ﴿ٱللَّهُ﴾: مرفوعٌ بفعل مضمر؛ تقديره: أنزله الله، أو مرفوع بالابتداء.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٩٣-٣٩٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٢) عن سعيد بن جبير. وأخرجه الطبري (٩/ ٣٩٤) عن عكرمة.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطفٌ على صفة الكتاب(١).

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أم القرىٰ: لأنها مكان أوَّلِ بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دُحِيت منها، ولأنها يَحُجُّ إليها أهلُ القرىٰ من كل فجٍّ عميق .

﴿٩٣﴾ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ هو مُسيلِمة وغيره من الكذَّابين الذين ادَّعوا النبوَّة.

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو النَّضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف؛ تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا. و﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: مَن تقدَّم ذكره من اليهود والكذَّابين والمستهزئين؛ فتكون اللام للعهد، أو أعمُّ من ذلك؛ فتكون للجنس.

﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديَهم إلىٰ الكفار، يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾، وهذه عبارةٌ عن التَّعنيف في السِّياق، والشدَّة في قبض الأرواح.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يَحتمل أن يريد: ذلك(٢) الوقتَ بعينِه، أو الوقتَ الممتدَّ من حينئذٍ إلىٰ الأبد. ﴿ٱلْهُونِ﴾ الذِّلة.

﴿٩٤﴾ ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين: عن أموالكم وأولادكم، أو عن شركائكم.

والأول يترجَّح بقوله(٣): ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾؛ أي: ما أعطيناكم من الأموال والأولاد. ويترجَّح الثاني بقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾.

﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تفرَّق شَملُكم. ومن قرأه بالرفع(٤): أسند الفعل إلىٰ الظَّرف واستعمله استعمال الأسماء، أو يكون البَيْن بمعنىٰ الفُرْقة، أو بمعنىٰ الوَصْل. ومن قرأه بالنصب: فالفاعل: مصدرُ الفعل، أو محذوفٌ؛ تقديره: تقطع الاتِّصال بينكم.

---

(١) كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديقِ ما تقدَّمه من الكتب والإنذارِ. الكشاف (٦/ ١٦٣).

(٢) في ب، د، هـ: «بذلك».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٤) قرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون، وقرأ الباقون بالرفع.

*إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ ٱلَّيْلِ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ
تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ
وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ
نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ
إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
﴿١٠٢﴾ *لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

﴿٩٥﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أي: يَفلِق الحبَّ تحت الأرض؛ لخروج النبات منها، ويفلق النوىٰ؛ لخروج الشجر منها. وقيل: أراد الشِّقَّين اللذينِ في النواة والحِنطة، **والأول أرجح**؛ لعمومه في أصناف الحبوب.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ تقدَّم في «آل عمران»[1].

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿فَالِقُ﴾.

﴿٩٦﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: الصبح؛ فهو مصدر سُمِّي به الصبح، ومعنىٰ فَلْقِه: إخراجه من الظلمة. وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالقُ ظلمةِ الإصباح.

﴿سَكَنًا﴾ أي: يُسكَنُ فيه عن الحركات ويُستَراحُ.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: يُعلَم بهما حساب الأزمان والليل والنهار.

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٧).

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ ما أحسنَ ذِكْرَ هذين الاسمين هنا! لأن العزيز يغلِب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخَّرهما كيف شاء، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة.

﴿٩٨﴾ ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلمات إليهما لملابستها[1] لهما، أو شبَّه الطرق المشتبهة بالظلمات.

﴿٩٩﴾ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَن كسَر القاف مِن ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾[2]: فهو اسم فاعل، و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقِرٌّ ومستودَع.

ومَن فتَحها: فهو اسم مكان أو مصدر، و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ مثله، والتقدير علىٰ هذا: لكم مستقَرٌّ ومستودَع. والاستقرار: في الرَّحِم، والاستيداع: في الصُّلْب. وقيل: الاستقرار: فوق الأرض، والاستيداع: تحتها.

﴿١٠٠﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ الضمير يعود علىٰ الماء.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائدٌ علىٰ النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أي: أخضر غضًّا، وهو ما يتولَّد من أصل النبات من الفِرَاخ.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد علىٰ الخضِر.

﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني: السُّنبلَ؛ لأن حبَّه بعضه علىٰ بعض، وكذلك الرُّمان وشبهها.

﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قِنْوٍ، وهو العنقود من التمر. وهو مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل. والطَّلع: أول ما يخرج من التمر في أكمامه.

﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبةٌ سهلة للتناول، وقيل: قريب بعضها من بعض.

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب؛ عطفًا علىٰ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وقرئ -في غير السبع- بالرفع[3]؛ عطفًا علىٰ ﴿قِنْوَانٌ﴾.

---

(١) في د: «لمناسبتها».
(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتحها.
(٣) هي قراءة الأعمش ومحمد بن أبي ليلىٰ. المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٩).

﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ **نَصْبٌ علىٰ الحال** مِن ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ ، أو من كلِّ ما تقدَّم من النبات. **والمشتبه والمتشابه بمعنًىٰ واحدٍ**؛ أي: مِن النبات ما يشبه بعضُه بعضًا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضًا، وفي ذلك دليلٌ قاطع علىٰ الصانع المختار القدير[1] العليم الـمُريد.

﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي: انظروا إلىٰ ثمره أوَّلَ ما يخرج ضعيفًا لا منفعة فيه، ثم يُنقَل من حال إلىٰ حال حتىٰ يَيْنَعَ؛ أي: يَنضَجَ ويطيب.

(١٠٠) ﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ **نَصْبُ** ﴿ٱلْجِنَّ﴾ **علىٰ أنه: مفعولٌ أول لـ** ﴿وَجَعَلُواْ﴾، و ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ ثانٍ، وقُدِّم لاستعظام الإشراك. أو ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول أول، و ﴿لِلهِ﴾ في موضع المفعول الثاني، و﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾. **والمراد بهم هنا**: الملائكةُ؛ وذلك ردٌّ علىٰ من عبدهم، **وقيل**: المراد الجن، والإشراك بهم: طاعتهم.

﴿وَخَلَقَهُمْۖ﴾ الواو للحال، والمعنىٰ الردُّ عليهم؛ أي: جعلوا لله شركاء وهو خلقهم. **والضمير عائد**: علىٰ الجنِّ، أو علىٰ الجاعلين؛ والحجة قائمةٌ علىٰ الوجهين.

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ أي: اختلقوا وزوَّروا، والبنين قول النصارىٰ في المسيح، وقول اليهود في عُزير، والبنات قول العرب في الملائكة.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ أي: قالوا ذلك بغير دليل؛ بل مجرَّد افتراءٍ.

(١٠١) ﴿بَدِيعُ﴾ ذُكِر معناه في «البقرة»[2]، ورفعه علىٰ أنه: خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ، أو مبتدأٌ وخبره: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ ، أو فاعلُ ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ .

والقصد به الردُّ علىٰ مَن نَسب لله البنين والبنات؛ وذلك من وجهين: أحدهما: أن الولد لا يكون إلَّا من جنس والده، والله تعالىٰ متعالٍ عن الأجناس؛ لأنه مُبدِعُها، فلا يصحُّ أن يكون له ولد. **والآخر**: أن الله خلق السماوات والأرض، ومن كان هكذا فهو غنيٌّ عن الولد وعن كل شيء.

---

(١) في ب، ج، هـ: «العزيز».

(٢) انظر تفسير الآية (١١٦).

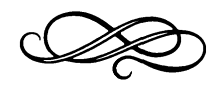
(١٠٣) ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبَّبٌ عن مضمون الجملة؛ أي: مَن كان هكذا فهو المستحِقُّ للعبادة وحده.

(١٠٤) ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني: في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فالحقُّ أن المؤمنين يرون ربهم؛ بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقد جاءت في ذلك أحاديثُ صحيحةٌ صريحة المعنىٰ، لا تحتمل التأويل.

وقالت الأشعرية: إن رؤية الله تعالىٰ في الدنيا جائزةٌ عقلًا؛ لأن موسىٰ ﷺ سألها من الله، ولا يسأل موسىٰ ما هو محال. وقد اختَلف الناس هل رأىٰ رسول الله ﷺ ربَّه ليلةَ الإسراء أم لا؟

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ **قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك**: أن الإدراك يتضمَّن الإحاطةَ بالشيء والوصولَ إلىٰ غايته؛ فلذلك نفَىٰ أن تُدرِك أبصارُ الخلق ربَّهم، ولا يقتضي ذلك نفيَ الرؤية؛ وحَسُن علىٰ هذا قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ لإحاطة علمه تعالىٰ بالخفيَّات.

﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: لَطُفَ عن أن تدركه الأبصار، وهو الخبير بكل شيء؛ فهو يدرك الأبصار.



قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَآ
أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ
أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾
* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿١٠٤﴾ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ جمع بصيرة؛ وهي نور القلب، والبصر نور العين. وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: ليقولوا؛ صرفنا الآيات.

﴿دَرَسْتَ﴾[1] -بإسكان السين وفتح التاء-؛ أي: درستَ العلم وقرأته. و ﴿دَارَسْتَ﴾ -بالألف-؛ أي: دارستَ العلماء وتعلَّمت منهم. و ﴿دَرَسَتْ﴾ -بفتح السين وإسكان التاء-؛ بمعنى: قدُمَتْ هذه الآيات ودَثَرَتْ.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ الضمير للآيات، وجاء مذكَّرًا؛ لأن المراد بها القرآن.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدْعونك إليه، أو عن مجادلتهم فهو مُحْكَم، وإن كان: أعرض عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ. وكذلك: ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و ﴿بِوَكِيلٍ﴾.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسْتَ﴾ وإسكان السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر ﴿دَرَسَتْ﴾ بفتح السين وإسكان التاء، وقرأ الباقون ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف وبإسكان السين وفتح التاء.

(١٠٩) ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تسبُّوا آلهتهم فيكون ذلك سببًا لأن يسبوا الله. واستدلَّ المالكية بهذا على سدِّ الذرائع.

(١١٠) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يُدرِيكم؛ وهو من الشُّعور بالشيء، و«ما»: نافيةٌ، أو استفهامية.

﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مَن قرأ بفتح ﴿أَنَّهَا﴾[1]: فهو معمولُ ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها؟! نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه. وقيل: ﴿لَا﴾ زائدة؛ والمعنى: ما يُشعِركم أنهم يؤمنون. وقيل: «أنَّ» هنا بمعنى «لعلَّ». ومَن قرأ بالكسر: فهي استئنافُ إخبارٍ، وتمَّ الكلام في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يشعركم ما يكون منهم. فعلى القراءة بالكسر: يوقف على ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾.

وأما على القراءة بالفتح: فإن كانت «أنَّ» مصدرية لم يوقف عليه؛ لأنه عاملٌ فيها. وإن كانت بمعنى «لعلَّ»: فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخُنا أبو جعفر ابنُ الزبير؛ لما في «لعلَّ» من معنى التَّعليل.

(١١١) ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ أي: نطبعُ عليها ونصدُّها عن الفهم فلا يفقهون.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ الكاف للتعليل؛ أي : نطبع على أفئدتهم وأبصارهم؛ عقوبةً لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرةٍ. ويَحتمل أن تكون للتشبيه؛ أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثلَ ما طبَعنا عليها أول مرة.

(١١٢) ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم في قسَمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها؛ أي: لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكلَّ آية لم يؤمنوا إلَّا أن يشاء الله.

﴿قِبَلًا﴾ -بكسر القاف وفتح الباء[2]-؛ أي: معاينةً، فنَصْبُه على الحال. وقرئ بضمتين؛ ومعناه: مواجهةً؛ كقوله: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦]، وقيل: هو جمع قَبِيلٍ بمعنى كفيل؛ أي: كُفَلاءَ بتصديق رسول الله ﷺ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بخلف عنه بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بالفتح.
(٢) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بضمهما.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَٰطِينَ ٱلإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ
ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً
وَهُوَ ٱلذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلاً وَالذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن
رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَٰتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ
لِكَلِمَٰتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٦﴾ وَإِن تُطِعَ اَكْثَرَ مَن فِي ٱلأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَّضِلُّ عَن سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ إِسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِ مُومِنِينَ ﴿١١٩﴾
وَمَا لَكُمُ أَلاَّ تَاكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ إِسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلاَّ مَا
اَضْطُرِرْتُمُ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ
﴿١٢٠﴾ *وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢١﴾
وَلاَ تَاكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ إِسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنَ اَطَعْتُمُوهُمُ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ بالتأسِّي بغيره.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلإنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: المتمرِّدين من الصنفَين، ونَصْبُ ﴿شَيَٰطِينَ﴾: على البدل من ﴿عَدُوّاً﴾؛ إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول، و﴿عَدُوّاً﴾ مفعول ثان.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يوسوس ويُلقِي الشرَّ. ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما يزيِّنه من القول.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائدٌ: على وحْيهم، أو على عداوة الكفار.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيدٌ. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «ما» في موضع نصب؛ على أنها: مفعولٌ معه، أو عطفٌ على الضمير.

﴿١١٤﴾ ﴿وَلِتَصْغِيَ﴾ أي: تميلَ، وهو متعلِّق بمحذوف[1]، واللام لام الصيرورة.

(١) تقديره: ليكون ذلك -أي: الصَّغْوَ- جعلنا لكل نبيٍّ عدوًا. الكشاف (٦/ ٢١٨).

﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ يكتسبوا.

(١١٥) ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ معمولٌ لقول محذوف؛ أي: قل لهم.

(١١٦) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: صحَّتْ، والكلمات: ما نزَّل على عباده من كتبه.

﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ أي: صدقًا فيما أخبر، وعدلًا فيما حكَم.

(١١٩) ﴿وَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر: إباحةُ ما ذُكِر اسم الله عليه، والنهيُ عما ذبح للنُّصُب وغيرها، وعن الميتة، وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرَّح به في قوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

وقد استدلَّ بذلك مَن أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليلٌ على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك. وقال عطاء: هذه الآية أمرٌ بذكر الله على الذبح والأكل والشرب[١].

(١٢٠) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ﴾ المعنى: أيُّ غرَضٍ لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه وقد بيَّن لكم الحرام من الحلال؟ ﴿إِلاَّ مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناءٌ مما حرَّم.

(١٢١) ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظٌ يعمُّ أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر. وقيل: الظاهر: الأعمال، والباطن: الاعتقاد.

(١٢٢) ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ سببها: أن قومًا من الكفار قالوا: إنَّا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله -يعنون الميتة-![٢]

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٥١١-٥١٢).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٠)، وأبو داود (٢٨١٨)، وابن ماجه (٣١٧٣) عن عكرمة عن ابن عباس، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٢٩). وأخرجه الطبري (٩/ ٥٢٣)، والنسائي (٤٤٤٩)، والحاكم (٧٥٧٣) وصححه ووافقه الذهبي، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس.

أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِي بِهِۦ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي الظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ *لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٣﴾ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ **الموت هنا**: عبارةٌ عن الكفر، **والإحياء**: عبارة عن الإيمان، **والنور**: نور الإيمان، **والظلمات**: الكفر؛ فهي استعاراتٌ. **وفي قوله**: ﴿مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ مطابقةٌ؛ وهي من أدوات البيان.

ونزلت الآية في عمار بن ياسر ﵁[1]، **وقيل**: في عمر بن الخطاب ﵁[2]. **والذي في الظلمات**: أبو جهل. ولفظها أعمُّ من ذلك.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ **مثَل هنا**: بمعنى صفة، **وقيل**: هو زائدٌ؛ والمعنى: كمن هو.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ﴾ **أي**: كما جعلنا في مكة أكابرَها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكَر الأكابرَ؛ لأن غيرهم تبَعٌ لهم، والمقصود: تسلية النبي ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣٤) وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨١) عن عكرمة.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣٣) وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨١) عن الضحاك، وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨١) عن زيد بن أسلم.

﴿مُجْرِمِيهَا﴾ **إعرابُه**: مضافٌ إليه عند الفارسي وغيره. **وقال ابن عطية** وغيره: **إنه مفعولٌ** أول لـ﴿جَعَلْنَا﴾، و﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّم[1]، **وهذا جيدٌ في المعنىٰ ضعيفٌ في العربية**؛ لأن ﴿أَكَٰبِرَ﴾ جمع أكبر وهو مِن أفعل؛ فلا يستعمل إلَّا بـ«مِن» أو بالإضافة.

١٢٥ ﴿فَالُواْ لَن نُّومِنَ﴾ الآيَةَ؛ **قال**[2] **هذه المقالة** أبو جهل، **وقيل**: الوليد بن المغيرة؛ لأنه قال: أنا أَولىٰ بالنبوة من محمد.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ردٌّ عليهم فيما طلبوه، والمعنىٰ: أن الله عَلِم أن محمدًا ﷺ أهلٌ للرسالة، فخصَّه بها، وعَلِم أنهم ليسوا بأهلٍ لها فحرَمهم إيَّاها. **وفي الآية من أدوات البيان: الترديد**؛ لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم ردَّه في أول كلامه.

﴿صَغَارٌ﴾ أي: ذِلَّةٌ.

١٢٦ ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ شَرْحُ الصدرِ، وضِيقُه، وحَرَجُه: ألفاظٌ مستعارة. **ومن قرأ** ﴿حَرَجاً﴾ -بفتح الراء-[3]: فهو مصدر وُصِف به.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كأنما يحاول الصعود في السماء، وذلك غير ممكن؛ فكذلك يصعب عليه الإيمان. وأصل ﴿يَصَّعَّدُ﴾ المشدد: يتصعَّد، وقرئ بالتخفيف[4].

١٢٨ ﴿دَارُ السَّلَٰمِ﴾ الجنة، **والسَّلام هنا يَحتمل أن يكون**: اسمَ الله، فأضافها إليه؛ لأنها مُلْكُه وخَلْقه، أو بمعنىٰ السلامة، أو التحية.

١٢٩ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في ﴿وَيَوْمَ﴾ محذوفٌ؛ **تقديره**: اذكر. **أو تقديره**: قلنا، ويكون -علىٰ هذا- عاملًا في ﴿وَيَوْمَ﴾ وفي ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ﴾.

﴿اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ﴾ أي: أَضْللتم منهم كثيرًا، وجعلتموهم أتباعَكم؛ كما تقول: استكثر الأمير من الجيش.

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٣).

(٢) في د: «قائل».

(٣) قرأ نافع وشعبة عن عاصم بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها.

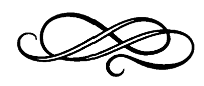
(٤) قرأ ابن كثير ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف، وقرأ شعبة عن عاصم: ﴿يَصَّاعَدُ﴾، وقرأ الباقون ﴿يَصَّعَّدُ﴾.

﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ **استمتاعُ الجنِّ بالإنس: طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن:** كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]؛ فإن الرجل كان إذا نزل واديًا قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي -يعني: كبيرَ الجن-.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ **قيل:** الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ فـ«ما» بمعنىٰ «مَن»؛ لأنها وقعت علىٰ صنف من الجن والإنس، والمستثنىٰ علىٰ هذا: مَن آمن منهم. **وقيل:** الاستثناء من مدَّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشْرِهم إلىٰ دخول النار. **وقيل:** الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزَّمهريرَ. **وقيل:** ليس المراد بالاستثناء هنا الإخراج، وإنما هو علىٰ وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿١٢٩﴾ ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نجعل بعضهم وليًّا لبعض. **وقيل:** نُتْبِعُ بعضَهم بعضًا في دخولهم النارَ. **وقيل:** نسلِّطُ بعضَهم علىٰ بعض.



﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿١٣٠﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ تقرير للجن والإنس؛ فقيل: إن الجن بُعِث فيهم رسلٌ منهم؛ لظاهر الآية. وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة؛ وإنما قال: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ لأنه جمَع الثقلين في الخطاب.

﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤]؛ لما تقدَّم هناك. **فإن قيل**: لم كرَّر شهادتهم علىٰ أنفسهم؟ **فالجواب**: أن قولهم: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ قولٌ قالوه هم، وقوله: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ذمٌّ لهم، وتقبيحٌ لحالهم.

﴿١٣١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: الأمر ذلك، أو مفعولٌ بفعل مضمر؛ تقديره: فعلنا ذلك. والإشارةُ إلىٰ بعث الرسل.

﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليلٌ لبعث الرسل. وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ذَٰلِكَ﴾.

﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: أن الله لم يكن ليُهلِكَ القرىٰ دون بعث رسل إليهم، فيكونَ إهلاكهم ظلمًا؛ إذ لم يُنذِرْهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

والآخر: أن الله لا يهلك القرىٰ بظلم إذا ظلموا دون أن يُنذرَهم؛ ففاعل الظلم -علىٰ هذا-: أهلُ القرىٰ. وغفلتهم: عدم إنذارهم. **حكىٰ الوجهين ابن عطية والزمخشري**[1]، والوجه الأول صحيحٌ[2] علىٰ مذهب المعتزلة، ولا يصحُّ علىٰ مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٣)، والكشاف (٦/ ٢٥٠).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

بغير ذنب لم يكن ظالمًا عندهم(١).

١٣٢ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: منازلُ في الجزاء على أعمالهم؛ من الثواب والعقاب.

١٣٣ ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ﴾ أي: مِن ذرية أهلِ سفينة نوح ﷺ، أو مَن كان قبلهم إلى آدم ﷺ.

١٣٥ ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة: التمكُّن.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ.

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يَحتمل أن تكون «مَن» موصولةً في موضع نصْبٍ على المفعولية، أو استفهاميةً في موضع رَفْعٍ بالابتداء.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: الآخرة، أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٤ - ٢٥].



---

(١) [التعليق ٥٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُه: «ولا يصحُّ على مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ»، يريدُ: الأشاعرةَ؛ فمِن مذهَبِهم: أنَّ كلَّ ممكنٍ جائزٌ على الربِّ فِعْلُهُ؛ فعندَهم: يجوز أن يعذِّبَ أولياءَه، وأن ينعِّمَ أعداءَه؛ فعليه: يجوزُ أن يعذِّبَ مَن شاءَ بغيرِ ذنبٍ، أو يعذِّبَهُ بذنبِ غيرِه.
ومنشأُ هذا المذهَبِ: هو أنَّ مَرَدَّ أفعالِ الله تعالى وشَرْعِهِ عندهم محضُ المشيئة؛ فلا حِكْمةَ ولا غايةَ في مفعولاتِهِ ومأموراتِه، والظلمُ عندَهم هو المستحيلُ لذاتِه؛ كالجمعِ بين النقيضَيْنِ؛ قال ابن القيِّم:
وَالظُّلْمُ عِنْدَهُمُ المُحَالُ لِذَاتِهِ ... أَنَّى يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟
وأمَّا الظلمُ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، فهو أن يعذِّبَ أحدًا بغيرِ ذنب، أو أن يعذِّبَهُ بذنبِ غيرِه، وقد حرَّم اللهُ تعالى ذلك على نَفْسِه؛ قال في الحديثِ القدسيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا» [أخرجه مسلم (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر الغِفَاري ﷺ]، وقد نزَّه اللهُ نَفْسَهُ عن الظلمِ في آياتٍ كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].
والظلمُ عند أهلِ السُّنَّةِ: مقدورٌ لله، لكنَّه لا يَفعَلُهُ؛ لكمالِ عدلِهِ وحكمتِه. وأمَّا الظلمُ عند الأشاعِرة: فهو غيرُ مقدورٍ له؛ لأنه عندهم من الممتنعِ لذاتِه. والمدحُ والكمالُ إنما يكونُ في تركِ الظلمِ مع القُدْرةِ عليه.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ
وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ
وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ
ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا
رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿١٣٦﴾ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الضمير في ﴿وَجَعَلُواْ﴾ لكفار العرب. **قال السهيلي**: هم حيٌّ من خَوْلانَ، يقال لهم: الأَدِيم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبًا لله ونصيبًا لأصنامهم(١).

ومعنىٰ ﴿ذَرَأَ﴾: خلَق وأنشأ؛ ففي ذلك ردٌّ عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا ربَّ غيره.

﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم: في الكذب. وقرئ بفتح الزاي وضمها(٢)، وهما لغتان.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ؛ كانوا إذا هبَّت الريح فحملت شيئًا من الذي لله إلىٰ الذي للأصنام أقرُّوه، وإذا حملت شيئًا من الذي للأصنام إلىٰ الذي لله ردُّوه، وإذا أصابتهم سَنَةٌ أكلوا نصيب الله، وتحامَوا نصيب شركائهم.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠٥).
(٢) قرأ الكسائي بضم الزاي، وقرأ الباقون بفتحها.

١٣٧ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوَأْدِ، ويذبحونهم تقرُّبًا إلىٰ الأصنام.

و﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هنا: هم الشياطين، أو القائمون علىٰ الأصنام. وقرأ الجمهور بفتح الزاي من ﴿زَيَّنَ﴾ علىٰ البناء للفاعل، ونَصْب ﴿قَتْلَ﴾ علىٰ أنه مفعول، وخَفْض ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالإضافة، ورَفْع ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ علىٰ أنه فاعل بـ﴿زَيَّنَ﴾. والشُّركاء علىٰ هذه القراءة: هم الذين زيَّنوا القتل.

وقرأ ابن عامر[1]: بضم الزاي علىٰ البناء للمفعول، ورفْع ﴿قَتْلُ﴾ علىٰ أنه مفعول لم يسمَّ فاعلُه، ونصْب ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ علىٰ أنه مفعول بـ﴿قَتْلُ﴾، وخفض ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ علىٰ الإضافة إلىٰ ﴿قَتْلُ﴾ إضافة المصدر إلىٰ فاعله، وفُصِلَ بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾، وذلك ضعيفٌ في العربية، وقد سُمِع في الشعر. والشُّركاء علىٰ هذه القراءة: هم القاتلون للأولاد.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليُهلِكوهم، وهو مِن الرَّدَىٰ بمعنىٰ الهلاك.

١٣٨ ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حرامٌ، وهو فِعْل بمعنىٰ مفعولٍ، نحو ذِبْح، فيستوي في الوصف به المذكَّرُ والمؤنث والواحد والجمع.

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: لا يأكلها إلَّا من شاؤوا؛ وهم: القائمون علىٰ الأصنام، أو الرجال دون النساء.

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: لا تُركَبُ، وهي السائبة وأخواتها.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه: لا يُحَجُّ عليها؛ فلا يُذكَر اسم الله بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذُبِحت.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قسَّموا أنعامهم هذه الأقسام، ونسَبوا ذلك إلىٰ الله افتراءً وكذبًا. ونصْبُه: علىٰ الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكِّد.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «ابن عباس» والمثبت هو الصواب. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٨).

(١٤٠) ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾ الآيةَ؛ كانوا يقولون في أجنَّة البَحيرة والسائبة: ما وُلِد منها حيًّا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء، وما وُلِد منها ميتًا اشترك فيه الرجال والنساء.

وأنَّث ﴿خَالِصَةٞ﴾ للحمل على المعنىٰ؛ وهي الأجنَّة، وذكَّر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملًا علىٰ لفظ «ما». ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

(١٤١) ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: البَحيرةَ والسائبة وشبهَهما.



وَهُوَ ٱلذِےٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعْرُوشَٰتٖ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٖ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً اُكْلُهُۥ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٖۖ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حِصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۖ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ اُ۬لْمُسْرِفِينَۖ ﴿١٤٢﴾ وَمِنَ اَ۬لْأَنْعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرْشاًۖ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اُ۬للَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ اِ۬لشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞۖ ﴿١٤٣﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٖۖ مِّنَ اَ۬لضَّأْنِ اِ۪ثْنَيْنِ وَمِنَ اَ۬لْمَعْزِ اِ۪ثْنَيْنِۖ قُلَ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ اِ۬لْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اَ۪شْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ اُ۬لْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِے بِعِلْمٍ اِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَۖ ﴿١٤٤﴾ وَمِنَ اَ۬لْإِبِلِ اِ۪ثْنَيْنِ وَمِنَ اَ۬لْبَقَرِ اِ۪ثْنَيْنِۖ قُلَ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ اِ۬لْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اَ۪شْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ اُ۬لْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ وَصَّيٰكُمُ اُ۬للَّهُ بِهَٰذَاۖ فَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنِ اِ۪فْتَر۪يٰ عَلَى اَ۬للَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ اَ۬لنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ اِنَّ اَ۬للَّهَ لَا يَهْدِے اِ۬لْقَوْمَ اَ۬لظَّٰلِمِينَۖ ﴿١٤٥﴾

﴿١٤٢﴾ ﴿جَنَّٰتٖ مَّعْرُوشَٰتٖ﴾ مرفوعاتٍ على دعائمَ وشبهِها، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٖ﴾ متروكاتٍ على وجه الأرض. وقيل: **المعروشات**: ما غرَسه الناس في العمران، **وغير معروشات**: ما أنبته الله في الجبال والبراري.

﴿مُخْتَلِفاً اُكْلُهُۥ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليلٌ على أن الخالق مختارٌ مُريد.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حِصَادِهِۦ﴾ **قيل**: ﴿حَقَّهُۥ﴾ هنا: الزكاة، وهو ضعيفٌ؛ لوجهين: **أحدهما**: أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. **والآخر**: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم[1] ضمِّ الحبوب والثمار.

وقيل: ﴿حَقَّهُۥ﴾ ما يتصدّق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبًا ثم نُسِخ بالعُشر. **وقيل**: هو ما يَسقط من السُّنبل، والأمر على هذا للندب.

﴿١٤٣﴾ ﴿حَمُولَةٗ وَفَرْشاًۖ﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٖ﴾. **والحَمولة**: الكبار، **والفَرْش**: الصغار؛ كالعجاجيل والفِصْلان. **وقيل**: **الحمولة**: الإبل؛ لأنها يُحمَل عليها، **والفرش**: الغنم؛ لأنها تُفْرَش للذبح، ويُفرَش ما ينسج من صوفها.

(١) في د: «بعد».

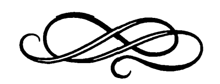
(١٤٤) ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾، وسمَّاها أزواجًا؛ لأن الذكر زوج للأنثىٰ، والأنثىٰ زوج للذكر.

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد: الذكرَ والأنثىٰ، وكذلك فيما بعده.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ يعني: الذكرَ من الضأن والذكر من المَعْز، ويعني بالأُنثيين: الأنثىٰ من الضأن، والأنثىٰ من المعْز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر. والهمزة للإنكار.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ تعجيزٌ وتوبيخ.

(١٤٥) ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: في تحريم[1] ما لم يحرِّم اللهُ، وذلك إشارةٌ إلىٰ العرب في تحريمهم أشياء كالبَحيرة وغيرها.



(١) في د: «تحريمهم».

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمٗا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٖ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠﴾

١٤٥ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية تقتضي حصْرَ المحرَّمات فيما ذُكِر، وقد جاء في السنة تحريمُ أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحُمُرِ؛ فذهب قوم إلىٰ أن السنة نَسخت هذا الحصرَ. وذهب آخرون إلىٰ أن الآية وردت علىٰ سبب؛ فلا تقتضي الحصر. وذهب آخرون إلىٰ أن ما عدا ما ذُكِر إنما نُهِي عنه علىٰ وجه الكراهة، لا علىٰ وجه التحريم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوفٌ علىٰ المنصوبات قبله، وهو ما أُهِلَّ به لغير الله، سماه فسقًا؛ لتوغُّله في الفسق، وقد تقدَّم الكلام علىٰ هذه المحرمات في «البقرة»[1].

١٤٦ ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ هو ما له إِصبَعٌ من دابة أو طائر. قاله الزمخشري[2]. وقال ابن عطية: يراد به: الإبل والإِوَزُّ والنَّعام ونحوُه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، و[3]له

(١) انظر تفسير الآية (١٧٢).
(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٢٧٨).
(٣) في أ، ب: «أو».

ظفر[١]. وقال الماوردي مثله[٢].

وحكىٰ النقَّاش عن ثعلب: أن كل ما لا يَصيد فهو ذو ظُفر، وما يصيد فهو ذو مِخْلَب، وهذا غير مطَّرد؛ لأن الأسد ذو ظفر[٣].

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني: ما في الظهور والجُنوب من شحم.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعِر[٤]. وقيل: المَصَارِين والحشْوَة ونحوهما مما يتحوَّىٰ في البطن. وواحد حوايا حَوِيَّةٌ؛ علىٰ وزن فَعِيلة؛ فوزن حوايا علىٰ هذا فَعائِل؛ كصحيفة وصحائف.

وقيل: واحدها حاوِيَة؛ علىٰ وزن فاعِلة؛ فحوايا -علىٰ هذا- فواعِل؛ كضاربة وضوارب. وهو معطوفٌ علىٰ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، فهو من المستثنىٰ من التحريم.

وقيل: عطفٌ علىٰ الظهور؛ فالمعنىٰ: إلَّا ما حملت الظهور، أو حملت الحوايا. وقيل: عطفٌ علىٰ الشُّحوم؛ فهو من المحرَّم.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد: في جميع الجسد.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: فيما أخبَرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريضٌ بكذب مَن حرَّم ما لم يحرِّم الله.

﴿١٤٨﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن كذبوك فيما أخبرتَ به من التحريم فقل لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾؛ إذ لا يعاجلكم بالعقوبة علىٰ شدَّة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصيةٍ: ما أحلم الله! تريد: لإمهالِه عن مثل ذلك.

ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغترُّوا بسعة رحمته؛ فإنه لا يُرَدُّ بأسُه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٣).

(٢) انظر: تفسير الماوردي «النكت والعيون» (٣/ ١٨٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٣).

(٤) المباعر: جمع مبْعَرٍ، وهو مكان اجتماع البَعْر في البطن من كل ذي أربعٍ. لسان العرب (٥/ ١٣٨).

(١٤٩) ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ الآيةَ؛ **معناها:** أنهم يقولون: إنَّ شِرْكَهم وتحريمَهم لما حرَّموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجُّوا علىٰ صحة ذلك بإرادة الله له، وتلك نزْغةٌ[1] جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلَّفون مأمورون ألَّا يشركوا بالله، ولا يحرِّموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف.

ويَحتمل عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قولًا يقولونه في الآخرة علىٰ وجه التمنِّي أن ذلك لم يكن؛ كقولك إذا ندمتَ علىٰ شيء: لو شاء الله ما كان هذا؛ أي: تتمنىٰ أن ذلك لم يكن، **ويؤيد هذا:** أنه حَكىٰ قولهم بأداة الاستقبال، وهي السين؛ فذلك دليلٌ علىٰ أنهم يقولونه في المستقبل، وهي الآخرة.

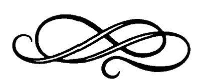
﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيفٌ لهم وتعجيز.

(١٥٠) ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ لما أبطل حجَّتهم أثبت حجة الله؛ ليَظهرَ الحقُّ ويَبطُلَ الباطلُ.

(١٥١) ﴿هَلُمَّ﴾ **قيل:** هي بمعنىٰ «هاتِ»؛ فهي متعدية، **وقيل:** بمعنىٰ «أَقبِلْ»؛ فهي غير متعدية. **وهي عند بعض العرب:** فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث. **وعند بعضهم:** اسم فعل؛ فيخاطَب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث علىٰ حدٍّ سَوَاءٍ.

ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة الشُّهداء.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كذَبوا في شهادتهم وزوَّروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.



(١) كذا بالغين في جميع النسخ، من قولهم: نَزْغُ الشيطان، أي: وسوستُه وإلقاؤه في القلب ما يُفسده علىٰ صاحبه. تاج العروس (٢٢/ ٥٨٠).

*قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٤﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾

﴿١٥٢﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيَّه ﷺ أن يدعوَ جميع الخلق إلىٰ سماع تلاوة ما حرَّم الله عليهم.

وذكَر في هذه الآيات المحرَّمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تُنسَخ قطُّ في ملة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الكلمات العشر التي أنزل الله علىٰ موسىٰ[1].

﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ﴾ قيل: «أن» هنا: حرف عبارة وتفسير؛ فلا موضع لها من الإعراب، و«لا» ناهية جَزمت الفعل. وقيل: «أن» مصدرية في موضع رفعٍ؛ تقديره: الأمر أن لا تشركوا؛ فـ«لا» علىٰ هذا نافية. وقيل: «أن» في موضع نصبٍ بدلًا من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ﴾، ولا يصحُّ ذلك إلَّا إن كانت «لا» زائدةً، وإن لم تكن زائدةً فسَد المعنىٰ؛ لأن الذي حرم علىٰ ذلك يكون ترْكَ الإشراك.

والأحسن عندي: أن تكون «أن» مصدرية في موضع نصب علىٰ البدل و«لا» نافية، ولا يَلزم ما ذُكِر مِن فساد المعنىٰ؛ لأن قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه: ما وصَّاكم به ربكم؛

(١) لم أقف علىٰ إسناده إلىٰ ابن عباس، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٠) بقوله: «وقد قيل: إنها العشر..» إلخ، ولم ينسبه لأحد.

بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ فضمَّن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعمُّ من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا يُنكَر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص.

فإذ تقرر هذا؛ فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصَّاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان؛ فقال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾؛ أي: وصَّاكم أن لا تشركوا به شيئًا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجَمعت الوصيةُ تركَ الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك.

ويؤيد هذا التأويل الذي تأوَّلنا: أن الآيات اشتملت على أوامرَ؛ كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء في الوزن، وعلى نواهي؛ كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدَّمُ في أولها لفظًا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أُجمِلت فيه، ثم فُسِّرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك: ذكر لفظ الوصية بعد ذلك.

وإن لم يتأوَّل على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكالٌ؛ وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طُلِب فعلُها، والنواهي طُلِب تركُها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصحُّ ذلك إلَّا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك.

وتَحتمل الآية(١) عندي تأويلًا آخر؛ وهو: أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعمُّ فعل المحرمات، وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجب حرامٌ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ الإملاق: الفاقة، و﴿مِّنْ﴾ هنا للتعليل؛ تقديرها: من أجل إملاق. وإنما نَهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب، فلا يُفهَم منه إباحةُ قتلهم لغير ذلك الوجه.

---

(١) في د: «أيضًا».

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ **قيل**: ﴿مَا ظَهَرَ﴾: الزنا، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: اتخاذ الأخدان. **والصحيح**: أن ذلك عمومٌ في جميع الفواحش.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ فسَّره قولُ رسول الله ﷺ: **«لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم إلَّا بإحدىٰ ثلاث: زنًا بعد إحصان، أو كفرٍ بعد إيمان، أو قتلِ نفس بغير نفس»**[(١)].

﴿١٥٢﴾ ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهيُ عن القُرب يعمُّ وجوه التصرُّف، وفيه سدُّ الذريعة؛ لأنه إذا نهىٰ عن أن يقرب[(٢)] المال فالنهي عن أكله أَولىٰ وأَحرىٰ. **والتي هي أحسن**: منفعة اليتيم وتثمير ماله.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرُّشد، وليس المقصود هنا السنَّ وحدَه، وإنما المقصود: معرفته بمصالحه.

﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولانقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقَّق الوصول إليه؛ أَمر بما في الوُسْع من ذلك، وعفا عما سواه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادةٍ أو غيرها من أهل قَرَابةِ القائل؛ فلا ينبغي أن يزيدَ ولا يَنقص، بل يَعدل.

﴿١٥٣﴾ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ **الإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾**: إلىٰ ما تقدَّم من الوصايا، أو إلىٰ جميع الشريعة. و«**أنَّ**» **بفتح الهمزة والتشديد**[(٣)]: عطفٌ علىٰ ما تقدَّم، أو مفعول من أجله؛ أي: فاتبعوه؛ لأن هذا صراطي مستقيمًا. **وقرئ بالكسر**؛ علىٰ الاستئناف. **وبالفتح والتخفيف**؛ علىٰ العطف، وهي علىٰ هذا مخفَّفة من الثقيلة.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧)، والنسائي (٤٠٣١)، والترمذي (٢١٥٨) وحسنه، وأبو داود (٤٥٠٢)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، والحاكم (٨٠٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث عثمان ﷺ. وهو في الصحيحين -البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)- من حديث ابن مسعود ﷺ بلفظ: «الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

(٢) في د: «عن قرب».

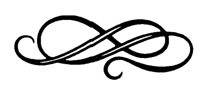
(٣) قرأ حمزة والكسائي ﴿وإِنَّ هذا﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وخفَّف ابن عامر النون ﴿وأَنْ هذا﴾، والباقون بتشديدها.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرقَ المختلفة في الدين؛ من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضًا: البدع والأهواء المضِلَّة. وفي الحديث: أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه كلُّها سبلٌ، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»[1].

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تُفَرِّقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل؛ حذفت منه تاء المضارعة، ولذلك شدَّده البزِّي[2].

﴿١٥٤﴾ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾. فإن قيل: فإن إيتاء موسىٰ الكتابَ متقدِّمٌ علىٰ هذه الوصية، فكيف عطَفه عليها بـ«ثم»؟ فالجواب: أن هذه الوصية قديمةٌ لكل أمة علىٰ لسان نبيها، فصحَّ الترتيب. وقيل: إنها هنا لترتيب الإخبار والقول، لا لترتيب الزمان.

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن المعنىٰ: تمامًا للنعمة علىٰ الذي أحسن من قوم موسىٰ، ففاعل ﴿أَحْسَنَ﴾ ضمير يعود علىٰ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ يراد به: جنس المحسنين. والآخر: أن المعنىٰ: تمامًا؛ أي: تفضُّلًا، أو جزاءً علىٰ ما أحسن موسىٰ ﷺ من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل علىٰ هذا ضمير موسىٰ ﷺ، و﴿ٱلَّذِىٓ﴾ صفة لعمل موسىٰ. والثالث: تمامًا؛ أي: إكمالًا علىٰ ما أحسن الله به إلىٰ عباده، فالفاعل[3] علىٰ هذا ضمير الله تعالىٰ.



(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٠٩)، وابن حبان (٦)، والحاكم (٣٢٤١) وصححه.
(٢) قرأ البزِّي عن ابن كثير: ﴿فتَّفرَّق﴾ بتشديد التاء، أصله: «فتتفرَّق»، وقرأ الباقون بالتخفيف.
(٣) في أ، ب، هـ: «فالعامل».

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ اَنزَلْنَٰهُ مُبَٰرَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٦﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٧﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوَ اَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن
كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي ٱلذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَ ـايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٨﴾ *هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَاتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَاتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَاتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ
يَوْمَ يَاتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً ايمَٰنُهَا لَمْ تَكُنَ ـامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ
إِيمَٰنِهَا خَيْراً قُلِ إِنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ ٱلذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي
شَيْءٍ اِنَّمَآ أَمْرُهُمُ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلِ اِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيَ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦٢﴾ دِيناً قَيِّماً مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلِ اِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِيَ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٥﴾ قُلَ اَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾
وَهُوَ ٱلذِے جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي
مَآ ءَاتَيٰكُمُۥٓ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿١٥٧﴾ ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن تقولوا.

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ أهلِ التوراة والإنجيل.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي: لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجَّة علينا، ﴿وَإِن﴾ هنا مخفَّفة من الثقيلة.

﴿١٥٨﴾ ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ إقامةُ حجة عليهم.

﴿وَصَدَفَ﴾ أعرضَ.

(١٥٩) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآيَةَ؛ تقدَّمت نظيرتها في «**البقرة**»[١].

﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أشراطُ الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذٍ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاصٍ. فقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْساً اِيمَٰنُهَا﴾ يعني: أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ. وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْراً﴾ يعني: أن مَن كان مؤمنًا ولم يَكسِب حسنات قبل ظهور تلك الآيات، ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذٍ.

﴿قُلِ اِنتَظِرُوٓاْ﴾ وعيدٌ.

(١٦٠) ﴿إِنَّ اَلذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارىٰ، وقيل: أهل الأهواء والبدع.وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: يا رسول الله ومن تلك الواحدة؟ قال: «من كان علىٰ ما أنا وأصحابي عليه»[٢]. وقرئ ﴿فَارَقُوا﴾[٣]؛ أي: تركوا.

﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ جمع شِيعَةٍ؛ أي: متفرِّقين، كلُّ فرقة تتشيَّع لمذهبها.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريءٌ منهم.

(١٦١) ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلٌ عظيم، علىٰ العموم في الحسنات، وفي العاملين، وهو أقلُّ التَّضعيف للحسنات؛ فقد ينتهي إلىٰ سبع مئة وأزيد.

(١٦٣) ﴿دِيناً قَيِّماً﴾ بدلٌ من موضع: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ لأن أصله: هداني صراطًا؛ بدليل: ﴿اِهْدِنَا اَلصِّرَٰطَ﴾، والقيِّم: فَيْعِل؛ مِن القيام، وهو أبلغ من قائمٍ. وقرئ ﴿قِيَماً﴾ بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها[٤]، وهو علىٰ هذا: مصدر وُصِف به.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدلٌ من ﴿دِيناً﴾، أو عطفُ بيان.

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي ﴿فَارَقُوا﴾ بالألف وتخفيف الراء، وقرأ الباقون ﴿فَرَّقُوا﴾ بغير ألف مع التشديد.

(٤) هذه قراءة ابن عامر والكوفيين، وقرأ الباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة.

(١٦٤) ﴿وَنُسُكِي﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل: حَجِّي. والأول أعمُّ وأرجح.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي.

﴿لِلَّهِ﴾ أي: خالصًا[١] لوجهه وطلب رضاه، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾؛ أي: لا أريد بأعمالي غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأصغر وهو الرياء. ويَحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأكبر.

(١٦٥) ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارةُ إلىٰ الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك.

﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابقُ أمتِه.

(١٦٦) ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ تقريرٌ وتوبيخ للكفار. وسببها: أنهم دعَوهُ إلىٰ عبادة آلهتهم.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهانٌ علىٰ التوحيد، ونفيُ الربوبية عن غير الله.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ ردٌّ علىٰ الكفار؛ لأنهم قالوا له: اعبدْ آلهتنا ونحن نتكفَّل لك بكل تِبَاعةٍ تتوقَّعُها في دنياك وأُخراك[٢]، فنزلت هذه الآية[٣]؛ أي: ليس كما قلتم، وإنما كَسْبُ كلِّ نفس عليها خاصةً.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يَحمل أحدٌ ذنوبَ أحد، وأصل الوِزر: الثِّقَل، ثم استُعمل في الذنوب.

(١٦٧) ﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفةٍ؛ أي: يَخلُف بعضكم بعضًا في السُّكنىٰ في الأرض. أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب علىٰ هذا: لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ؛ لأنهم خلَفُوا الأممَ المتقدمة.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عمومٌ في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد.

---

(١) في د: «خالصةً».

(٢) في د: «وآخرتك».

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٣/ ٥٠٧) عن النقاش، ولم أقف علىٰ إسناد له.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليختبرَ شُكْرَكم على ما أعطاكم، وأعمالَكم فيما مكَّنكم فيه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ جمعٌ بين التَّخويف والتَّرجية. وسُرْعة عقابه تعالىٰ: إما في الدنيا لمن عجَّل أَخْذَه، أو في الآخرة؛ لأن كلَّ آتٍ قريبٌ. ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته[1].



(١) في د زيادة: «تمت سورة الأنعام بعون الله وفضله، فله الحمد، وبتمامها كمل الكلام على الربع الأول من القرآن العظيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد الأمين المبلِّغ الهادي، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا».



سُورَةُ الأَعْرَافِ

﴿الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
١ اتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٢
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ٣ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ
جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ٥ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٦ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٧ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ٨﴾

(١) ﴿الٓمٓصٓ﴾ تكلَّمنا على حروف الهجاء في «البقرة». ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضيقٌ مِن تبليغه مع تكذيب قومك. وقيل: الحرج هنا: الشكُّ؛ فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] (١). ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلِّق بـ﴿أُنزِلَ﴾.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾ منصوبٌ على المصدرية بفعل مقدَّر(٢)؛ تقديره: لتنذر وتذكِّر ذكرى؛ لأن الذِّكرى بمعنى التَّذكير، أو مرفوعٌ؛ على أنه خبر ابتداءٍ مضمرٍ، أو مخفوضٌ؛ عطفًا على موضع ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ أي: للإنذار والذِّكرى.

(٢) ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكَّرون تذكُّرًا قليلًا، و﴿مَّا﴾ زائدةٌ؛ للتأكيد.

---

(١) وذكر في تفسير آية يونس تأويله، وهو أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره. قال أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ١٠) في آية الأعراف: «وفُسِّر الحرج هنا بالشك.. فيكون مما توجَّه فيه الخطاب إليه لفظًا، وهو لأمته معنًى، أي: فلا تشكُّوا أنه من عند الله».

(٢) في أ: «مضمر».

٣ ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب؛ تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها. وقيل: معناه: أردنا إهلاكها فجاءها بأسُنا؛ لأن مجيءَ البأس قبل الإهلاك، فلا يصحُّ عطفُه عليه بالفاء. ويَحتمل أن يكون ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ استئنافًا؛ علىٰ وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلىٰ تكلُّفٍ. والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف؛ بدليل: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ ﴿بَيَٰتًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال؛ بمعنىٰ: بائتين؛ أي: بالليل، و﴿قَآئِلُونَ﴾: من القائلة؛ أي: بالنهار. وقد أصاب العذابُ بعض الكفار المتقدِّمين بالليل، وبعضَهم بالنهار. و﴿أَوۡ﴾ هنا: للتنويع.

٤ ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلَّا للاعتراف بأنهم ظالمون. وقيل: المعنىٰ: أن دعواهم هنا: ما كانوا يدَّعونه من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك.

٥ ﴿أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أسند الفعل إلىٰ الجار والمجرور. ومعنىٰ الآية: أن الله يسأل الأمم عما أَجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أُجيبوا به.

٦ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم﴾ علىٰ الرسل والأمم.

٧ ﴿وَٱلۡوَزۡنُ﴾ يعني: وزنَ الأعمال. ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ أي: يومَ يُسأل الرسلُ وأممُهم؛ وهو يوم القيامة.

٨ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ أي: يكذِّبون بها ظلمًا.



وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۖ قَلِيلاٗ مَّا تَشْكُرُونَۖ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِ۪سْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن
مِّنَ اَ۬لسَّٰجِدِينَۖ ﴿١٠﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذَ اَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا خَيْرٞ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٖ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٖۖ ﴿١١﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجِ اِنَّكَ مِنَ
اَ۬لصَّٰغِرِينَۖ ﴿١٢﴾ قَالَ أَنظِرْنِيَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَۖ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ اَ۬لْمُنظَرِينَۖ ﴿١٤﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ اَ۬لْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَٰنِهِمْ
وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَۖ ﴿١٦﴾ قَالَ اَ۟خْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماٗ مَّدْحُوراٗۖ لَّمَن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمُۥٓ أَجْمَعِينَۖ ﴿١٧﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ اُ۟سْكُنَ اَنتَ وَزَوْجُكَ اَ۬لْجَنَّةَ
فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَاۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ اِ۬لشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ اَ۬لظَّٰلِمِينَۖ ﴿١٨﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا
اُ۬لشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَاۖ وَقَالَ مَا نَهَيٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ
اِ۬لشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ اَ۬لْخَٰلِدِينَۖ ﴿١٩﴾ *وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
اَ۬لنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَدَلَّيٰهُمَا بِغُرُورٖۖ فَلَمَّا ذَاقَا اَ۬لشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَٰنِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ اِ۬لْجَنَّةِۖ وَنَادَيٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمَ اَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا اَ۬لشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ
اَ۬لشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞۖ ﴿٢١﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ اَ۬لْخَٰسِرِينَۖ ﴿٢٢﴾ قَالَ اَ۪هْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمْ فِي اِ۬لْأَرْضِ مُسْتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ اِلَىٰ
حِينٖۖ ﴿٢٣﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَۖ ﴿٢٤﴾

﴿١٠﴾ ﴿خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ **قيل**: المعنىٰ: أردنا خَلْقَكم وتصويركم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، **وقيل**: خلقْنا أباكم[1]، ثم صوَّرناه، وإنما احتيج إلىٰ التأويل؛ ليصحَّ العطف.

﴿١١﴾ ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «لا» زائدة؛ للتأكيد. ﴿إِذَ اَمَرْتُكَ﴾ استدلَّ به بعض الأصوليين علىٰ أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب علىٰ ترك المبادرة للسجود.

---

(١) في د، وهامش أ زيادة: «آدم».

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليلٌ علَّلَ به إبليسُ امتناعَه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفَر إبليس؛ إذ ليس كفرُه كفرَ جحودٍ.

(١٣) ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من السماء.

(١٥) ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للتعليل؛ وهي تتعلق[1] بفعل قسم محذوف تقديره: أُقسِمُ بالله -بسبب إغوائك لي- لأُغوِيَنَّ بني آدم. و«ما»: مصدرية، وقيل: استفهامية؛ ويُبطِله ثبوت الألف في «ما» مع حرف الجر.

﴿صِرَٰطَكَ﴾ يريد: طريق الهدى والخير، وهو منصوبٌ على الظرفية.

(١٦) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ أي: من الجهات الأربع، وذلك عبارةٌ عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه. وقال ابن عباس ﵄: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: الحسنات، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: السيئات[2].

(١٧) ﴿مَذْءُومًا﴾ مِن ذَأَمَه -بالهمز-: إذا ذمَّه. ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: مطرودًا حيث وقع.

(١٩) ﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلَّم كلامًا خفيًّا يكرِّره؛ فمعنى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾: ألقى لهما هذا الكلام.

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ أي: ليُظهِر ما سُتر من عوراتهما. واللام في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ﴾: للتعليل؛ إن كان في انكشافهما غَرَضٌ لإبليس، أو للصَّيرورة؛ إن وقع ذلك بغير قصدٍ منه إليه.

﴿الشَّجَرَةِ﴾ ذكرت في «البقرة»[3]. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: كراهةَ أن تكونا ملكين. واستدلَّ به من قال: إن الملائكة أفضلُ من الأنبياء. وقرئ: «مَلِكَيْنِ» بكسر اللام[4]؛ ويقوِّي هذه القراءةَ قولُه: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١١٧].

---

(١) في أ، ب، هـ: «وهو متعلق».
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٩٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٤).
(٣) انظر تفسير الآية (٣٤).
(٤) هي قراءة ابن عباس ﵁ ويحيى بن كثير والضحاك. المحرر الوجيز (٣/ ٥٣٣).

(٢٠) ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلَف لهما إنه لمن الناصحين. وذكر قَسَم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين: لأنه اجتهد فيه، أو لأنه أَقسم لهما، وأقسَما له أن يَقبلا نصيحته.

(٢١) ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أي: أنزلهما إلىٰ الأكل من الشجرة.

﴿بِغُرُورٍ﴾ أي: غرَّهما بحَلِفِه لهما؛ لأنهما ظنَّا أنه لا يحلف كاذبًا.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: زال عنهما اللباس، وظهرت عوراتُهما، وكانا لا يَريانِها من أنفُسِهما، ولا أَحدُهما[١] من الآخَر، وقيل: كان لباسهما نورٌ يحول بينهما وبين النَّظر.

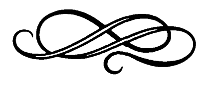
﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: يَصِلان بعضَه ببعض ليَستتِرَا بها.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء: بواسطة ملَك، أو بغير واسطة[٢].

(٢٢) ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعترافٌ، وطلبٌ للمغفرة والرحمة، وتلك[٣] الكلمات التي تاب الله عليه بها.

(٢٣) ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»[٤].

(٢٤) ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: في الأرض.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لأحدهما».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٨٤).

(٣) في د زيادة: «هي».

(٤) انظر تفسير الآية (٣٥).

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِے سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ قَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٩﴾

﴿٢٥﴾ ﴿لِبَاساً﴾ أي: الثيابَ التي تَستُر؛ ومعنى ﴿أَنزَلْنَا﴾: خلقنا. وقيل: المراد: أنزلنا ما يكون عنه اللباس؛ وهو[١] المطر. واستدلَّ بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة.

﴿وَرِيشاً﴾ أي: لباسَ الزينة؛ وهو مستعار من ريش الطائر.

﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ استعارَ للتقوى لباسًا؛ كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه. وقيل: لباس التقوى: ما يُتَّقَى به في الحرب من الدروع وشبهِها. وقرئ: بالرفع[٢] على الابتداء، وخبره: الجملة، وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارةُ إلى ما أنزل من اللباس. وهذه الآية واردةٌ على وجه الاستطراد عَقِيب[٣] ما ذكر من ظهور السَّوآت وخَصْف الورق عليهما؛ ليُبيِّن إنعامه بما[٤] خَلق من اللباس.

﴿٢٦﴾ ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: كان سببًا في نزْع لباسِهما عنهما. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني: في غالب الأمر، وقد استدلَّ به من قال: إن الجن لا يُرَوْن. وقد جاءت في رؤيتهم

(١) في أ، ب، هـ: «أي».
(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب السين، وقرأ الباقون بالرفع.
(٣) في د: «عقب».
(٤) في أ، ب، ج، هـ: «على ما».

أحاديث صحيحة، فتُحمَل الآية على الأكثر؛ جمعًا بينها وبين الأحاديث.

(٢٧) ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ **قيل**: هي ما كانت العرب تفعله من الطَّواف بالبيت عراةً؛ الرجالُ والنساء، **ويَحتمل** العمومَ في الفواحش.

﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ **اعتذروا بعذرين باطلين: أحدهما**: تقليد آبائهم، **والآخر**: افتراؤهم على الله.

(٢٨) ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ **قيل**: المراد إحضار النية، والإخلاص لله. **وقيل**: فعل الصلاة والتوجُّه فيها.

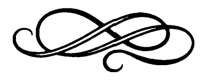
﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ **أي**: في كل مكان سجود، **أو**: كلِّ وقت سجود، **والأول أظهر**. **والمعنى**: إباحة الصلاة في كلِّ موضع؛ كقوله[١] ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجدًا»[٢].

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاجٌ على البعث الأخراوي بالبَدْأَة الأولى.

﴿فَرِيقًا﴾ **الأول**: منصوبٌ بـ﴿هَدَىٰ﴾، **والثاني**: منصوبٌ بفعل مضمر؛ يفسِّره ما بعده[٣].

(٢٩) ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ **قيل**: المراد به: الثياب الساترة، واحتجَّ به من أوجب ستر العورة في الصلاة. **وقيل**: المراد به: الزينةُ زيادةً على السَّتر، كالتجمُّل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يحرِّمون أشياء من المآكل. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة. وقال الأطباء: إن الطبَّ كلَّه مجموعٌ في هذه الآية[٤]. **وقيل**: لا تسرفوا بأكل الحرام.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٢) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقديره: وعذَّب فريقًا أو أضل فريقًا حقَّ عليهم. المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٧)

(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٣٧٢).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٢﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا
دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَتْ
أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٨﴾

﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكارٌ لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل. وكان بعض العرب إذا حجُّوا يُجرِّدون[1] الثياب ويطوفون عراةً، ويحرِّمون الشحم واللبن؛ فنزل ذلك ردًّا عليهم[2].

﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا: للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة: خالصةٌ لهم دون غيرهم. وقرئ ﴿خَالِصَةٌ﴾: بالنصب[3]؛ على الحال، والرفع؛ على أنه:

---

(١) في د: «يُحرِّمون».

(٢) تجريد الثياب والطواف عراة أخرجه الطبري (١١/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٦) عن ابن عباس ﷺ. وأما تحريم الشحم واللبن فأخرجه أبو الشيخ عن ابن زيد كما في الدر المنثور (٦/ ٣٧٥)، وأخرجه الطبري (١٠/ ١٥٥) عن السدي، قال: «إن الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودَك ما أقاموا بالموسم، فقال الله لهم: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾».

(٣) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

خبر بعد خبر، أو خبر ابتداءٍ مضمرٍ.

﴿٣١﴾ ﴿وَالْإِثْمَ﴾ عامٌّ في كل ذنب. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: تفتروا عليه في التَّحريم وغيره.

﴿٣٣﴾ ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة؛ للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكِّدة، وجواب الشرط: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الآيةَ.

﴿٣٥﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذُكِر في «**الأنعام**»[1].

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يصلُ إليهم ما كُتِب لهم من الأرزاق وغيرها.

﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا.

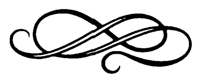
﴿٣٦﴾ ﴿ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ أي: ادخلوا النارَ في جملة أممٍ؛ أي: مع أمم.

﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا.

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ المراد بـ﴿أُولَىٰهُمْ﴾ : الرؤساء والقادة، و﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ : الأتباع والسَّفِلَة. **والمعنىٰ**: أن أُخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأُولاهم؛ لأنهم أضلوهم. **وليس المعنىٰ**: أنهم قالوا لهم ذلك خطابًا لهم، إنما هو كقولك: قال فلان لفلان كذا؛ أي: قاله عنه، وإن لم يخاطبْه به.

﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: لم يكن لكم علينا فضلٌ في الإيمان والتقوىٰ يوجب أن يكون عذابُنا أشدَّ من عذابكم، بل نحن وأنتم متساوون.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ مِن قول أُولاهم لأُخْراهم، أو من قول الله تعالىٰ لجميعِهم.



(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

إِنَّ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمُۥٓ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِے سَمِّ ٱلْخِيَاطِۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِے ٱلْمُجْرِمِينَۖ ﴿٣٩﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن
فَوْقِهِمْ غَوَاشٖۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِے ٱلظَّٰلِمِينَۖ ﴿٤٠﴾ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لاَ نُكَلِّفُ
نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَۖ ﴿٤١﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِے صُدُورِهِم مِّنْ
غِلّٖ تَجْرِے مِن تَحْتِهِمُ ٱلاَنْهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِے هَدَيٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ
هَدَيٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَۖ ﴿٤٢﴾ وَنَادَيٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنّ۪ارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ
وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاًۖ قَالُواْ نَعَمْۖ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمُۥٓ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٣﴾
ٱلذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَٰفِرُونَۖ ﴿٤٤﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٞۖ
وَعَلَى ٱلاَعْرَافِ رِجَالٞ يَعْرِفُونَ كُلاَّۢ بِسِيمِيٰهُمْۖ وَنَادَوَاْ اَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ لَمْ
يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَۖ ﴿٤٥﴾ *وَإِذَا صُرِفَتَ اَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ اَصْحَٰبِ ٱلنّ۪ارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا
مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَۖ ﴿٤٦﴾ وَنَادَيٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلاَعْرَافِ رِجَالاٗ يَعْرِفُونَهُم بِسِيمِيٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَيٰ
عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَۖ ﴿٤٧﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۖ
اُدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَۖ ﴿٤٨﴾ وَنَادَيٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنّ۪ارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ
أَنَ اَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۖ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾
ٱلذِينَ إِتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ فَالْيَوْمَ نَنسِيٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ
هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَۖ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلْنَٰهُ عَلَيٰ عِلْمٍ هُدىٗ
وَرَحْمَةٗ لِّقَوْمٖ يُومِنُونَۖ ﴿٥١﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَاوِيلَهُۥۖ يَوْمَ يَاتِے تَاوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ
قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلذِے كُنَّا
نَعْمَلُۖ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَۖ ﴿٥٢﴾

﴿٣٩﴾ ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمُۥٓ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ **فيه ثلاثة أقوال: أحدها:** لا يَصعَدُ عملُهم إلىٰ السماء. **والثاني:** لا يدخلون الجنة؛ فإن الجنة في السماء. **والثالث:** لا تفتَّح أبواب السماء لأرواحهم -إذا ماتوا- كما تفتَّح لأرواح المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ أي: حتىٰ يدخلَ الجمل في ثُقْبِ الإبرة. **والمعنىٰ:** لا يدخلون الجنة حتىٰ يكونَ ما لا يكونُ أبدًا، فلا يدخلونها أبدًا.

(٤٠) ﴿مِهَادٌ﴾ فراشٌ. ﴿غَوَاشٍ﴾ أغطيةٌ.

(٤١) ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملةُ اعتراضٍ بين المبتدإ والخبر؛ ليبيِّن أنه إنما طَلب من الأعمال الصالحة ما في الوُسع والطاقة.

(٤٢) ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: مَن كان في صدره غِلٌّ لأخيه في الدنيا نُزِع منه في الجنة، وصاروا إخوانًا أحبابًا. وإنما قال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقُّق وقوعه في المستقبل، حتىٰ عبَّر عنه بما يعبر عن الواقع. وكذلك كلُّ ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة؛ كقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وغير ذلك.

﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ إشارةٌ إلىٰ الجنة، أو إلىٰ ما أوجبها من الإيمان والتقوىٰ.

﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾، و ﴿أَن لَّعْنَةُ﴾، و﴿أَن سَلَٰمٌ﴾ **يَحتمل أن تكون** ﴿أَن﴾ **في كل واحدة منها:** مخفَّفةً من الثقيلة؛ فيكون فيها ضمير، أو حرفَ عبارة وتفسيرٍ لمعنىٰ القول.

(٤٣) ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ **حُذِف مفعول** ﴿وَعَدَ﴾: استغناءً عنه بمفعول ﴿وَعَدَنَا﴾ ، أو لإطلاق الوعْد؛ فيتناول الثواب والعقاب.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ **أي:** أَعْلم مُعْلِمٌ؛ وهو ملَكٌ.

(٤٥) ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ **أي:** بين الجنة والنار، **أو:** بين أصحابهما، **وهو الأرجح؛** لقوله: ﴿بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: هو تلٌّ[١] بين الجنة والنار[٢]، **ومجاهد:** حجابٌ بين الجنة والنار[٣]، **وقيل:** سور الجنة.

(١) في د: «جبل».
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١١).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٨) وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٣).

﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف. وورد في الحديث: «أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة ولا النار»[1]. وقيل: هم قوم خرجوا إلىٰ الجهاد بغير إذن آبائهم، فاستُشهدوا، فمُنِعوا من الجنة؛ لعصيان آبائهم، ونَجوا من النار؛ للشهادة.

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم؛ من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم؛ من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات.

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلَّم أصحابُ الأعراف علىٰ أهل الجنة.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم يطمعون في دخولها مِن بَعْدُ.

٤٦ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف؛ أي: إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

٤٧ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك علىٰ وجه التَّوبيخ.

﴿جَمْعُكُمْ﴾ يَحتمل أن يريد: جمعكم للمال، أو كثرتكم.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: استكبارُكم علىٰ الناس، أو استكباركم عن الرجوع إلىٰ الحق؛ فـ«ما» ها هنا مصدرية. و«ما» في قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ : استفهاميةٌ، أو نافية.

٤٨ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابًا لأهل النار، والإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلىٰ أهل الجنة؛ وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يُقسِمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يَعبأُ بهم؛ فظهر خلاف ما قالوا. وقيل: هي من كلام الملائكة؛ خطابًا لأهل النار، والإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلىٰ أصحاب الأعراف.

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٨)، وابن عساكر في تاريخه (١٤/ ٣١٣)، وخيثمة بن سليمان في مسنده كما عزاه إليه ابن عطية (٣/ ٥٧١) عن جابر ﷺ مرفوعًا، قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب»، وساق عدة أخبار مرفوعة في ذلك وقال: «والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة».

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ خطابٌ لأهل الجنة: إن كان من كلام أصحاب الأعراف؛ تقديره: قد قيل لهم: ادخلوا الجنة. وخطابٌ لأهل الأعراف: إن كان من كلام الملائكة.

﴿٤٩﴾ ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ دليلٌ على أن الجنة فوق النار.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ مِن سائر الأشربة أو الأطعمة.

﴿٥٠﴾ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ أي: نتركُهم. ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَمَا كَانُواْ﴾ عطفٌ على ﴿كَمَا نَسُواْ﴾؛ أي: لنسيانهم وجحودهم.

﴿٥١﴾ ﴿جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعني: القرآنَ. ﴿فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: عَلِمنا كيف نُفَصِّله(١).

﴿٥٢﴾ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عاقبةَ أمره، وما يؤول إليه؛ مِن ظهور ما نَطق به من الوعد والوعيد؟

﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: قد تبيَّن وظهر الآن أن الرسلَ جاؤوا بالحق.



(١) في أ، ب، د: «تفصيله».

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿٥٣﴾ ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ **حيث وقع: حمَله قومٌ على ظاهره؛** منهم ابن أبي زيد(١) وغيره. **وتأوَّله قوم بمعنى: قصَد؛** كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨] . ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش. **وتأوَّله الأشعرية أنَّ معنى استوى: استولى بالملك والقدرة. والحق: الإيمان به من غير تكييف؛ فإنَّ السلامة في التسليم،** ولله درُّ مالك بن أنس الإمام في قوله للذي سأله عن ذلك: **«الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة»**(٢).

وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري(٣).

ولم يتكلَّم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: **«السؤال عنه بدعة»**(٤).

(١) هو ابن أبي زيد القيرواني، في مقدمة الرسالة في الفقه المالكي (ص: ١٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٤٤١).

(٣) لم أقف عليه مرويا عنهم.

(٤) [**التعليق ٥٤**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قولُهُ: «﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ حيثُ وقَع ...»، إلخ: أقولُ: ذكَرَ فيه مذاهب:

الأوَّل: إجراؤُهُ على ظاهِرِه، ونسَبَهُ لابنِ أبي زَيْدٍ المالكي.

الثاني: مذهبُ أهلِ التأويل، ومنهم الأشاعِرة، وبعضُهم قال: استَوَىٰ: قصَدَ، وقالتِ الأشاعِرة: استَوَىٰ بالمُلْكِ والقُدْرة.

الثالث: مذهبُ الصحابةِ والأئمَّة، وهو الإيمانُ به مِن غيرِ تكييفٍ، وقرَّر هذا القولَ بقوله: «والحَقُّ: الإيمانُ به مِن غيرِ تكييفٍ؛ فإنَّ السلامةَ في التسليم».

=

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يُلحِق الليلَ بالنهار، أو يلحق النهار بالليل؛ **يَحتمل الوجهين**، هكذا قال الزمخشري[1]. **وأصل اللفظة**: من الغِشاء؛ أي: يجعل أحدَهما غشاءً للآخر يغطِّيه، فتغطِّي ظلمةُ الليل نورَ النهار.

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، والجملة في موضع الحال من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ؛ أي: يطلب[2] النهارَ فيُدرِكه.

﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ **قيل: الخلق**: المخلوقات، **والأمر**: مصدر أَمَر يَأمُر. **وقيل: الخلق**: مصدر خلَق، **والأمر**: واحد الأمور؛ كقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٠]. **والكلُّ صحيحٌ**.

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهو فعل غير متَصرِّف لم تَنطِق له العرب بمضارع.

(٥٤) ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدرٌ في موضع الحال، وكذلك: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

﴿وَخُفْيَةً﴾ من الإخفاء. وقرئ: «خِيفَةً» من الخوف[3].

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحدِّ، وقيل هنا: هو رفع الصوت بالدعاء، والتشطُّط فيه.

= وكلامُهُ هنا متردِّدٌ بين الإثباتِ مِن غيرِ تكييف، وبين التفويض؛ ولذا استشهَدَ بقولِ الإمامِ مالكٍ وغيرِه: «الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول»، ولكنه قال: «ولم يتكلَّم الصحابة ولا التابِعون في معنىٰ الاستواء، بل أمسَكُوا عنه»، قال: «ولذا قال مالك: والسؤالُ عنه بِدْعة».

ومفهومُ كلامِ المؤلِّف ﷺ: أنَّ السؤالَ عن معنىٰ الاستواءِ بِدْعة.

وهذا خطأ؛ فالذي سُئِلَ عنه مالك، وقال: «السؤالُ عنه بِدْعة» هو الكيفيَّة؛ لأنه قال: «الاستواءُ معلوم»؛ أي: معناه، «والكَيْفُ مجهول، والسؤالُ عنه بِدْعة»؛ أي: السؤالُ عن الكَيْف.

وقد أخطأَ ابنُ جُزَيٍّ ﷺ أيضًا في زعمِهِ: أنَّ الصحابةَ والتابِعِينَ لم يتكلَّموا في معنىٰ «استَوَىٰ».

والصوابُ: هو إثباتُ الاستواءِ للهِ علىٰ العَرْشِ بمعناه المعلومِ - وهو: علا وارتفَعَ - مع نَفْيِ التمثيل، ونفيِ العلمِ بالكيفيَّة.

ومَن يتدبَّرْ كلامَ ابنِ جُزَيٍّ، يُدرِكْ أنه إلىٰ التفويضِ أَمْيَلُ؛ أي: تفويضِ معنىٰ الاستواء، أو هو قولُهُ الذي يقولُ به، والله أعلم.

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٤٠٤).

(٢) في د زيادة: «الليلُ».

(٣) قال في المحرر الوجيز (٣/ ٥٨١): «وقرأت فرقة «وخيفة» من الخوف.. ذكرها ابن سيده في المحكم ولم ينسبها، وقال أبو حاتم: قرأها الأعمش فيما زعموا».

﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ جمَع اللهُ الخوفَ والطمع؛ ليكون العبد خائفًا راجيًا؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. فإن مُوجِب الخوفِ: معرفةُ سَطَوات[١] الله وشدَّةِ عقابه، ومُوجِب الرجاء: معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه؛ قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. ومَن عرَف فضْلَ الله رجَاه، ومَن عرف عذابه خافه؛ ولذلك جاء في الحديث: «لو وُزِن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»[٢]. إلَّا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يَغْلِب عليه الخوف؛ ليقودَه إلىٰ فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يَغلِب عليه الرجاء عند حضور الموت؛ لقوله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ»[٣].

واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

- **الأولىٰ**: أن يكون ضعيفًا يخطُر علىٰ القلب، ولا يؤثِّر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم.
- **والثانية**: أن يكون قويًّا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله علىٰ الاستقامة.
- **والثالثة**: أن يشتدَّ حتىٰ يبلغ إلىٰ القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاث مقامات[٤]: فخوف العامة: من الذنوب. وخوف الخاصة: من الخاتمة. وخوف خاصة الخاصة: من السَّابقة؛ فإن الخاتمة مبنيَّةٌ عليها.

والرجاء على ثلاث درجات:

- **الأولىٰ**: رجاء رحمة الله مع التسبُّب فيها بفعل طاعته وترك معصيته؛ فهذا هو الرجاء المحمود.
- **والثانية**: الرجاء مع التفريط والعصيان؛ فهذا غرورٌ.

---

(١) في د: «سطوة».

(٢) لا يصحُّ حديثًا، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٥): «لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف»، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ٢٣٩) عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير من قوله.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر ﷺ.

(٤) كذا في النسخ الخطية «ثلاث مقامات» بتذكير لفظ «ثلاث» اعتبارًا لتأنيث الجمع المعدود «مقامات»، وهي لغة، وإن كانت القاعدة المشتهرة أن يعتبر في التذكير والتأنيث المفرد لا الجمع، فيقال: «ثلاثة مقامات». انظر: شرح التسهيل لأبي حيان (٩/ ٣٠٠).

◀ والثالثة: أن يَقوىٰ الرجاء حتىٰ يبلغ إلىٰ الأمن؛ فهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات(١):

فمقام العامة: رجاء ثواب الله.

ومقام الخاصة: رجاء رضوان الله.

ومقام خاصة الخاصة: رجاء لقاء الله حبًّا فيه وشوقًا إليه(٢).

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) [**التعليق ٥٥**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قوله ﷺ: «الخوف علىٰ ثلاث درجات» إلخ، نقول: الخوف منزلة من منازل الإيمان، ومن أفضل أعمال القلوب، وأصله خوف الله، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وقول المؤلف: إنه علىٰ ثلاث درجات صحيح. وقوله: ضعيف لا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، هو صحيح أيضا، ولكن قوله: وجوده كعدمه، فيه نظر؛ لأن هذا القدر من الخوف دليلُ الإيمان، وعدمه دليلٌ علىٰ عدم الإيمان.

وقوله: «الثانية: أن يكون قويًّا» إلخ، صحيح. وقوله: «الثالثة: أن يشتدَّ حتىٰ يبلغ إلىٰ القنوط واليأس» إلخ، صحيح، ولكن قوله: «لا يجوز» فيه قصور، بل القنوط من رحمة الله كبيرة من كبائر الذنوب، وقد يؤول إلىٰ الكفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقول المؤلف: «خير الأمور أوساطها» حقٌّ. وقوله: «والناس في الخوف علىٰ ثلاث مقامات». في هذا التصنيف نظر؛ فإن تقسيم المؤمنين إلىٰ عامة وخاصة وخاصة الخاصة من مصطلحات الصوفية؛ فجميع المؤمنين يخافون من الذنوب، ومن سوء الخاتمة، ومما سبق به القدر من السعادة والشقاوة، وأصل الخوف هو خوف الله وخوف عذابه، قال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ وقال: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، والذنوب لا يعصم منها إلا الله، وما وقع منها فبقدر الله، وأمر الخاتمة إلىٰ الله، فعاد الأمر كلُّه لله، ولا ريب أن المؤمنين متفاضلون في الخوف الواجب، وهو ما تضمَّنته الدرجة الثانية، لا الخوف الضعيف ولا الشديد؛ فأهل هذه الدرجة منهم الكُمَّل، ومنهم المقصِّرون، ومنهم المقتصدون، علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

وقوله: «والرجاء علىٰ ثلاث درجات» إلخ. أقول: الرجاء منزلة من منازل قلوب السائرين إلىٰ الله، وهو طمع في محبوب، وهو مقابل للخوف؛ لأنه حذرٌ من مرهوب، وكلٌّ منهما - أعني الخوف والرجاء - من العبد مطلوب، وقد أثنىٰ الله علىٰ الراجين أعظم من ثنائه علىٰ الخائفين؛ لأن مبنىٰ الرجاء حسنُ الظن بالله، وقد ورد ذكر الرجاء في القرآن في آيات كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾. =

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من ﴿قَرِيبٞ﴾ وهو خبر عن الرحمة: على تأويل الرحمة بالرَّحِم، أو الترحُّم، أو العفو. أو لأن تأنيث الرحمة غيرُ حقيقيٍّ. أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيءٌ قريب. أو على تقدير النَّسب؛ أي: ذات قرب. وقيل: ﴿قَرِيبٞ﴾ هنا ليس خبرًا عن الرحمة[1]، وإنما هو ظرفٌ لها.

﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشۡرَۢا﴾ قرئ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: بالجمع[2]؛ لأنها رياح المطر. وقد اطَّرد في القرآن جمعُها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب؛ ومنه ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها رِيحًا»[3]. وقرئ بالإفراد؛ والمراد: الجنس.

وقرئ: ﴿نَشۡرَۢا﴾[4] -بفتح النون وإسكان الشين-؛ وهو على هذا مصدر في موضع الحال. وقرئ بضمهما؛ وهو جمع ناشر، وقيل: جمع منشور. وقرئ بضم النون وإسكان

= وقد جعل المفسِّر الرجاء ثلاث درجات باعتبار ما يُحمد وما يُذم: فالمحمود منها هو الدرجة الأولى، وهو الرجاء مع التصديق بالعمل، والثانية مذمومة؛ لأنه رجاء مع التفريط، فهو رجاء كاذب، وحقيقته التمنِّي، والدرجة الثالثة قال فيها المفسِّر: حرام؛ لأنه متضمِّن لعدم الخوف من الله، وحقيقته الأمن من مكر الله، وهو من كبائر الذنوب، واقتصار المؤلف فيه على مطلق التحريم تقصير.

ثم جعل الناس في الرجاء ثلاثة مقامات، وذلك باعتبار متعلَّق الرجاء عندهم؛ وهي: مقام العامة، ومقام الخاصَّة، ومقام خاصَّة الخاصَّة، وفي هذا التقسيم جرى المؤلف على طريقة الصوفية بذكر الخاصَّة وخاصَّة الخاصَّة، وهو تعبير لا يعرف في كلام السلف من الصحابة والتابعين، وأيضا: لم يحرر المؤلف متعلَّق الرجاء، ولم يذكر دليله؛ فإنَّ رضا الله ولقاءه ـ وهما مطلب أهل المقام الثاني والثالث ـ داخلان في المعنى العام للثواب الذي جعله المؤلف مطلب أهل المقام الأول، وكأنه خصَّ الثواب بما في الجنة من المطاعم والمشارب والأزواج، والحقُّ أن الثواب لا يختص بذلك. نعم: بعض الثواب أعلى من بعض، ولهذا قال بعض المحققين من أهل العلم: إن النظر إلى الله تعالى ورضوانه داخل في معنى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين؛ لأن كل من دخل الجنة نال رضوان الله، وفاز بلقائه. وأما الأدلة من القرآن على فضل الرجاء ومتعلَّقه فقد تقدمت الإشارة إليها أول التعليق.

(١) قوله: «عن الرحمة» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع.

(٣) من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا، أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٧٥) عمن لا يتهم، ومن طريقه البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ٤٨٠). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٣) وفي إسناد الطبراني متروك كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٥).

(٤) قرأ عاصم ﴿بُشۡرَۢا﴾ بالباء، وقرأ ابن عامر ﴿نُشۡرًا﴾ بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشۡرًا﴾ بفتح النون، وقرأ الباقون ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين.

الشين؛ وهو تخفيف من الضم؛ كرُسُلٍ ورُسْل. وقرئ بالباء في موضع النون؛ من البِشارة.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: قَبْلَ المطر.

﴿أَقَلَّتْ﴾ حمَلتْ.

﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتَثْقُل به.

﴿سُقْنَٰهُ﴾ الضمير للسحاب.

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني: لا نباتَ فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ الضمير: للسحاب، أو للبلد؛ على أن تكون الباء ظرفيةً.

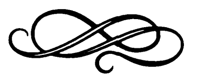
﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ تمثيلٌ لإخراج الموتىٰ من القبور بإخراج الزرع من الأرض.

وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩] ، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

(٥٧) ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض، الجيِّد التراب[١].

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ بخلاف ذلك؛ كالسَّبخة ونحوها.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ عبارةٌ عن السهولة والطيب، والنَّكِد بخلاف ذلك. ويَحتمل أن يكون المراد: ما يقتضيه ظاهر اللفظ؛ فتكون متمِّمةً للمعنىٰ الذي قَبْلها في المطر. وأن يكون[٢] تمثيلًا للقلوب: فقيل -علىٰ هذا-: الطيب: قلب المؤمن، والخبيث: قلب الكافر، وقيل: هما الفَهِمُ[٣] والبليد.



(١) في ب، ج، هـ: «الترب».

(٢) في ج، د: «تكون».

(٣) في د: «الفهيم».

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ فِي الْفُلْكِ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٨﴾ ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرأ الكسائي: بالخفض -حيث وقع-؛ على اللفظ، وقرأ غيره: بالرفع؛ على الموضع.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة، أو يومَ هلاكهم.

﴿٥٩﴾ ﴿الْمَلَأُ﴾ أشرافُ الناس.

﴿٦٠﴾ ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ إنما قال ﴿ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل «ضلالٌ» كقولهم؛ لأن الضَّلالة أخصُّ من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ تقول: ما عندي تمرة؛ فتعمُّ بالنفي.

﴿٦١﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف[1]، والمعنى واحد. وهو في موضع صفةٍ لـ﴿رَسُولٌ﴾ ، أو استئنافٌ.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن صفاته ورحمته وعذابه.

﴿٦٢﴾ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف؛ كأنه قال: أكذَّبتم وعجبتم مِن أن جاءكم ذِكْرٌ.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل.

﴿٦٣﴾ ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ يتعلَّق: بـ﴿مَعَهُۥ﴾ ؛ والتقدير : استقرُّوا معه في الفلك، ويَحتمل أن يتعلَّق بـ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ .

﴿عَمِينَ﴾ جمع عَمٍ؛ وهو مِن عمَى القلب.

---

(١) قرأ أبو عمرو ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

وَإِلَىٰ عَادٍ اَخَاهُمْ هُوداًۖ قَالَ يَٰقَوْمِ اِ۟عْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَۖ ﴿٦٤﴾ قَالَ
اَ۬لْمَلَأُ اُ۬لذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَيٰكَ فِے سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ اَ۬لْكَٰذِبِينَۖ ﴿٦٥﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِے سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّے رَسُولٞ مِّن رَّبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَۖ ﴿٦٦﴾ اُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّے وَأَنَا لَكُمْ
نَاصِحٌ اَمِينٌۖ ﴿٦٧﴾ *اَوَعَجِبْتُمُۥٓ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٞ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۖ
وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٖ وَزَادَكُمْ فِے اِ۬لْخَلْقِ بَصْطَةٗۖ فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ
اَ۬للَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَۖ ﴿٦٨﴾ قَالُوٓاْ أَجِيْتَنَا لِنَعْبُدَ اَ۬للَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَاتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ اَ۬لصَّٰدِقِينَۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٞ وَغَضَبٌۖ
اَتُجَٰدِلُونَنِے فِےٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اَ۬للَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۖ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّے
مَعَكُم مِّنَ اَ۬لْمُنتَظِرِينَۖ ﴿٧٠﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ اَ۬لذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُومِنِينَۖ ﴿٧١﴾

﴿٦٤﴾ ﴿اَخَاهُمْ﴾ أي: واحدًا من قبيلتهم، وهو معطوف علىٰ ﴿نُوحاً﴾ . و﴿هُوداً﴾ بدلٌ منه، أو عطف بيان. وكذلك ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحاً﴾ وما بعده ، وما هو مثله حيث وقع.

﴿٦٥﴾ ﴿اَ۬لْمَلَأُ اُ۬لذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيِّد هنا بالكفر؛ لأن في الملأ مِن قوم هود مَن آمن؛ وهو مَرْثَدُ بن سعد، بخلاف قوم نوح؛ فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملإ.

﴿٦٧﴾ ﴿اَمِينٌ﴾ يَحتمل أن يريد: أمانتَه علىٰ الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصِّدق.

﴿٦٨﴾ ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٖ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكًا.

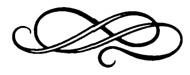
﴿وَزَادَكُمْ فِے اِ۬لْخَلْقِ بَصْطَةٗ﴾ كانوا عِظَام الأجسام؛ كان أقصرُهم ستين ذراعًا، وأطولهم مئة ذراع.

﴿ءَالَآءَ اَ۬للَّهِ﴾ نِعَمهُ حيث وقع.

﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَجِيْتَنَا لِنَعْبُدَ اَ۬للَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته؛ ولذلك قال لهم هود: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي: حَقَّ عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب.

(٧٠) ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ يعني: الأصنامَ؛ أي: تجادلونني في عبادة مسمَّياتٍ أسماءَ؛ ففي الكلام حذفٌ. وأراد بقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ : جعلتم لها أسماءً؛ فدلَّ ذلك علىٰ أنها محدثةٌ، فلا يصحُّ أن تكون آلهة. أو سمَّيتموها آلهةً من غير دليل علىٰ أنها آلهةٌ؛ فقولكم باطل. **فالجدال** علىٰ القول الأول: في عبادتها، وعلىٰ القول الثاني: في تسميتها آلهةً. **والمراد بالأسماء** علىٰ القول الأول: المسمَّىٰ، وعلىٰ القول الثاني: التَّسمية.

(٧١) ﴿دَابِرَ﴾ ذكر في «**الأنعام**»[1].



(١) انظر تفسير الآية (٤٦).

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاًۖ قَالَ يَٰقَوْمِ اِ۪عْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اُ۬للَّهِ لَكُمْ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَاكُلْ فِےٓ أَرْضِ اِ۬للَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَاخُذَكُمْ عَذَابٌ اَلِيمٞ ﴿٧٢﴾ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمْ فِے اِ۬لْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراٗ وَتَنْحِتُونَ اَ۬لْجِبَالَ بُيُوتاٗۖ فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ اَ۬للَّهِۖ وَلَا تَعْثَوْاْ فِے اِ۬لْأَرْضِ مُفْسِدِينَۖ ﴿٧٣﴾ قَالَ اَ۬لْمَلَأُ اُ۬لذِينَ اَ۪سْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلذِينَ اَ۪سْتُضْعِفُواْ لِمَنَ اٰمَنَ مِنْهُمُۥٓ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحاٗ مُّرْسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُومِنُونَۖ ﴿٧٤﴾ قَالَ اَ۬لذِينَ اَ۪سْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِالذِےٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَۖ ﴿٧٥﴾ *فَعَقَرُواْ اُ۬لنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنَ اَمْرِ رَبِّهِمْۖ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ اِيتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ اَ۬لْمُرْسَلِينَۖ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ اُ۬لرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِارِهِمْ جَٰثِمِينَۖ ﴿٧٧﴾ فَتَوَلَّيٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدَ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّے وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ اَ۬لنَّٰصِحِينَۖ ﴿٧٨﴾ وَلُوطاً اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَاتُونَ اَ۬لْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنَ اَحَدٖ مِّنَ اَ۬لْعَٰلَمِينَۖ ﴿٧٩﴾ إِنَّكُمْ لَتَاتُونَ اَ۬لرِّجَالَ شَهْوَةٗ مِّن دُونِ اِ۬لنِّسَآءِۖ بَلَ اَنتُمْ قَوْمٞ مُّسْرِفُونَۖ ﴿٨٠﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمُۥٓ إِنَّهُمُۥٓ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَۖ ﴿٨١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا إمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ اَ۬لْغَٰبِرِينَۖ ﴿٨٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراٗۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُ۬لْمُجْرِمِينَۖ ﴿٨٣﴾

﴿٧٣﴾ ﴿بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ أي: آيةٌ ظاهرة؛ وهي الناقة، وأضيفت إلىٰ الله تشريفًا لها، ولأنه خلقَها من غير فحْلٍ. وكانوا قد اقترحوا علىٰ صالح ﷺ أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقَّت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نُتِجَتْ ولدًا فآمن به قوم منهم وكفر آخرون.

﴿لَكُمْ ءَايَةٗۖ﴾ أي: معجزة تدلُّ[1] علىٰ صحة نبوة صالح. والمجرور في موضع الحال من ﴿ءَايَةٗۖ﴾؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ أي: لا تَضُرُّوها[2]، ولا تطردوها.

(١) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «لا تضربوها».

(٧٤) ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ كانت أرضُهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلَّا وأنتم باكون؛ مخافةَ أن يصيبكم مثلُ الذي أصابهم»[١].

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ أي: تبنون قصورًا في الأرض البسيطة.

﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ أي: تَنجرُون[٢] بيوتًا في الجبال، (وكانوا يسكنون القصورَ في الصيف، والجبال في الشتاء. وانتصب ﴿بُيُوتاً﴾ على الحال)[٣]؛ وهو كقولك: خِطتُ هذا الثوب قميصًا.

(٧٥) ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ .

(٧٦) ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا: ﴿بِمَا أُرْسِلَ بِهِ﴾ كما قال الآخرون؛ لئلَّا يكون اعترافًا برسالته.

(٧٧) ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نَسب العقر إلى جميعهم؛ لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلَّا واحدٌ منهم؛ وهو الأُحَيْمِرُ.

(٧٨) ﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصيحةُ حيث وقعتْ؛ وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحةً بين السماء والأرض، فماتوا منها.

﴿جَاثِمِينَ﴾ حيث وقع: أي: قاعدين لا يتحرَّكون.

(٧٩) ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن يكون تولِّيه عنهم وقولُه لهم: حين عقروا الناقة، قبل نزول العذاب بهم؛ لأنه روي أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم. أو يكون ذلك بعد أن هَلكوا؛ وهو ظاهرُ الآية، وعلى هذا: خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجُّع عليهم.

وقوله: ﴿لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) عن ابن عمر ﷺ.

(٢) في أ: «تتخذون». وتنجرون أي: تنحتون. الصحاح (ن ج ر).

(٣) سقط من أ، ب، هـ.

(٨٠) ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: «أرسلنا» المضمرُ[١]، أو يكون بدلاً من ﴿لُوطًا﴾[٢].

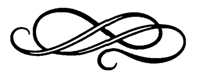
﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: لم يفعلْها أحدٌ من العالمين قبلكم. و﴿مِنَ﴾ الأولىٰ: زائدةٌ، والثانية: للتبعيض، أو للجنس.

(٨١) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ أي: أنهم عَدَلوا عن جوابه علىٰ كلامه إلىٰ الأمر بإخراجه وإخراج أهله.

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزَّهون عن الفاحشة.

(٨٣) ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين، وقيل: من الذين غَبَروا في ديارهم فهَلكوا، أو مِن الباقين من أترابها؛ يقال: غبَر: بمعنىٰ مضىٰ، وبمعنىٰ بقِي. وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ بجمع المذكَّر؛ تغليبًا للرجال الغابرين.

(٨٤) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني: الحجارةَ؛ أُصيب بها من كان منهم خارجًا عن بلادهم، وقُلِبت البلاد بمن كان فيها.



(١) فتكون «إذ» ظرفًا لهذا المضمر.
(٢) أي: يكون ﴿لُوطًا﴾ -علىٰ هذا الوجه- منصوبًا بفعل مضمر تقديره: «اذكر»، و«إذ» بدلًا منه، بمعنىٰ: واذكر وقتَ قال لقومه. الكشاف (٦/ ٤٥٧).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ اُ۬لْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ اُ۬لنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي اِ۬لْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُۥ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ۝٨٤ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ
وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اِ۬للَّهِ مَنَ ـامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ
وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُ۬لْمُفْسِدِينَ ۝٨٥ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمُۥ ءَامَنُواْ بِالذِيٓ أُرْسِلْتُ
بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُومِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اَ۬للَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ اُ۬لْحَٰكِمِينَ ۝٨٦ ۞قَالَ
اَ۬لْمَلَأُ اُ۬لذِينَ اَ۪سْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ
لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۝٨٧ قَدِ اِ۪فْتَرَيْنَا عَلَى اَ۬للَّهِ كَذِباً اِنْ عُدْنَا فِي
مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجِّيٰنَا اَ۬للَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَّشَآءَ اَ۬للَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ
رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اَ۬للَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا اَ۪فْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ
اُ۬لْفَٰتِحِينَ ۝٨٨ وَقَالَ اَ۬لْمَلَأُ اُ۬لذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ اِ۪تَّبَعْتُمْ شُعَيْباً اِنَّكُمُۥ إِذاً لَّخَٰسِرُونَ
۝٨٩ فَأَخَذَتْهُمُ اُ۬لرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩٠ اَ۬لذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ
فِيهَا اَ۬لذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ اُ۬لْخَٰسِرِينَ ۝٩١ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدَ اَبْلَغْتُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسِيٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٩٢

۝٨٤ ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آيةٌ ظاهرة، ولم تُعيَّن في القرآن آيةُ شعيب.

﴿فَأَوْفُواْ اُ۬لْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا يَنقُصون في الكيل والوزن، فبُعِث شعيب لينهاهم عن ذلك. **والكيل هنا**: بمعنى المكيال الذي يكال به؛ مناسبةً للميزان؛ كما جاء في «هود»: ﴿اِ۬لْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[هود: ٨٣]، ويجوز أن يكون ﴿اُ۬لْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ مصدرين.

۝٨٥ ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ **قيل**: هو نهيٌ عن السَّلْب وقطع الطريق؛ وكان ذلك مِن فِعْلِهم. **وقيل**: كانوا يقعدون على الطريق؛ يردُّون الناس عن اتِّباع شعيب ويُوعِدونهم إن اتَّبعوه.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي: تمنعون الناس من[١] سبيل الله؛ وهو الإيمان. **والضمير في** ﴿بِهِۦ﴾: للصِّراط، أو لله.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاًۖ﴾ ذُكِر في «آل عمران»[٢].

﴿٨٧﴾ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِے مِلَّتِنَاۖ﴾ أي: ليكونَّن أحدُ الأمرين: إما إخراجُكم، أو عَوْدُكم إلىٰ ملة الكفر. **فإن قيل**: إن العَوْد إلىٰ شيء يقتضي أنه قد كان فُعِل قبل ذلك؛ فيقتضي قولهم: ﴿لَتَعُودُنَّ فِے مِلَّتِنَاۖ﴾ أن شعيبًا عليه السلام ومن كان معه كانوا أوَّلًا علىٰ ملة قومهم، ثم خرجوا منها، فطَلَب قومُهم أن يعودوا إليها، وذلك محالٌ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها!

فالجواب من وجهين: أحدهما: قاله ابن عطية؛ وهو أنَّ «عاد» قد تكون بمعنىٰ: صار؛ فلا تقتضي تقدُّم ذلك الحال الذي صار إليه[٣]. **والثاني: قاله الزمخشري**؛ وهو أن المراد بذلك: الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك؛ كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾؛ فغلَّبوا في الخطاب بالعَوْد الجماعةَ علىٰ الواحد[٤]. **وبمثل ذلك يُجاب عن قوله**: ﴿إِنْ عُدْنَا فِے مِلَّتِكُم﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَۖ﴾ **الهمزة**: للاستفهام والإنكار، **والواو**: للحال، تقديره: أَنعود في ملَّتكم[٥] ونحن كارهون؟!

﴿٨٨﴾ ﴿قَدِ إِفْتَرَيْنَا عَلَى أَللَّهِ كَذِباً اِنْ عُدْنَا فِے مِلَّتِكُم﴾ أي: إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمرٍ عظيم من الافتراء علىٰ الله، وذلك تبرُّؤٌ من العَوْد فيها.

---

(١) في ج، د: «عن».
(٢) انظر تفسير الآية (٩٩).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٦١٣).
(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٤٧٣).
(٥) في أ، ب، هـ زيادة: «ويكون لنا أن نعود فيها».

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلامٌ لقضاء الله على وجه التأدُّب مع الله وإسنادِ الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم: أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عَوْدٍ وتَرْكِه؛ فإن القلوب بيده يقلِّبها كيف يشاء.

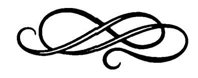
فإن قلت: إنَّ ذلك يصحُّ في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا؛ فإنه معصوم من الكفر؟

فالجواب: أنه قال ذلك تواضعًا وتأدُّبًا مع الله تعالىٰ، واستسلامًا لأمره؛ كقول نبينا ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**»[1] مع أنه قد عَلم أنه يثبِّته.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي: احكمْ.

﴿٩٢﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم.

﴿٩٣﴾ ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي: كيف أَحزنُ عليهم وقد استحقُّوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠) وحسنه، والحاكم (١٩٢٧) وصححه، عن أنس ﵁، وروي -أيضًا- عن النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة ﵃.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِے قَرْيَةٖ مِّن نَّبِےٓءٍ اِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٣﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ اَلسَّيِّئَةِ اِلْحَسَنَةَ حَتَّيٰ عَفَوْاْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا اَلضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ اَلْقُرِيٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ اَلسَّمَآءِ
وَالْاَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ اَلْقُرِيٰٓ أَنْ يَّاتِيَهُم
بَأْسُنَا بَيَٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٦﴾ أَوَامِنَ أَهْلُ اَلْقُرِيٰٓ أَنْ يَّاتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحيٗ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٧﴾
أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اَللَّهِ فَلَا يَامَنُ مَكْرَ اَللَّهِ إِلَّا اَلْقَوْمُ اُلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٨﴾ *أَوَلَمْ يَهْدِ لِلذِينَ يَرِثُونَ
اَلْاَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَيٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٩﴾
تِلْكَ اَلْقُرِيٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ اَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُومِنُواْ بِمَا
كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اُللَّهُ عَلَيٰ قُلُوبِ اِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ
وَإِنْ وَّجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَيٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَيٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَالَ مُوسَيٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّےٓ رَسُولٞ مِّن
رَّبِّ اِلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٣﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اَللَّهِ إِلَّا اَلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ
فَأَرْسِلْ مَعِےَ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٖ فَاتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ اَلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٥﴾
فَأَلْقَيٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿٩٣﴾ ﴿بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ قد تقدَّم[1].

﴿٩٤﴾ ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ اَلسَّيِّئَةِ اِلْحَسَنَةَ﴾ أي: أبدلنا البأساء والضراء بالنَّعيم؛ اختبارًا لهم في الحالتين.

﴿حَتَّيٰ عَفَوْاْ﴾ أي: كَثُروا ونَمَوْا في أنفسهم وأموالهم.

﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا اَلضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ﴾ أي: قد جرىٰ ذلك لآبائنا ولم يضُرَّهم؛ فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿٩٥﴾ ﴿بَرَكَٰتٖ مِّنَ اَلسَّمَآءِ وَالْاَرْضِ﴾ أي: بالمطر، والزرع.

(١) انظر تفسير الآية (٤٣) من سورة الأنعام.

﴿٩٧﴾ ﴿أَوَأَمِنَ﴾ مَن قرأ بإسكان الواو[١]: فهي «أو» العاطفة. ومن قرأ بفتحها: فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ؛ كما دخلت على الفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾[٢].

﴿٩٨﴾ ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استدراجَه وأَخْذَه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يتبيَّنْ.

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: يسكنونها.

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ هو فاعلُ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ ، ومقصود الآية الوعيد.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾؛ لأنه في معنى المستقبل. أو منقطعٌ؛ على معنى الوعيد[٣]. وأجاز الزمخشري أن يكون عطفًا على ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾، أو على ما دلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ كأنه قال: يَغفُلون عن الهداية ونطبعُ على قلوبهم[٤].

﴿١٠١﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ﴿أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ﴾، والمعنى: وجدناهم ناقضين للعهود.

﴿١٠٥﴾ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ من قرأ ﴿عَلَيَّ﴾ بالتشديد[٥] على أنها ياء المتكلم: فالمعنى ظاهر؛ وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلَّا الحق. وموضع ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ -على هذا- رفعٌ؛ على أنه: خبر ﴿حَقِيقٌ﴾، و﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ، أو بالعكس.

ومن قرأ ﴿عَلَىٰ﴾ بالتخفيف: فموضع ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ خفضٌ بحرف الجر، و﴿حَقِيقٌ﴾ صفةٌ لـ﴿رَسُولٌ﴾.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بإسكان الواو، وقرأ الباقون بفتحها.
(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٤٨٧).
(٣) كذا! وعبارة المحرر الوجيز (٤/ ٩): «ويحتمل أن يكون ﴿ونطبع﴾ منقطِعًا، إخبارًا عن وقوع الطبع، لا أنه متوعَّد به».
(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٤٩١).
(٥) قرأ نافع ﴿عَلَيَّ﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، حرف جر.

وفي المعنىٰ -علىٰ هذا- وجهان: أحدهما: أن «علىٰ» بمعنىٰ الباء؛ فمعنىٰ الكلام: رسولٌ حقيق بأن لا أقول علىٰ الله إلَّا الحق. والثاني: أن معنىٰ حقيق: حريصٌ؛ ولذلك تعدَّىٰ بـ«علىٰ».

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بمعجزةٍ تدلُّ علىٰ صدقي؛ وهي العصا، أو جنسُ المعجزات.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خَلِّهم يذهبوا معي إلىٰ الأرض المقدَّسة موطن آبائهم. وذلك أنه لما تُوفِّيَ يوسف عليه السلام غلَب فرعون علىٰ بني إسرائيل واستعبدهم حتىٰ أنقذهم الله علىٰ يدي موسىٰ عليه السلام، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف عليه السلام مصرَ واليوم الذي دخله موسىٰ عليه السلام: أربع مئة عام.

(١٠٧) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ كان موسىٰ عليه السلام شديد الأُدْمَةِ، فأظهر يدَه لفرعون ثم أدخلها في جيبه، ثم أخرجها وهي بيضاءُ شديدة البياض كاللبن أو أشدُّ بياضًا، وقيل: إنها كانت مُنِيرةً شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلىٰ لون بدنه.

﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ مبالغةٌ في وصف يده بالبياض؛ كأنَّ الناسَ يجتمعون للنظر إليها، والتعجُّب منها.



قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ
﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ
أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ
أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ
مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿١٠٩﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حكى هذا الكلام هنا عن الملأ، وفي «الشعراء» عن فرعون، فكأنه قد قاله هو وهُمْ، أو قاله هو، ووافقوه عليه؛ كعادة جلساء الملوك في اتِّباعهم لما يقول الملك.

﴿١١٠﴾ ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقِتال[1] أو بالحيل. وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خُدَّامًا لهم؛ فتَخرب الأرض بخروج الخُدَّام والعُمَّار منها.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملإ، أو من قول فرعون. وهو من معنىٰ: المؤامرة، أي[2]: المشاورة، أو من الأمر وهو ضدُّ النهي.

﴿١١١﴾ ﴿أَرْجِهْ﴾ من قرأه بالهمز[3]: فهو من أرجأتُ الرجل: إذا أخَّرتَه؛ فمعناه: أخِّرْهما حتىٰ

(١) في أ، ب، هـ: «بالقتل».
(٢) في أ، ج، هـ: «أو».
(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بهمزة ساكنة ﴿أرْجِئه﴾، والباقون بغير همزة. وضمَّ الهاءَ أبو عمرو وابن كثير، وأسكنها حمزة وعاصم، وكسر الهاء الباقون.

نَنظُرَ في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء -هنا-: السِّجن.

ومن قرأ بغير همز: فتَحتمل أن تكون بمعنىٰ المهموز؛ وسُهِّلت الهمزة، أو يكون بمعنىٰ الرجاء؛ أي: أَطْمِعْهُ.

وأما ضَمُّ الهاء وكسرُها: فلغتان، وأما إسكانها: فلعلَّه أَجرىٰ فيها الوصل مُجرىٰ الوقف.

﴿حَٰشِرِينَ﴾ يعني: الشُّرَطَ؛ أي: جامعين للسحرة.

﴿١١٢﴾ ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ يدلُّ عليه سياق الكلام؛ وهو أنه بعث إلىٰ السَّحرة.

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين[1]: فهو استفهام، ومن قرأه بهمزة واحدة: فيَحتمل أن يكون خبرًا، أو استفهامًا حذفت منه الهمزة.

والأجر هنا: الأُجرة؛ طلبوها من فرعون إن غلَبوا موسىٰ، فأَنْعَم لهم فرعون بها، وزادهم التَّقريبَ منه، والجاهَ عنده.

﴿١١٣﴾ ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عطفٌ علىٰ معنىٰ ﴿نَعَمْ﴾؛ كأنه قال: نعطيكم أجرًا ونقرِّبكم. واختُلف في عدد السحَرة اختلافًا متباينًا من سبعين رجلًا إلىٰ سبعين ألفًا؛ وكلُّ ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿١١٤﴾ ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ خيَّروا موسىٰ عليه السلام بين أن يبدأ بالإلقاء، أو يبدؤوا هم بإلقاء سِحْرهم، فأمرهم أن يُلقوا. وانظرْ كيف عبَّروا عن إلقاء موسىٰ بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؛ إشارةً إلىٰ أنهم أهْلُ الإلقاء المتمكِّنون فيه.

﴿١١٥﴾ ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوَّفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿١١٦﴾ ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا علىٰ قَدْر الجبَل، وقيل: إنه طال حتىٰ جاوز النِّيل.

﴿تَلَقَّفُ﴾ أي: تبتلعُ.

---

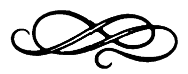
(١) قرأه بهمزة واحدة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بهمزتين علىٰ الاستفهام.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما صوَّروا من إفكهم وكَذِبهم. وروي: أن الثعبان أكل مِلْءَ الوادي من حبالهم وعصيِّهم، ومدَّ موسىٰ يده إليه فصار عصًا كما كان[1]، فعَلِم السحرةُ أن ذلك ليس من السحر، وليس في قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسىٰ عليه السلام.

١٢٣ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآيةَ؛ وعيدٌ من فرعون للسحرة. وليس في القرآن أنه أَنفذ ذلك، ولكنه روي أنه أنفذه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[2]. وقد ذُكِر معنىٰ ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ في «العقود»[3].

١٢٤ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لا نبالي بالموت؛ لانقلابنا إلىٰ ربِّنا.

١٢٥ ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: ما تَعِيب منَّا إلَّا إيماننا.



(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥٩) عن ابن إسحاق.
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٧).
(٣) انظر تفسير الآية (٣٣).

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

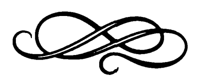
﴿١٢٦﴾ ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يُخربوا ملك فرعون وقومِه، ويخالفوا دينه.

﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾، أو منصوبٌ بإضمار «أنْ» بعد الواو.

﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصنامًا يعبدونها، وجعل نفسه الإله الأكبر؛ فلذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]؛ فـ﴿ءَالِهَتَكَ﴾ -علىٰ هذا-: هي تلك الأصنام. وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس ﷺ: «وإِلَـهَتَكَ»؛ أي: عبادتَك والتذلُّل لك[1].

﴿١٢٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليلٌ للصبر الذي أمرهم به. يعني: أرض الدنيا هنا وفي قولِه: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني: أرضَ فرعون. فأشار لهم موسىٰ ﷺ أولًا بالنَّصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾، ثم صرَّح به في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآيَةَ.

﴿١٢٨﴾ ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حضٌّ علىٰ الاستقامة والطاعة.



(١) قراءة ابن عباس ﷺ أخرجها الطبري (١٠/ ٣٦٨) وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٨)، وأما قراءة علي وابن مسعود ﷺ، فعزاها إليهما ابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٤)، ولم أقف عليها مسندة.

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٩﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٣﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٥﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

﴿١٢٩﴾ ﴿بِالسِّنِينَ﴾ أي: بالجدْب والقحوط(١).

﴿١٣٠﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الآيةَ؛ أي: إذا جاءهم الخِصْب والرَّخاء قالوا: هذا لنا وبسَعْدِنا، ونحن مستحقُّون له، وإذا جاءهم الجدْب والشدة ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ أي: قالوا: هذا بشؤمه. فإن قيل: لم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ بـ«إذا» وتعريف الحسنة، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بـ«إن» وتنكير السيئة؟

فالجواب: أن الحسنة وقوعها كثيرٌ، والسيئة وقوعها نادرٌ؛ فعرَّف الكثيرَ الوقوعِ باللام التي للعهد، وذكَره بـ«إذا»؛ لأنها تقتضي التَّحقيق، وذكَر السيئة بـ«إن» لأنها تقتضي الشك،

---

(١) في د: «والقحط».

ونكَّرها للتَّقليل.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما حظُّهم ونصيبهم الذي قُدِّر لهم من الخير والشر عند الله. وهو مأخوذ من زَجْرِ الطير، ثم سُمِّي به ما يصيب الإنسان. ومقصود الآية: الردُّ عليهم فيما نَسبوا إلىٰ موسىٰ عليه السلام من الشُّؤم.

(١٣١) ﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» الشرطية ضمَّت إليها «ما» الزائدة؛ نحو: «أينما»، ثم قلبت الألف هاءً. **وقيل:** هي اسمٌ بسيط غير مركَّب. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود علىٰ ﴿مَهْمَا﴾. **وإنما قالوا:** ﴿مِن ءَايَةٍ﴾: علىٰ تسميةِ موسىٰ عليه السلام لها آيةً، أو علىٰ وجه التهكُّم.

(١٣٢) ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا، مع فَيْضِ النيل حتىٰ هدَم بيوتهم، وكادوا يَهلِكون، وامتنعوا من الزراعة، **وقيل:** هو الطَّاعون.

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو المعروف؛ أكَل زرعهم وثمارهم حتىٰ أكَل ثيابهم وأبوابهم وسُقُفَ بيوتهم.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ **قيل:** هي صغار الجراد. **وقيل:** البراغيث. **وقيل:** السُّوس. **وقرئ «القَمْلَ»** -بفتح القاف والتخفيف[1]-؛ فهي -علىٰ هذا-: القمل المعروف، وكانت تتعلَّق بلحومهم وشعورهم[2].

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة؛ كثرت عندهم حتىٰ امتلأت بها فُرُشهم وأوانيهم، وإذا تكلَّم أحدهم وثَبَ الضِّفْدِعُ إلىٰ فمه[3].

﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياهُهم دمًا؛ فكان يستقي من البئر القبطيُّ والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطيَّ دمًا، وما يلي الإسرائيليَّ ماءً.

(١٣٣) ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ أي: العذابُ؛ وهي الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمرٌ منها عاهدوا موسىٰ عليه السلام علىٰ أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا[4] كشَفه عنهم نقضوا العهد وتمادَوا علىٰ كفرهم.

---

(١) هي قراءة الحسن البصري. المحرر الوجيز (٤/ ٢٩).

(٢) هذه اللفظة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٣) في ب: «وقع الضفدع في فمه».

(٤) في أ، ب، ج: «فلما».

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بذِمَامِك إليه ووسائلك. والباء تَحتمل أن تكون للقسَم، وجوابُه ﴿لَنُومِنَنَّ﴾ ، أو تتعلَّق بـ﴿ٱدْعُ لَنَا﴾ ؛ أي: توسَّلْ إليه بما عهد عندك.

﴿١٣٥﴾ ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر حيث وقع.

﴿١٣٦﴾ ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ الشامَ ومصرَ.

﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالخِصْب، وكثرة الأرزاق.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي نفَذتْ لهم واستقرَّت. والكلمة هنا: ما قُضِي لهم في الأزل، وقيل: هي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] .

﴿١٣٧﴾ ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون. وقيل: هي الكُرُوم وشبهُها. فهو علىٰ الأوَّل: من العَرْش، وعلىٰ الثاني: من العَرِيش.

﴿١٣٨﴾ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ أي: اجعل لنا صنمًا نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامَهم. ولما تمَّ خبر موسىٰ عليه السلام مع فرعون: ابتدأ خبرُه مع بني إسرائيل من هنا إلىٰ قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ .

﴿١٣٩﴾ ﴿مُتَبَّرٌ﴾ من التَّبار؛ وهو الهلاك.

﴿١٤٠﴾ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»[1].



(١) انظر تفسير الآية (٤٦).

*﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿١٤٢﴾ ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ روي: أن الثلاثين: هي شهر ذي القَعدة، والعشرَ بعدها: هي العَشْرُ الأول من ذي الحِجة[1]؛ وذلك تفصيلٌ للأربعين المذكورة في «البقرة».

﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: ما وقَّت له من الوقت لمناجاته في الطُّور.

﴿اخْلُفْنِي﴾ أي: كن خليفتي علىٰ بني إسرائيل مدة مغيبي.

﴿١٤٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ لما سمع موسىٰ ﷺ كلامَ الله طمع في رؤيته، فسألها، كما قال الشاعر:

وأبرحُ ما يكون الشَّوقُ يومًا ... إذا دنت الدِّيارُ من الديارِ[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، المعروف بإسحاق النديم؛ لمنادمته لعدد من الخلفاء العباسيين. انظر: الوافي بالوفيات (٨/ ٢٥٥).

واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزةٌ عقلًا، وأنها لو كانت محالًا لم يسألها موسى ﷺ؛ فإن الأنبياء ﷺ يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه(١).

وتأوَّل الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تَبْكيتًا لمن خرج معه من بني إسرائيل، فهم(٢) الذين طلبوا الرؤية، فقالوا: أَرِنَا الله جَهْرَةً؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدَّبوا.

والآخر: أن معنى ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾: عرِّفني نفسَك تعريفًا واضحًا جليًّا(٣).

وكلا الوجهين بعيد، والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤيةَ لم يقل له: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الآيةَ.

---

(١) [التعليق ٥٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزةٌ عقلا» إلخ، أقول: من المعروف أن الأشاعرة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم، مع أنهم - في حقيقة الأمر - لا يثبتون الرؤية التي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسنة، بل ولا الرؤية التي يدل عليها العقل؛ إذ يقولون: إنه تعالى يُرى لا في جهة، والحامل لهم على ذلك نفيهم العلو، ومعنى هذا أنه يُرى، لكن لا عن الأيمان، ولا عن الشمال، ولا فوق، فضلا عن التحت، وهذه رؤية لا حقيقة لها في العقل ولا في الشرع، ولهذا ألحقهم بعض أئمة السنة بمن ينفي الرؤية، كالمعتزلة.

وقول المفسِّر: إن الأشاعرة استدلوا على جواز الرؤية عقلا بسؤال موسى ﷺ رؤية ربه، فيه تقصير من وجهين:

أحدهما: تخصيص هذا الاستدلال بالأشاعرة؛ فأهل السنة يشاركونهم في ذلك.

الثاني: أن هذه الآية هي الدليل على إثبات الرؤية، ولمثبتي الرؤية من أهل السنة والأشاعرة أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم» [أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير ﷺ].

والحق أن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم، كما يقتضيه قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون القمر، وكما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب» [أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة ﷺ]، وهذا من تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ فرؤية المؤمنين لربهم كرؤية الناس للشمس والقمر من وجوه؛ كعدم الإحاطة، والرؤية من فوق، والوضوح؛ لذلك فلا يضامون في رؤيته، ولا يضارُّون، كما جاء في الحديث. والله أعلم.

(٢) لم ترد في ب، ج.

(٣) انظر: الكشاف (٦/ ٥٥١).

﴿فَالَ لَن تَرٰنِيٰ﴾ **قال مجاهد وغيره**: إن الله قال لموسىٰ ﷺ: ﴿لَن تَرٰنِيٰ﴾؛ **لأنك لا تطيق** ذلك، ولكن سأتجلىٰ للجبل الذي هو أقوىٰ منك وأشدُّ، فإن استقرَّ وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرىٰ أن لا تطيق أنت[1]، فعلىٰ هذا؛ إنما جعل الله الجبل مثالًا لموسىٰ ﷺ.

وقال قوم: المعنىٰ: سأتجلىٰ لك علىٰ الجبل؛ **وهذا ضعيف**؛ يبطله قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ .

فإذا تقرَّر هذا؛ فقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرٰنِيٰ﴾ نفيٌ للرؤية، وليس فيه دليلٌ علىٰ أنها محالٌ؛ فإنه إنما جعَل علَّةَ النفي: عدمُ إطاقة موسىٰ الرؤية لا استحالتُها. ولو كانت الرؤية مستحيلةً؛ لكان في الجواب زجرٌ وإغلاظ، كما قال الله لنوح: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] .

فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا؛ لضعف البِنْيَة البشرية عن ذلك. **وأما في الآخرة**: فقد صرَّح بوقوع الرؤية كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ، فلا ينكرها إلَّا مبتدع. وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاعٌ طويل. وفي هذه القصة قَصَصٌ كثيرٌ تركته؛ لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: مدكوكًا؛ فهو مصدر بمعنىٰ مفعول، كقولك: ضَرْبُ الأمير. والدَّكُّ والدَّقُّ: أَخَوان؛ وهو التفتُّت. وقرئ: ﴿دَكَّاءَ﴾ -بالمد والهمز-[2]؛ أي: أرضًا دكاءَ ، **قيل**: ذهب أعلىٰ الجبل وبقي أكثره، **وقيل**: تفتَّت حتىٰ صار غبارًا، **وقيل**: ساخ في الأرض، وأفضىٰ إلىٰ البحر.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي: مغشيًّا عليه.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ معناه: تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالمد والهمز، وقرأ الباقون بالتنوين من غير مد ولا همز.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوَّلُ قومِه، أو أهلِ[1] زمانه، أو على وجه المبالغة في السَّبْق إلى الإيمان.

(١٤٤) ﴿إِصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ فإنَّ جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة. واختُلف: هل كلَّم الله غيرَه من الرسل أم لا؟ والصحيح: أنه كلم نبينا محمدًا ﷺ ليلة الإسراء.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ تأديبٌ؛ أي: اقنَعْ بما أعطيتك من رسالتي وكلامي، ولا تطلب غير ذلك.

(١٤٥) ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي: في ألواح التوراة، وكانت: سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان. وقيل: كانت من زُمُرُّد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم. وكذلك: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ . وموضع ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: نصبٌ؛ على أنه مفعول ﴿وَكَتَبْنَا﴾، و﴿مَّوْعِظَةً﴾: بدلٌ منه.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجِدٍّ وحزم[2]. والضمير للتوراة.

﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسَنٌ وأحسنُ منه؛ كالقِصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات.

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: دار فرعون وقومِه؛ وهي مصر، والمعنى: أريكم كيف أَقْفرتْ منهم لما هلَكوا. وقيل: منازل عاد وثمود ومَن هلك مِن الأمم المتقدِّمة؛ ليعتبروا بها، وقيل: جهنم.

وقرأ ابن عباس ﷺ: «سأورثكم» -بالثاء المثلثة-؛ من الوِراثة[3]، وهي -على هذا- مصرُ؛ لقوله ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

---

(١) في أ، ب، هـ: «أول».
(٢) في أ: «وعزم».
(٣) نسبها إليه المهدوي في كتابه التحصيل (٣/ ٩٧).

(١٤٦) ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **الآياتُ هنا: يَحتمل أن يراد بها آيات القرآن وغيرِه من الكتب، أو العلامات والبراهين.**

والصَّرْف يراد به: صدُّهم عن فَهْمِها وعن الإيمان بها؛ عقوبةً لهم على تكبُّرهم، وقيل: الصَّرْف: مَنْعُهم من إبطالها.

(١٤٧) ﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ **يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به؛ أي: ولقائِهم الآخرةَ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف[1].**



---

(١) بمعنى: ولقاء ما وعدَ الله في الآخرة. الكشاف (٦/ ٥٧٩).

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٨﴾ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد غَيْبته في الطور.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ -بضم الحاء والتشديد-[1]: جمع حَلْيٍ؛ نحو ثَدْيٍ وثُدِيٍّ. وقرئ بكسر الحاء؛ للإتْباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام. والحَلْيُ: هو ما يُتزيَّن به من الذهب والفضة.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا دون روح. وانتصابُه على البدل.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ **الخوار**: هو صوت البقر. وكان السَّامريُّ قد قبَض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطَع البحرَ، فقذَفه في العجل فصار له خوارٌ، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه، فيُسمع له خوار.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ ردٌّ عليهم، وإبطالٌ لمذهبهم الفاسد في عبادته.

﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتَّخذوه إلهًا؛ فحذف المفعول الثاني للعلم به. وكذلك حذف من قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: نَدِموا؛ يقال: سُقِط في يد فلان: إذا عجَز عما يريد، أو وقع فيما يكره.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء وتشديد الياء، وضمَّ الباقون الحاء، وأما القراءة بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء ﴿حَلْيِهِمْ﴾ فهي قراءة يعقوب.

(١٥٠) ﴿أَسِفًا﴾ شديدَ الحزن على ما فعلوا، وقيل: شديد الغضب؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ أي: قُمتم مقامي. وفاعل «بئس» مضمرٌ؛ يفسره «ما»، واسم المذموم محذوفٌ. **والمخاطَب بذلك**: إما القوم الذين عبدوا العجل مع السَّامري؛ حيث عبدوا غير الله في غَيْبة موسىٰ عليه السلام عنهم، أو رؤساءُ بني إسرائيل كهارون عليه السلام؛ حيث لم يكفُّوا الذين عبدوا العجل.

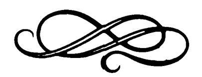
﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظارُ موسىٰ عليه السلام حتىٰ يرجع من الطور؛ فإنهم لما رأوا الأمر قد تمَّ ظنوا أن موسىٰ عليه السلام قد مات فعبدوا العجل.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ طرحها؛ لِما لحقه من الدَّهَش والضَّجَر؛ غضبًا لله من عبادة العجل.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشَعَر رأسه يجرُّه؛ لأنه ظنَّ أنه فرَّط في كفِّ الذين عبدوا العجل.

﴿ابْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيقَ موسىٰ، وإنما دعاه بأمِّه؛ لأنه أدْعَىٰ إلىٰ العطف والحنُوِّ. وقرئ ﴿ابْنَ أُمِّ﴾[1]: بالكسر؛ علىٰ الإضافة إلىٰ ياء المتكلم، وحذفت الياء، وبالفتح؛ تشبيهًا بخمسةَ عشرَ؛ جُعل الاسمان اسمًا واحدًا فبُني.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظنَّ أني منهم، أو: لا تجدْ عليَّ في نفسك ما تجدُ عليهم؛ يعني: أصحابَ العجل.



(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بكسر الميم، وقرأ الباقون بفتحها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ *وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿١٥٢﴾ ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي: غضبٌ في الآخرة، وذِلةٌ في الدنيا.

﴿١٥٤﴾ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي: سكَن؛ وكذلك قرأ بعضُهم(١). وقال الزمخشري: قوله: ﴿سَكَتَ﴾ مَثَلٌ؛ كأنَّ الغضب كان يقول له: أَلْقِ الألواح وجُرَّ برأس أخيك، ثم سكَت عن ذلك(٢).

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: فيما ينسخ منها، والنُّسخة: فُعْلةٌ بمعنى مفعول.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون. ودخلت اللام؛ لتقدُّم المفعول؛ كقوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقال المبرِّد: تتعلَّق بمصدر تقديره: رهْبَتُهم لربهم.

﴿١٥٥﴾ ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: من قومه سبعين رجلًا، حملهم معه إلى الطور فسَمِعوا(٣)

(١) قرأ كذلك معاوية بن قرَّة. المحرر الوجيز (٤/ ٥٦).
(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٥٩٥).
(٣) في ب، ج، هـ: «فيسمعوا».

كلام الله لموسىٰ، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة؛ عقابًا لهم علىٰ قولهم. **وقيل**: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم عن[1] عبادته. **والأوَّل أرجح**؛ لقوله: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣] . **ويَحتمل أن تكون** رجفةَ موتٍ، أو إغماءٍ، **والأول أظهر**؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٥] .

﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ **يَحتمل أن تكون** ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني؛ أي: تمنَّىٰ أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين. **ويَحتمل أن يكون** قال ذلك علىٰ وجه التضرُّع والاستسلام لأمر الله؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت؛ فإنَّا عبيدُك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء.

ويَحتمل أن يكون قالها علىٰ وجه التضرُّع والرغبة؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنَّك عافَيْتَنا وأبقيتنا فافعلْ معنا الآن كما عوَّدتنا[2]، وأحْيِ هؤلاء القومَ الذين أخذتْهم الرجفةُ.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: أتهلكُني وتهلكُ بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية، والذين عبدوا العجل. فمعنىٰ هذا: إدلاءٌ بحجته، وتبرُّؤٌ مِن فعل السفهاء، ورغبةٌ إلىٰ الله أن لا يعمَّ الجميع بالعقوبة.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: الأمور كلها بيدك تضلُّ من تشاء وتهدي من تشاء. **ومعنىٰ هذا**: اعتذارٌ عن فعل السفهاء بأنه[3] كان بقضاء الله ومشيئته.

(١٥٦) ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبْنَا.

وهذا الكلام الذي قاله موسىٰ ﷺ إنما هو كلُّه استعطافٌ ورغبة إلىٰ الله وتضرُّع إليه، ولا يقتضي شيئًا مما توهم الجهَّال فيه من الجفاء في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؛ لأنَّا قد بينَّا أنه إنما قال ذلك استعطافًا لله، وبراءةً من فعل السفهاء.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «علىٰ».
(٢) في أ، ج، د، هـ: «وعدتنا».
(٣) في د: «فإنه».

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ **قيل**: الإشارة بذلك إلىٰ الذين أخذتهم الرجفة. **والصحيح**: أنه عمومٌ يندرجون فيه مع غيرهم. وقرئ «من أساءَ» -بالسين وفتح الهمزة-؛ من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال: إنها تصحيفٌ(١).

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ **يَحتمل أن يريد** رحمتَه في الدنيا؛ فيكون خصوصًا في الرحمة، وعمومًا في ﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ ؛ لأنَّ المؤمن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا. **ويَحتمل أن يريد** رحمة الآخرة؛ فيكون خصوصًا في ﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ ؛ لأنَّ الرحمة في الآخرة مختصَّة بالمؤمنين. **ويَحتمل أن يريد** جنس الرحمة علىٰ الإطلاق؛ فيكون عمومًا في الرحمة، وفي ﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾.

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ **إن كانت الرحمة المذكورة رحمةَ الآخرة**: فهي -بلا شكٍّ- مختصَّةٌ بهؤلاء الذين كتبها الله لهم، وهم أمَّة محمد ﷺ. **وإن كانت رحمةَ الدنيا**: فهي -أيضًا- مختصة بهم؛ لأن الله نصرهم علىٰ جميع الأمم، وأعلىٰ دينَهم علىٰ جميع الأديان، ومكَّن لهم في الأرض ما لم يمكِّنْ لغيرهم. **وإن كانت علىٰ الإطلاق**: فقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ تخصيصٌ للإطلاق.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغير هذه الأمَّة.

﴿١٥٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خَصَّص أمَّة محمد ﷺ. **قال بعضهم**: لما قال الله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ طمِع فيها كلُّ أحد حتىٰ إبليس، فلما قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يئس إبليس، وبقيت اليهود والنصارىٰ، فلما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾

---

(١) قال في المحرر الوجيز (٤/ ٥٩): «وقرأ الحسن وطاوس وعمرو بن فائد: (مَن أساءَ) من الإساءة، أي: من عمل غير صالح، وللمعتزلة بهذه القراءة تعلُّقٌ من وجهين: أحدهما إنفاذ الوعيد، والآخر خَلْقُ المرءِ أفعالَه، وأن (أساءَ) لا فعل فيه لله، وهذان التعلُّقان فيهما احتمال يُنفصَل عنه كما يُنفصل عن سائر الظواهر، إلَّا أن القَرَأَةَ أطنبوا في التحفُّظ من هذه القراءة، وقال أبو عمرو الداني: لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاوس، وعمرو بن فائد رجل سوء، وذكر أبو حاتم أن سفيان بن عيينة قرأها مرة واستحسنها فقام إليه عبد الرحمن المقَّري وصاح به وأسمعه، فقال سفيان: لم أدرِ ولم أفطن لما يقول أهل البدع! [قال ابن عطية:] وهذا إفراطٌ من المقرئين، وحمَلهم علىٰ ذلك شُحُّهم علىٰ الدين، وظنُّهم أن الانفصال عن تعلُّق المعتزلة متعذِّرٌ».

الآيَةَ: يئس اليهود والنصارىٰ[1].

﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ أي: الذي لا يقرأ ولا يكتب، وذلك مِن أعظم دلائل نبوة محمد[2] ﷺ؛ لأنه أتىٰ بالعلوم الجمَّة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. قال بعضهم: الأُمِّيُّ منسوبٌ إلىٰ الأمِّ، وقيل: إلىٰ الأمَّة[3].

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في ﴿عِندَهُمۡ﴾. ومعنىٰ ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾: يجدون نعتَه وصفته.

ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا ﷺ:

فمن ذلك: ما ورد في البخاري وغيره أنَّ في التوراة من صفة النبي ﷺ: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأمِّيين[4]، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب[5] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[6]، ولن أقبضه حتىٰ أقيم به الملة العوجاء[7]؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيَفتح به عيونًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا»[8].

ومن ذلك: ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب، وهو باق بأيديهم إلىٰ الآن: «إنَّ الملَك نزل علىٰ إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٢) في ج، د: «نبوته».

(٣) في أ، ب، هـ: «للأمة».

(٤) أي: يحفظهم ويحفظ دينهم. التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٤/ ٢٩٤).

(٥) الذي في الرواية: «سخَّاب» بالسين، وهما بمعنىٰ واحد، قال في النهاية (٥/ ٢٢٨٩): «الصَّخَب والسَّخَب: الضجَّة واضطراب الأصوات للخصام».

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «ولا تجزي.. تعفو وتصفح»، والمبثت موافق لما في الرواية.

(٧) أي: المعوجَّة، والمراد ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، وتغيير ملة إبراهيم عن استقامتها، وإمالتها بعد قوامها. التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٤/ ٢٩٥).

(٨) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، (٤٨٣٨) عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

يا ربِّ ليت إسماعيل يعيش يخدمك، فقال الله لإبراهيم: ذلك لك، قد استجيب لك في إسماعيل، وأنا أباركه وأنميه وأكثِّره وأعظمه بماذْ ماذْ»[١]، وتفسير هذه الحروف: محمد.

ومن ذلك: في التوراة: «**إنَّ الربَّ تعالىٰ جاء في طور سيناء، وطلع من ساعِر، وظهر من جبال فَاران»**[٢].

ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسىٰ ﷺ، وساعر: موضع عيسىٰ ﷺ، وفاران: هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه.

ومعنىٰ ما ذُكِر من مجيء الله وطلوعه وظهوره: هو ظهور دينه علىٰ يدي الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع.

وتفسير ذلك: ما في كتاب إِشَعْيَا خطابًا لمكة: «**قومي فأَزْهري مصباحك، فقد دنا وقتك، وكرامةُ الله طالعةٌ عليك، فقد تجلَّل الأرضَ الظلامُ، وغطَّىٰ علىٰ الأمم المصاب**[٣]، **والربُّ يشرق عليك إشراقًا، ويُظهِر كرامته عليك، تسير الأمم إلىٰ نورك، والملوك إلىٰ ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلىٰ ما حولك، وتأمَّلي فإنهم مستجمعون عندك، وتحجُّ إليك عساكر الأمم»**[٤].

---

(١) هذا النص نقله أبو الحسن علي بن رَبَّن الطبري (كان حيًّا سنة ٢٤٧هـ) في كتابه الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، كان نصرانيًا فأسلم وألف هذا الكتاب، وضمَّنه نصوصًا من الكتب السابقة في إثبات نبوة نبينا ﷺ، ويعد هذا الكتاب من أقدم وأوثق المصادر في نقل هذه النصوص، وأدقَّها في النقل، فهي نقل عالم خبير عاش في دين النصرانية مدةً من الزمن وخبَرها، وهذا النص موجود في (ص ١٣١) وذكر أنه في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر منه، ونقله -أيضًا- ابن القيم في هداية الحيارىٰ (١٢٦)، وفيه عندهما: «وباركتُ عليه وكثَّرته وعظَّمته جدًّا جدًّا»، هكذا «جدًّا جدًّا»، وشرح ابن ربَّن معنىٰ هذا النص، وقال ابن القيم في موضع آخر من هداية الحيارىٰ (١٤٢): «وفي التوراة ما ترجمتُه بالعربية: (وأما في إسماعيل فقد قبلتُ دعاءك، قد أنا قد باركت فيه وأثمِّره وأكبِّره بـمُؤَذمُؤَذ) هكذا هذه اللفظة (مُؤَذ) علىٰ وزن عُمَر، وقد اختلفت فيها علماء أهل الكتاب، فطائفة تقول: معناها جدًّا جدًّا، أي: كثيرًا كثيرًا. فإن كان هذا معناها فهو بشارة بمَن عظم من بنيه كثيرًا كثيرًا، ومعلومٌ أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ. وقالت طائفة أخرىٰ: بل هي صريحُ اسم محمد..» وانظر تتمة كلامه.

(٢) في السفر الخامس من التوراة، في الفصل العشرين. الدين والدولة لابن ربَّن (١٣٨)، وهداية الحيارىٰ (١٢٢).

(٣) في كتاب الدين والدولة: «الضَّباب».

(٤) الدين والدولة (١٦١)، وهداية الحيارىٰ (١٦٩).

وفي بعض كتبهم: «**لقد تقطَّعت**[١] **السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته**»[٢].

ومن ذلك: في التوراة: «**أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءىٰ لها ملَك فقال لها: يا هاجر أين تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ فقالت: أَهربُ من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلىٰ سارة، وستحبلين وتلدين ابنًا اسمه إسماعيل وهو يكون عين**[٣] **الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطةً إليه بالخضوع**»[٤].

ووجه دلالة هذا الكلام علىٰ نبوة محمد ﷺ: أن هذا الذي وعدَها به الملَكُ من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد ﷺ وظهور دينه وعلوِّ كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد ﷺ.

ومن ذلك: في التوراة -أيضًا-: «**أن الرب يقيم لهم نبيًّا من إخوتهم، وأيُّ رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم**[٥] **الله منه**»[٦].

ودلالة هذا الكلام ظاهرةٌ، فأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: «**إن الله أوحىٰ إلىٰ إبراهيم ﵇: قد أجبتُ دعاءك في إسماعيل، وباركت عليك، وسيلد اثني عشر عظيمًا، وأجعله لأمة عظيمة**»[٧].

---

(١) في الدين والدولة: «انكسفت»، وفي هداية الحيارىٰ: «أضاءت».

(٢) في كتاب حَبَقُّوق النبي. الدين والدولة (١٦٩)، وهداية الحيارىٰ (١٨٧).

(٣) في هداية الحيارىٰ: «وحشيَّ الناس»، وفي الدين والدولة: «عَيْرَ الناس»، وشرح معنىٰ العَير في ص (١٣٥).

(٤) في السفر الأول من التوراة، في الفصل التاسع منه. الدين والدولة (١٣١)، وهداية الحيارىٰ (١٢٥).

(٥) في أ، ب، هـ: «ينتقم».

(٦) في السفر الخامس من التوراة، الفصل الحادي عشر منه. الدين والدولة (١٣٧)، وهداية الحيارىٰ (١١٩).

(٧) هو في ضمن النص الذي سبق نقله، في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر منه، وهو بعد قوله: «وأنا أباركه وأنميه وأكثِّره وأعظمه بماذْ ماذْ» أو «جدًّا جدًّا». الدين والدولة (١٣١)، وقال: «فهذا في ترجمة مارقس الترجمان، فأما في التوراة التي فسَّرها الاثنان وسبعون حبرًا من أحبار اليهود، فإنه يقول: (إنه سيلد اثني عشرة أمة من الأمم)»، وكذا في هداية الحيارىٰ (٣٧٢).

ومن ذلك: في الإنجيل: «أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم الفارَقْلِيط الذي لا يتكلَّم من قِبَلِ نفسه، إنما يقول كما يُقال له»(١).

وبهذا وصف الله سبحانه نبينا ﷺ في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. **وتفسير الفارقليط**: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمدٌ وأحمدُ، **وقيل**: معنىٰ الفارقليط: الشافع المشفع(٢).

ومن ذلك: في التوراة: «أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمته الحمادون»(٣). **وبيان ذلك**: أن أمته يقرأون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في صلاتهم مرارًا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حِمْيَرَ: أن كعبًا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله علىٰ موسىٰ من التوراة، وبكُتُب الأنبياء، ولم يكن يدَّخر عني شيئًا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال: يا بني قد علمتَ أني لم أكن أدَّخر عنك شيئًا مما كنت أعلمُ، إلَّا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظلَّ زمانُه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذَّابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكُوَّة التي ترىٰ وطيَّنت عليهما، فلا تتعرَّض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأَقِرَّهما في موضعهما حتىٰ يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتَّبعه وانظر فيهما؛ فإن الله يزيدك بذلك خيرًا.

فلما مات والدي لم يكن شيءٌ أحبَّ إلي من أن ينقضي المأتم حتىٰ أنظر ما في الورقتين، فلما انقضىٰ المأتم فتحت الكوَّة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: «محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومُهَاجَره بطيبة، ليس بفظٍّ

(١) إنجيل يوحنَّا، في الفصل الخامس عشر منه. الدين والدولة (١٨٤)، وهداية الحيارىٰ (١٢٨).

(٢) انظر الاختلاف في معنىٰ هذه اللفظة: هداية الحيارىٰ (١٢٩) وما بعدها.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٥٦)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٦٣٤)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ١٨٥).
قال ابن القيم في هداية الحيارىٰ (١٩٣): «ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعيَّنة».

ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمَّادون الذين يَحمَدون الله علىٰ كل شرف، وعلىٰ كل حال، وتُذلِّل(١) ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيَّهم علىٰ كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتَزِرون علىٰ أوساطهم، وأناجيلُهم في صدورهم، ويأكلون قُربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخلون الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشَّافعون المشفع لهم».

فلما قرأتُ هذا قلت في نفسي: والله ما علَّمني شيئًا خيرًا لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتىٰ بُعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أَقدِر علىٰ إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوَّفت ما كان والدي حذَّرني وخوفني من ذكْر الكذابين، وجعلت أحبُّ أن أتبيَّن وأتثبت، فلم أزل بذلك حتىٰ بلغني أنه قد أتىٰ المدينة، فقلت في نفسي: إنِّي لأرجو أن يكون إياه، وجعلت أَلْتمس السبيلَ إليه، فلم يُقدَّر لي حتىٰ بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعلَّه لم يكن الذي كنت أظن.

ثم بلغني أن خليفةً قام مقامه، ثم لم ألبث إلَّا قليلًا حتىٰ جاءتنا جنودُه فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتىٰ أعلمَ أهم الذين كنت أرجو وأنتظرُ، وأنظرَ كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلىٰ ما تكون عاقبتهم.

فلم أزل أدفع ذلك وأؤخِّره لأتبين وأتثبت حتىٰ قدِم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبِرَّهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم علىٰ الأعداء علمت أنهم هم الذي كنت أنتظر، فحدَّثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلةٍ فوق سطح لي إذا رجلٌ من المسلمين يتلو كتاب الله حتىٰ أتىٰ علىٰ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٦]، قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتىٰ يحوَّل وجهي في قفاي، فما كان شيء أحبَّ

(١) في أ: «وتتذلل».

إليَّ من الصباح، فغدوتُ علىٰ عمر فأسلمت حين أصبحت.

وقال كعبٌ لعمر عند انصرافه إلىٰ الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد، التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها؛ مفتوحةٌ علىٰ يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد علىٰ الكافرين، سرُّه مثل علانيته، وعلانيته مثل سرِّه، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أُسْدٌ بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ والذي يسمع ما نقول إنه لحق.

فقال عمر: فالحمد لله الذي أعزَّنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء[(١)].

ومن ذلك: كتاب فروة بن عمرٍو الجذامي إلىٰ رسول الله ﷺ، وكان من ملوك العرب بالشام، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد رسول الله من فروة بن عمرٍو: إني مقرٌّ بالإسلام مصدِّقٌ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشَّر به عيسىٰ ابن مريم عليه السلام»، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجَنه فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدًا فإنك تعرف أنه النبي الذي بشَّر به عيسىٰ بن مريم، ولكنك حرصتَ علىٰ ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدَق والإنجيل[(٢)].

ويشهد لهذا ما خرَّجه البخاري ومسلم من كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع

(١) أخرجه الواقدي في فتوح الشام (ص: ٢٣٣-٢٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ١٦١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني -كما في إمتاع الأسماع للمقريزي (٢/ ٣٧٠) والخصائص الكبرىٰ للسيوطي (١/ ٢٥)- بإسناده من طريق شهر بن حوشب عن كعب. ولم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب أبي نعيم. وانظر: الإكتفاء للكلاعي، ط. دار الكتب العلمية (٢/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ٩) بمعناه، وذكره الكلاعي في «الاكتفاء» (٢/ ٢٦) بلفظه، وعزاه إلىٰ الواقدي وأنه ذكره بإسناده، وقد ذكر الكلاعي في مقدمة كتابه أنه ينقل من كتاب المبعث للواقدي.

قدميَّ، ولو خلَصت إليه لغسلت قدميه[1].

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه -وهو عندنا بالإسناد[2]- أن عمر بن الخطاب ﵁ خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلىٰ الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببِطْريقٍ قد قبض علىٰ عنقي، فذهبت أُنازعُه فقيل لي: لا تفعل فإنه لا نَصَفَ لك منه، فأدخلني كنيسةً فإذا تراب عظيم ملقًىٰ، فجاءني بزنبيل ومِجْرفة فقال: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظرُ كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوبٌ أرىٰ سائر جسده منه، فقال: أئنك علىٰ ما أرىٰ ما نقلت شيئًا! ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي، فقلت: واثكل أمِّك يا عمر، أبلغتَ ما أرىٰ؟ ثم وثبت إلىٰ المجرفة فضربت بها هامتَه فنثرتُ دماغه ثم واريته في التراب وخرجت علىٰ وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي ومن الغد إلىٰ الهاجرة فانتهيت إلىٰ ديرٍ فاستظللت بفنائه، فخرج إليَّ رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يُقعِدك هنا؟ فقلت: أَضللتُ أصحابي، فقال لي: ما أنت علىٰ طريقٍ وإنك لتنظر بعيني خائف! فادخُلْ فأَصب من الطعام واسترِحْ، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطفني، ثم صعَّد فيَّ النظر وصوَّبه، فقال: قد علم -والله- أهل الكتاب -أو الكتب- أنه ما علىٰ الأرض أعلم بالكتاب أو بالكتب مني، وإني لأرىٰ صفتكَ الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلتُ: يا هذا لقد ذهبتَ بي في غير مذهب! فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبُنا، فاكتب لي علىٰ ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إليَّ صنيعةً فلا تكدِّرْها، فقال: إنما هو كتاب في رَقٍّ، فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرَّك شيئًا، فكتب[3] له علىٰ ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إليَّ ثم أَوْكَفَ أتانًا فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال: سِرْ عليها، فإنك لا تمرُّ بقومٍ إلَّا سَقَوْها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مَأْمَنك فاضربْ وجهها مدبرةً فإنهم يفعلون بها كذلك حتىٰ ترجع إليَّ، قال: فركبتها فكان كما قال، حتىٰ لحقتُ بأصحابي وهم متوجِّهون إلىٰ الحجاز، فضربتُها مدبرةً وانطلقتُ معهم.

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس ﵄.
(٢) هذا من قول الكلاعي، كما في الاكتفاء (٢/ ٣٠٩).
(٣) في د: «فكتبتُ».

فلما وافىٰ عمرُ الشامَ في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس، فلما رآه عرفه، فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل علىٰ أصحابه فحدَّثهم بحديثه، فلما فرَغ منه أقبل علىٰ الراهب فقال: هل عندكم من نفعٍ للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرَّضتموهم وأرشدتموهم فعلْنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فوفَّىٰ له عمر رضي الله عنه ورحمه[1].

وعن سيف[2] يرفعه إلىٰ سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء؛ والله لا ترجع حتىٰ يفتح الله إيلياء[3].

ومن ذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلىٰ عُمان واليًا عليها، فجاءه يومًا يهودي من يهود عمان فقال له: أَنشُدكَ بالله، مَن أرسلك إلينا؟ فقال له: رسول الله ﷺ، فقال اليهودي: والله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو: نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقًّا ما تقول لقد مات اليوم.

فلما سمع عمرٌو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهوديُّ أن النبي ﷺ مات فيه، ثم خرج فأُخبِر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم وبارك وشرَّف وكرَّم[4].

ومن ذلك: أن وفد غسَّان قدموا علىٰ رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من غسان قدمنا علىٰ محمد لنسمع كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ، فكلِّموه، فقالوا: وهل نقدر علىٰ كلامه كما

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٦)، (٦٤/ ٢٨٩)، والكلاعي في الاكتفاء (٢/ ٣٠٩).

(٢) هو سيف بن عمر التميمي الضبي، صاحب كتاب «الردة والفتوح» وغيره. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٦٤١)

(٣) لعله ذكر هذا في كتابه الردة والفتوح، والمطبوع منه ناقص، يبدأ من قصة استشهاد عمر رضي الله عنه وحديث الشورىٰ، وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٦١) عن سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم، وأخرجه الطبري في تاريخه عن سالم بن عبد الله (٣/ ٦٠٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٥٨).

أردنا؟ فتبسَّم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق، ويمشي وحده، ولا شرطةَ معه، ويرعب[1] من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر ابن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلىٰ الله، فقال لهم: كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا[2].

﴿يَامُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهِيٰهُمْ عَنِ اِ۬لْمُنكَرِ﴾ يَحتمل أن يكون هذا: من وصف النبي ﷺ في التوراة؛ فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ . أو تفسير لما كُتِب من ذِكْره. أو يكون استئنافَ وصفٍ من الله تعالىٰ غير مذكور في التوراة والإنجيل.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ اُ۬لطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ اُ۬لْخَبَٰٓئِثَ﴾ مذهب مالك: أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام. ومذهب الشافعي: أن الطيبات هي المستلَذَّات، إلَّا ما حرمه الشرع منها؛ كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات؛ كالخنافس والعقارب وغيرها[3].

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمُۥٓ إِصْرَهُمْ﴾ هي مثل ما[4] كُلِّفوا في شرعهم من المشقَّات؛ كقتل الأنفس في التوبة[5]؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب. وكذلك ﴿الاَغْلَٰلَ﴾ عبارةٌ عما مَنعت منه شريعتُهم؛ كتحريم الشُّحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: منعوه بالنَّصر؛ حتىٰ لا يقوىٰ عليه عدوٌّ.

﴿وَاتَّبَعُواْ اُ۬لنُّورَ اَ۬لذِےٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ هو القرآن، أو الشرع كله. ومعنىٰ ﴿مَعَهُۥٓ﴾: مع بعثه ورسالته.



(١) في أ، د: «ويرغب».
(٢) ذكره الكلاعي في الاكتفاء (١/ ٦١٧) عن الواقدي.
(٣) انظر كلامه والتعليق عليه عند تفسير الآية (٤) من سورة المائدة.
(٤) في ج، د: «هو مثل لما».
(٥) في أ، ب، هـ: «التوراة».

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ
عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ
وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿١٥٨﴾ ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره: قوله ﷺ: «وكان كل نبي يُبعث إلىٰ قومه خاصةً، وبعثت إلىٰ الناس كافة»[١].

فإعراب ﴿جَمِيعًا﴾ : حالٌ من الضمير في ﴿إِلَيْكُمْ﴾ .

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نعتٌ لله، أو منصوبٌ علىٰ المدح بإضمار فعل، أو مرفوعٌ علىٰ أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلىٰ غيره من الأنبياء.

﴿١٥٩﴾ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسىٰ ﷺ، (أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره)[٢].

﴿١٦٠﴾-﴿١٦٢﴾ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي: فرّقناهم[٣].

(١) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه.
(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.
(٣) في أ، ب: «مزّقناهم».

﴿أَسْبَاطًا﴾ السِّبْط في بني إسرائيل: كالقبيلة في العرب. وانتصابه على البدل من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، لا على التمييز؛ فإن تمييز ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ لا يكون إلَّا بمفرد، وقال الزمخشري: على التمييز؛ لأن كل قبيلة أسباطٌ لا سبط[1].

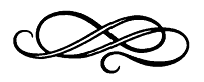
﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ أي: انفجرت؛ إلَّا أن الانبجاسَ أخفُّ من الانفجار، وقال الغَزنوي: الانبجاس: أول الانفجار[2].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ وما بعده إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: مذكورٌ في «البقرة»[3].

تنبيه: وقع اختلافٌ في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين[4] سورة «البقرة»؛ كقوله: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ و ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ ، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾، وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ و ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء:

فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض[5].

وعلَّلها شيخُنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير في كتاب: «مِلاك التأويل»[6] وصاحبُ الدُّرة[7] بتعليلات؛ منها قوية وضعيفة فيها طول فتركناها؛ لطولها.



(١) انظر: الكشاف (٦/ ٦٢٠).

(٢) انظر: عين المعاني «مخطوط» (ل: ٢٦٩)، للغزنوي السجاوندي، تقدمت ترجمته في الباب السادس من المقدمة الأولى.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٦) وما بعدها.

(٤) في أ، ب، هـ: «وفي».

(٥) انظر: الكشاف (٦/ ٦٢٦).

(٦) انظر: ملاك التأويل (١/ ٢٠٣) وما بعدها.

(٧) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، انظر كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٢٣٣) وما بعدها.

*وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ اِ۬لْقَرْيَةِ اِ۬لتِے كَانَتْ حَاضِرَةَ اَ۬لْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِے اِ۬لسَّبْتِ إِذْ تَاتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاٗ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَاتِيهِمْۖ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَۖ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ
قَالَتُ اُمَّةٞ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اِ۬للَّهُ مُهْلِكُهُمُۥٓ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباٗ شَدِيداٗۖ قَالُواْ مَعْذِرَةٌ اِلَيٰ
رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَۖ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا اَ۬لذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ اِ۬لسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
اَ۬لذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۢ بِيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَۖ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ
كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَۖ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمُۥٓ إِلَيٰ يَوْمِ اِ۬لْقِيَٰمَةِ مَنْ يَّسُومُهُمْ سُوٓءَ
اَ۬لْعَذَابِۖ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ اُ۬لْعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞۖ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِے اِ۬لْأَرْضِ أُمَماٗ مِّنْهُمُ
اُ۬لصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِالْحَسَنَٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَۖ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٞ وَرِثُواْ اُ۬لْكِتَٰبَ يَاخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا اَ۬لْأَدْنَيٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
يَّاتِهِمْ عَرَضٞ مِّثْلُهُۥ يَاخُذُوهُۖ أَلَمْ يُوخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ اُ۬لْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى اَ۬للَّهِ إِلَّا اَ۬لْحَقَّۖ
وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۖ وَالدَّارُ اُ۬لْأٓخِرَةُ خَيْرٞ لِّلذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَۖ ﴿١٦٩﴾ وَالذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ
وَأَقَامُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ اَ۬لْمُصْلِحِينَۖ ﴿١٧٠﴾ *وَإِذْ نَتَقْنَا اَ۬لْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّواْ
أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْۖ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَۖ ﴿١٧١﴾

(١٦٣) ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ أي: اسأل اليهود علىٰ جهة التقرير والتوبيخ.

﴿عَنِ اِ۬لْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي أَيْلَة، وقيل: هي طَبَريَّة، وقيل: مَدْين.

﴿حَاضِرَةَ اَ۬لْبَحْرِ﴾ قريبةً منه، أو علىٰ شاطئِه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِے اِ۬لسَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حدَّ الله فيه؛ وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نُهُوا عنه. وموضع ﴿إِذْ﴾: بدلٌ من ﴿اِ۬لْقَرْيَةِ﴾ ؛ والمراد: أهلها، وهو بدل اشتمال، أو منصوبٌ بـ﴿كَانَتْ﴾ ، أو بـ﴿حَاضِرَةَ﴾ .

﴿إِذْ تَاتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاٗ﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتىٰ تصل إلىٰ بيوتهم؛ ابتلاءً لهم؛ إذ كان صيدُها محرَّمًا عليهم في السبت، وتَغِيبُ عنهم في سائر الأيام.

و﴿سَبْتِهِمْ﴾ مصدرٌ من قولك: سبَت اليهودي يَسْبِتُ: إذا عظَّم يوم السبت.

ومعنىٰ ﴿شُرَّعاٗ﴾: ظاهرةً قريبةً منهم؛ يقال: شرَع منا فلان: إذا دنا.

و﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾: منصوبٌ بـ﴿يَعْدُونَ﴾، أو بدلٌ من ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾.

١٦٤ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾ الآيةَ؛ **افترقت بنو إسرائيل ثلاثَ فرق: فرقة** عصتْ بالصيد يوم السبت. وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت. وفرقة سكتت واعتزلت، فلم تنهَ ولم تعْصِ.

وإنَّ هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيانَ العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قومًا يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم؟ فقالت الناهية: ننهاهم معذرةً إلى الله ولعلهم يتقون. فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختُلف في الثالثة: هل هلكت؛ لسكوتها؟ أو نجت؛ لاعتزالها وتركها العصيانَ؟

١٦٥ ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد. وقرئ بالهمز، وتركِه، وقرئ على وزن «فَعِيل»، وعلى وزن «فَيْعَل»[1]؛ وكلُّها من معنى البؤس.

١٦٦ ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي: لما تكبَّروا عن ما نهوا عنه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِـِٔينَ﴾ ذُكِر في «البقرة»[2]. والمعنى: أنهم عُذِّبوا أولًا بعذاب شديد، فعَتَوْا بذلك، فمُسِخوا قردة. وقيل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ﴾ تكرارٌ لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾، والعذاب البِيسُ: هو المسخ.

١٦٧ ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزَم؛ وهو من الإيذان بمعنى الإعلام.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآيةَ؛ أي: يسلِّط عليهم، ومن ذلك: أخذُ الجزية، وهوَانُهم في جميع البلاد.

١٦٨ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، ففي كل بلدٍ فرقةٌ منهم، فليس لهم إقليم يملكونه.

﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم؛ كعبد الله بن سلَام ﷺ، أو[3] من كان صالحًا من المتقدمين منهم.

---

(١) قرأ ابن عامر ﴿بِئْسٍ﴾ بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها، وقرأ نافع ﴿بِيسٍ﴾ بإبدال الهمزة ياءً، وقرأ شعبة بخلف عنه ﴿بَيْئَسٍ﴾ على وزن «فَيْعَل»، وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لشعبة ﴿بَئِيسٍ﴾ على وزن «فَعِيل».

(٢) انظر تفسير الآية (٦٤).

(٣) في أ، ب، هـ: «و».

﴿بِالْحَسَنَٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: بالنِّعم والنِّقم.

(١٦٩) ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدَث بعدهم قومُ سوءٍ. والخلف بسكون اللام: ذمٌّ، وبفتحها: مدحٌ. والمراد: مَن حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد: النصارىٰ.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: عرَض الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترارٌ منهم وكذب.

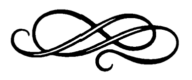
﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال؛ أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلىٰ مثل فعلهم.

﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ إشارةٌ إلىٰ كَذِبهم في قولهم : ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾. وإعراب ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾: عطفُ بيانٍ علىٰ ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أو تفسيرٌ له، أو تكون «أن» حرف عبارةٍ وتفسير.

(١٧٠) ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف[1]؛ وهما بمعنًىٰ واحدٍ.

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾: عطفٌ علىٰ ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، أو مبتدأٌ وخبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾؛ وقام ذِكْرُ المصلحين مقامَ الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب.

(١٧١) ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: اقتلَعْنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل، وقلنا لهم: خذوا التوراة حين أبَوا مِن أَخْذِها. وقد تقدَّم في «البقرة» تفسير الظُّلة[2]، و﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾[3].



(١) قرأ شعبة عن عاصم ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بالتخفيف، والباقون بالتشديد.
(٢) انظر تفسير الآية (٢٠٨).
(٣) انظر تفسير الآية (٦٢).

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ
فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
﴿١٧٨﴾ *وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

﴿١٧٢﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآيَةَ؛ في معناها قولان:

الأول: أن الله لما خلق آدم عليه السلام أخرج ذُرِّيته من صلبه وهم مثل الذرِّ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربُّهم، فأقرُّوا بذلك والتزموه. روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة[1]، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارةٌ عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهادهم فمعناه: أن الله نصَب لبني آدم الأدلةَ على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: ألست بربكم وكأنهم قالوا[2] بلسان الحال: بلى أنت ربُّنا.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٧) وضعفه، والحاكم (٧٥) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي موقوفًا عليه، قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٠٢): «هذا أكثر وأثبت».

(٢) في أ، ج، هـ: «وقالوا».

والأول هو الصحيح؛ لتواتر الأخبار به، إلَّا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عَدَل عنه مَن قال بالقول الآخر، وإنما تُطابِقُه بتأويل؛ وذلك أن أخْذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم!

والجمع بينهما: أنه ذَكر بني آدم في الآية والمراد آدم؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠] الآيةَ، علىٰ تأويل: لقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم: أسلافُ اليهود، والمراد بذرِّيتهم: من كان في عصر النبي ﷺ منهم(١).

والصحيح المشهور: أن المراد جميع بني آدم حسَبما ذَكرنا.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قولهم ﴿بَلَىٰ﴾: إقرارٌ منهم بأن الله ربهم؛ فإن تقديره: أنت ربنا؛ فإن «بلىٰ» بعد التقرير تقتضي الإثبات، بخلاف «نعم»؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: لو قالوا: «نعم» لكفروا(٢). وأما قولهم: ﴿شَهِدْنَآ﴾ فمعناه: شهدنا بربوبيتك؛ فهو تحقيقٌ لربوبية الله، وأداءٌ لشهادتهم بذلك عند الله. وقيل: إن ﴿شَهِدْنَآ﴾ من قول الله والملائكة؛ أي: شهدنا علىٰ بني آدم باعترافهم.

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله؛ أي: فعَلْنا ذلك كراهةَ أن تقولوا، فهو من قول الله، لا من قولهم. وقرئ بالتاء(٣)؛ علىٰ الخطاب لبني آدم، وبالياء؛ علىٰ الإخبار عنهم.

١٧٥ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسىٰ عليه السلام إلىٰ ملك مَدْين داعيًا إلىٰ الله، فرشاه الملِك، وأعطاه المُلْك علىٰ أن يترك دين موسىٰ ويتابع الملِك علىٰ دينه ففعل، وأضلَّ الناس بذلك(٤).

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٦٤٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الباقون بالتاء.

(٤) كذا عزاه إلىٰ ابن مسعود ابنُ عطية في تفسيره (٤/ ٨٧)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول مالك بن دينار، أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٨).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: هو رجل من الكنعانيين اسمه بَلْعَام، كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسىٰ عليه السلام قتال الكنعانيين -وهم الجبارون- سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم علىٰ موسىٰ وعسكره فأبىٰ، فألحُّوا عليه حتىٰ دعا عليه (أن لا يدخل المدينة، ودعا موسىٰ عليه)[2].

فالآيات التي أُعطِيَها علىٰ هذا القول: هي اسم الله الأعظم، **وعلىٰ قول ابن مسعود** رضي الله عنه: هي ما علَّمه موسىٰ عليه السلام من الشريعة.

وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم عليه السلام.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: هو أمية بن أبي الصَّلت[3]، وكان قد أوتي علمًا وحكمةً، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر، ثم رجع عن ذلك فمات كافرًا، وفيه قال النبي ﷺ: «**كاد أميةُ بن أبي الصلت أن يُسلم**»[4]، **فالآيات علىٰ هذا**: ما كان عنده من العلم.

والانسلاخ: عبارةٌ عن البُعْد والانفصال منها، كالانسلاخ من الثياب والجلد.

(١٧٦) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: لرفعنا منزلتَه بالآيات التي كانت عنده.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ عبارةٌ عن فعله لِـما سقطَتْ به منزلتُه عند الله.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أي: صِفَتُه كصفة الكلب؛ وذلك غايةٌ في الخسَّة والرداءة[5].

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ **اللَّهَثُ**: هو تنفُّسٌ بسرعة، وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات[6] مع الحرِّ والتعب، وهي حالةٌ دائمة للكلب. ومعنىٰ ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: إن تفعل معه ما يشقُّ عليه من طرد أو غيره، ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحملَ عليه: فهو يلهثُ علىٰ كل حال.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في د: «والرذالة».

(٦) في ب: «للحيوانات».

ووجه تشبيه ذلك الرجل به: أنه إن وعَظْته فهو ضالٌّ، وإن لم تعِظْهُ فهو ضالٌّ، فضلالته علىٰ كل حال؛ كما أن لهَث الكلب علىٰ كل حال. وقيل: إن ذلك الرجل خَرج لسانُه علىٰ صدره، فصار مثل الكلب في صورته ولهَثه حقيقةً.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾ أي: صفة المكذبين كصفة الكلب في لهَثه، أو كصفة الرجل المشبَّه به؛ لأنهم إن أُنذِروا لم يهتدوا، وإن تُرِكوا لم يهتدوا. أو شبَّههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعْهم، كما أن الرجل لم ينفعْه ما كان عنده من الآيات.

(١٧٧) ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ أي: مثلُ القوم.

﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾ قدَّم هذا المفعول؛ للاختصاص والحصر.

(١٧٩) ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ﴾ هم الذين عَلِم اللهُ أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك، كما جاء في قوله: «هؤلاء إلىٰ الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلىٰ النار ولا أبالي»[(١)].

﴿لَّا يُبْصِرُونَ بِهَاۚ﴾ ليس المعنىٰ نفي الفهم والبصر والسمع جملةً؛ وإنما المعنىٰ: نفيُها عما ينفع في الدين.

(١٨٠) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»[(٢)]. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرةً، والرحمن أخرىٰ، فقال: يزعم محمد أنَّ الإلهَ واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة؛ فنزلت الآية مبينةً أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمَّىٰ واحدٍ[(٣)].

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مصدر وُصِف به، أو تأنيث «أحسن». وحُسْنُ أسماء الله: هي أنها صفات مدحٍ وتعظيم وتمجيد[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٨)، والحاكم (٨٤) من حديث الرحمن بن قتادة السلمي ﷺ، وقال الحاكم: «صحيح قد اتفقا علىٰ الاحتجاج برواته عن آخرهم إلىٰ الصحابة» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٢/ ٧٦)، والذي أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٣) عن ابن عباس ﷺ أن الآية التي نزلت بهذا السبب هي آية الإسراء ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وليست هذه الآية.

(٤) في ب، هـ: «وتحميد».

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: سمُّوه بأسمائه، وهذا إباحةٌ لإطلاق الأسماء على الله[1] تعالى، فأمَّا ما ورد منها في القرآن أو في الحديث: فيجوز إطلاقه على الله إجماعًا، وأمَّا ما لم يرد، وفيه مدحٌ ولا تتعلَّق به شبهة فأجاز أبو بكر ابن الطيب إطلاقَه على الله، ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفةٌ على ما ورد في القرآن والحديث[2].

وقد ورد في «كتاب الترمذي» عِدَّتها؛ أعني: تعيين التسعة والتسعين[3]، واختَلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على أبي هريرة؟ وإنما الذي ورد في الصحيح كونُها تسعةً وتسعين من غير تعيين.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ **قيل**: معنى «ذروا»: اتركْهم لا تُحَاجَّهم ولا تتعرَّض لهم؛ فالآية -على هذا- منسوخةٌ بالقتال. **وقيل**: معنى «ذروا»: الوعيد والتهديد؛ كقوله: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١٠]، **وهو الأظهر**؛ لما بعده.

وإلحادهم في أسماء الله: هو ما قال أبو جهل، فنزلت الآية بسببه، **وقيل**: تسميته بما لا يليق به، **وقيل**: تسمية الأصنام بأسمائه، كاشتقاقهم اللَّات من الله، والعُزَّى من العزيز.

﴿١٨١﴾ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ الآيةَ؛ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هذه الآية لكم، وقد تقدَّم مثلُها لقوم موسى»[4].



---

(١) في أ، هـ: «الإله».

(٢) [**التعليق ٥٧**] **قال الشيخ عبد الرحمن البراك**: قوله: «أي: سمُّوه بأسمائه» إلخ، هذا أحد التفسيرين في معنى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، والباء على هذا للتعدية، وقيل: ادعوه بها، أي: توسَّلوا بها، كما تقول: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، والباء على هذا سببية، ثم ما ذكره المؤلف من التفصيل في أسماء الله مستقيم، ومضمونه أنَّ الله لا يسمَّى إلا بما سمَّى به نفسه أو ما سمَّاه به رسوله ﷺ، وهو معنى قول المؤلف: «موقوفة»، أي: توقيفية، وأما ما لم يرد في كتاب ولا سنة، وهو صفة مدح، فيجوز الإخبار به عن الله، ولا يعدُّ من أسمائه، كالقديم والمنشئ والمحْكِم والصانع.

(٣) سنن الترمذي (٣٥٠٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٠٠) عن قتادة قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ يقول إذا قرأها: «هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾»، وأخرجه -أيضًا- عن ابن جريج عن النبي ﷺ، وهي مرسلة.

وَالذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ *قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿١٨٢﴾ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ **الاستدراج**: استفعالٌ من الدَّرَجة؛ أي: نسوقهم إلىٰ الهلاك شيئًا بعد شيء وهم لا يشعرون. **والإملاء**: هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿١٨٣﴾ ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمَّىٰ فعله بهم كيدًا؛ لأنه شبيهٌ بالكيد في أن ظاهره إحسانٌ وباطنه خذلان(١).

﴿١٨٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ **يعني بصاحبهم**: النبيَّ ﷺ، فنفىٰ عنه ما نَسب له المشركون من الجنون. **ويَحتمل أن يكون قوله**: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ معمولًا لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ فيُوصَل به، **والمعنىٰ**: أو لم يتفكروا فيعلموا أنه ما بصاحبهم من جنة.

ويَحتمل أن يكون الكلام قد تمَّ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ ، ثم ابتدأ إخبارًا مستأنَفًا بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾. والأوَّل أحسن.

---

(١) [**التعليق ٥٨**] **قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُهُ**: «سمَّىٰ فِعْلَهُ بهم كَيْدًا ...»، إلخ: **أقولُ**: هذا يتضمَّنُ أنَّ ما يفعلُهُ الربُّ عز وجل بالكافِرينَ مِنَ الاستدراجِ ليس بكَيْدٍ حقيقةً، بل هو مجرَّدُ تسليةٍ؛ فهو كيدٌ لفظًا لا معنًىٰ. وهذا خطأ؛ لأنه صرفٌ لِلَّفْظِ عن ظاهِرِهِ بلا مُوجِب؛ كيف وقد أكَّده اللهُ بالمصدَرِ المؤكِّدِ كما في قولِهِ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦]؟! فهو تعالىٰ يكيدُ الكافِرينَ ويمكُرُ بهم؛ جزاءً علىٰ كَيْدِهم ومَكْرِهم؛ جزاءً وفاقًا.

﴿١٨٥﴾ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ يعني: نظرَ استدلال.

﴿وَمَا خَلَقَ أَللَّهُ﴾ عطفٌ علىٰ الملكوت. ويعني بقوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾: جميعَ المخلوقات؛ إذ جميعُها دليلٌ علىٰ وَحدانية خالقها.

﴿وَأَنْ عَسىٰٓ أَنْ يَّكُونَ قَدِ إِقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ «أن» **الأولىٰ**: مخففة من الثقيلة، وهي عطف علىٰ الملكوت، و«أن» **الثانية**: مصدرية؛ في موضع رفعٍ بـ﴿عَسىٰٓ﴾ . و﴿أَجَلُهُمْ﴾ يعني: موتَهم. **والمعنىٰ**: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلىٰ النظر فيما يخلِّصهم عند الله قبل حلول الأجل.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعْدَهُۥ﴾ الضمير للقرآن.

﴿١٨٧﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ أَلسَّاعَةِ﴾ **السائلون**: اليهود، أو قريش. وسُمِّيت القيامة ساعةً؛ لسرعة حسابها؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ أَلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ اِلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿أَيَّانَ مُرْسِيٰهَا﴾ معنىٰ ﴿أَيَّانَ﴾: متىٰ، و﴿مُرْسِيٰهَا﴾: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء؛ بمعنىٰ الثبوت.

﴿قُلِ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّے﴾ أي: استأثرَ اللهُ بعلم وقت وقوعها، ولم يطَّلع عليه أحدٌ.

﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ﴾ معنىٰ ﴿يُجَلِّيهَا﴾: يُظْهِرها؛ فهو من الجلاء ضدّ الخفاء. واللام في ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ ظرفيةٌ؛ أي: عندَ وقتها. والمعنىٰ: لا يُظْهِر الساعةَ عند مجيءِ وقتِها إلَّا اللهُ.

﴿ثَقُلَتْ فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

- **الأول**: ثقلت علىٰ أهل السماوات والأرض؛ لهيبتها عندهم، وخوفِهم منها.
- **والثاني**: ثقلت علىٰ[1] السماوات والأرض أنفسِها؛ لتفطر السماء فيها، وتبديل الأرض.
- **والثالث**: معنىٰ ﴿ثَقُلَتْ﴾ : ثقل علمها؛ أي: خفي.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «أهل»، والصواب عدم ذكرها كما في المحرر الوجيز (٤/ ١٠٥) وكما يقتضيه السياق.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ﴾ الحفيُّ بالشيء: هو المُهْتبِلُ به المعتنِي به. **والمعنىٰ**: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعِلْمها، **وقيل المعنىٰ**: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم؛ لقرابتك منهم، فـ﴿عَنْهَاۖ﴾ -علىٰ هذين القولين- يتعلَّق بـ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ . **وقيل المعنىٰ**: يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها.

﴿١٨٨﴾ ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ براءةٌ من علم الغيب، واستدلالٌ علىٰ عدم علمه.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ **عطفٌ علىٰ**: ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء[1]، ولكن لا أعلمه؛ فيصيبُني ما قُدِّر لي من الخير والشر. **وقيل**: إن قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ استئنافُ إخبارٍ؛ والسوء -علىٰ هذا-: هو الجنون. **واتِّصالُه بما قبله أحسن.**

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَۚ﴾ **يجوز أن يتعلَّق** بـ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ معًا؛ أي: أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخصَّ بهم البِشارة والنِّذارة؛ لأنهم الذين ينتفعون بهما. **ويجوز أن يتعلَّق** بالبشارة وحدها، ويكون المتعلِّق بـ﴿نَذِيرٌ﴾ محذوفًا؛ أي: نذير للكافرين. **والأول أحسن.**



(١) في د: «الشر».

هُوَ اَ۬لذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشّ۪يٰهَا حَمَلَتْ
حَمْلًا خَفِيفاٗ فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا اُ۬للَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنَ اٰتَيْتَنَا صَٰلِحاٗ لَّنَكُونَنَّ مِنَ
اَ۬لشَّٰكِرِينَۖ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتِيٰهُمَا صَٰلِحاٗ جَعَلَا لَهُۥ شِرْكاٗ فِيمَآ ءَاتِيٰهُمَاۖ فَتَعَٰلَى اَ۬للَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَۖ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـٔاٗ وَهُمْ يُخْلَقُونَۖ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراٗ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَۖ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمُۥٓ إِلَى اَ۬لْهُد۪يٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْكُمُۥٓ أَدَعَوْتُمُوهُمُۥٓ
أَمَ اَنتُمْ صَٰمِتُونَۖ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ اَ۬لذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ عِبَادٌ اَمْثَالُكُمْۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ
لَكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَۖ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمُۥٓ أَرْجُلٞ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمُۥٓ أَيْدٖ يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمُۥٓ
أَعْيُنٞ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمُۥٓ ءَاذَانٞ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ قُلُ اُ۟دْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا
تُنظِرُونِۖ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّۦَ اَ۬للَّهُ اُ۬لذِے نَزَّلَ اَ۬لْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى اَ۬لصَّٰلِحِينَۖ ﴿١٩٦﴾ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَۖ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمُۥٓ إِلَى اَ۬لْهُد۪يٰ لَا
يَسْمَعُواْۖ وَتَر۪يٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَۖ ﴿١٩٨﴾

﴿١٨٩﴾ ﴿مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: آدمَ. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني: حوَّاء.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾ يميل إليها ويستأنس بها.

﴿تَغَشّ۪يٰهَا﴾ كنايةٌ عن الجماع.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاٗ﴾ أي: خفَّ عليها، ولم تَلْقَ منه ما يلقىٰ بعض الحُبَالىٰ من حملهنَّ مِن الأذىٰ والكرب، وقيل: الحمل الخفيف: المنيُّ في فرجها.

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قيل معناه: أنها استمرَّت به إلىٰ حين ميلاده، وقيل معناه: قامت وقعدت.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: ثقُلَ حملُها وصارت به ثقيلةً.

﴿لَئِنَ اٰتَيْتَنَا صَٰلِحاٗ﴾ أي: ولدًا صالحًا سالـمًا في بدنه.

﴿١٩٠﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاتِيٰهُمَا صَٰلِحاٗ جَعَلَا لَهُۥ شِرْكاٗ فِيمَآ ءَاتِيٰهُمَاۖ﴾ أي: لما آتاهما ولدًا صالحًا كما طلبا: جعل أولادُهما له شركاءَ، فالكلام علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك: ﴿فِيمَآ ءَاتِيٰهُمَاۖ﴾؛ أي: فيما آتىٰ أولادَهما وذريَّتَهما.

وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس فقال لها: إن أطعتِني وسمَّيت ما في بطنك عبدَ الحارث فسأخلِّصه لك -وكان اسم إبليس الحارث-، وإن عصيتِني في ذلك قتلته. فأخبرتْ بذلك آدم، فقال لها: إنه عدوُّنا الذي أخرجَنا من الجنة، فلما وَلدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرىٰ فقال لها إبليس مثل ذلك، فعصته فمات الولد، فحملت مرة ثالثة فسمَّياه عبد الحارث؛ طمعًا في حياته[1]، فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله.

والقــول الأول أصحُّ؛ لثلاثــة أوجــه:

◀ **أحدها**: أنه يقتضي براءةَ آدم ﵇ وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء ﵈.

◀ **والثاني**: أنه يدلُّ علىٰ أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته: قولُه[2] تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع.

◀ **والثالث**: أن ما ذكروا من قصة آدم ﵇ وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلىٰ نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة.

وقيل: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: هو قصي بن كلاب وزوجته، و﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكَآءَ﴾ أي: سمَّيا أولادَهما عبدَ العزىٰ وعبد الدار وعبد مناف.

وهذا القول بعيدٌ؛ لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب -علىٰ هذا- خاصٌّ بذرية قصيٍّ من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فإن هذا يصح في حواء؛ لأنها خلقت من ضِلَعِ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ﭭ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﭭ، وأخرجه أيضًا (٥/ ١٦٣٣) عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب ﭬ، قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٢٨): «وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب»، وانظر كلامه عن الأحاديث والآثار الواردة في تفسير هذه الآية.

(٢) في د: «بدليل قوله».

آدم، ولا يصحُّ في زوجة قصي.

١٩١ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ هذه الآية ردٌّ على المشركين من بني آدم. والمراد بقوله: ﴿مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ : الأصنامُ وغيرها مما عُبِد من دون الله. **والمعنى**: أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق؛ فهو الإله وحده.

١٩٢ ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ **المعنى**: أن الأصنام لا ينصرون مَن عبَدهم، ولا ينصرون أنفسَهم؛ فهم في غاية العجز والذِّلة، فكيف يكونون آلهة؟!

١٩٣ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدىٰ لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ **المعنى**: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تَهتدي، أو إلى أن تَهدِي[1]؛ لأنها جمادات.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمَ اَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ تأكيدٌ وبيان لما قبلها. **فإن قيل**: لم قال: ﴿أَمَ اَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ؛ فوَضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية؟ وهلَّا قال: أو صَمَتُّم؟

فالجواب: أنَّ صمْتَهم عن دعاء الأصنام كانت حالةً مستمرة، فعبَّر عنها بجملة اسمية؛ لتقتضيَ الاستمرارَ على ذلك.

١٩٤ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ اَمْثَالُكُمْ﴾ ردٌّ على المشركين؛ فإن آلهتهم عبَادٌ، فكيف يُعبَد العبدُ مع ربِّه؟!

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

١٩٥ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ وما بعده؛ معناه: أن الأصنام جماداتٌ عادمة للحسِّ والجوارح والحياة، وما كان كذلك لا يكون إلهًا؛ فإنَّ مِن وصف الإله: الإدراك والحياة والقدرة.

وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرُّون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطِش ولا تُبصِر ولا تسمع؛ فلزمتهم الحجة. والهمزة في قوله: ﴿أَلَهُمْ﴾ للاستفهام مع التوبيخ. و﴿أَمْ﴾ في المواضع الثلاثة: تضمَّنت معنى الهمزة ومعنى «بل»، وليست عاطفةً.

(١) في ب: «إذا دعيت أن تهدي أو إلى أن تهدَى».

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ **المعنىٰ**: استنجدوا[1] أصنامكم لمضرَّتي والكيدِ عليَّ، ولا تؤخِّروني؛ فإنكم وأصنامَكم لا تقدرون علىٰ مضرَّتي. **ومقصود الآية**: الردُّ عليهم ببيان عجْزِ أصنامهم، وعدم قدرتها علىٰ المضرَّة. وفيها -أيضًا- إشارةٌ إلىٰ أن التوكل: علىٰ الله، والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر علىٰ شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

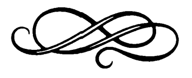
﴿١٩٦﴾ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ أي: هو ناصري وحافظي منكم، فلا تضرونني، ولو حرَصتم أنتم وآلهتُكم علىٰ مضرَّتي. ثم وصف اللَه بأنه: ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وبأنه: ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلالٌ علىٰ صدق النبي ﷺ؛ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولَّىٰ حِفْظَه، ومن تولىٰ اللهُ حفظَه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقًا في قوله؛ لا سيما فيما يقوله علىٰ الله.

﴿١٩٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ علىٰ المشركين، وقد تقدَّم معناه.

﴿١٩٨﴾ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾ **يحتمل** أن يريد الأصنام؛ فيكون تحقيرًا لها، وردًّا علىٰ من عبدها؛ فإنها جمادٌ مواتٌ لا تسمع شيئًا، فيكون المعنىٰ كالذي تقدَّم. أو يريد الكفار، ووصَفهم بأنهم لا يسمعون يعني: سمعًا ينتفعون به؛ لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبَع علىٰ قلوبهم.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ **إن كان هذا من وصف الأصنام**: فقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ مجازٌ، وقوله: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئًا.

وإن كان من وصف الكفار: فـ﴿يَنظُرُونَ﴾ حقيقة، و ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مجازٌ علىٰ وجه المبالغة؛ كما وصفهم بأنهم لا يسمعون .



(١) في د، هـ: «استجدوا».

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَامُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ *وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ اِنَّ ٱلذِينَ إتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓيِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَاتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا إجْتَبَيْتَهَا قُلِ اِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحِيَ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

﴿١٩٩﴾ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنىٰ: خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسَّر لا ما يشقُّ عليهم؛ لئلا ينفروا، فالعفو -علىٰ هذا- بمعنىٰ: السَّهل والسَّمح عنهم[١]، وهو ضد الجَهْد[٢] والتكلُّف[٣]، كقول الشاعر:

خُذي العَفْوَ مني تستديمي مودَّتي[٤]

والآخر: أن المعنىٰ: خذ في الصَّدقات ما سَهُلَ علىٰ الناس من أموالهم، أو ما فضَل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو -علىٰ هذا- بمعنىٰ: السَّهل، أو بمعنىٰ الكثرة.

﴿وَامُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف؛ وهو أفعال الخير. وقيل: العرف: الجاري بين الناس من العوائد، واحتجَّ المالكية بذلك علىٰ الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاءَ بمثل قولهم أو فعلهم، واحلُمْ عنهم. ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ عنها جبريلَ، فقال: لا أدري حتىٰ أسأل، ثم رجع

---

(١) في أ، ب، هـ: «عندهم».

(٢) في ب، ج، هـ: «الجهل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والتكليف».

(٤) هذا صدر بيت لأسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد المعدودين، وهو في طبقة التابعين، وعجزه: «ولا تَنطِقي في سَوْرتي حين أغضبُ» انظر: فوات الوفيات (١/ ١٦٩)، ونسبة في المحرر الوجيز (٤/ ١١٦) لحاتم الطائي.

فقال: «يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعكْ، وتعطيَ من حرمك، وتعفوَ عمن ظلمك»(١).

وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق(٢). وهي -على هذا- ثابتة الحكم؛ وهو الصحيح. وقيل: كانت مُداراةً للكفار، ثم نُسِخت بالقتال.

(٢٠٠) ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ نزْغُ الشيطان: وسوستُه بالتَّشكيك في الحق، والأمرِ بالمعاصي، أو تحريكُ الغضب. فأمَر الله بالاستعاذة منه عند ذلك، كما ورد في الحديث: أن رجلًا اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(٣).

(٢٠١) ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ معناه: لِمَّة منه، كما جاء: «إن للشيطان لِمَّةً، وللملَك لِمَّة»(٤). ومن قرأ ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ -بالألف-(٥): فهو اسم فاعل. ومن قرأ ﴿طَيْفٌ﴾ -بياء ساكنة-: فهو مصدر، أو تخفيف من طيِّف المشدَّد؛ كمَيِّت ومَيْت.

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ حُذِف مفعوله ليعمَّ كلَّ ما يُتَذَكَّرُ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، أو النظر والاعتبار، أو غير ذلك.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

(٢٠٢) ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ الضمير في ﴿إِخْوَٰنُهُمْ﴾ لـ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وأريد بقوله: ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الجنس؛ فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، و﴿إِخْوَٰنُهُمْ﴾ هم

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٤٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٨) عن سفيان بن عيينة عن أُمَيٍّ الصيرفي، وأخرجه ابن أبي حاتم -أيضًا- عن سفيان عن أميٍّ عن الشعبي. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٣١): «وهذا -على كل حال- مرسل، وقد روي له شاهد من وجوه أخر، وقد روي مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة، عن النبي ﷺ، أسندهما ابن مردويه».

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ٣١٨) عن جعفر الصادق بدون إسناد.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) عن سليمان بن صُرد ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٩٧) عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي بياء ساكنة، وقرأ الباقون بالألف.

الكفار. ومعنىٰ ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾: يكونون مَددًا لهم؛ أي: يَعضُدونهم. وضمير المفعول في ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ للكفار، وضمير الفاعل لـ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. ويَحتمل أن يريد بالإخوان: الشياطين، ويكون الضمير في ﴿إِخْوَٰنُهُمْ﴾ للكفار. والمعنىٰ علىٰ الوجهين: أن الكفار يُمِدُّهم الشيطان. وقرئ ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾: بضم الياء، وفتحها[1]؛ والمعنىٰ واحد.

و﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾: يتعلَّق بـ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، وقيل: يتعلَّق بـ﴿إِخْوَٰنُهُمْ﴾؛ كما تقول: إخوة في الله، أو في الشيطان.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يُقْصِر الشياطين عن إِمداد إخوانهم من الكفار، أو: لا يُقصِر الكفار عن غيِّهم. وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام الصاد قبل الراء في ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾.

(٢٠٣) ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في ﴿لَمْ تَأْتِهِم﴾ للكفار، و﴿لَوْلَآ﴾ هنا عرْضٌ، وفي معنىٰ ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان:

أحدهما: اخترعْتها من قِبَلِ نفسك، فالآية -علىٰ هذا-: من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخَّر عنه الوحي أحيانًا، فيقول الكفار: هلَّا جئتَ بقرآن من قولك!

والآخَر: أن معناها: طلبتَها من الله، وتخيَّرتها عليه، فالآية -علىٰ هذا-: معجزةٌ؛ أي: يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ معناه: لا أخترعُ القرآن؛ علىٰ القول الأول، ولا أطلبُ آيةً من الله؛ علىٰ القول الثاني.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أي: علاماتُ هدىٰ، والإشارة إلىٰ القرآن.

(٢٠٤) ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الإنصات المأمور به: هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الميم، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الميم.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الرَّاجح؛ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **قال بعضهم**: الرَّحمة أقرب شيءٍ إلى مستمع القرآن؛ لهذه الآية.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ **يَحتمل أن يريد**: الذِّكرَ بالقلب دون اللسان، أو الذِّكر باللسان سرًّا. **فعلى الأول**: يكون قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عطفًا مغايرًا؛ أي: حالةً أخرى. **وعلى الثاني**: يكون بيانًا وتفسيرًا للأول.

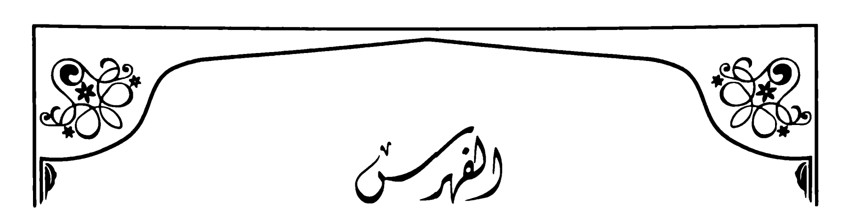
﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: في الصباح والعشيِّ، و«**الآصال**»: جمع أُصُل؛ والأُصُل جمع أَصِيل. **قيل**: **المراد**: صلاة الصبح والعصر. **وقيل**: صلاة المسلمين قبْلَ فرض الخمس[1]. **والأظهر الإطلاق**.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة ﷺ، وفي ذِكْرهم تحريضٌ للمؤمنين وتعريضٌ بالكفار.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ قدَّم المجرور لمعنى الحصر؛ أي: لا يسجدون إلَّا له وحده.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وقيل: فرض الخمس»!


الفهرس


تم بحمد الله